

كَلِمَةٌ

... واذا نضع هذا العدد بين ايدي قرائنا نذكر
بالاعتزاز ما قوبل به العدد الخامس من تقييم
شجعنا على مضاعفة النسخ .

لاندعي تحقيق طموحاتنا كاملة ، ولكننا نأمل
بمؤازرة القراء ومساهماتهم ان نصل الى ما
هو احسن <http://Archivebeta.Saki.com>

« التحرير »

الاجتهاد في أمم العقيدة

دراسة في تطور الفكر العقائدي عند المسلمين

الدكتور هاشم يحيى الملاح

إن معنى الاجتهاد ، لغوياً : بذل الجهد واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال (١) سواء كان ذلك الجهد منصباً على استنباط حكم شرعي من أدلته التفصيلية كالقرآن والسنة أم أعمال العقل للتوصل إلى العقيدة الصحيحة عن طريق التأمل والتفكير في أسرار الكون والحياة ، أم بذل الجهد للتعرف على بعض الأحكام اللغوية أو العقلية أو الحسية .

□ غير أن الفقهاء الذين بدأوا يؤلفون في أصول الفقه منذ أواخر القرن الثاني للهجرة حاولوا تضييق معنى الاجتهاد وحصره في حدود استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية من قرآن وسنة وما يتبعهما من مصادر للفقه كالقياس والإجماع (٢) .

وقد عرف الامدي «المتوفى سنة ٥٦٣١هـ» الاجتهاد بأنه : «استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز

(١) الفزالي أبو حامد : المستصفى ، مصر ١٩٣٧ ، ج ٢ ص ١٠١ . راجع أيضاً : ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، بيروت ١٩٥٦ ، ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) زيدان ، عبد الكريم ، الوجيز في أصول الفقه ، بغداد ١٩٦٢ ص ١٤ - ١٧ .

عن المزيدي فيه «(٣)». وقد اعتبروا المجتهد مأجوراً على اجتهداده سواء أصاب في التوصل إلى الحق أم أخطأ عملاً بقوله (ص) : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (٤). ويلاحظ أن القرآن قد دعى الناس منذ البداية إلى الاجتهاد في البحث عن عقيدتهم ، لأنه كان يستهدف تحويل الناس من الشرك إلى عقيدة التوحيد لذا فقد حثَّ الناس على استعمال العقل للوصول إلى العقيدة الصحيحة في حوالي تسع وأربعين آية (٥) ، نحو قوله : «كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (٦) ، «قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون» (٧) «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (٨) ، كما لفت الأنظار إلى وجوب التفكير والتفكير في حوالي ثمان عشرة آية (٩) كقوله : «كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآيات لعلكم تتفكرون» (١٠) ، «قل : هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟» (١١) ، «وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (١٢) ، كذلك فقد حثَّ القرآن الناس على تدبر آياته في عدة مواضع ، كقوله : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟» (١٣)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- (٣) الأمدى ، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد : الأحكام في أصول الأحكام ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج ٤ ص ١٤١ .
- (٤) الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني دمشق ١٣٨٩) ج ٢ ص ٤٠ .
- (٥) عبد الباقي محمد نواز : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مصر ١٣٧٨ ص ٤٦٨-٤٦٩ .
- (٦) سورة البقرة : ٢٤٢ .
- (٧) سورة آل عمران : ١١٨ .
- (٨) سورة يوسف : ٢ .
- (٩) عبد الباقي : المعجم المفهرس ، ص ٥٢٥ .
- (١٠) سورة البقرة : ٢٢٦ .
- (١١) سورة الانعام : ٥٠ .
- (١٢) سورة النحل : ٤٤ .
- (١٣) سورة محمد : ٢٤ .

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب» (١٤).
لذا ، فقد نعى القرآن الكريم على المشركين إهمالهم الاسترشاد بهدى عقولهم
وجمودهم على تقاليد آبائهم وأجدادهم من غير تمييز بين الصالح والظالم
منها في العديد من الآيات نحو قوله : « وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله
، قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا: أولئكَ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون ؟ » (١٥).

وقد اعتبر القرآن الكريم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد ورفض قبول
العقائد الجديدة من سمات الطبقة المترفة الممسكة بزمام الأمور في المجتمع
ربما لأنها تجد في استمرار القديم ما يضمن بقاء مصالحها وفوقها ، وقد وصف
القرآن ذلك بقوله : « بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُّرفُوهَا :
إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مُّقْتَدُونَ ، قال أولو جنتكم
بأهلى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون» (١٦) ،
وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُّرفُوهَا إنا بما أرسلتم به كافرون» (١٧).
وقرر القرآن في آية أخرى : « وأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض
بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها ، وإن يروا سبيلاً لرشد لا
يتخذوه سبيلاً ، وإن يروا سبيلاً ألغى يتخذه سبيلاً» (١٨) .

لذلك فقد أطلق القرآن الكريم على هؤلاء المشركين المتعصين تعصباً أعمى
لتقاليد السلف وعقائدهم صفة «الكافرين» ، وذلك لأن الكفر يعني - في
لغة العرب - ستر الشيء وتغطيته (١٩) . ومن ثم ، فالكافر هو من يغطي

(١٤) سورة ص : ٢٩ .

(١٥) سورة البقرة : ١٧٠ .

(١٦) سورة الزحرف : ٢٢ - ٢٥ .

(١٧) سورة سبأ : ٣٤ .

(١٨) سورة الأعراف : ١٤٥ .

(١٩) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ١٤٤ .

الحقيقة ويسترها رغم معرفته بها ، بدل أن يبحث عنها ويطلبها . وهذا ما حمل بعض علماء المعتزلة كالجاحظ (٢٠) وبعض علماء أهل السنة كالإمام الغزالي (٢١) من الأقدمين والشيخ محمود شلتوت من المعاصرين على تقرير أن: «الشرك الذي جاء في القرآن أن الله لا يغفره ، هو الشرك الناشئ عن العناد والاستكبار الذي قال الله في أصحابه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًا)» (٢٢) (٢٣) .

ربما ، كان ما تقدم سر عطف الرسول (ص) على الأحناف الذين تركوا دين قومهم ، وخرجوا يبحثون عن الدين الحق ، فقد روى أن الرسول (ص) استغفر لأحدهم وهو زيد بن عمرو بن نفيل الذي توفي وهو يبحث عن الدين الحق ، وقال عنه : «إِنَّهُ يَبْعَثُ أُمَّةً وَاحِدَةً» (٢٤) .

وموقف الرسول هذا ينسجم تماماً مع موقف القرآن المتعاطف من النبي إبراهيم حينما كان يبحث عن الإله الحق : «فلما جنَّ عليه اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِدْيَ رَبِّي لِأَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِي إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» (٢٥) .

كما أن ماورد أعلاه يفسر لنا سر موقف الإسلام المتشدد تجاه المشركين حينما انتصر عليهم وأصبحت له السيادة في شبه الجزيرة العربية في حدود السنة التاسعة للهجرة ، فقد أعلن البراءة منهم وخيّرهم بين الإسلام والسيف (٢٦)

(٢٠) الآدي : الأحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

(٢١) الغزالي : أبو حامد ، القصور العوالي ، رسالة في فصل التفرقة بين الاسلام

والزندقة القاهرة ١٩٧٠ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢٢) سورة النمل : ١٤

(٢٣) شلتوت ، الشيخ محمود : الاسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٢

(٢٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٠ ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢٥) سورة الانعام : ٧٦ - ٧٨

(٢٦) سورة التوبة : ١ - ١٥

وذلك لأن الإسلام سبق أن عرض على المشركين «في المرحلة المكية» تحكيم المنطق والعقل ، ولكن هذا العرض لم يلق أية استجابة كما قدمنا ، كما عرض عليهم حرية العقيدة ، بإعلانه أنه «لا إكراه في الدين» (٢٧) وأنه «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تُكفرُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين» (٢٨) ، «ويا أيها الكافرون ، لا أعبدُ ما تعبدون ، ولا أنتم عابدونَ ما أعبدُ ، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ، ولا أنتم عابدونَ ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين» (٢٩) . إلا أنهم رفضوا هذا العرض ، أيضاً ، وأنطلقوا يضطهدون المسلمين ويعملون على فتنهم عن دينهم مما اضطهرهم للهجرة عن بلدهم طلباً لحرية العقيدة .

لذا ، يمكن اعتبار إلغاء الإسلام للشرك في شبه الجزيرة العربية إلغاءً للجمود وللتعصب الأعمى لتقاليد الآباء والأجداد الذي كان حجر عثرة في طريق توحيد العرب وتقدمهم .

وبلاحظ أنه في الوقت الذي اتخذ الإسلام هذا الموقف تجاه المشركين ، نجده يعترف بحرية العقيدة بالنسبة لاتباع الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية ويكتفي بإساخت الجزية منهم رمزاً لخصوعهم للسلطة الزمنية الإسلامية (٣٠) . وهذا ما حمل العديد من الباحثين غير المسلمين إلى الاعتراف والإشادة بروح التسامح التي تحلّى بها الإسلام في عصوره الأولى تجاه أصحاب الديانات الأخرى (٣١) .

أما الدعوة إلى الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية كأحكام العبادات والمعاملات فلم ترد حولها في القرآن سوى إشارات

(٢٧) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢٨) سورة يونس : ٩٩ .

(٢٩) سورة الكافرون : ١-٦ .

(٣٠) سورة التوبة : ٢٩ .

(٣١) كولد زهير ، أكتاس : العقيدة والشرعية في الاسلام ، ترجمة د . محمد يوسف موسى ود . علي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٤٥-٤٧ .

مقتضبة نحو قوله : «ولو ردّوه» إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعليه» الذين يستنبطونه» منهم» (٣٢) . ويرجع السبب في ذلك إلى أن القرآن كان يتولى وضع الأحكام الشرعية التي تُعالج هذه المسائل مباشرة ، وبالتالي فلم تكن ثمة حاجة تدعو للاجتهاد في هذا المجال في عصر الرسالة .

ولكن بعد وفاة الرسول (ص) انقلب الموقف ، فلم تعد ثمة حاجة ملحة إلى الدعوة للاجتهاد في البحث عن العقيدة بعد أن دخلت جزيرة العرب بأجمعها في الإسلام ، وأخذت الجيوش الإسلامية تُصنّف الإمبراطورية الساسانية من جهة وتهدد وجود الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى . لقد برزت في هذه المرحلة الحاجة إلى استنباط الأحكام الفقهية التي تعالج المشاكل المستجدة التي أخذت تواجه الدولة الإسلامية لذا فقد اتجهت الجهود نحو تشجيع النشاط الفقهي بكل قوة (٣٣) .

إن إهمال الدعوة للاجتهاد في أمور العقيدة لم يؤد إلى توقف الاجتهاد في هذا المجال ، لأن الإسلام لم يفصل بين الدين والدولة ، وبالتالي فقد اكتسبت المنازعات السياسية صبغة دينية . وهكذا فقد قاد الاختلاف في الاجتهاد السياسي إلى خلاف في التصور الديني ، مما أدى إلى نشوء طوائف وفرق دينية متميزة عن بعضها . وربما كان من أبرز الأمثلة التي تؤيد ما ذكر أعلاه، التزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حول الخلافة وما ترتب على ذلك من نتائج . فقد قاد هذا التزاع إلى حرب ضروس بين أتباع علي وأتباع معاوية وأخذ كل فريق يُكفّر الفريق الآخر . وحينما طُرحت فكرة التحكيم لفض النزاع بين الطرفين أثناء معركة صفين وقبل بها علي بن أبي طالب بعد تردد ، خرج عليه طائفة من أتباعه معلّنين أن علي قد أخطأ حينما قبل التحكيم لأنه جعل حقه في الخلافة موضع شك . وبذلك نشأت فرقة جديدة سميت بالخوارج . وأخذت تتكون لديها مع الأيام آرائها العقائدية

(٣٢) القرآن : سورة النساء ، ٨٣ .

(٣٣) خلاف ، عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، الكويت ١٩٦٨ ص ١٥ .

التميزة التي كان أبرز ما فيها تكفير أتباع علي ومعارية في آن واحد . وأن خليفة المسلمين يجب أن ينتخب من بين أصلح المسلمين بغض النظر عن نسبه . أما أتباع علي بن أبي طالب من الشيعة فقد غلّو في حب علي وآله وأخذوا يكفّرون الأمويين وغيرهم ممن خاصم علي حقه في الخلافة وأصبحوا بمرور الأيام فرقة متميزة لها فكرها الديني الخاص الذي يدور بصورة أساسية حول الإمامة وحصر حق توليها في علي وأولاده . أما الذين وقفوا على الحياد ورفضوا خوض غمار هذا الصراع السياسي الديني وبالتالي فقد رفضوا إدانة موقف أي من الطرفين المتخاصمين وقالوا نرجئ الحكم عليهم إلى يوم القيامة فقد سموا مرجئة (٣٤) .

وقد قادت المناقشات بين الشيعة والخوارج والمرجئة إلى إثارة كثير من القضايا العقائدية كمحاولة تحديد من هو الكافر ومن هو المؤمن ، وما هو حكم مرتكب الكبيرة ، وأين مكانه يوم القيامة ، أي الجنة أم في النار ، وما إلى ذلك ... وكان من الطبيعي أن تساهم هذه المناقشات في ترسيخ فكر كل فرقة من هذه الفرق وتدفعه إلى التطور . كما ساهمت أيضاً في نشوء فرق أخرى كان أبرزها فرقة المعتزلة الذين قالوا أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين: الكفر وإيمان أي، أنه فاسق (٣٥) .

ولم يكن الصراع السياسي بين المسلمين وحده سبباً في توسيع الاجتهاد في أمور العقيدة ، وإنما كان الصراع بين الفكر الإسلامي وبين الأديان والفلسفات الأخرى الموجودة في البلاد التي خضعت للدولة الإسلامية بشكل عاملاً آخر في توسيع البحث في هذا المجال . ذلك أن أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحيين واليهود أخذوا يثيرون بعض القضايا الفكرية الحساسة كشكالة القدر ، وهل الإنسان مسير أم مخير. فتطلب ذلك من المسلمين الدخول في

(٣٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري مصر ١٩٦٣ ، ج ٥ ص ٦٤ - ٦٥

أحمد أمين ، فجر الاسلام مصر ١٩٦٤ ، ص ٢٥٦ - ٢٨٢

(٣٥) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ - ٣٠٣

مناقشات فلسفية معمقة ، خصوصاً وأن أهل الأديان الأخرى كانوا يتسلحون في نقاشهم مع المسلمين بالفلسفة اليونانية ، فحمل ذلك المسلمين على الاهتمام بالفلسفة وترجمتها إلى العربية للإستعانة بها في الدفاع عن عقيدتهم . وقد قادت هذه المناقشات إلى إثارة مسائل ، وظهور أنقسامات لم تكن موجودة في السابق . وربما كان من أبرزها ظهور فئة من المسلمين تؤمن بالجبر فسموا الجبرية ، وأخرى تؤمن بالقدر فسموا القدرية (٣٦) .

في البداية ، كان الصراع حامياً جداً بين الفرق والفئات المشار إليها أعلاه وربما كان ذلك طبيعياً ، لأن الإنقسام الذي يرجع إلى أسباب سياسية ودينية من شأنه إثارة التعصب ويبعد أصحابه عن روح التسامح في أغلب الأحيان. لذلك لم تعذر هذه الفئات بعضها بعضاً ولم تحاول مساحتها على اعتبار أنها كانت مغلصة ومجتهدة في البحث عن الحق . وإنما كفرت كل طائفة خصومها وراحت ترسم تصوراتها عما يكفر به المرء وما لا يكفر . يقول أبو الحسن الأشعري «أختلف الناس بعد نبئهم - صلى الله عليه وسلم - في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضاً وبرئ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين وأحزاباً متشتتين ، إلا أن الإسلام بجميعهم ويشتمل عليهم» (٣٧) .

وربما كان المرجئتهم الفئة الوحيدة التي حاولت أن تشيع التسامح بين هذه الطوائف المتصارعة حينما راحت تدعو الناس إلى إرجاء الحكم على أعمال الناس وعقائدهم إلى يوم القيامة ، حيث يحكم الله بينهم فيما كانوا فيه يختلفون. «فعدوا كل الطوائف المخالفة لهم من شيعة ومعتزلة وخوارج وغيرهم مؤمنين ، وعدوا كل من تأول واجتهد مؤمناً وإن أخطأ ، وليس كافراً إلا من أجمعت الأمة على كفره ، وليس أحد يخلد في النار من المؤمنين ، بل إما أن يعفو الله عن ذنوبهم أو يعذبهم عليها حيناً ، ثم يدخلهم الجنة» (٣٨) .

(٣٦) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٨٣ - ٣٠٠ .

(٣٧) الأشعري ، أبو الحسن ، مقالات الإسلاميين ، مصر ١٩٥٠ ، ج ١ ص ٣٤ .

(٣٨) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، القاهرة ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ٣٢٢ .

ورغم أن آراء المرجئة هذه لم تقابل في البداية بالترحاب نظراً لشدة الصراع وضراوته بين الطوائف الإسلامية المتنازعة ، إلا أنه بعد أن هدأت حدة الصراع ، وأخذت كل طائفة تحاول التخفيف من غلوها في النزاع ، بدأت آراء المرجئة تتسرب إليهم . فقد تسرب إلى عقائد أهل السنة من أقوالهم أن «المؤمنين العصاة لا يُخلَّدون في النار» ، وأنه لا يكفر أحد بذنوب إلا في حدود معينة (٣٩) ، حتى لقد عدَّ أبو الحسن الأشعري أبا حنيفة وأصحابه من المرجئة لأنهم كانوا يرون «أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله ، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء به من عند الله في الجملة دون التفسير» (٤٠) . وقد كان أبا حنيفة يقول : «ولا تُكفَّر أحدٌ بذنوب ، ولا تنفي أحدٌ عن الإيمان» (٤١) .

كما ذكر الأشعري أن أكثر أصحاب أبي حنيفة «يُحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والحب»^{٤٢} والتعظيم له والحبية منه وترك الاستخفاف بحقه ، وأنه لا يزيد ولا ينقص» (٤٢) .

وقد تبني هذا الموقف التسامح من بعد مجموعة من كبار الفقهاء أمثال الغزالي ، والفخر الرازي وابن تيمية (٤٣) .

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، من أن شرح ما يمكن به المرء وما لا يمكن يطول . لذا ، «فاقنع الآن بوصية وقانون أما الوصية : فأن تكف نفسك عن أهل القبلة ما أمكنك ، ما داموا قائلين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، غير مناقضين لها . والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعذر أو بغير عذر ، فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا يخطر فيه ، أما القانون فهو : أن تعلم أن

(٣٩) المرجع نفسه ، ج ٣ ص ٣٢٤ .

(٤٠) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

أحمد أمين ، فقه الإسلام ، ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٤١) أحمد أمين ، فقه الإسلام ، ج ٣ ص ٣٢١ .

(٤٢) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٤٣) أحمد أمين ، فقه الإسلام ، بيروت ١٩٦٩ ، ج ٤ ص ١٠٤ .

النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد ، وقسم يتعلق بالفروع .
وأصول الإيمان ثلاثة : الإيمان بالله ، وبرسوله ، وباليوم الآخر . وما عداه
فروع واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً ، إلا في مسألة واحدة . وهي أن
«يُنكَرَ أصلاً دينياً» علم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالتواتر «(٤٤)» ..
«والتواتر ينكره الإنسان بلسانه ، ولا يمكن أن يجهله بقلبه . نعم ، لو
أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد ، فلا يلزمه به الكفر (٤٥) ولو أنكر ما ثبت
بالإجماع ، فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض
يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه . وأنكر النظام كون الإجماع حجة أصلاً ،
فصار كون الإجماع حجة مختلفاً فيه » (٤٦) .

لذا ، فقد قرر الغزالي «أن الخطأ في أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها
وما يتعلق به ، لا يوجب شيء منه تكفيراً . فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب
الإمامة ، ولا يلزم تكفيره . ولا يلتفت إلى قوم يُعْظَمُونَ أمر الإمامة ،
ويعملون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله وبرسوله ، ولا إلى خصومهم
المكفّرين لهم بمجرد مذبحهم في الإمامة . فكل ذلك إسراف ، إذ ليس في
واحد من القولين تكذيب للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أصلاً» (٤٧) ..
وقد أجاز الإمام الغزالي للمجتهد أن يلجأ إلى تأويل النصوص الشرعية
حين يتعذر عليه الإقتناع بظاهر النص . ولم يحز لأحد أن يكفره بسبب ذلك
حيث يقول : «ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل ...
وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه

(٤٤) الغزالي ، فيصل التفرقة (تحقيق الدكتور سليمان دنيا) مصر ١٩٦١ ص ١٩٥ .

(٤٥) إذا علمنا أن الحديث المتواتر لا يذكره المحدثون ، وهو قليل لا يكاد يوجد في روايتهم ،
كما جاء في كتاب تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، أدركنا مدى خطورة رأي
الإمام الغزالي في هذا الصدد .

راجع السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مصر ١٩٥٩ ص ٣٧١ .

(٤٦) المرجع نفسه : ص ١٩٦ .

(٤٧) الغزالي ، فيصل التفرقة ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل ، رحمة الله عليه . وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأعربها أن تجعل الكلام مجازاً ، أو استعارة ، وهو الوجود العقلي ، والوجود الشبهي . والحنبلي مضطر إليه وقائل به ، فقد سمعت الثقات من أئمة الجنبالة ببغداد يقولون : إن أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط .

أحدها : قوله (ص) : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) . فانظر ، الآن : كيف أولّ هذا ؟ حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره ، فيقول : اليمين 'تقبل' في العادة تقرباً إلى صاحبها . والحجر الأسود يقبل أيضاً تقرباً إلى الله تعالى . فهو مثل اليمين ، لاني ذاته ، ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه ، فسمي ، لذلك ، يميناً . وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي ، وهو أبعد وجوه التأويل . فانظر كيف أضطر إليه أبعد الناس عن التأويل (٤٨) .

إن ما نقله عبد الحليل عيسى عن الفضل الذي كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه «تاريخ الجهمية والاعتزلة» المخطوط بدار الكتب المصرية يعد تلخيصاً جيداً لأراء المتأخرين من أهل السنة في هذا المجال حيث يقول : «إن المعتزلة ، أو المرجئة ، وكثيراً غيرهم من الفرق الإسلامية مجتهدون ، لهم ما للمجتهدين فكما أن اسم الاجتهاد يتناول في العرف فروع الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهوم الاجتهاد ، لغة وأصطلاحاً ، ووجوداً . وكيف لانعد فرق المجتهدين في الأصول من المجتهدين وهي تستدل على دعواها بالقرآن أو السنة ، وترى أن مظاهر لها منهما هو الحق دون سواه ؟ ولما تشابهت الآيات والأحاديث في مثل رؤية الإنسان لله سبحانه ، وفي مثل إيجاد الإنسان لأعمال نفسه ، وفي مثل القرآن قديم أو محدث ، ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله ورسوله ، وأليق بعظمته ، فكانوا ، لذلك ، مجتهدين وفي اجتهادهم مأجورين ، وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين .

(٤٨) الغزالي ، فيصل التفرقة ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

ثم قال : ولا يصح ذم أهل الفرق على الإطلاق فقد تلقى أئمة الحديث على كثير منهم ، وحملوا السنة النبوية عنهم وجعلوهم في ذلك حجة بينهم وبين ربهم . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عدد كبير من المعتزلة والأباضية والمرجئة والشيعة ، كما تراه في مقدمة «فتح الباري» لشرح صحيح البخاري «والتدريب شرح التقريب ، للسيوطي» و«ميزان الاعتدال» للذهبي ، وقد قال الإمام أحمد ، رضي الله عنه لو تركنا الرواية عن المعتزلة لتركنا أكثر أهل البصرة . وقال ابن تيمية : كان منهم خلق كثير من العلماء والعباد . وأخرج لهم البخاري ومسلم .

وقد أشتهر بين العلماء أن من كان منهم داعية إلى بدعة لم يرووا عنه ، ولكن العراقي اعترض على ذلك بأن البخاري ومسلم احتجا بالدعاة من أهل الفرق ، فاحتج البخاري بـ **عمران بن حطان الخارجي** واحتج هو ومسلم بـ **عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني** وكان من دعاة المرجئة . ثم قال القاسمي : وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ما للمجتهدين ، أمر لا يرتاب فيه

منصف» (٤٩) <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولم يقف الأمر عند حدود توسيع مفهوم الاجتهاد ليشمل مسائل الخلاف في مفاهيم العقيدة بين الفرق والطوائف الإسلامية ، بل وجد من يعدده ليشمل الاجتهاد في اختيار العقيدة ذاتها ، وليعتبر المجتهد مأجوراً على اجتهاده في هذا المجال حتى ولو لم يؤده اجتهاده إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية ذاتها ، فقد ذكر الآمدي أن الجاحظ وعبدالله العنبري من المعتزلة قد قالوا : «يحط الإثم عن مخالف ملة الإسلام إذا نظر واجتهد فأداه اجتهاده إلى معتقده ، وأنه معذور بخلاف المعاند» (٥٠) وقد استدلوا على وجهة نظرهم هذه بأن تكليف المجتهدين «باعتقاد نقيض معتقدهم الذي أدى إليه اجتهادهم ، واستفرغوا

(٤٩) عيسى ، عبدالحليل ، ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين ، الكويت ١٩٦٩ .

ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

(٥٠) الأمدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٤ .

الوسع فيه ، تكليف بما لا يطاق ، وهو ممتنع للنص والمعقول . أما النص فقوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وأما المعقول فهو أن الله تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم ، فلا يليق به تعذيبهم على مالا قدرة لهم عليه . ولهذا ، كان الأئمة مرتفعاً عن المجتهدين في الأحكام الشرعية مع اختلاف اعتقاداتهم فيها بناء على اجتهداتهم المؤدية إليها « (٥١) » .

غير أن جمهور علماء المسلمين لا يميلون إلى قبول هذا الرأي . ويرون « أنه ليس كل مجتهد في العقليات مصيباً ، وأن الأئمة غير محطوط عن مخالف ملة الإسلام ، سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر » (٥٢) . وقد استدل الجمهور على رأيهم بقوله تعالى : « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » وقوله : « وذلكم ظنكم بربكم أرادكم » وقوله تعالى : « ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون » . ووجه الاحتجاج بهذه الآيات هو أن الله تعالى قد ذم الكافرين على معتقدهم « وتوعدهم بالعقاب عليه ولو كانوا معذرين فيه لما كان كذلك » (٥٣) .

إلا أن أصحاب الرأي الأول يدفعون هذه الحجة بقولهم : إن غاية ماورد في الآيات المتقدمة هو « ذم الكفار ، وذلك غير متحقق في محل النزاع ، لأن الكفر في اللغة مأخوذ من السر والتغطية ومنه يقال : الليل كافر ، لأنه سائر للحوادث ، وللمحارث كافر لسره الحب ، وذلك غير متصور إلا في حق المعاند العارف بالدليل ، مع إنكاره لقتضاه » (٥٤) .

كما يستدل الجمهور على رأيهم بسنة رسول الله (ص) : « فقد علم منه عليه السلام ، علماً لا مراء فيه تكليفه للكفار من اليهود والنصارى بتصديقه ، واعتقاد رسالته وذمهم على معتقاداتهم وقتله لمن ظفر به منهم ، وتعذيبه على ذلك ، مع العلم الضروري بأن كل من قاتله وقتله لم يكن معانداً بعد ظهور

(٥١) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٢) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٥٣) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥٤) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ - ١٥٦ .

الحق له بدليله ، فإن ذلك مما تحيله العادة . ولو كانوا معذورين في اعتقاداتهم ، وقد أتوا بما كلفوا به ، لما ساغ ذلك منه » (٥٥) .

ويرد أصحاب الرأي الأول على هذه الحجة بقولهم : أنهم لا يسلمون أن الرسول (ص) قد أمر بقتل الكفار عقاباً لهم على ما اعتقدوه نتيجة اجتهداهم ، بل كان ذلك عقاباً للذين أصرّوا على إهمال البحث عن العقيدة الصحيحة والكشف عنها مع توفر امكانيات ذلك لديهم (٥٦) . وربما كان مما يقوي هذه الحجة ما ذكره القرآن الكريم عن المشركين الذين جحدوا الدعوة الإسلامية ظلماً وعلواً بعد أن استيقنتها أنفسهم ، وقالوا : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون» (٥٧) . أما اليهود فقد أشّر القرآن الكريم إلى أنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمجيء النبي . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسداً من عند أنفسهم (٥٨) عناداً واستكباراً ولم يرد أن الرسول (ص) قد قتل أحداً بسبب عقيدته فقط ، بل الثابت أن الذين أمر بقتلهم كانوا مقاتلين للمسلمين .

وأخيراً ، فقد احتج الجمهور بأن إجماع الأمة قد انعقد قبل ظهور المخالفين على قتال الكفار وذهمهم ومهاجرتهم على اعتقاداتهم : ولو كانوا معذورين في ذلك ، لما ساغ ذلك من الأمة المعصومة عن الخطأ (٥٩) .

غير أن أصحاب الرأي الأول يدفعون هذه الحجة بقولهم : «وأما الإجماع فلا يمكن الاستدلال به في محل الخلاف : كيف ، وأنه يمكن حمل فعل

(٥٥) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥٦) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٧) سورة الزخرف : ٢٣ .

(٥٨) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥٩) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

أهل الإجماع على ما حمل عليه فعل النبي عليه السلام؟ «المشار إليه آنفاً (٦٠) ويبدو أن حجج أصحاب الرأي الأول قد حملت أبا حامد الغزالي على قبول رأيهم رغم مخالفته لرأي جمهور العلماء . فقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه : «فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» «أن من كذب الرسول (ص) بعد ما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزاته الخارقة للعادة - كشق القمر وتسييح الحصا . ونبع الماء من بين أصابعه - والقرآن والمعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه ، فإذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ، ولم ينظر فيه ، ولم يتأمل ولم يبادر إلى التصديق ، فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ، ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين ، بل أقول : من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الأمر ، إن كان من أهل الدين ، ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فإن لم تنبث هذه الداعية ، فذلك لركونه إلى الدنيا ، وخلوه عن الخوف ، وخطر أمر الدين ، وذلك كفر . وإن أنبث الداعية فتنصر في الطلب فهو أيضاً كفر ، بل ذو الإيمان بالله واليوم الآخر من أهل الكمال . والله لا يمكن أن يتمثلوا عن الطنب بعد ظهور المخايل بالأسباب الخارقة للعادة ، فإن اشتغل بالنظر والطلب ، ولم يقصر ، فأدركه الموت قبل تمام التحقيق ، فهو أيضاً مغفور له ثم له الرحمة الواسعة» (٦١)

(٦٠) المرجع نفسه : ج ١ ص ١٥٦ .

• من الغريب أن يقلل النزالي نسبة مثل هذه المعجزات للرسول وهو يقرأ اجابة القرآن للمشركين على طلبات ماثلة هذه المعجزات كي يؤمنوا به : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تصبجراً أو تنسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترشق في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا» سورة الاسراء ٩٠ - ٩٣ .

راجع ايضاً سورة الفرقان : ٧-٨ وسورة هود : ١٢ .

(٦١) النزالي ، القصور العوالي " رسالة فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة " ، ص ١٥٦-١٥٧

غير أن الذي يقرأ كتاب «المستصفى» يلاحظ أن الإمام الغزالي كان يأخذ برأي الجمهور في هذه المسألة حيث يقول : «وهذا الذي ذكره (الملاحظ) ليس بمحال عقلاً لو ورد الشرع به ، وهو جائز ، ولو ورد آلتعبد كذلك لوقع ، ولكن الواقع خلاف هذا ، فهو باطل بإدلة سمعية ضرورية» (٦٢). ثم يرد نفس أدلة الجمهور التي قدمنا ذكرها لتدعيم رأيهم مما يدل على أن الإمام الغزالي كان قد غير رأيه في هذه المسألة في أواخر سني حياته وذلك لأنه كان قد ألّف كتاب «المستصفى» في ٦ محرم سنة ٥٠٣ للهجرة في نيسابور كما يروي ذلك ابن الأثير ، أي قبل وفاته بحوالي سنتين ، بينما لم يؤلف كتاب «فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» إلا في حدود سنة ٤٩٧ للهجرة أي قبل تأليف كتاب «المستصفى» بست سنوات (٦٣) .

ومن الجدير بالذكر ، أن آراء الملاحظ التي عرضها الآمدي في هذا الصدد وناقشها لوجودها في كتبه التي وصلت إلى أيدينا ، مما يدل على أنها قد وردت في بعض كتبه المفقودة وخصوصاً الكتب التي تطرق فيها الملاحظ إلى بعض المسائل الأصولية والكلامية مثل كتاب «الفتا» وكتاب «حجج النبوة» (٦٤) وهنا قد يطرح تساؤل : ألا يجوز أن تكون هذه الآراء منسوبة إلى الملاحظ خطأ ؟ .. في الحقيقة ، إن ذلك مستبعد ، لأن الآمدي والإمام أبا حامد الغزالي قد نسا هذه الآراء إلى الملاحظ على سبيل الجزم ، وهو قريب عهد بهما نسبياً ، مما يدل على أن كتبه التي وردت فيها هذه الآراء كانت متداولة في عصرهما . كما أن هذه الآراء تنسجم مع منهج الملاحظ في تمجيد العقل ودعوته إلى وجوب تحرر العالم من المألوف ومن المعرفة الأولى أثناء بحثه ومحاولة الوصول إلى الحقائق (٦٥) . كما أنه يُعدّ تطبيقاً لرأيه في مسألة

(٦٢) الغزالي ، أبو حامد : المستصفى من علم الأصول ، ج ٢ ص ١٠٦-١٠٧ .

(٦٣) عثمان ، عبدالكريم : سيرة الغزالي ، دمشق ١٩٦٢ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٦٤) الهاجري ، الدكتور طه : الملاحظ ، حياته وآثاره ، مصر ١٩٦٢ ،

ص ٣١٢-٣٢٧ .

(٦٥) خفاجي ، محمد عبدالمتمم : أبو عثمان الملاحظ ، القاهرة ، ص ١٦٨ .

أن المعارف «ليست من فعل الإنسان لأنها متولدة إما من اتجاه الحواس أو من اتجاه النظر. ولذلك قال : إن الإنسان في تحصيل معارفه ليس له إلا توجيه الإرادة ، وما يحدث بعد ذلك فاضطرار وطبيعة ، فإذا فتحت عينيك فأدركت أن هذا الشيء أحمر ، وهذا أصفر ، وأن هذا أكبر من ذاك ، ففتحت لعينيك عمل إرادي اختياري كسبي ، وأما المعارف التي تحصل منه أو بعبارة أخرى تولد منه فاضطرارية ، وكذلك الشأن في توجيه الفكر إلى البحث واستعراض البرهان ، فتوجيه النظر عمل إرادي ولكن آقتناع الناشر أو عدم آقتناعه وتحصيل العلم به عمل ضروري أو اضطرابي لاكسبي» (٦٦).

ويميل علماء الاجتماع إلى قبول المقارنة التي جاء بها الباحث بين المحسوسات والمعتولات . فالعقل في رأي الباحث كالحس لا يخضع للإرادة إلا ضمن نطاق محدود . والعلماء اليوم يعتبرون التفكير كالأحاساس محدوداً فأنت لا تستطيع أن تعقل شيئاً إلا إذا كان ذلك الشيء داخل نطاق المفاهيم والمقاييس الفكرية التي تعودت عليها في محيطك الاجتماعي (٦٧) .

ومن الجدير بالذكر أن أبا بكر الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣ للهجرة) قد ذكر أن بعض المتكلمين يرون أن مقلدة اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ليسوا في النار (٦٨) . ورغم أن الباقلاني لا يوافق هؤلاء المتكلمين على رأيهم هذا إلا أنه يقرر أن الحكم في هذه المسألة (طريقه النظر دون التوقيف والخبر) (٦٩) أي أنه متروك لاجتهاد المجتهدين لعدم وجود نصوص قاطعة فيه .

أما نصير الدين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ) فرغم آتفاقه مع الباقلاني في رفض رأي هؤلاء المتكلمين الذين يحكمون بنجاة مقلدة اليهود والنصارى

(٦٦) أحمد أمين ، فشى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ١٣٢-١٣٣ .

(٦٧) الوردي علي ، مهزلة العقل البشري ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٥٧ .

(٦٨) الباقلاني أبو بكر ، كتاب التمهيد ص ٣٥٣ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

وغيرهم من أهل الكفر من النار ، إلا أنه يتفق مع الجاحظ والعنبري في رفض نعت المجتهد الذي بالغ في الاجتهاد ولم يصل إلى المطلوب بنعت الكافر «لأن المبالغ في الاجتهاد إما أن يصير واصلاً أو يبقى ناظرًا» وكلاهما ناجيان ومحال أن يؤدي الاجتهاد إلى الكفر فالكافر إما مقلد للكفر وإما جاهل جهلاً مركباً وكلاهما مقصران في الاجتهاد ولذلك حكموا بوقوعهم في العذاب» (٧٠)

ويلاحظ أن علماء المسلمين المحدثين لم يعيروا هذه المسألة كبير اهتمام رغم أن مفاهيم العصر الداعية إلى حرية الرأي والإعتقاد تدعوهم إلى بحثها بشكل ملح ما عدا الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) والشيخ محمود شلتوت . فقد أفصح الأول عن ميل قوي لتبني رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة حينما قرر أن أول «أساس وضيع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحجة ، وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته ، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو أن يثور عليه ؟ بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة : إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق ، ثم لم يصل إليه ، ومات طالباً غير واقف عند الظن ، فهو ناج» (٧١) .

أما الثاني، فهو الشيخ محمود شلتوت فقد أعلن عن تبنيه رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة بصورة مطلقة حيث قرر أن من لم يؤمن بركن من أركان العقيدة الإسلامية ومستلزماتها لا يعدّ مسلماً ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين بعضهم ولكن «ليس معنى هذا أن من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند الله يخلد في النار . وإنما معناه أنه لا تجري عليه في الدنيا أحكام الإسلام .. أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح

(٧٠) الطوسي ، نصير الدين ، تلخيص المحصل (مطبوع بذيول كتاب المحصل للرازي ، مصر ١٣٢٢هـ ، ص ٧٤) .

(٧١) الشيخ محمد عبده ، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، مصر ١٣٧٣ ص ٥١ .

وأفتنع بها فيما بينه وبين نفسه ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً واستكباراً وطمعاً في مال زائل أو جاه زائف أو خوفاً من لوم فاسد . فإذا لم تبلغه تلك العقائد أو بلغته بصورة منفردة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق لإليها وظل ينظر ويفكر طلباً للحق حتى أدركه الموت أثناء نظره فإنه لا يكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله. ومن هنا كانت الشعوب النائية التي تصل إليها عقيدة الإسلام أو وصلت إليها بصورة سيئة منفردة . أو لم يفقهوا حجته مع اجتهداهم في بحثها بمنجاة من العقاب الآخروي ولا يطلق عليهم اسم الكفرة (٧٢) .

وهكذا يتضح كيف أن مفهوم الاجتهاد الاصطلاحي قد توسع عند طائفة من العلماء ليصبح غير مقصور على الاجتهاد في مسائل الفقه ذات الطابع العلمي بل امتد ليشمل الاجتهاد في بحث أمور العقيدة أيضاً . وبذلك عاد التطابق لديهم بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للكلمة كما كان سابقاً من أن الاجتهاد هو « بذل الجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال » (٧٣)، سواء كان ذلك الجهود منصباً على بحث أمر من أمور العقيدة أو مسألة من مسائل الفقه .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

أما جمهور علماء المسلمين فقد استقر رأيهم على منع التقليد في مسائل العقيدة (الأصول) ووجوب الاجتهاد فيها. فقد ذكر الجويني (٤١٩ - ٤٧٨هـ) أنه قد « اجتمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب » (٧٤). لذا فقد أكد سيف الدين الآمدي الشافعي (٥٥١ -

(٧٢) ثلثوت ، الاسلام عقيدة وشريعة ص ٣١-٣٢ .

(٧٣) النزالي ، المستصفي ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٧٤) الجويني : امام الحرمين . عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، كتاب الارشاد .

مصر ١٩٥٠ ، ص ١١ .

٥٦٣١هـ) على أن الاجتهاد واجب في هذا المجال حتى على المسلم العامي (٧٥) لأن النظر واجب وفي التقليد ترك الواجب (٧٦)، كما أن إجماع السلف منعقد على وجوب معرفة الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز (٧٧) إضافة إلى أن « التقليد مذموم شرعاً فلا يكون جائزاً » (٧٨) .

ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم نهي جمهور علماء المسلمين عن التقليد في أخذ أمور العقيدة ودعوتهم إلى الاجتهاد فيها، فإنهم لا يميزون للمجتهد أن يتجاوز في اجتهاده حدود الأصول العامة للعقيدة الإسلامية وإلا وقع في الكفر (٧٩). فحرية الاجتهاد في أمور العقيدة لديهم إذا هي حرية نسبية عكس ما عليه الحال عند بعض مفكري المعتزلة وغيرهم من العلماء الذين وردت الإشارة إلى آرائهم آنفاً.

وفي الختام لئن جاز للباحث أن يختار بين الرأي الداعي إلى حرية الاجتهاد في أمور العقيدة والرأي المعارض لها فإنه يجد الأدلة تسوقه إلى تبني الرأي الأول لا سيما وأن هذا الرأي ينسجم مع دعوة القرآن الكريم إلى استخدام العقل وعدم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد، ويضع أساساً راسخاً لإرساء روح التسامح والتعاون بين بني الإنسان طبقاً لقوله تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا » إن أكرمكم عند الله أتقاكم (٨٠)

الدكتور هاشم يحيى الملاح
عميد كلية الآداب - جامعة الموصل

-
- (٧٥) الآدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ص ١٩٣ .
(٧٦) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٣ .
(٧٧) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .
(٧٨) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .
(٧٩) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٥٤-١٥٧ .
(٨٠) سورة الحجرات : ١٣ .

نظم إمارات كركلا في عهد الأرتقة *

د. عماد الدين خليل

تمهيد

إن موضوع التنظيمات الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذو علاقة وثيقة بسياسات الامارات الارتقية وعلاقتها الخارجية ، إذ أن هذه التنظيمات كانت ، إلى حد ما ، القاعدة التي استند عليها الارتقة في توجيه نشاطهم نحو التوسع وإنشاء العلاقات بالدول والامارات المجاورة فعن طريق هذه التنظيمات يتمكن الأمير من السيطرة على الوضع الداخلي لامارته وتسييره وفق نظام معين يمكنه من استغلال الوسائل الاقتصادية والبشرية والحربية من أجل توسيع امارته وتحديد علاقاته بالآخرين . كما يمكنه من القضاء على الفوضى الداخلية والسير بامارته نحو التقدم والنمو في شتى المجالات .

□ وهكذا فإن بحث النظم ، على قلة المعلومات عنها وابتعاد المصادر عن محاولة ايراد تفاصيل حولها ، ضروري لتوضيح الأساس الداخلي الذي استندت إليه علاقات الارتقة الخارجية ، السياسية والعسكرية ، والتي تشكل القسم الأكبر من هذه الرسالة . ويظهر أن الارتقة حاولوا تنظيم أوضاعهم الداخلية ، وتمكنوا من تحسين النظم السائدة في المنطقة في الفترة السابقة ، كما أنهم اقتبسوا كثيراً من النظم التي عاصرتهم . ولكن المشكلة التي تعرضنا هنا هي : هل أن الارتقة

• صفحات من الطروحة دكتوراه بعنوان (الامارات الارتقية في ديار بكر).

أقاموا تنظيماتهم على انقاض جهاز سابق ، أم أنهم أنشأوها بالكلية انشاء جديداً ؟ . ومصدر هذه المشكلة هو عدم تأكيد المصادر على النواحي المتعلقة بالنظم وانصرافها إلى التأكيد على العلاقات السياسية والحروب بالدرجة الأولى ، ليس فقط بالنسبة لديار بكر ، وإنما بصورة عامة ، وهكذا تضعف الاشارات المحدودة عن النظم في خضم من التفاصيل السياسية والعسكرية . ولإعطاء صورة عن المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، تجدر الإشارة الى عدد من الاعتبارات ، أهمها :

١ - هناك إشارات إلى عدد من التنظيمات الادارية والاقتصادية في ديار بكر في الفترة التي سبقت تكوين الامارات الارتقية مباشرة ، مما يشير إلى أن المنطقة كانت قد بلغت - في تلك الفترة - مرحلة لا بأس بها من النضج الاداري والاقتصادي . وبمقارنة هذه التنظيمات بتلك التي عرفت لدى الأتاتقة يتضح مدى ما أخذه هؤلاء عن سبقهم ومدى ما استحدثوه في هذا المجال .

٢ - إن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات والامور الادارية والاقتصادية والاجتماعية ... في فترات معينة من التاريخ لا يعني عدم وجودها ، بل من المحتمل أن المصادر ، بتركيزها على القضايا السياسية والحربية ، قد انشغلت عن ذكر الامور الحضارية . وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة هامة في المجال الحضاري تلك هي أن حدوث تحول سياسي أو حربي ، والانتقال من عهد إلى عهد آخر وسقوط الأمراء وقيام آخرين مكانهم ، لا يعني سقوط التنظيمات القديمة قاطبة وقيام أخرى جديدة لا علاقة لها بسابقتها ، إذ أن ذلك يناقض استمرارية التماسك الاجتماعي والنظامي والبيروقراطي (الوظيفي) بعد حدوث هذه الرجات . فلا بد إذاً من القول بأن التنظيمات ، في خطوطها الأساسية ، لا يصيها تغيير كبير لاثرتلك الانقلابات ، وبصورة خاصة بالنسبة لطبقة الموظفين الصغار والمسؤولين الثانويين الذين يلعبون دوراً هاماً في استمرارية النظام والتماسك الاداري . وهكذا يمكن القول بأن الأتاتقة

لم يقيموا مؤسسات ونظماً جديدة بالمرّة على المنطقة ، بل أن بعضها كان موجوداً ، واكتفى هؤلاء بإجراء بعض التعديلات عليها ، فضلاً عن ادخالهم نظماً جديدة مقتبسة عن الدول المعاصرة كالسلاجقة والأيوبيين والمماليك .

٣- لم تقم الامارات الارتقية دفعة واحدة ، بل قامت في فترات زمنية متباعدة ، وليس هذا فحسب ، بل أن كلاً من هذه الامارات بدأت بمدينة أو حصن واحد وأخذت تتسع بالتدريج بضم أماكن جديدة إليها . وهذا يشير ، من ناحية سياسية وحضارية ، إلى عدم حدوث تغيير أساسي إثر قيام الامارات الارتقية ، وان من المؤكد قيام الأرائقة كثير من الأحيان ، باقتباس شبه تام لما كان موجوداً سابقاً . ويشير كاهين إلى أن التنظيم الداخلي للأرائقة وحضارتهم بصورة عامة كانت تنقصهما الأصالة بحيث لا تستحقان دراسة شاملة خاصة بهما . فالإمارات الارتقية كانت تشكل ، فيما عدا خربت ، جزءاً من العالم الاسلامي منذ عهد الفتوحات الاسلامية وإن المناطق التي حكمها الأرائقة استمرت تحكم من قبل نفس السكان وبنفس القوانين التي كان يعمل بها سابقاً ، ويتساءل كاهين فيما إذا كان لنظام حكم الأرائقة أية ميزات خاصة سواء اكانت أصلية أم غير أصلية . (١) هذا فضلاً عن أن ايران والعراق والشام كانت قد تأثرت جميعاً - كما يشير فيت - في هذه المرحلة التاريخية ، إلى حد كبير أو صغير بما أنشأه السلاجقة من نظم حربية واقتصادية وما لجأوا إليه من انشاء المدارس (٢) . وقد أشار القلقشندي إلى هذه المؤثرات الحضارية للسلاجقة والأتاكيات التي تفرعت عنها في مختلف أنحاء المنطقة المذكورة ، بحيث أن أهم الدول والامارات التي قامت في أنحائها كانت تستمد نظمها من هؤلاء في معظم الأحيان . (٣) وبعود كاهين فيشير إلى أن دخول العنصر التركاني - الذي ينتمي إليه الأرائقة - إلى ديار بكر لم يكن له أي تأثير في فعاليات القطر الاقتصادية التقليدية التي كانت قائمة

Enc. Isl . art. Artukids . New ed. (١)

L'Egypte Arabe, P. 330. (٢)

(٣) صبح الاعشى ٤/٥ .

على الزراعة وتربية الحيوانات ومناجم الحديد والنحاس والتجارة مع العراق والأناضول (٤) . وهذا يشير بدوره إلى أن ناحية من أهم نواحي النظم الارتقية لم تكن مبتكرة وإنما اعتمدت على ما كان سائداً من قبل . هذا فضلاً عن أن السمة العربية الأصيلة للحضارة الارتقية استمرت تحتل مكانة كبيرة في ديار بكر متمثلة في الشعر العربي الذي لقي رواجاً لدى الأرائقة وفي العدد الكبير من الشعراء الذين خرجتهم أو استقبلتهم ديار بكر في عهد الأرائقة .

٤ - ثمة نتيجة تتمخص عن الاعتبار السابقة ، وهي أن كل دراسة للنظم التي التزمتها الدولة السلجوقية أو الدول والإمارات التي أخذت عنها كالأيوبيين (٥) تلقي ضوءاً في الوقت ذاته على المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، خاصة وان الامارات الارتقية امتدت ، في بعض الأحيان ، فشملت مدناً ومواقع كانت ذات طابع سلجوقي كحلب والمواقع المحيطة بها .

٥ - شكل الأرائقة ثلاث إمارات ضم كل منها عدداً من المدن والمواقع وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات القانونية في نظم تلك الإمارات فيما بينها أو فيما يتعلق بنظم مدن كل إمارة منها على حدة ، إلا أنها تشابه جميعاً في خطوطها الأساسية وكبار موظفيها وطبقة خيائها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذا سيجيء بحث حضارة ونظم هذه الإمارات والوحدات المدنية كوحدة كاملة دون تجزئة .

٦ - أورد بعض المؤرخين عدداً من الإشارات إلى ما كان سائداً من نظم في السنوات التي سبقت ورافقت ظهور أولى الإمارات الارتقية في ديار بكر حيث كانت تحكم الإمارة المروانية الكردية (٣٨٠ - ٥٤٧٨ = ٩٩٠ - ١٠٨٥ م) (٦) وبعض الأمراء السلاجقة ، مما يلقي ضوءاً على الأسس التي اعتمدها الأرائقة في تنظيماتهم . ويوضح من استعراض الروايات التي أوردها الفارقي في هذا

(٤) Enc .Isl. art. Artukids, New ed.

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ٤ / ٥ .

(٦) الفارقي ، تاريخ آمد (القسم المنشور) ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلام

(مخطوطة ٩٩ آب) .

المجال ونقلها عنه ابن شداد ، إن ديار بكر كانت قد بلغت خلال الفترة المذكورة درجة لا بأس بها من النمو في نظمها الإدارية ، وظهر فيها عدد من الأجهزة والمناصب التي كان أصحابها يقومون بتسيير شؤون الإدارة كالقضاء ونيابة القضاء (٧) والخطابة (٨) والحسبة (٩) والنظر على الوقف (١٠) والديوان (١١) والاستيفاء (١٢) والوزارة (١٣) والولاية (١٤) والحجاجة (١٥) ومحافظة البلد (١٦) ودار الضرب (١٧) . وهناك من الضرائب المؤن و الاعشار والاقساط والكلف والحراج (١٨) ، كما يتضح الدور الهام الذي كان يلعبه القضاء في المجالين السياسي والعمرائي حيث كانت الظروف السياسية تلعب دورها في تسلمهم المناصب القضائية ، لذا لم يكن أحدهم يستقر في منصبه طويلاً . وقد تدخل القضاء في تعيين الحكام وعزلهم (١٩) . وكان المحتسب يتمتع ، كذلك ، بصلاحيات واسعة فكان يسهم في فرض الضرائب والرسوم على الأهالي ، كما كان يقوم أحياناً بتولي أمور المدينة (٢٠) أما

- (٧) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-١٩٩ ، ٢٦٦-٢٦٧ ، ٢٧٩ .
- (٨) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٦٦-٢٦٧ .
- (٩) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٦٦-٢٦٧ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ٩٩٩) .
- (١٠) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-١٩٩ .
- (١١) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٨٣-٢٨٤ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ١٠١ آ) .
- (١٢) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٨٣-٢٨٤ ، ابن شداد ١٠١ آ .
- (١٣) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-٢٠٠ ، ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٧١ ، ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ .
- (١٤) الفارقي من ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١-٢٨٢ ، ابن شداد ٩٩ آ ١٠١ آ .
- (١٥) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٧١ .
- (١٦) الفارقي من ٢٣٠-٢٣٢ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ٩٧ آ) .
- (١٧) الفارقي من ٢٧٤-٢٧٥ .
- (١٨) الفارقي من ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٧٤-٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ آ .
- (١٩) الفارقي من ١٩٧-٢٠٠ ، ٢٣٠-٢٣٢ ، ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٦٦ - ٢٨٤ ، ابن شداد ٩٧ آ ، ١٠٠ آ ، ١٠١ آ .
- (٢٠) الفارقي من ٢٦٦-٢٦٧ ، ٢٦٩ .

الوزير فكان يمثل السلطة العليا في البلاد ، وقد فوض في أحيان كثيرة صلاحيات واسعة شملت تنصيب ولي العهد أثر وفاة سلفه ، والاشراف على النواحي العمرانية والمالية مما أتاح لبعض الوزراء الحصول على الثروة عن طريق المصادرات وابتزاز الأموال ، وبلغ من صلاحية الوزراء أن أحد حكام ميفارقين ردّ الى وزيره - المعين - «جميع الأمور» ، ويظهر أن الوزير يتمتع بهذه الصلاحيات حدّ من أهمية الوالي الذي لم يعد له دور يذكر في تسيير شؤون البلد ، اللهم إلا في الحالات التي كان الوزير يغيب خلالها ، أو تشغل وظيفته (٢١) .

ولم تحدد الروايات الآتفة طبيعة العلاقات الإدارية بين مختلف الموظفين بشكل دقيق . وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدداً من الوظائف السالفة لم يكن ثابتاً بل كان معرضاً للاستغناء عنه في أحيان كثيرة .

وقد تأثر التقدم الاقتصادي والعمراني للمنطقة بالظروف السياسية تأثراً كبيراً بسبب اختلاف الحكم عليها واتباعهم أساليب مختلفة ، فمنهم من كان يعمل على الإصلاح بإسقاط الضرائب المخفضة والتوسع في الإعمار (٢٢) ، ومنهم من كان يتبع أساليب البطش والتشكيل وزيادة الضرائب مما اضطر عدداً من الأهالي إلى الجلاء (٢٣) .

ويمكن القول بأن المنطقة بلغت درجة كبيرة من التقدم الاداري والعمراني والاقتصادي في أواخر حكم الإمارة المروانية في ديار بكر ، حيث انصرف حكامها إلى الإصلاح والاعمار (٢٤) ولكن ما أن سقطت تلك الإمارة ، حتى غدت ديار بكر عرضة للفتن والاطماع ، حيث تناوبها الحكام وطمع الأمراء المجاورون بضياها وقرائها مما أدى إلى تدهور أوضاعها العامة ،

(٢١) الفارقي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٤٤ - ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨١ - ٢٨٢

ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ ، ١٠١ آب .

(٢٢) الفارقي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ ب .

(٢٣) الفارقي ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، ابن شداد ٩٩ آ .

(٢٤) الفارقي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ابن شداد ٩٣ آب .

فاستولى عليها ، كما ذكر الفارقي « الظلم والجور والخراب ، وافقر أهلها ، وإلى الآن - حوالي منتصف القرن السادس - لم ترجع إلى عشر عشر ما كانت عليه في أيام نظام الدين (المرواني) » (٢٥) . وهذا يعطي صورة مقارنة عن الوضع الاقتصادي لديار بكر قبيل الأرتقية وفي مطلع حكمهم .

الادارة الأرتقية

كان نظام الحكم في الإمارات الأرتقية قائماً على الأساس الوراثي فالابن يعقب أباه في الحكم ، وأحياناً تنتقل السلطة إلى الأخ في حالة عدم وجود وريث أو عدم تمتع الابن بالمؤهلات الكافية ولكن كثيراً ما كان يحدث أن الوريث يخلف أباه على الحكم حتى ولو كان طفلاً، وهذا هو الذي أتاح لبعض أفراد الحاشية الاستئثار بالحكم الفعلي وتوجيه الأُمراء الأطفال وفق هواهم (٢٦) وكانت المؤامرات داخل البلاط الأرتقي لا تقف عند حد ، ليس فقط بين الأُمراء وكبار رجال الحاشية ، بل بين الأُمراء أنفسهم (٢٧) .

(٢٥) الفارقي ، تاريخ أمد ص ٢٠٣ - ٢٠٤ - ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٣ آ ب) .
(٢٦) قول حسام الدين يولتق أرسلان الحكم بعد أبيه أيلغازي عام (٥٨٠ = ١١٨٤ م) وكان طفلاً فقام بتربيته نظام الدين البيقش بملوك أبيه واستأثر بالحكم هو وملك آخر يدعى لؤلؤ ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي الولد عام (٥٩٥ = ١١٩٩ م) ، وكان له أخ أصغر منه هو قطب الدين أرسلان فعينه البيقش مكان أخيه في الحكم «وليس له منه إلا الاسم ، والحكم للنظام ولؤلؤ» . ولكن قطب الدين مال به أن أخذ يتحين الفرص للتخلص من نفوذهما وواطأ على ذلك جماعة من الأُمراء والمماليك ومن ثم تمكن من اغتيالهما عام (٦٠١ = ١٢٠٤ م) واخراج مناهجه من ماردین وتعزیز أنصاره ، وبذلك تمكن من ممارسة مهام الحكم بشكل فعلي . انظر ابن الأثير ، الكامل ١١ / ٢٠٧ ، ابن الدبري ، مختصر ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٥ ب) .

(٢٧) في عام ٦٣٦ (وقيل ٦٣٧ هـ) اغتيل الملك المنصور ارتق أمير ماردین على يد ممالিকে بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين ابنه الملك السعيد ايلغازي واعتقال الأخير ، مما دفع ابنه إلى تدبير هذه المؤامرة لاغتيال جده والافراج عن أبيه . وما أن استقر السعيد في الحكم حتى قام باعتقال أكبر اخوته حيث كان يشكل خطراً على نفوذه ، ومن ثم استقام له الأمر . انظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ١١٦ - ١١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة ٨ / ٧٣٠ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٣٤ ب - ١٣٥ آ) : وفي عام ٧١١ هـ توفي الملك المنصور ايلغازي ، فقام ولي عهده الملك العادل بمحاولة لاغتيال أخيه شمس الدين الصالح لما كان يعلم من همة وأنه أحق بالملك منه =

ولم يشذ الأرافقة عن قاعدة الوراثة في الحكم إلا في عهد قطب الدين سقمان ، أمير آمد وحصن كيفا ، حيث أنه عهد بولاية العهد إلى مملوك له يدعى اياز . وعندما توفي قطب الدين عام (٥٩٧هـ = ١٢٠٠م) تسم الحكم بعده مملوكه اياز واستمر فيه أياماً تمكن بعدها شقيق قطب الدين (ناصر الدين محمود بن محمد) من انتزاع الحكم منه ، ومن ثم ألقي القبض عليه واعتقله (٢٨)

أما الألقاب التي اتخذها حكام الأرافقة فقد تدرجوا فيها مستغلين الظروف السياسية المحيطة بهم فتمسوا في البدء باسم الأمراء ثم الملوك (٢٩) ، وأول من تلقب منهم بالملك هو أرتق أرسلان عام (٦٠١هـ = ١٢٠٤م) حيث سمي نفسه الملك المنصور (٣٠) . ثم اتخذ حكام الأرافقة بعدئذ لقب السلطنة . وأول من تلقب منهم بذلك هو نجم الدين المنصور المتوفى عام (٧١٢هـ = ١٣١٢م) ثم أبناؤه من بعده (٣١) ، واستمروا على ذلك حتى سقوط إمارة ماردين عام (٨١٢هـ = ١٤٠٩م) ولكن ذلك لم يمنع من تمسكهم بلقب الملك وخاصة في الفترة الأخيرة كالمملك الظاهر مجد الدين عيسى (٣٢) . وكان من عاداتهم إضافة نعتين إلى اسمهم الأصلي مثل (المنصور نجم الدين ابلاغزي والعاذل علاء الدين علي) ، ومن المرجح أنهم اقتبسوا ذلك من الأيوبيين والمعاليك (٣٣).

فعارضه كبار الأمراء في ذلك للمكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها الصالح . ثم ما لبث العادل أن توفي بعد أيام ، ويقال أنه سم على يد أحد الأمراء ، فانتقل الملك إلى أخيه الصالح . انظر : الدواداري ، كنز الدرر ٩ / ٢٤١ - ٢٤٢ ، ابن حجر ، الدرر ٣ / ٢١٦ - ٢١٧ . (٢٨) ابن الساعي ، الجامع المختصر ٩ / ٥٣ .

(٢٩) غدا لقب الملك ، في العصر السلجوقي ، يطلق على الولاة الفرعيين بينما احتفظ رب الأسرة السلجوقية بلقب السلطان (مجلة بغداد ، ص ٢٦ ، عدد ٢٤ سنة ١٩٦٥) .

(٣٠) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي (القسم المخطوط ٢ / ٤٩٦) .

(٣١) الفلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣١٦ ، ابن تغري بردي المنهل الصافي (القسم المنشور) حاشية ٣ ، ١ / ٢٢١ .

(٣٢) العيني ، الروض الزاهر ص ١٥ .

(٣٣) الفلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٥ / ٤٨٨ . وانظر عن انتشار الألقاب لدى السلاجقة

والذين أعقبوهم : (مجلة بغداد ص ٢٤ - ٢٨ ، عدد ٢٤ سنة ١٩٦٥) .

ولا ريب أن السلطة الرئيسية في الحكم كانت بيد الأمير الارتقي ، وأنه كان يتمتع بنفس الصلاحيات التي كان يتمتع بها سلاطين وملوك وأمراء تلك الفترة : كمنح الاقطاعات ، ومكافأة الأمراء والأجناد ، والقيادة العليا للجيش ، وتعيين كبار موظفي الدولة وعزلهم وتأديبهم ، والنظر في المظالم أحياناً ، ومقابلة بعض ذوي الحاجات من الأهالي ، وتحديد سياسة الإمارة (٣٤) أما بقية الاختصاصات والأعمال فكانت تقع على عاتق الجهاز الإداري المكلف بتسيير شؤون الإمارة الادارية والعسكرية والمالية .

يقف الوزير على رأس الجهاز الإداري لدى الأرائقة ، وكان يتمتع بصلاحيات واسعة في العهود الأولى من حكمهم ، وربما كان الأرائقة متأثرين في ذلك بالنظام السلجوقي الذي كان يعطي للوزير حق الاشراف على جميع الدواوين والمرافق المهمة في الدولة (٣٥) . وأول وزير تتطرق الروايات إلى ذكره هو أبو تمام بن عبدون الذي رافق ايلغازي لدى توجهه إلى أرمينية لقتال الكرج عام (٥١٤هـ = ١١٢٠م) (٣٦) ويشير ورود اسم الوزير في هذه الفترة المبكرة إلى أن الأرائقة اتخذوا الوزراء منذ فجر حياتهم السياسية. ثم نورد الروايات بعد ذلك ، اسم عبد الملك الذي استوزره حسام الدين تمر تاس عام (٥١٨هـ = ١١٢٤م) ، وقد استمر هذا في منصبه حتى عام (٥٢٧هـ = ١١٣٢م) حيث توفي . وكان يقوم بتعيين بعض كبار الموظفين كالشحنة (المحافظ) والمشرف على الوقف ، كما قام بمصادرة بعض كبار المسؤولين (٣٧) ، مما يشير إلى سعة الصلاحيات التي كان الوزير الارتقي يتمتع بها . وفي العام التالي (٥٢٨هـ) وصل إلى ماردين حبشي بن محمد بن حبشي قادماً من العراق (٣٨) ليدخل في خدمة تمر تاس

(٣٤) انظر علي ابراهيم حسن ، الممالك البحرية ص ١٦٠ - ١٦٣ .

(٣٥) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (حجة سور ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤) .

(٣٦) الفارقي ، تاريخ آند (المخطوطة ودية ١٠٣ - ١٠٤ آ) .

(٣٧) الفارقي ، (المخطوطة ١٠٩ آ ب) .

(٣٨) كان حبشي قد خدم الياغسياني أمير حماه ، ويظهر أنه لم يتم بواجبه على الوجه المطلوب فقبض عليه الياغسياني وعاقبه ، فانهزم وتنقل في البلاد إلى أن =

الذي ولاه الوزارة ومنحه سلطات واسعة « فبلغ من الدولة ما لم يبلغه غيره وتحكم أو في تحكم » (٣٩) ، وتوجه إلى ميفارقين في مطلع العام التالي « فعمل هناك حساب أرباب الأعمال والكتاب ، وسلك بهم أعسف الطرق والخسف والقهر » وما أن وصل إلى هناك حتى أنهزم المستوفي المؤيد أبو الحسن عائداً إلى الجزيرة فقبض حبشي على شقيقه أبي سعيد وكان مستوفياً هو الآخر ، وعلى ابنه ، وصادر أموالهما ، فبقي الناصح في الاعتقال حتى وفاته ، وقام حبشي بتولية العميد أبو طاهر بن المختب مكانه ، وكان هذا معتقلاً طيلة ست سنوات فأطلقه حبشي (٤٠) . وفي عام (٥٣١هـ - ١١٣٦م) توجه حبشي إلى ميفارقين ثانية وصادر أهلها « وجرى عليهم منه مالا يوصف (٤١) وفي عام (٥٣٥هـ - ١١٤٠م) لعب حبشي دوراً مهماً في حماية ميفارقين من الخطر الذي دهمها لدى مهاجمة داود الأرتقي أمير حصن كيفا لها ، وكان حبشي آنذاك مقيماً بها فقام هو والحاجب يوسف بن ينال والي المدينة ، « بتدبير الناس وسياسة البلد » (٤٢) ويظهر أن العلاقات ساءت ، بعد ذلك ، بينه وبين حسام الدين تمرشاش بسبب طغيانه واستغلال منصبه للكسب الشخصي . ولكن تمرشاش لم يستطع أن يقدم على خطوة جريئة ضده ، إلى أن أسغل فرصة تغيبه عن ماردن عام (٥٣٦هـ - ١١٤١م) على رأس وفد لمفاوضة زنكي في الموصل ، فأطلق سراح المؤيد أبي الحسن الذي كان حبشي قد أعنتله منذ عام (٥٣٤هـ - ١١٣٩م) وعينه حسام الدين تمرشاش في الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٤٣) . ويظهر أن هذه الخطوة التي اتخذها حسام الدين استنزفت حبشي - وهو في الموصل - فاتفق مع زنكي - سرراً - على

انتهى به المطاف في ماردن (الفارقي ، تاريخ آمد ، مخطوطة ١٠٩ب - ١١٠آ) .

(٣٩) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١١٠آ) .

(٤٠) الفارقي تاريخ آمد ، ورقة ١١٠آ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلام ، ورقة ١٠٣ آب .

(٤١) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٢١آ .

(٤٢) ابن شداد ، الأعلام ، ورقة ١٠٣ب - ١٠٤آ .

(٤٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٢ب - ١٢٣آ .

تسليمه ميفارقين ، ولكن المؤامرة أكتشفت ، عندما حاصر زنكي المدينة عام (٥٣٨هـ - ١١٤٣م) وكان حبشي مقيماً بها آنذاك ، فدخل على خيمته ليلاً اثنان من كبار مسؤولي المدينة وهما مؤمل الشاقصي ومحمد بن أبي المكارم وقتلاه واتجها برأسه إلى ماردين (٤٤) .

وتشير الروايات السابقة إلى مدى ما كان يتمتع به الوزير الارتقي من صلاحيات إدارية وسياسية كما كانت الحال في السابق ، حيث كان يقوم بفرض وتقدير الضرائب على أرباب الأعمال والكتاب ، ويصادر كبار الموظفين ، ويعزلهم ويوليهم ويرأس الوفود للمفاوضة ويشارك في تنظيم الدفاع عن المواقع التي يتهدها الخطر . ولكن هذا التضخم في الصلاحيات التي يمارسها الوزير حداً من سلطة الأمير الارتقي نفسه ، بحيث لم نعد نرى بعد حبشي وزيراً للارائقة تمتع بهذه الصلاحيات . وقد وصل إلى ماردين في العام الذي تلا مقتل حبشي الأمير ابراهيم بن منقذ المصري فولاه حسام الدين الوزارة (٤٥) ويظهر أن هذا حاول استغلال منصبه كسلفه فاعتقله حسام الدين عام (٥٤٠هـ = ١١٤٥م) قبل أن يتمكن من منصبه ولكنه استطاع أن يهرب من السجن بتدبير من بعض أفراد الخاشية الارتقية ومن ثم غادر ماردين سراً ، فلما علم حسام الدين بذلك أرسل فرسانه في طلبه فتمكنوا من القبض عليه وحملوه إلى حسام الدين فأطلقه دون عقاب (٤٦) .

ولم تشر المصادر إلى الوزير الذي أعقب ابراهيم بن منقذ طيلة خمس سنوات من هذا الحادث ، وتقفز إلى عام (٥٤٥هـ = ١١٥٠م) حيث يشير الفارقي إلى أن حسام الدين أستوزر خلاله زين الدين أسعد بن عبدالخالق ، شقيق المؤيد الذي كان وزيراً للبرسقي حاكم الموصل (٥١٥ - ٥٢٠هـ = ١١٢٦م - ١١٢٦م) (٤٧) ، ولكن هذا لم يستمر في منصبه سوى عام واحد حيث

(٤٤) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤ أ .

(٤٥) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٢٤ أ .

(٤٦) المصدر السابق ، ورقة ١٢٥ أ .

(٤٧) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ ب .

اغتيال في العام التالي (٨٥٤٦ = ١١٥١ م) بتدبير من حكام آمد . «وبقي حسام الدين بعد قتل زين الدين بغير وزير وأكتفى بالاجل مؤيد الدين - الذي كان يعمل في الإشراف على الديوان - وأغناه عن جميع من خدمه» (٤٨) ويظهر أن حسام الدين أراد أن يتخلص من المشاكل التي جرها عليه معظم وزرائه ، فقرر أن يبقى بلا وزير ، وأن يعتمد على بعض كبار موظفيه لإنجاز ما كان يقوم به الوزراء من مهام رسمية .

وطيلة الفترة التي أعقبت وفاة حسام الدين (٨٥٤٧ = ١١٥٢ م) وحتى سقوط آخر إمارة آرتقية في ماردن عام (٨١٢ = ١٤٠٩ م) ، لم تقدم المصادر روايات متكاملة ومتتابعة عن الأشخاص الذين استوزروا من قبل الاراتقة ، وطبيعة الأعمال التي كانوا يمارسونها . ففيما عدا تاريخ الفارقي ، وابن شداد الذي نقل عنه ، لا نجد أي مصدر يهتم بالأمور الإدارية للاراتقة بالمقدار الذي نجده لدى الفارقي ، لذا فإن الفترة الطويلة التي أعقبت تاريخ الفارقي لانتخللها سوى روايات قليلة ومتباعدة تشير إلى بعض النواحي الإدارية . ففي عام (٨٨١ = ١١٨٥ م) ترد إشارة إلى مقتل قوام الدين عبد الله بن سحاق وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان أمير آمد وحصن كيفا ، حيث احتال عليه بماليك الأمير المذكور فاستدعوه من الديوان الذي كان يجتمع فيه بكبار رجال الدولة وقالوا له : إن الملك يطلبك ، وما أن انفرد في أحد الدهاليز حتى أنقضوا عليه وقتلوه (٤٩) ويظهر أنه حاول أن يتجاوز حدود سلطته ، أو أنه قتل بتحريض من قبل بعض منافسيه ، ومن المرجح أن ممارسته السلطة الفعلية باسم سيده هو الذي ألته عليه ودفعه إلى قتله (٥٠) .

وترد في عام (٦٥٢ = ١٢٥٤ م) إشارة إلى وفاة أحمد بن حلوان ، نجم الدين المعروف بابن العالمة ، وإنه كان قد استوزر من قبل المسعود أمير آمد

(٤٨) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٥ ب - ١٣٦ أ .

(٤٩) ابن شامة ، الروضتين ٢ / ٦٧ ، ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق (مخطوطة ٣٠١ - ٣٠٢)

(٥٠) الكامل ١١ / ٢٠٩ ، أبو الفدا ، المختصر ٣ / ٧٣ ، ابن الوردي ، تمة ٢ / ٩٤ .

وحصن كيفاً فترة من الزمن ، بعد أن خدمه وحظي عنده بما كان يتمتع به من مهارات في العلوم والآداب ، ثم ما لبث الملك المسعود أن نعم عليه وصادر جميع ممتلكاته فاضطر إلى مغادرة آمد إلى دمشق حيث توفي هناك (٥١) . وفي عام (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) ترد إشارة إلى اشتراك صاحب شمس الدين بن شرف الدين التتبي ، وزير صاحب ماردين ، في الوفد الذي أرسله السلطان أحمد ابن هولاكو ، سلطان المغول ، لمفاوضة المماليك في مصر ، وانتهى الأمر باعتقالهم في دمشق ثم الإفراج عنهم فيما عدا ابن التتبي « ونفرين أو ثلاثة قيل أن صاحب ماردين أشار بابقائهم لامر نقمه عليهم » (٥٢) . وكان ابن التتبي فاضلاً مشاركاً في علوم النحو واللغة والحديث ، وروى عنه عدد من العلماء (٥٣) ولكنه لم ينجح ، كعظم زملائه من وزراء بني أرتق ، من التنكيل والإضطهاد . وبعد فترة ليست بالطويلة (٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م) قام نجم الدين ايلغازي ، أمير ماردين ، بقتل وزيره المعروف بابن المرأة لدى اكتشافه بأنه كان يتآمر على قتله وتنصيب أحد إخوته مكانه (٥٤) . وينتظر ابن بطوطة لذكر وزير ماردين في عهد زيارته لها (في حدود عام ٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو جمال الدين السنجاري الذي وزر للملك الصالح والذي يصفه بأنه « الإمام العالم وحيد الدهر وفريد العصر وإنه قرأ بتبريز - من بلاد فارس - وأدرك العلماء الكبار » (٥٥) ، مما يشير إلى أن الأرائقة كانوا يتوخون في وزراءهم العلم والثقافة . ومن ثم ترد الإشارة الأخيرة إلى وزراء الأرائقة على لسان ابن الفرات حيث يذكر أنه في العاشر من المحرم عام (٧٩٦ هـ = ١٣٩٣ م) حضر إلى القاهرة الحاج محمد وزير صاحب ماردين لاطلاع السلطان على آخر تحركات تيمورلنك (٥٦) مما يشير إلى أن الوزير الأرتقي كان يتمتع حتى الفترات

(٥١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٩٢ - ٩٥ .

(٥٢) المصدر السابق ٤ / ٢١٧ - ٢١٨ .

(٥٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٣ / ٢٨٦ .

(٥٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٥٥) رحلة ١ / ١٨٣ .

(٥٦) تاريخ ابن الفرات ٩ / ٣٦١ .

المتأخرة ، ببعض الصلاحيات في تسير شؤون الامارة وفي نشاطها الخارجي .
وليس الولاية بأكثر حظاً من الوزراء فيما ورد عن أسمائهم وحدود سلطتهم
ففيما عدا ما قدمه الفارقي (ونقله عنه ابن شداد) وبخاصة قائمة نواب (أو
ولاية) حسام الدين تمرناش في ميفارقين فإن المصادر الأخرى لاتكاد تذكر
شيئاً عن الموضوع . وأول وال يرد ذكره لدى الأرائقة هو ابن ايلغازي ، الذي
نجهل اسمه ، والذي ولاه أبوه على نصيبين لدى استيلائه عليها عام (٥٠٠ هـ =
١١٠٦ م) (٥٧) ، وبللق بن اسحق والي ايلغازي على الأثارب القريبة من حلب
والذي لعب دوراً مهماً ضد الصليبيين (٥٨) ، ثم يرد بعد ذلك اسم الحاجب
غزغلي الذي كان والياً على ميفارقين في عهد ايلغازي ، وقد لعب هذا الوالي
دوراً في مساعدة شمس الدولة سليمان بن ايلغازي في الاستيلاء على ميفارقين
وتشكيل امارة جديدة هناك ، دون حدوث أي اشتباك (٥٩) . ويرد بعد ذلك
اسم الحاجب يونس الدنيسري الذي ولاه حسام الدين تمرناش على دارا لدى
استيلائه عليها في ذي الحجة من عام (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) (٦٠) . ومن ثم يقدم
الفارقي قائمة لأبأس بها عن ولاية (نواب) حسام الدين تمرناش على ميفارقين
وهم : الحاجب أبو بكر بن خمرناش الحاج (عزل) ، بيرم بن خمرناش الحاج
(عزل) عثمان بن خمرناش الحاج (عزل) ، بيرم ، ثانية ، (عزل) الحاجب
عبدالكريم بن علي (عزل) ، الحاجب يوسف ينال (عزل) ، قزغلي (توفي) ،
الحاجب يرتقش الحسامي (عزل) ، يوسف ينال ، ثانية وبقي حتى عام (٥٣٩ هـ =
١١٤٤ م) حيث توفي فولي بعده ناصر الدولة صندل في ذي القعدة ، وبقي
في الولاية إلى ربيع الآخر سنة (٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م) وعزل ، وعين اسر سلا

(٥٧) ابن شداد ، الأعلام ، ورقة ٣٩ أ .

(٥٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ١٩٤ .

(٥٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٥ أ - ١٠٥ ب ونقل عنه ابن شداد ، الأعلام ، ورقة

١٠٢ ب وقد حور النسخ اسم غزغلي فجعله كيغلي .

(٦٠) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٢ أ

حتى وفاته في ربيع الآخر سنة (٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) ومن ثم استقل ينال بالولاية واستمر فيها حتى وفاة حسام الدين عمر تاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) (٦١).

ويلاحظ من الاطلاع على هذه القائمة أن ولاية الأرائقة كانوا ، كوزرائهم لا يستمرون في مناصبهم طويلاً ، إذ كانوا معرضين للغزل ، وهكذا فإن معظم الولاة الذين حكموا ميفارقين عزلوا قبل أن تمضي على توليتهم فترة طويلة ، ولذا تعاقب على حكم هذه المدينة اثنا عشر والياً في فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . وربما كان هذا هو السبب الذي لفت انتباه الفارقي فقدم هذه القائمة واغفل ذكر ولاية المواقع الأخرى . ويلاحظ أن معظم هؤلاء الولاة ، الذين وردوا في القائمة ، كانوا يلقبون بالحاجب وهذا يشير إلى أحد احتمالين : إما أن يكون هؤلاء قد اشغلوا فعلاً وظيفة الحجابة للأرائقة قبل توليهم ميفارقين ولأنهم ولوا بعدئذ على هذه المدينة تقديرآ لخدمتهم وهو المرجح ، أو أن التقاليد الرسمية كانت تقتضي تسمية كل وال باسم الحاجب (فلان ...) .

ويذكر القلقشندي أن من ضمن مهام ولاية الأرائقة تلقي المكاتبات من الخارج ، حيث كانت توجه اليهم بعض المكاتبات من نواب الممالك في دمشق وحلب (٦٢) ولا تعرف ، بعد ذلك ، شيئاً عن طبيعة المسؤوليات التي كلف ولادة الأرائقة القيام بها ، والجهاز الاقليمي الذي كان يعاونهم في شؤون الادارة وصلاحيه تعيين أعضائه ؟ . ولما كانت معظم المواقع (الولايات) الارتيقية ذات قلاع وحصون فالمرجح أن أهم أعمال أولئك الولاة كانت ، حسبما ذكر القلقشندي وحفظ تلك القلاع ، وعمارة مادعت الحاجة إلى عمارته منها ، وأخذ بقلوب من فيها ، وجمعهم على الطاعة بالاحسان اليهم (٦٣) ، وتحصينها بالآلات الحصار وادخار آلات الحرب ومهماتهما ، والاعتناء بغلق

(٦١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٧ - ١٣٨ ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلام ، ورقة ١٠٤ ب - ١٠٥ أ .

(٦٢) صبح الأعشى ، ط ٨٤٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٩

(٦٣) انظر الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١٣٨ آب) وابن شداد ، الأعلام (المخطوطة ١٠٥ أ)

أبواب القلعة وفتحها وتفقد أحوالها في كل صباح ومساء ، وإقامة الحرس وإدامة العسس ، وتعرف أحوال المجاورين لها من الأعداء ، والمطالعة بكل ما يتجدد لديه من الأخبار» (٦٤). هذا بالإضافة إلى مهمات الوالي المالية والعسكرية الأخرى كمساعدة الأمير الارتقي في عملياته الحربية بشكل مباشر ، أي بإمداده بالجند والميرة ، أو غير مباشر ، كأن يقوم بتوسيع منطقة ولايته ، والدفاع عنها ضد هجمات الأعداء . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به الحاجب يوسف والي ميفارقين عام (٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م) عندما قام داود الارتقي ، أمير حصن كيفا ، بمهاجمة ميفارقين ، حيث أحسن الوالي وتدبير الناس وسياسة البلد» (٦٥) واستطاع بمساعدة بعض المسؤولين ، انقاذ المدينة من خطر محقق .

وهناك موظف على درجة كبيرة من الأهمية وهو نائب السلطنة في ماردين وقد استحدث الاراتقة هذا المنصب في فترة متأخرة (٦٦) ويظهر أنهم نقلوه عن الممالك في مصر والشام حيث كان نائب السلطنة هناك يتولى مهاماً خطيرة ، إذ كان يشترك مع السلطان في توزيع الاقطاعات ، وتعيين الموظفين ويعرض عليه كشفاً بأسماء الأشخاص الذين كان يجب ترشيحهم لهذه المناصب فيقرها السلطان ، ولا يرفض تعيين أحد المرشحين الا في القليل النادر (٦٧) وكان نائب السلطنة في ماردين يتلقى المكاتبات الرسمية من نواب الممالك في دمشق وحلب (٦٨) ، ومن الابواب السلطانية في القاهرة (٦٩) وقد حدد المسؤولون في دواوين الممالك صيغة الكتب التي كانت ترسل إلى هؤلاء

(٦٤) صبح الأعشى ١١ / ٩٢ .

(٦٥) ابن شداد ، الأعلام (المخطوطة ١٠٣ ب - ١٠٤ آ) .

(٦٦) ابن الفرات ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ .

(٦٧) المقرئ ، غلط ٢ / ٣١٥ ، المعري ، التصريف ص ٩٢ - ٩٣ ، الديكي معيد النعم

ص ٣٤ .

(٦٨) الفلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

(٦٩) للمصدر السابق ٧ / ٢٦٩ .

ومن أعمال النائب كذلك توقيع المراسيم والمنشورات وتنفيذ القوانين (٧٠) والركوب على رأس فرق الجيش في المواقب الرسمية (٧١) كما أن ديوان الجيش يجتمع برئاسة (٧٢)، ويكاتبه نواب المدن الأخرى بصدد الامور المتعلقة بنبأاتهم (٧٣). وهكذا كان النائب هو المتصرف في كل أمر حيث يراجع في الجيش والمال والجند والبريد، وكل ذي وظيفة لا يتصرف الا بأمره وهو الذي يرتب الوظائف (٧٤) ويذكر فان يرشم أن نائب السلطنة كان على رأس الموظفين لدى الممالك (٧٥) ويظهر أن نائب السلطنة لدى الارائقة كان يتمتع هو الآخر، بصلاحيات واسعة فكان يمارس مهام الدفاع عن العاصمة وتحصينها، وبلغ به الأمر أن نصب أحد سلاطين ماردين (٧٦) ويبدو أن عدداً من أهم صلاحيات الوزير الارتقي غدت ضمن اختصاصات نائب السلطنة الذي غدا المسؤول الأعلى في الامارة بعد الحاكم الارتقي، وما يؤكد هذا تدهور منصب ائوزارة في الفترات الأخيرة من حكم الارائقة وهي نفس الفترات التي بدأ يتردد فيها اسم نائب السلطنة.

اعتمد الارائقة في ادراهم على موظف مركزي آخر يدعى والي القلعة (٧٧) والمرجح أن اختصاصاته كانت تشبه، إلى حد كبير، اختصاصات نائب القلعة لدى الممالك حيث كان هذا يقوم بالاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم (٧٨) ويتفقد اسوار القلعة ومتافذها

(٧٠) المقرزي، غلط ٢ / ٢١٤، المعري، التعريف من ٦٥ - ٦٦.

(٧١) الفلقشندي، صبح الأعشى ٤ / ١٧.

(٧٢) المصدر السابق ٤ / ١٦، المقرزي، غلط ٢ / ٢١٤.

(٧٣) المقرزي، غلط ٢ / ٢١٥.

(٧٤) نفسه.

(٧٥) علي ابراهيم حسن، الممالك البحرية من ٢١٥.

(٧٦) ابن الفرات، تاريخ ٩ / ٤٥٣ وانظر بشأن المهام الأخرى لنائب السلطنة لدى الممالك الفلقشندي ط ٢ / ١١ / ١٤٨، السبكي، معيد النعم من ١٩.

(٧٧) البويني، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٥٧ - ٤٥٨، ابن شداد، الأملق (مخطوطة ١٣٨ آب).

(٧٨) الفلقشندي، صبح الأعشى ٤ / ٢٢ - ٢٣.

ويعمل على اصلاحها ، ثم أصبح من اختصاصه الفصل فيما يقع بين العامة من الخصومات (٧٩) ، وهي أشبه بوظيفة الشرطة أو الانضباط العسكري في الوقت الحاضر ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن النائب (٨٠) .

اعتمد الجهاز الاداري للارائقة على عدد آخر من الموظفين لا يقلون أهمية عن سبق ذكرهم ، إلا أن المصادر ، بما تقدمه من اشارات مقتضبة عنهم ، لاتساعد على اعطاء صورة واضحة المعالم عن طبيعة عملهم وأشهر هؤلاء ناظر الديوان حيث يذكر الفارقي انه تمت في عام (٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م) تولية الناصح علي بن أحمد الآمدي على النظر في الديوان (٨١) . وكان قبيل ذلك يقوم بمهام هذه الوظيفة في آمد ، إلا أن اصحابها قبضوا عليه وصادروه بثلاثين الف دينار فانجحه إلى ميفارقين وولي أولاً الاشراف على الوقف ومن ثم النظر بالديوان (٨٢) وكان هذا الاسم يطلق ، لدى الماليك بصورة عامة على المسؤول الاعلى للديوان سواء كان ديوان انشاء او يريد أو نظر (أي مالية) . وكان يساعده في تسيير شؤون ديوانه عدد من الموظفين كالوكيل ومستوفي الدولة وعدد من صغار المستوفين (٨٣) كما كان يطلق بشكل خاص على المسؤول عن القضايا المالية وهو مخاطب عن كل ما يتم في معاملته من خلل (٨٤) وقد كانت مسؤولية الناصح من الصنف الأخير كما سيتضح من سياق الأحداث ، وكان يساعد الناظر الارتيقي عدد من النظائر على الجهات المحلية (٨٥) .

(٧٩) علي ابراهيم حسن ، الماليك البحرية ص ٢٣١ عن الخالدي ، المقصد ص ٧ .

(٨٠) علي ابراهيم حسن ، المصدر السابق ص ٢٣١ وانظر العمري ، التعريف ص ٩٤ - ٩٦ ،

١٤٨ - ١٤٩ .

(٨١) ابن شداد ، الأعلاق ، (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٨٢) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٠٩ آ) .

(٨٣) علي ابراهيم حسن ، الماليك البحرية ص ٢١٢ .

(٨٤) ابن عمالي ، قوانين القواوين ص ٢٩٨ .

(٨٥) ابن حجر ، الدرر ، ٢٦٤/٣ - ٢٦٥ .

وفي عام (٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م) وصل إلى ميفارقين المؤيد أبو الحسن بن محمد من جزيرة ابن عمر فرتب في الاستيفاء مع أخيه الناصح (٨٦) ، وكان قد ولي الديوان والاستيفاء في ميفارقين عام (٥١٠ هـ = ١١١٦ م) ، قبيل استيلاء الارائقة عليها « (٨٧) . ووظيفة الاستيفاء من الوظائف المهمة التي عرفت لدى الدولة السلجوقية . وكان المستوفي يلي الوزير في الأهمية ، وكان من واجبه الاشراف على حسابات الدولة وتدقيقها وضبط الأموال المتعلقة بال جيش وإدارة ديوان الاستيفاء (٨٨) . هذا وقد اعتقل الناصح ، ناظر الديوان ، عام (٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م) أي بعد تعيينه بمدة قصيرة على يد حبشي بن محمد وزير الارائقة (٨٩) ، وولي مكانه أبو طاهر بن المحتسب الذي كان معتقلاً آنذاك (٩٠) ، واضطر المؤيد ، أخو الناصح ، إلى التخلي عن وظيفته هو الآخر والفرار إلى جزيرة ابن عمر تخلصاً من بطش حبشي (٩١) وهكذا يشير إلى السلطة الواسعة التي كان الوزير الارتيقي يمارسها تجاه كبار الموظفين ويظهر أن العلاقات ساءت بين أبي طاهر وحبشي فقبض عليه هذا واعتقله عام (٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م) ، فلما ذهب حبشي إلى الموصل عام (٥٣٦ هـ = ١١٤١ م) في مهمة رسمية ، قام حسام الدين تمرتاش باطلاق سراحه وإعادة ثانية إلى الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٩٢) وقد استمر هذا في منصبه إلى ما بعد عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) (٩٣) . وفي عام (٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م) قام حسام الدين بتعيين المؤيد والمهذب في الديوان على حالهما (٩٤) ويظهر أنهما مارسا هذه الوظيفة قبل ذلك ، والراجح أن المؤيد المذكور هو الاجل أبو منصور الذي ورد ذكره لدى توليته الديوان مجدداً من قبل أبي بن تمرتاش الذي

(٨٦) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٨٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠١ آب) .

(٨٨) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤)

(٨٩) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٩٠) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) ، ابن شداد (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٩١) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) .

(٩٢) المصدر السابق ١٢٢ب-١٢٢

(٩٣) المصدر السابق ١٢٤ب .

(٩٤) المصدر السابق ١٣٤ب .

أعقب أباه على حكم إمارة ماردين عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) كما قام البي بتعيين المهذب في الاشراف (٩٥) والراجح أن الاراتقة نقلوا وظيفة الاشراف هذه عن السلاجقة . حيث كانت تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بإدارته ، وهو يعني بالاشراف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينهما ، وهو في الحقيقة مكمل لديوان الاستيفاء ومثل المشرف كمثل المستوفي يستطيع أن ينبب عنه في كل ولاية نائباً (٩٦) ، وهكذا صرنا نجد لدى الاراتقة عدداً من المشرفين على الدواوين المحلية (٩٧) ونظراً لما بين المستوفي والمشرف من علاقة يكون المستوفي مراقباً لديوان الاشراف (٩٨) . وهذا ما يفسر الرواية التي أوردها الفارقي حول قيام البي بتعيين موظف ثالث يدعى أبا الفتح محمد بن أحمد ليساعد المهذب والمؤيد في أعمال الديوان (٩٩) .

وهناك فضلاً عن الوظائف السابقة ، اشارات إلى وظائف أخرى في جهاز الاراتقة الاداري كواقع السلطنة في ماردين (١٠٠) ، وكان يقوم بكتابة الأوامر (١٠١) ، والحاجب (١٠٢) ، الذي كان يقوم بالأعمال المعهودة للحجاب (١٠٣) وكاتب الإنشاء (١٠٤) . أما الإبتدائية والخدام فيظهر أنهم كانوا يعملون سوية مع الحجاب في قضايا التشريفات والوفود وتنظيم أمور القصر وتلقي مكاتبات أحياناً (١٠٥) .

- (٩٥) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٣٩ آ) .
 (٩٦) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي ، مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤ .
 (٩٧) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٣ .
 (٩٨) حسين أمين ، المصدر السابق .
 (٩٩) الفارقي (مخطوطة ١٣٩ آ) .
 (١٠٠) ابن حجر ، الدرر ١ / ٤٠٥ .
 (١٠١) السبكي ، معيد النعم ص ٢٤ - ٢٥ .
 (١٠٢) الفارقي (، مخطوطة ١٣٩ آ) .
 (١٠٣) انظر السبكي ، معيد النعم ص ٣٠ - ٣١ .
 (١٠٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٢ - ٤١٣ ، الكتبي ، فوات الوفيات ٢ / ١٩٣ .
 (١٠٥) انظر الفلقشتدي ، صبح الأعيان ط ٢ ، ٧ / ٢٦٧ - ٢٦٩ ، ٨ / ٢٢٥ - ٢٢٩ .

ولعب المحتسب دوراً مهماً في حكومات الأرائقة . وقد عين هؤلاء على كل بلد أحد المحتسبين (١٠٦) ، وكان المحتسب يقوم بدور هام في السيطرة على الأمن الداخلي « وتسكين الناس » في فترات الاضطراب ، أو عند وفاة الأمير ، فعندما توفي حسام الدين تمرتاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) وانتشر الخبر لدى أهالي ميفارقين ، اسرع المحتسب بالركوب وتوجه اليهم وسكنهم بحيث اطمأنوا وطابت نفوسهم (١٠٧) . هذا فضلاً عن قيام المحتسب بالمهام المعتادة التي كان يضطلع بها المحتسبون في تلك الفترة ، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، كالنظر في الأمور المتعلقة بالنظام العام ، والجنيات التي تستدعي السرعة في الفصل ، والحفاظ على الآداب العامة ، ومراعاة تطبيق أحكام الشرع ، والإشراف على نظام الأسواق والمؤسسات التي تحتاج إلى إعمار وإصلاح (١٠٨) وكان للمحتسب نواب يطوفون في الأسواق لتنفيذ تعليماته (١٠٩) .

وفي حلب اعتمد الأرائقة في إدارتهم على النظم المعمول بها سابقاً ، ولم يحاولوا أن يجرؤوا عليها تغييراً أساسياً ، فالحاكم الأعلى هناك هو نائب الأمير الأرمني الذي ينتمي إلى العائلة الأرمنية ، ويساعده في الإدارة مجموعة من الموظفين الذين عرفتهم حلب منذ فترة ليست بالقصيرة ، كرئيس الأحداث الذي كان يمارس سلطة فعلية ، ولذا كان معارضاً أكثر من غيره للعزل والتنكيل على أيدي الأرائقة (١١٠) والأحداث هم جماعات مسلحة من سكان المدينة ، ازداد شأنهم ، في بلاد الشام ، في مستهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وأصبحت لهم السيطرة على الحياة في دمشق ، وصار لهم رئيس

(١٠٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٥ .

(١٠٧) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٣٨ آ- ١٣٨ ب .

(١٠٨) المقرئ ، خطط ١ / ٤٦٤ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(١٠٩) علي إبراهيم حسن ، الممالك البحرية ص ٣٠٤ - ٣٠٥ وانظر الفلقشتدي ، صبح الأعشى

ط ٢ / ٤ ، ٣٧ / ١٩٣ ، ١١ / ٦٨ - ٧١ ، ٩٦ - ٩٧ ، ٢٠٩ - ٢١٦ ، العمري

التعريف ص ١٢٤ - ١٢٦ ، السبكي ، معيد النعم ص ٤٩ - ٥٠ .

(١١٠) ابن الدليم ، زبدة الخلب ٢ / ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢١٧

٢٢٠ - ٢٢١ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

الأحداث أو رئيس البلد ، ويقر والي المدينة اختياره ، وقد قلدت حلب أختها دمشق في ذلك وصارت رئاسة الأحداث فيها في عائلة (بني بديع) الذين قوي نفوذهم في حلب (١١١) .

وهناك والي القلعة (١١٢) ، الذي يقوم بالمهام التي سلف ذكرها لدى الكلام عن دور هذا الموظف في ديار بكر ووالي البلد (١١٣) ، الذي كان يرجع قيامه بنفس مهام والي المركزي لدى الأيوبيين والمماليك فيما بعد ، حيث كانت مهمته و الإستعلام عن مجددات ولايته من قتل أو حريق كبير (١١٤) وهو الذي ينفذ الأحكام ويقم الحدود ويتعقب المفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر . ومن اختصاصه أيضاً مراقبة أبواب المدينة ، والطواف بأحياء التجارة والمال ، (١١٥) ، أي أن مهمته أشبه بمهمة البلدية والشرطة في الوقت الحاضر وبالرغم من ذلك فقد مارس كل من والي القلعة ووالي البلد الظلم والمصادرة وسلطا الجند والأثراك على مصادرة الناس بحيث أنهم استصفوا أموال جماعة من الأكابر والصدور ، مستغلين في ذلك الاضطرابات والقلق الذي ساد حلب خلال الحصار الصليبي لها (١١٦) . وكان يطلق على والي البلد ، أحياناً ، اسم الشحنة (١١٧) أي حاكم البلد أو صاحب الشرطة أو الأمير المشرف على حراسة المدينة (١١٨) لما بين الوظيفتين من تشابه واضح في الاختصاصات ،

C. Cahen, *Mouvements Populaires*, pp. 11-16. (١١١)

ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٦٨ - ٦٩ ، العربي ، الحروب الصليبية ١ / ٢٤ - ٢٥ (١١٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ١ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٨٥ / ٢) .

(١١٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٦٠ .

(١١٥) علي إبراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣٠ .

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ ، بغية الطلب ٤ / ٢٧٧ .

(١١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١١٨) معجم دوزي (Dozy ، Sup .) ١ / ٧١٣ ، حاشية السلوك للمقرئ (٣) ، ٢ / ١

١ / ٩٧٩ وحاشية النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢) ٥ / ٢٠١ عن القاموس القفاري .

ومع ذلك فقد عين على حلب - أحياناً - شحنة خاصا لها (١١٩) دون أن يكون والياً للمدينة في نفس الوقت . وقد استغل هو الآخر منصبه ليلينشر الأمن بل ليؤذي الناس ويكسب على حسابهم (١٢٠)

ولم يسكت الارائقة على ما كان يقوم به كبار موظفيهم في حلب من ظلم وإساءة فكانوا ينكلون بهم ويعزلونهم عن مناصبهم (١٢١) . كما اتخذ نواب الارائقة في حلب الوزراء ليساعدوهم في الحكم ، وكان مصير هؤلاء كرفاقهم في ديار بكر - هو العزل والتشكيل والمصادرة (١٢٢)

وقد حظي القضاء ، وبعض المناصب المرتبطة به كالخطابة والافتاء ، لدى الارائقة باهتمام كبير ، وأوردت المصادر عنه عدداً لا بأس به من الروايات ، حيث برزت أسماء عدد كبير من القضاة الذين انتمى بعضهم إلى عائلة بني نباتة الشهيرة التي لعبت دوراً هاماً في مجال القضاء . وكان أول من تولى منصب القضاء من أفراد هذه العائلة هو أبو القاسم يحيى بن طاهر بن نباتة الملقب بفخر القضاة ، وكان يعمل في الخطابة هو وأبناؤه منذ فترة طويلة قبل قيام الإمارات الارائقية ، واختير عام (٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م) للقضاء في ميفارقين وولي ولده القاضي علم الدين أبو الحسن على الخطابة في نفس العام (١٢٣) ومن ثم اعتمد الارائقة عليهم فيما بعد كما سئرى .

وأول من ولي القضاء ، عند بدء حياة الارائقة السياسية في القدس ، هو محمد بن موسى التركي البلاساغوني الحنفي ، وكان مطلعاً على علوم شتى ،

(١١٩) ابن المديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(١٢٠) المصدر السابق ٢ / ٢٠٢ .

(١٢١) المصدر السابق ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

(١٢٢) المصدر السابق ٢ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٠ - ٢٢١ ، الطنيسي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٠ ط ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١٢٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ولكنه كان متعصباً للحنفية ، ويقال أن سيرته في القضاء كانت غير محمودة ، مما دفع أهالي القدس إلى أن يشكوه إلى سقمان ابن ارتق فعزلوه ، ومن ثم اتجه البلاساغوني إلى دمشق حيث تولى القضاء هناك وتوفي عام (٥٠٦ هـ = ١١١٢ م) (١٢٤) .

وفي ديار بكر تألق اسم عائلة بني نباتة . ففي عام (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استولى إيلغازي على نصيبين فسار إليه القاضي علم الدين أبو الحسن بن نباتة ، الذي كان إيلغازي قد أقره على قضاء ميافارقين لدى استيلائه عليها عام (٥١٢ هـ = ١١١٨ م) ، وجماعة من رجالات ميافارقين وهنأوه بفتحها ، فخلع عليهم إيلغازي وأحسن إليهم وأعادهم (١٢٥) وعندما توجه لقتال الكرج في العام التالي (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استصحب معه القاضي علم الدين وولده القاضي أبا الفتح الذي ولي قضاء ماردین إلى ما بعد منتصف القرن السادس (١٢٦) وتشير حادثة استصحاب إيلغازي لأحد قضاته في تلك الغزوة إلى احتمال اتخاذ الإراقتة لقضاة العسكر الذين عرفوا لدى المماليك ، وكانوا يصحبون السلطان في أسفاره (١٢٧) ويقضون في العسكر ومن يتصل به من الصناع والعمال وغيرهم (١٢٨) . وفي عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) استدعى القاضي علم الدين بن نباتة من ميافارقين إلى ماردین ليتولى قضاءها بعد عزل قاضيهما مجد الدين داود بن السديد . وفي نفس العام ولي بهاء الدين

(١٢٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ٨ / ٤٤ .

(١٢٥) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٢ آ ب ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلام ، ورقة ١٠٢ آ .

(١٢٦) الفارقي ، ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤ آ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٣٦ .

(١٢٨) علي إبراهيم حسن ، الممالك البحرية ص ٢٩٢ . وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ،

٣٤ / ٤ - ٣٦ ، ١٩٢ ، ١١ / ٩٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٧ ، والمعري ، التبريد ص ١٢٣ -

١٢٤ -

أبو طاهر خطابة ميافارقين نيابة عن عمه علم الدين ، وبعد يومين من ذلك ولي خطابة ماردين أيضاً (١٢٩). وفي عام (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) حدثت بعض الخلافات بين أفراد عائلة بني نبانة تمكن على إثرها أبو الفتح ضياء الدين بن نبانة أن يحصل على قضاء ماردين (١٣٠) ، وبعد منتصف القرن السادس الهجري تضاعف دور بني نبانة في القضاء ولم تعد المصادر تشير إليهم إلا نادراً وبرز محلهم عدد من القضاة ينتمون إلى عوائل شتى ومن أشهرهم عبد السلام المقدسي المارديني الذي ولي قضاء ماردين في أواخر القرن السادس الهجري (١٣١). والحكيم شمعون الخرتبرتي قاضي خرتبرت الذي بلغ الغاية في الخط العربي (١٣٢). وعلي بن محمد بن التجار اليعنوي الفقيه الحنبلي الأديب الشاعر الذي سافر من بغداد إلى ديار بكر وولي قضاء آمد حتى وفاته عام (٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م) (١٣٣) ويحيى بن سعيد بن محمد الربيعي الفقيه الشافعي وهو من أهل تكريت ، درس في بغداد والموصل وولي قضاء ماردين (١٣٤) وعندما استولى التتر على الجزيرة والشام غدا قضاء الأراتقة في ديار بكر تابعين لقاضي القضاة الذي عينه التتر على كل مناطق الشام والجزيرة والموصل والذي كان مركزه في دمشق حيث أصغر هولاكو في عام (٦٥٨ هـ =

(١٢٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ . وانظر بشأن الخطابة : الفلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ١١ / ٢٢٢ - ٢٢٥ ، العمري ، التعريف ص ١٢٦ - ١٢٧ . وكان الموظف الذي يتولى الخطابة لدى الأراتقة يقوم - أحياناً - بوظيفة الاختام كذلك ، فضلا عن القضاء ، لما بين هذه الوظائف من تشابه واستلزامها جميعاً ثقافة فقهية ولغوية. لذا كان الأراتقة يولونها لأولئك الذين تلمسوا في هذه الثقافة (انظر ياقوت ، معجم الادباء ٢٠ / ١٨ - ١٩) .

(١٣٠) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٢ آب .
(١٣١) ابن العبري ، مختصر ص ٤١٧ ، اقفطي ، الحكماء ص ١٨٩ - ١٩٠ ويشير إلى أن والد عبد السلام وهو عبد الرحمن المقدسي كان قاضياً على ديسر .
(١٣٢) ابن العبري ، مختصر ص ٤٤٤ .
(١٣٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ٣٧/٥ - ٣٨ .
(١٣٤) انسان العيون ، مجهول ص ١٦٩ .

(١٢٥٩ م) منشوراً يقضي بتعيين القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي الشافعي قاضياً لقضاة الشام والموصل وماردين وميافارقين والأكراد .. الخ (١٣٥). ولكن هذا النظام لم يستمر طويلاً إذ انتهى بمجرد زوال سيطرة التتر عن الشام ، فاستقل القضاء الارمني من جديد وأصبح المسؤول الأعلى عنه قاضي قضاة يعينه الاراتقة .

ومن قضاة الاراتقة المشهورين ، خلال الفترة التي أعقبت السيطرة الترية مهذب الدين محمد بن علي الدنيسري ، قاضي قضاة ماردين منذ عام (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) وحتى عام (٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م) (١٣٦) ، وأبوه محمد بن سليمان بن علي الدنيسري الذي ولي قضاء ماردين طيلة خمس وثلاثين سنة وتوفي سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) فعين ولده في منصبه (١٣٧) . وسليمان ابن داود بن عبد الحق الحنفي الذي اشتغل في الحديث والفقه وسافر إلى أماكن عديدة وولي القضاء ببغداد وماردين ، وتسم مناصب إدارية في دمشق ومصر وتوفي عام (٧٦١ هـ = ١٣٥٩ م) (١٣٨) . وبرهان الدين الموصل قاضي قضاة ماردين في عهد الملك الصالح (٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو ينتسب إلى الشيخ الولي فنع الموصل وينصف بالدين والورع والفصل ، ويذكر ابن بطوطة أنه كان يجلس للأحكام بصحن مسجد خارج المدرسة ، كان يتعبد فيه ، فإذا رآه بعض من لا يعرفه ، ظنه بعض خدام القاضي وأعوانه (١٣٩) . والصلر أبو طاهر السمرقندي الذي تولى قضاء ماردين قبيل سقوطها (١٤٠) ، وهو آخر من وصلت إلينا أسماؤهم من قضاة الاراتقة .

كان القضاء لدى الاراتقة منظماً تنظيمًا دقيقاً ، وبخاصة في إمارة ماردين

-
- (١٣٥) ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ٢٠٤ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣ - ٦٥ ، المقرئزي ، السلوك ٢٤/١/٢ ، ابن العماد ، شذرات ٣٣٧/٥ - ٣٣٨ .
 (١٣٦) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
 (١٣٧) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
 (١٣٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ١٤٩/٢ - ١٥١ .
 (١٣٩) رحلة ابن بطوطة ١٨٣/١ .
 (١٤٠) الطليخ ، تاريخ حلب ١٩٦/٥ - ١٩٩ .

فهناك قاضي القضاة وهو المسؤول الأعلى عن السلطة القضائية ، ومقره في العاصمة ماردين (١٤١) ويعين من قبل الأمير الارتقي مباشرة ، ويقوم هو بتعيين نوابه في البلاد التابعة للإمارة (١٤٢) وكان قاضي القضاة يتقاضى مرتباً كبيراً ، أو يقطع اقطاعاً يتناسب ومنصبه . (١٤٣) ولا ريب أن عمل قاضي القضاة لم يكن يقتصر على النظر في قضايا الأحوال الشخصية ، بل كان يمارس ، اسوة برفيقه في حكومات مصر والشام ، النظر في جميع القضايا المتعلقة بمهمته ، وامامة المسلمين في الصلاة ، والاشراف على دار الضرب (١٤٤) والنظر في الاوقاف والعمل على تنمية مواردها . وصرفها في وجوها واستلام أموال الموارث (١٤٥) . أما جلسات المحاكم فتعقد في المساجد أو في دور القضاة (١٤٦) .

وقد لعب القضاة لدى الأرتقة دوراً هاماً في السفارات السياسية فكانوا يشتركون أحياناً في الوفود الموجهة إلى إحدى الجهات المتفاوضة (١٤٧) . كما كانوا يسهمون في تقرير الصفة الشرعية لأمرء الأرتقة - أحياناً - لدى تولي أحدهم الحكم بعد موت سلفه (١٤٨) . وفي حلب لعب قاضي الأرتقة أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب دوراً هاماً في الصراع الذي نشب طيلة

(١٤١) ابن شداد ، العلاقات ، ورقة ١٣٥ آ ، انسان الميون ، مجهول ص ٢٧٧ - ٢٨٨ ،

اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ ، ابن بطوطة ، رحلة ١٨٣/١ .

(١٤٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ .

(١٤٣) انسان الميون ، مجهول ، ص ٢٧٧ - ٢٨٨ .

(١٤٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ٩/٣٤ - ٣٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ١٠١/١ .

(١٤٥) المقرئزي ، غلط ٢/٩٢ .

(١٤٦) أنظر : علي إبراهيم حسن ، الممالك البحرية ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، التنويري ، نهاية

الارب (القسم المخطوط) ٢٩٩/٢٩ آ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠١/٢ ، ابن حجر

، رفع الاصر ص ١٤٩ آ

(١٤٧) ابن شداد ، العلاقات ، ورقة ١٣٥ آ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ، ٣٤٢/١ - ٣٤٤

وأنظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ :

(١٤٨) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٨ آ - ١٣٨ ب ، ابن شداد ، العلاقات ورقة ١٠٥ آ .

العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، بين الصليبيين وأهالي حلب . وقد استطاع ، بما عرف عنه من مهارة سياسية وشجاعة نادرة ونشاط لا يفتّر ، وما كان يتمتع به من حب شديد من قبل أهالي حلب ، أن يصمد بها أمام هجمات الصليبيين المركزة . وكان يتمتع بصلاحيات القائد الأعلى للحرب والإدارة ، كما كان يقوم بالإشراف على الأمور العمرانية (١٤٩) .

وهكذا نجد أن الإدارة الأرتقية اعتمدت إلى حد كبير على النظم المعاصرة المعمول بها لدى السلاجقة والأيوبيين والمماليك ، فضلاً عن ارتكازها على الأسس الإدارية السائدة في المنطقة (ديار بكر وشمال الشام) في العقود التي سبقت قيام الإمارات الأرتقية . ولئن حدثت تغييرات بسيطة في تسمية بعض موظفي الأراتقة، إن وظائفهم بقيت ، في مهماتها الرئيسية ، تعمل وفق نفس النظم التي كانت تعمل بها الدول السالفة التي تأثرت الأراتقة بها في مؤسساتهم الإدارية . وهكذا فإن قيام الإمارات الأرتقية في ديار بكر لا يشكل طفرة في نظمها الإدارية بقدر ما يشير إلى رغبة الأراتقة في توسيع الجهاز الإداري والإعتماد على مزيد من العناصر الكفوءة ، والاستفادة من كافة النظم السابقة والمعاصرة التي شهدتها الأراتقة والتي أخذت تتبلور وتتخذ شكلها النهائي في عهد المماليك .

الدكتور عماد الدين خليل

أستاذ مساعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الموصل

(١٤٩) ابن الدليم ، زبدة الحلب ٢ / ١٨٥ - ١٨٦ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، العنبري ، تاريخ ، ورقة

١٩٨٠ ، ط ١ ، ابن الشحنة ، المنتخب ص ٨٣ - ٨٣ .

الموصل في العصور العباسية الأولى

(١٣٢ هـ / ٧٤٩ م - ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

د . فاروق عمر فوزي

مقدمة :

يقرأ الناس التاريخ ليستخرجوا العبر والدروس مما جرى فيه ، ذلك أن هدف الصناعة التاريخية في عصرنا الحاضر هو استخلاص القيم الرمزية الفاعلة والدائمة من الظاهرة التاريخية . والمعروف أن تاريخ المدن يحوي تراثاً زاخراً من المثل الحية التي تُغير الطريق أمام أجيالنا الحاضرة لما تمده من عزيمية في تكوين الوجدان القومي وشحذ ألهم وإذكاء العزائم .

والموصل مدينة لها مكانتها في تاريخنا العربي ، فقد برز عبر تاريخها العديد من أبنائها في الميادين السياسية والعسكرية والحضارية . وسنستعرض في بحثنا هذا حقبة قصيرة من تاريخ هذه المدينة العريقة وهي فترة من فترات التاريخ العصية ، يتضح فيها آلواء وتبلور ألبول وتُمتمحن العزائم ...إنها فترة انتقال السلطة من يد إلى يد إثر ثورة عارمة هي الثورة العباسية .

□ موقف الموصل من الثورة العباسية

لقد كان إقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من

الاضطرار السياسي وعدم الاستقرار في أواخر عهد الأمويين ، وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية . ورغم أن الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل وأطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم إلا أنهم انضموا إلى الحركات الخارجية كمحركة الضحاك الخيري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م وشيخان اليشكري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ضد مروان . وأكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من أهل الموصل في حركات خارجية ضد الأمويين خارج إقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع أبي حمزة الخارجي حين ثار باليمن وقاتلوا معه في « وقعة قدير » بالمدينة سنة ١٣٠ هـ / سنة ٧٤٧ / سنة ٧٤٨ م (١) وحين قامت الثورة العباسية على أكتاف القبائل اليمانية والرابعة خاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الأقاليم حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفة سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م حيث بويغ أبو العباس خليفة للدولة الجديدة (٢) . كان أول عمل واجهته الدولة الجديدة هو مجابهة مروان بن محمد (٣) الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة كشف (٤) التي دامت عشرة أيام ارتكب أثناءها مروان الأموي خطأً استراتيجياً وذلك بعبوره إلى الساحل الأيسر من الزاب وفقد بذلك موقعه العسكري الحصين ، أدى إلى اندحاره في المعركة واضطراره إلى الانسحاب باتجاه الموصل التي كان قد اتخذها قاعدة له وخلف فيها بيت المال والخزائن . ولكن عامل الموصل وقبائلها لم يفتحوا له أبواب المدينة منكرين عليه الهروب مدعين أن الخليفة مروان لا يهرب وأنه ليس بمروان الذي يعرفونه . مما اضطر مروان إلى الانسحاب باتجاه حران ثم الشام (٥) .

(١) أبو زكريا الأزدی ، تأريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٨٠ ص ١١٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار العباس وولده ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٤١٠ فما بعد

(٣) F. Omar The Abbasid Caliphate, Baghdad 1969, P. 121

(٤) الازدی ، تأريخ الموصل ، ص ١٣٠

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٣

ولم يستطع مروان أن يبقى في دمشق طويلاً حيث أنقسم أهلها بين مؤيد ومعارض له فترك المدينة متجهاً نحو فلسطين ثم مصر . وكانت الشيعة العباسية تتبعه بقيادة عبدالصمد بن علي عم الخليفة أبي عون الأزدي الذي كان على مقدمته عامر بن إسماعيل المسلمي الموصلية مع كتيبة من آلخيلة تسمى «الموصلية» . وقد فاجأ عامر الموصلية مروان الأموي وهو مختبئ بإحدى الكنائس في بوسير بصعيد مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠ م / ١٣٣ هـ (٦) . أما إنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا إلى بلاد النوبة جنوبي مصر .

لقد لعبت الفرسان الموصلية وعلى رأسها عامر المسلمي دوراً بارزاً في إنهاء حكم مروان . وقد فتحت مدينة الموصل ، التي أمنتعت عن إيواء مروان ، فتحت أبوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن علي العباسي وأستقبلوهم بالتهليل والترحيب ولبس هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة ، وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وأمواله وأمنتعت (٧) .

ولعل السبب الأول الذي دفع الموصل لهذا الموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المنحازة إلى القيسية . فقد أعتمد مروان على زعماء القيسية في المهام الإدارية والعسكرية مما أثار عليه اليمانية ودفعهم للعمل ضده . إلا أن كراهية اليمانية لمروان لاتعني عداؤهم للخلافة الأموية ككل . فالمعروف أن القبائل اليمانية في بلاد الشام كانت الدعامة القوية للسلطة الأموية عند تأسيسها . فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريدون التخلص من مروان ولا يهدفون إلى تقويض الخلافة الأموية . والجدير بالذكر أن اليمانية كانوا في تلك الفترة يكتفون غالبية سكان مدينة الموصل ذاتها .

أما السبب الثاني لمعارضة أهل الموصل لسياسة مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في أواخر سني خلافته ضد الخوارج . وقد تركت تلك

(٦) الطبري ، ٣ ، ص ٣٨٢ - خليفة بن غياث ، تاريخ ٢ ، ص ٢٨٨

(٧) الأزدي المصدر السابق ، ص ١٣٣

الحروب وما رافقها من فوضى وعدم استقرار آثارها السيئة سياسياً واقتصادياً على المدينة وأهلها الذين عاشوا في قلق دائم على أنفسهم وموارد عيشتهم وتجارهم .

وربما أضفنا سبباً ثالثاً لعب ويلعب دوراً فعالاً في المعترك السياسي بين المحاور والتكتلات المتنافسة على السلطة ألا وهو «تبديل الولاء» . فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء للأمويين أدركوا بأن كيان الأمويين أصبح من الخزالة والتدهور بحيث قويت الاعتقادات بزواله لامحالة ، فكان من المناسب لهم أن لا يؤيدوا سلطة زائلة ضد سلطة قوية جديدة . وعلى حد قول أحدهم إن دولة الأمويين دولة مُدبّرة بينما أمر العباسيين مقبل يبشر بالخير العميم (٨) وقد فسر اسحق العقيلي وهو أحد الشخصيات الجزرية البارزة انهيار الأمويين السريع بقوله المنصور :

«إن أمركم جديد» والناس بين راجٍ وهائب» (٩)

كما برر زياد بن صالح الحارثي عدم دفاعه عن الأمويين بقوله إنه لا يرى لماذا يقف مدافعاً ومعرضاً نفسه للمخاطر من أجل سلطة ضعيفة متهاوية (١٠) وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من الجزيرة والشام موضعاً للإضطرابات ومستودعاً للقلق المعادية للعباسيين . ومن أجل الحد من ذلك أتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها : (١١)

أولاً- تعيين ولاية قديرين أغلبهم من رجال الدعوة العباسية أو من ألبت العباسي وإرسال كتائب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل أو حران أو دمشق وغيرها .

ثانياً- محاولة كسب ود ألقبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع شيوخها وإكرامهم وتعيين بعضهم «صحابة» للخليفة في البلاط العباسي . كما حدث

(٨) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٣٠

(٩) البلاذري ، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب

(١٠) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٦٩

(١١) الدكتور فاروق عمر العباسيون الأوائل ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٧٦

مثلاً لأصحق بن مسلم العقيلي .

ثالثاً- قيام الخلفاء العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون
بعده زيارات للتحري عن أحوال الإقليمين والتعرف على قبائلها .
رابعاً- إنشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران
وقنسرين . وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافعة لامكان السيطرة
على هذه المنطقة .

ثورة الموصل ٨١٣٣/٧٥٠ م :

كان محمد بن صول أول وال للعباسيين على الموصل ، ولكنه لم يكن
عربياً بل مولى لقبيلة خثعم ولذلك امتنع شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا
الإختيار ، فالأمويون عودوهم بأن يكون واليهم إما من رجال العرب
البارزين أو من آل بيت الأموي ، فاستغربوا متسائلين :
أبلي علينا مولى خثعم !؟؟ (١٢)

ولم يستطع الخليفة أبو العباس أن يعالج الأمر بحكمة فرغم أنه استجاب
لرغبة أهل الموصل فعين أخاه يحيى بن محمد العباسي لولاية المدينة إلا أنه
أبقى ابن صول قائداً عسكرياً لرابطة الموصل .

يقول الأزدي (١٣) : «كان محمد بن صول والياً قبله (يحيى) عليها فأقام
معه ، وقدم الموصل ومعه ١٢ ألف فارس وراجل ، بينهم ٤ آلاف من
الزنج (١٤) ، فنزل قصر الإمارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن
صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة ونهاه عن التزول في نفس
المدينة ودخول سورها » .

(١٢) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦

(١٣) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١

لقد كان إرسال يحيى بن محمد من الإجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لأن يحيى لم يكن بالرجل السياسي أو الإداري الكفوء ، بل لم يكن معروفاً بالحصافة أو الشعور بالمسؤولية وتشير رواية تاريخية (١٥) أن يحيى هذا كان قد هدد أخاه إبراهيم الإمام في فترة الدعوة السرية بإخبار السلطات الأموية عن التنظيم السري للعباسيين إذا ما طُلَّ إبراهيم أو تأخر في إعطائه ما يحتاجه من مال . كما وأن إبراهيم الإمام حذر شيعته من الإتصال يحيى . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السماح ببقاء الوالي القديم محمد بن صول كقائد لحامية المدينة أدى إلى تعقد الموقف وتطوره نحو الأسوأ . فإن ابن صول الموتر أضرر شعوراً بالكراهية ورغبة في الإنتقام من أهل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرص يحيى على اعتقال أو إبعاد رجالات الموصل البارزين متهماً إياهم بالولاء للأمويين والشعب .

والمعروف أن ابن صول كان قد أعقل عدداً من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتماذى في ذلك حين حرص الوالي الجديد على اعتقال عدد آخر الأمر الذي أدى إلى حدوث الاضطرابات فاستنكر ذلك الوالي وأمر ابن صول بأن يضع السيف في الناس . فاغتم ابن صول الفرصة الذهبية وفنك بالكثير من أهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها .

لقد حاول المؤرخون الأوائل أن يفسروا أسباب النفور بين الموصل والعباسيين وأن يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي اتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الأسباب بما يلي :

١ - عرفت بعض قبائل الموصل بميوها الأموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان المبنية على العصبية القبلية فإنهم ظلوا موالين للأمويين ودولتهم وتشير رواية إلى ذلك فتقول «سبب قتلهم ميلهم إلى بني أمية» (١٦) . وكذلك

(١٥) أخبار عباس وولده ص ٢٤١ .

(١٦) الازدى ، ص ١٤٥

«وكان في أهل الموصل إذ ذاك عز ومنعة وكان البلد أموياً» (١٧). وفي رواية أخرى «كان أكبر الأمر في قتل يحيى بن محمد أهل الموصل ميلهم إلى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس» (١٨).

٢- لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل أنها أصبحت رمزاً لمعارضة الأمويين في أواخر عهدهم وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزاً لحركاتهم سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا به. ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بنزعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزاً أنبعثت منه بعض الحركات الخارجية في القرن الأول وبداية الثاني الهجريين. وتصف رواية للبلاذري (١٩) أهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية:

إما تجار يمتنون البيع والشراء أو خوارج دينهم التمرد على السلطة أو لصوص يسرقون وينهبون. أما التجار فيرغبون بالأمن والاستقرار لأنهما مفتاح أنتعاش تجارتهم وأما الخوارج فيهدقون إلى معارضة السلطة بأية وسيلة كانت وأما اللصوص فلا يتنعمون إلا بالفوضى وفقدان الأمن.

٣- لم يكن من طبيعة القبيلة أن تدعن لسلطة مركزية تقيدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأتمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الإسلام بل كانت تظهر قوية في فترات الأزمات الحادة. ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالاً من غيرها بل ربما كانت أعنف من غيرها وخاصة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ويسمى البلاذري أهل الموصل «خزر العرب» (٢٠) وذلك لصلابتهم وليلدال على ميلهم للتمرد على السلطة أيّاً كان نوعها.

(١٧) المصدر السابق، ص ١٥٠

(١٨) Ibid

(١٩) البلاذري، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ ب

(٢٠) البلاذري، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ١٧٩٩ أ

٤ - ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصليين في بعض الروايات . فقد كان أهل الموصل أهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها ، ولذلك رفضوا ابن صول والياً عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى ابن محمد الضعيفة متنهية فأقنعه بتأمرهم على السلطة وميولهم الأموية وقرر يحيى أن «يتغدى بأهل الموصل قبل أن يتعشوا فيه» . وتشير رواية في الأزدي أن يحيى العباسي : (٢١)

«خاف وثوب أهل الموصل به فقال لأبن صول : إني لا آمنُ وثبة أهل الموصل فلو بادرناهم فذاك الصواب فوجه إلى وجوه منهم على جهة البر والتكرمة فإذا حصلوا في يدك فاقتلهم على أننا لانستطيع أن نجزم بأن سبباً واحداً من هذه الأسباب كان الدافع الأول والأهم الذي عكر صفو العلاقات بين الوالي الجديد وأهل الموصل. صحيح أن الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الأولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم أنها حاربت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل أهلها جميعاً (٢٢) . والمعروف أن المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الآخر ولا شك فإن بعضها كان أموياً أو خارجياً أو عباسياً أو حيدادياً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية، وهي فترة ترقب تثار فيها الآمال والأمان، لكنها مالبت أن ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الأول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيى العباسي اعتقال بعض رجالات الموصل وأنفق مع ابن صول على قتل بعضهم من أجل تخويف الآخرين حدث الانفجار المتوقع فكانت

(٢١) الأزدي تاريخ الموصل ، ص ١٥٠ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٦٩ فما بعد .

ثورة الموصل وأصطدم الناس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية إلى أن ابن صول «وائب الناس بالسيف فحاربوه» (٢٣) ورغم أن عدداً من المؤرخين يتفقون بأن السبب المباشر للإضطرابات وقتال الشوارع كان إراقة امرأة موصلية ماءً قدراً على جندي خراساني فظن أنها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها فنفر الناس من ذلك، «وجرّ ذلك إلى ما فعل يحيى بن محمد» (٢٢٤)، فإننا نعتقد بأن الأسباب المباشرة للحروب والإنتفاضات غالباً ما تكون على هذا النمط الإعتباطي البسيط إلا أن الأسباب الحقيقية تكون أعمق من ذلك وتكمن في حالة القلق والتأزم وعدم الإطمئنان على المصير التي عاشها أهل الموصل بعد اعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وبتأييد من والي العباسي. فكان ما فعلته المرأة الموصلية، إن «صحت الرواية»، «القشة التي قصمت ظهر الحمل» وقد آخذ الناس حاراتهم وبيوتهم أماكن يتحصنون فيها أثناء القتال حتى أمر يحيى العباسي بالأمان فنودي «من دخل المسجد فهو آمن بآمان الله» (٢٥). وما أن دخل الرجال إلى المسجد الجامع حتى أحاطت الجند بالمسجد وأمر ابن صول بقتلهم. وكان أول من قتل معروف العابد وابنه ثم قتل بعدهما إبان إمام المسجد. وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى فتشير رواية للأزرعي لهنهم ١١ ألفاً ممن له خاتم ومن لاخاتم له خلق كثير. ويقول اليعقوبي (٢٦) إن القتلى كانوا ١٨ ألفاً من صلب العرب غير الموالي والعبيد. ويؤكد ابن الأثير (٢٧) أن المجزرة شملت كل رجالات أهل الموصل ممن يأخذ العطاء. وتقول بعض الروايات (٢٨) أن الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي.

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠

(٢٤) الأزدى ، ص ١٤٥

(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨

(٢٦) اليعقوبي ، تاريخ ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٩

(٢٧) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٣٤٠ فا يد

(٢٨) الأزدى ، ص ١٤٨ . قارن ص ١٥١ و ص ١٥٣ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة .

وعلى ذلك فإن عدد القتلى يتراوح بين ١٠ - ١٨ ألفاً على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

وفصل الأزدي في أحداث الحجرة ويذكر مشاهير القتلى وأشعاراً في رثائهم ويسمي الحادثة بالملحمة ليدل على كثرة القتلى ، كما ينعت القتلى بالشهداء . والجدير بالذكر أن بعضهم افلت من الحجرة ثم اعطوا الأمان ثانية وغُدرَ بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الأزدي أن أغلب القتلى من اليمانية تلك القبائل التي طبعت الموصل بطابعها وأثرت في سلوكها السياسي (٢٩) . وبندد الأزدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الأعرابي :

«كذب والله من زعم أن هؤلاء مسلمون!!» (٣٠)

ويروي حوادث مثيرة لأعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية أهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للسلب والنهب والقتل ويشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله

«إن دماء أهالي الموصل اختلطت بنهر دجلة!!» (٣١)

إن أنفاضة الموصل التي بدأت بشكل مسخّط ضد إجراءات الوالي تطورت إلى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصبغة الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت يمانية في غالبيتها . ولعلنا نستطيع القول بأن الضرورات السياسية الآنية والأمزجة الشخصية للمتنفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين لعبت دورها في تقرير موقف هذه القبيلة أو تلك من الوالي العباسي أو من زعماء الإنفاضة .

إن الذي يؤيد ما ذكرناه من أن الثورة لم يكن لها لونٌ عقائدي أو سياسي واضح ما ذكره الخليفة أبو العباس حين سئل عن سبب ما حدث في الموصل فأجاب بأنه لا يدري (٣٢) . وبقيت هذه الحجرة لغزاً غامضاً لفترة طويلة

(٢٩) الأزدي ، ص ١٥١ - ١٥٥

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥١ -

(٣١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢

(٣٢) الأزدي ، ص ١٥١

حيث تشير رواية إلى أن الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل أهل الموصل سنة ٢٨٦ . سنة ٨٩٩ وكان في طريقة إلى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك .

على أن الخليفة أبا العباس عزل أخاه يحيى عن ولاية الموصل لاقبله أهلها وسوء أثره فيها « (٣٣) وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء إدارته وإدانة له على أعماله . وأكد الوالي الجذبة اسماعيل بن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعدأ إياهم بحسن السيرة والعدل : «يا أهل الموصل أنا أرد عليكم المظالم واغطيكم ديات من قتل يحيى منكم» (٣٤) وكتب إلى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابته «أرفق بالناس وتالفهم» ، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيى بل اكتفى بعزله وكذلك أبعد ابن صول (٣٥)

أما نتائج المجزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تاركين وراءهم عوائلهم ، كما وأن وأسواق الموصل لم تعمّر ثلاث سنين بعد قتل أهل الموصل ، وفي رواية أخرى «والموصل مضطربة وأعمالها متفصصة وعيانتها ناقصة» (٣٦) وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفها إعادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة مفتوحة : ١- توزيع الديات على عوائل القتلى ، وفي هذا الاجراء اعتراف واضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلماً وعدواناً وعلى

غير وجهه شرعي .

٢- أقطع الخليفة أبو العباس عدداً من مشايخ الموصل إقطاعات ، اعترافاً من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتله ، وفي رواية «أن وائل

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦

ibid (٣٤)

(٣٥) عل أن هذا الأخير لقي مصرعه بعد سنتين ٧٥٤/١٣٦ عل يد عبدالله بن علي الناصر في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبدالله فاروق عبدالله ذلك وقتله (الأزدي ، ص ١٦٤).

(٣٦) الأزدي ، ص ١٥٢ ، ١٦١

أبن الشّحاج وإخوته قد صعدوا مع عبد الله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ ١٤٨. وحين وصل مروان بوسير و تبعه الحارثي إسماعيل وشعبة بن كثير المازني ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها. كما قام المنصور بإقطاع وائل بقية القطيعة، ويذكر الأزدي نص الكتاب الذي أصدره الخليفة في هذا الشأن . (٣٧).

٣- زار أبو جعفر (المنصور) والي الجزيرة، وكانت الموصل تابعة لها، مدينة الموصل، وبقي بها وأنحدر إلى الكاشمية ليلتقي بالخليفة أبي العباس. ٤- قام والي الجديد باستئصال ما بقي من الأمويين ، حيث قتل زعيمهم يحيى بن الحر بن يوسف بن الحكم الذي كان لا يزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية، ورغم أن أبا جعفر والي الجزيرة أمر ابنه المهدي برد ضياعهم إليهم إلا أن الظاهر أن المهدي عوضهم عن أغلبها بمعطايا تجري عليهم سنوياً .

ولا تشير مصادرنا إلى سبب قتل يحيى بن الحر أو مصادرة ضياع الأمويين ولعل هذا الإجراء كان من جملة الإجراءات التي اتبعتها السلطة لنشبت الأمويين (٣٨) أو ربما كان ليحيى بن الحر يد في حدث من اضطرابات .

لقد بقي إسماعيل بن علي والياً على الموصل حتى سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ م وحاول أن يحسن أحوال المدينة ولكن آثار التدهور لم تمنح بسرعة حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦ هـ / سنة ٧٥٣ م أي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر الموصل لا يزال وعلى ما ذكر من الاختلاف والاضطراب (٣٩). ويظهر أن هذا الحديث وما أعقبه من مجازر حدد موقف الموصل العدائي من العباسيين ولذلك كان الوالي يعتمد دائماً على حامية خراسانية ترابط في (٣٧) الأزدي ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٧١ - ١٧٢ . - الطبري ٣ ص ٩ . - ابن الأثير

الكامل ٥ ص ١٥٩

(٣٨) - الأزدي ، ص ١٥٢ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، ١٦٢

في المدينة أو في أطرافها .

ولم يمض وقت طويل حتى ثار عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي الموصلية وخلع المنصور سنة ١٣٧ / سنة ٧٥٤ ولكن ثورته مالبت أن خفت حيث أنها كانت ثورة زعيم قبلي أخذته العزة والأنفة على ما فعله العباسيون بالموصل فثار معبراً عن امتعاضه وقلقه !!

ويظهر أن الموصل قد أعجبت الوالي اسماعيل بن علي فعزم على الإستقرار بها وكان مصلحاً حسن السيرة مع أهلها حيث تشير رواية أن «الموصل به مقبلة» . وحين عزله المنصور رفض الأمر ولكن قائد الحامية ابن مشكان انحاز إلى الوالي الجديد مالك بن الهيثم الخزاعي بعد أن وصلته رسالة من المنصور يقول له فيها «إن كنت سامعاً مطيعاً فسر إلى مالك بن الهيثم» . ويمتدح الأزدي الوالي الجديد فكان «خير أمير وأنصفه وكان أحد نقياء بني العباس ورعاتهم» وكانت «سيرته جميلة وأحوال الموصل مستقيمة» (٤٠) . وقد أعطى عصيان اسماعيل العباسي في الموصل عظة وتجربة للخليفة فكان حذراً في التعامل مع والي الموصل الذي كان باستطاعته دائماً أن يعتمد على أهل الموصل تحيد السلطة العباسية. فحين أراد عزل موسى بن مصعب سنة ٧٧٤/١٥٨ - ٧٧٥ عن ولاية الموصل أرسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن برمك متظاهراً بالذهاب إلى الرقة عن طريق الموصل محملاً لإياه أوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على الموقف حال وصوله المدينة (٤١) . وكان المنصور يختار ولاية الموصل بدقة وخالباً ما كانوا من العباسيين أو من الشيعة العباسية الثقات . فقد اختار ابنه جعفر للولاية سنة ١٤٥ - سنة ٨١٤٧/٧٦١ - ٧٦٤ م ثم عين خالد البرمكي والياً على الموصل لأول مرة سنة ٨١٤٨ / ٧٦٥ م وذلك «لانتفاض الموصل وانتشار الأكراد بها» (٤٢) ، وهؤلاء الأكراد نزحوا إليها من الجبال القريبة.

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٠

(٤١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٥

وكان إسماعيل بن عبد الله القسري البجلي الوالي الوحيد من أهل الموصل الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب تعيينه أن المنصور سأل عن ظهور القحطاني ؟ (المنفذ اليماني المنتظر) فقال القسري قد ظهر « وأنه المهدي ولي عهد المسلمين ابن أمير المؤمنين ابن اخنأ » وقد أعجب المنصور بقوله وعقد له على الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨ م (٤٣).

الموصل وأحزاب المعارضة :

يمكننا تصنيف الفئات الرئيسية التي عارضت العباسيين في هذه الفترة إلى ثلاث : الخوارج والأمويين والعلويين

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة إلى العباسيين . فالعباسيون في نظر الخوارج كالأُمويين مغتصبون للخلافة التي يجب أن تكون ذات صبغة انتخائية يتقلدها أجدر المسلمين . ولقد حقق الخوارج في أواخر العصر الأموي نجاحات مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

وأكثر ما يلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في القرنين الأول والثاني للهجرة انتشار المذهب الخارجي الداعي إلى الثورة على كل سلطان لا يدين بعقيدته . وكانت أهم القبائل المستوطنة حول الموصل عدداً وشكيلة هي قبيلة بني شيان . ويظهر من مصادرنا التاريخية (٤٤) أن الحركة الخارجية تبدأ في أطراف الموصل ثم لا تلبث أن ترحف نحو المدينة ، ويعتصم الخوارج في داخلها تساندتهم بعض القبائل والفئات المستاءة من العباسيين . ولعل حركات ملبد بن حرملة وعبد السلام البشكري والصحيح الخارجي خير امثلة على ذلك.

- (٤٣) المصدر السابق ص ٢١٤ . - كان شيوخ القبائل يذكرون ان المنصور كان جاداً في جعل ابنه خليفة من بعده ولذلك كانوا يتقربون من الخليفة بأظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلاً فعل إسماعيل القسري وعبد الله بن عباس الهنداني (راجع كذلك الأزدي ص ١٧٨ - ٧٩)
- (٤٤) الأزدي ، ص ٢٦٧ ، ١٦٦ ، ٢٤٢ . - ابن الأثير ، الكامل ، ص ١١٢ . - قارن الأزدي ص ٢٤٢ ، خليفة ص ٢ ص ٤٤٤ ص ٧٨

على أن ذلك لم يمنع أن تكون الموصل نفسها (٤٥) المركز الذي بدأت منه بعض الحركات الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وباسين التميمي وحمزة الخارجي ومهدي بن علوان الشاري. وفي محاولة لأقرار الأمن في هذه المنطقة عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢م قائداً للحامية الموصل ويبرر الأزدي كثرة الجند في الموصل فيقول « وكان حرب الراوندي في رابطة في ألقين لمكان الخوارج » (٤٦) ، كما وإن السلطة المركزية كانت تعين على الموصل والياً للصلاة والمعونة والخراج إن ضم إليه وصاحب رابطة يتفرغ لحرب الخوارج مما يدل على أهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للأمور العسكرية وأمور الأمن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيدي عدة مرات أهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على أنفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من أمثال ابن حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وابن يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خططهم. وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيد سنة ١٨١هـ سنة ٧٩٧م كيلا يتمكن الخوارج من الاعتصام بها (٤٧) خاصة بعد حركة الوليد بن طريف الشاري الذي ثار سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م وهزم الجيش العباسي في معركة نصيبين وأخذ بحجوب الجزيرة وأذربيجان وأرمينية حتى استطاع القائد يزيد بن مزيد الشيباني أن يراوغه ويقتله في هيت .

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية (٤٨) سنة ١٧٥هـ / سنة ٧٩١م « وفيها كسر خراج الموصل » . وقد امتنع أهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيد إلى إرسال يحيى بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الغلة وقدرها سبعة دراهم ونصف لجريب الحنطة وخمسة دراهم لثلثه من الشعير . ويظهر أن بعض الفلاحين

(٤٥) الأزدي ، ص ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٣ . - الطبري ، ص ٨٠ ، ٥٨٨ . - ابن الأثير ، الكامل ٦٠ ص ٩٥ ، ٥٠ ، ص ٥٨٤

(٤٦) الأزدي ، ص ١٩٥

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٠ ، ٢٨٦

(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

كانوا يتخذون هجمات الخوارج عنراً يبررون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجين بأن هجوم الخوارج قد دمر المحاصيل. (٤٩)
 ولم يكن الخوارج وحدهم ينهاون الحاصل أو يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الأزدي (٥٠) سنة ١٧٧هـ / سنة ٧٩٣م وهو من فرسان أهل الموصل وقد اجتمع الصعاليك وجبي الحراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠هـ / سنة ٧٩٦م قرر العطاف أن يكمن له ولكن شيوخ الموصل وصلحاحها ناشدوه أن يدع ذلك وأن ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف إلى أرمينية .

ولقد تعسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحيى بن سعيد الحرشي (٥١) أهل الموصل بخراج مستين مضت سنة ١٨١هـ . وفي سنة ١٩٣هـ / سنة ٨٠٨م شدّد الحسن بن صالح الهمداني على الأعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الزكاة) ولاحق قبيلة عترة الربيعية فاجتمع مع عترة بنو شيان وكنوا اللوالي وقتلوه (٥٢) . والمعروف عن ربيعة أنها كانت أكثر القبائل تمرداً وشناعاً للوالي الموصل . ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل أدت إلى ثارات بين اليمن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد أنكمسر الحلف اليماني - الربيعي القديم .

على أن الوالي لم يكن دائماً يرسل ريع الموصل إلى بغداد بل يحتفظ به أو يجزء منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا ما فعله موسى بن مصعب سنة ١٥٧هـ فقد أجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لأن البلد كثير الخوارج وأعدتها للرجال متى احتجت إلى محاربة خارجي ... (٥٣)

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦

(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤

(٥١) المصدر السابق ٢٨٦ - ٢٨٨

(٥٢) المصدر السابق ص ٣١٤

(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧

ولعلنا بعد ذلك نخلص إلى القول بأن الحركة الخارجية أشاعت عدم الاستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة الفراتية عامة وشغلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات . وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الأقاليم الشرقية ، تنسم بسمة العروبة سواءً على الصعيد التركي أو التنظيمي . بل أن العصبية ، القبلية ظلت تتحكم فيهم في هذا الإقليم . كما لعبت «النخوة» دورها حيث كان خوارج الجزيرة الفراتية يخفون لنجدة إخوانهم في المذهب أبنا ثاروا .

ورغم أن أحد الأسباب التي أعطاها المؤرخون لجزيرة الموصل سنة ١٣٣ هـ هي ميولها للأمويين فلم تحدث في اواقع حركة ذات صبغة أموية في الموصل خلال العصر العباسي الأول . عل أن أنصار الأمويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية تجمعوا حول اسحق بن مسلم العقيلي وأخيه بكار وهما من قادة مروان الأخير وقد أعلن اسحق العقيلي ثورته في الجزيرة وأخذ سيطر والرها مراكز له . كما انضم إليه أحد الأمراء الأمويين محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

ولكن الحركة الموالية للأمويين في الجزيرة عموماً لم تكن منظمة ، حيث تشير رواية تاريخية « وأمرهم مشنت وليس عليهم رأس يجمعهم » (٥٤) ، وقد طلب اسحق العقيلي نفسه الأمان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقربه المنصور وجعله من صحابته في البلاط . وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر أحد الموالين لبني أمية في الموصل يعود إلى كونه نقطة ألتقاء لأنصار الأمويين وشيعتهم وللعناصر المناوئة للدولة العباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥٠م (٥٥)

(٥٤) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، الجزء الأول ص ١٣٦

(٥٥) يشير كتاب الأمانة والسياسة في رواية ينفرد بها (٢٠ ص ١٥٩) إلى أن سليمان بن هشام الأموي قد هرب من البلاط العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد أبي العباس . والرواية صيغة الإحتال

ولم يعرف عن الموصل ميلها إلى العلويين فقد وصفت بكونها أموية وخارجية كما شارك أهل الموصل بحركات قبلية ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة . وفي رواية تاريخية أن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤هـ سنة ٧٦١م متخفياً من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الأعوان من شيعة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين . ويظهر أن قبائل الجزيرة لم تستغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شيب العجلي أحد شيوخ القبائل الجزيرة الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه أن يبايع خليفة عنوياً فرفض قائلاً : (٥٦) «أولي بني السوادوات .. إذ كان يقول كن وليته منهم : إنه خلقتي وإنه يرزقني » .

الموصل والنعرات القبلية :

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة إما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النعرات . وإما في أحيان أخرى بتحريض من السلطة المركزية أو والي المدينة الذي يحالي قبيلة على قبيلة أخرى . فقد تدمرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فضل المضربة (القيسية) على اليمانية . وحين جاء العباسيون قربوا اليمانية وفضلوهم في الوظائف الإدارية والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديدة هذه بسبب مساندة اليمانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكاً من العباسيين بأن القبائل اليمانية هي الغالبة على الموصل ، فتؤكد رواية (٥٧) أن «اليمانية في البلد أظهر من التزارية» وأن «اليمانية هم المتغلبون على الموصل» .

ولعل ما ذكرناه آففاً من ازدياد العصبيات أثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحاً في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الربعية والمضربة وأستعانت

(٥٦) الأزدي ، ص ١٨٠ ، ٣٣٤

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦

ربعية لا باليمن (٥٨) بل بقبائل ربعية من أقاليم أخرى . وفي سنة ١٩٨هـ سنة ٨١٣ م حدثت وقعة الميدان بين التزارية واليمانية حيث ادعى التزارية بأن اليمانية « يتهمونهم وينتقصون حقوقهم » (٥٩) وتزعمهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ ألفاً . ولكن اليمانية بقيادة علي بن الحسن الهمداني استطاعت أن تهزم التزارية رغم ألعون الذي جاءهم .

ولاشك أن الخلافة العباسية كانت تعمل من أجل كسر الأحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشجيعها فمثلاً نجح المنصور في كسر التحالف اليماني - الربيعي في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لثلاث تكون هذه التحالفات خطراً على الدولة من جهة وليكون بالإمكان السيطرة على المناطق ذات النزعة القبلية الحادة.

لقد كان لأهل الموصل رأي في اختيار واليهم فلم يرضوا بمحمد بن صول والياً وثاروا على سياسة يحيى بن محمد العباسي ، وأجبروا إبراهيم بن العباس سنة ١٩٥هـ / سنة ٨١٠ - ٨١١ م على التخلي عن الولاية ، ورفض أهل الموصل ولاية الحسن بن محمد الثقفي سنة ١٩٧هـ وقالوا : « لا يلينا ربي » . وفي عهد المعتمد انتفض أهل الموصل وطرده واليهم سنة ٢٥٩هـ وعينوا بدلاً من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤ م (٦٠) وتشير رواية في الأزدي : « ولما ضعف أمر السلطان وقت الحماية اجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني ليشرف على أمر البلد ويحوط أطرافه » (٦١)

والواضح أن أمر السيطرة على الموصل أصبح بين سنة ١٩٥هـ - سنة ٢٠٢هـ في يد بني الحسن الهمدانيين فعلياً أما الوالي الذي تعينه السلطة العباسية فكان لا يدخل المدينة إلا إذا حظي برضى بني الحسن الهمداني ولذلك كان من

(٥٨) ذلك لأن الحلف اليماني - البرجمي القديم كان قد تفكك وقد وسعت حادثة إغتيال الوالي الحسن الهمداني آفة الذكر الهوة بين الطرفين .

(٥٩) الأزدي ص ٣٣٢

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، ٣٣٢

(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤

الطبيعي أن يتحسب حسابهم في كل عمل يقوم به أو حكم يصدره وإلى ذلك تشير الرواية : «وكان الوالي من ولادة السلطان يلي منذ هذا الوقت إلى انقضاء أيام بني الحسن فإذا رضوه أدخلوه وهم الغالبون على الأمر...» (٦٢) ولذلك امتنع علي بن الحسن الحمداني عن الاعتراف بولاية الحسن التغلبي سنة ١٩٧هـ الذي أرسله الأمين ، وحين أرسلهم طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ مال إليهم باليمانية • ولكن اليمانية أنشقوا على أنفسهم بالموصل وأحتمد الصراع على السلطة بين علي الحمداني والسيد بن أنس الأزدي وهزم الحمداني مما اضطره إلى الاستعانة بمحمدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يفده حيث تغلب عليه ابن أنس ثانية وقتله . وقد برر ابن أنس قتله للهمدانيين واستيلائه على الموصل حين قابل المأمون سنة ٢٠٤هـ سنة ٨٠٩م قائلا :

«أدخلوا الخارجي مدينتك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك» (٦٣) وهكذا ضرب ابن أنس على وتر حساس فأقر المأمون على الموصل ولم يكن إجراء الخليفة هذا إلا اعترافاً بأمر واقع . وبقي ابن أنس والياً على الموصل حتى مقتله في معركة مرج دابق في سنة ٢١٢هـ سنة ٨٢٧م .
ملحق بولاية الموصل خلال هذه الفترة (٦٤)

١٣٢هـ	محمد بن صول
١٣٣هـ	يحيى بن محمد العباسي
١٤١هـ	اسماعيل بن علي العباسي
١٤٢هـ	مالك بن الهيثم الخزاعي
١٤٥هـ	جعفر بن المنصور
١٤٨هـ	خالد بن برمك
١٥١هـ	اسماعيل بن عبدالله القسري
١٥٤هـ	موسى بن مصعب الخثعمي

(٦٢) الأزدي ص ٢٢٤

(٦٣) الأزدي ص ٢٥٤

(٦٤) راجع الأزدي ، تاريخ الموصل ، - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك طبعة ايدن . -
قارن قائمة الدكتور علي حبيبة في آخر كتاب الأزدي آف الذكر . (ص ٤٩٤ فما بعد)

- ٥١٥٥ خالدة البرمكي
 ٥١٥٩ موسى بن مصعب الخثعمي
 ٥١٥٩ خالدة البرمكي
 ٥١٦٠ اسحق بن سليمان
 ٥١٦١ حسان السروي
 ٥١٦٢ عبد الصمد بن علي
 ٥١٦٤ محمد بن الفضل
 ٥١٦٦ أحمد بن اسماعيل بن علي
 ٥١٦٧ موسى بن مصعب
 ٥١٦٧ عبد الصمد بن علي
 ٥١٦٨ أحمد بن اسماعيل
 ٥١٦٨ هرثمة بن أعين
 ٥١٦٩ هاشم بن سعيد
 ٥١٦٩ عبد الملك بن صالح
 ٥١٧١ اسحق بن محمد

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الدكتور فاروق عمر فوزي

مساعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة بنه اد

دور حوض النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي مع دراسة تطبيقية على قطر العربي

الدكتور محمد أزهر سعيد السّمّاك

المقدمة

تحتل أقطار الخليج العربي بمكانة هامة
ومتميزة في عالم النفط . إذ تظفر بنحو
ربع إجمالي الإنتاج العالمي وتفرض سيادتها على
نحو نصف احتياطي النفط في العالم وقد بلغت
مجموع عائداتها منه زهاء ٣٩ بليون دولار
أي نحو ٣٣ مرة مما كانت عليه قبل عقد
ونصف من الزمن تقريباً (عامي ٧٤ و ١٩٦٠)
غير أن أهمية منطقة الخليج النفطية الحالية
هذه قد لا تكون كذلك في المستقبل . طالما
أن النفط سلعة قابلة للنضوب والتفاد .

□ فقد حددت الدراسة عمره المنتظر بقرابة ٦٣ سنة فقط . وعلى الرغم من أن
التطورات التكنولوجية لعمليات البحث والتنقيب والاستخراج وغيرها ،
مما يمكن لها أن تحدث تغييرات هامة في حساب العمر المنتظر هذا ، إلا أنه
يمكن أن يكون دالة هامة لما يحتمل أن يحل بخريطة الخليج العربي أولاً ، والخريطة
العربية ثانياً ، من آثار سلبية تقعدها عن تحقيق طموحاتها في بعث الأمة العربية

بأسرها . ما لم تع بمسؤولياتها كاملة مستهدفة النفط كمادة أساسية لكل تنمية إقتصادية هادفة طالما أن وجوده صدفة جيولوجية واقتصادية ليس الا ، كما أن مدخرات عوائده المالية تتعرض بين آونة وأخرى إلى هبوط في اقياما نتيجة لتخفيض اقيام العملات الأجنبية المرتبطة بها .

وهذا يحتم على كافة أقطار الخليج العربي أن تخصص عوائد النفط جميعاً لبرامج التنمية (الميزانية الإستثمارية) حتى يمكن لقطاعات اقتصادياتها الإنتاجية الأخرى (الزراعة - الصناعة - النقل - المواصلات - الخدمات) أن تنمو ذاتياً وحتى يمكن التحرر من سيطرة القطاع النفطي على اقتصادياتها ولخلق اقتصاد متنوع ومتطور ومتوازن .

وإذا كانت الحدود الإقليمية السياسية التي صنعها الإستعمار لتجزئة الأمة العربية قد لا تتسع لحجم المدخرات المالية العربية النفطية هذه في بعض أقطار الخليج ، فإن الخريطة العربية من الخليج إلى المحيط بإمكانياتها الجغرافية والحيولوجية الزراعية (الزراعة - الصناعة - التعدين الأخرى) بمقدورها أن تكون بيئة جيدة للإستثمار والطور الإقتصادي الذي يؤمل في الآت إلى اقتصاد عربي نامي يحقق المنطقة العربية استقلالها الإقتصادي وسيادتها السياسية . ونجى هذه الدعوة في وقت تشد فيه الحاجة إلى الوحدة العربية الشاملة التي أمست هدفاً إستراتيجياً للشعب العربي من أجل بقائه وفرض سيادته وتحرير ما انتزع من أراضيهِ وكبحاً لمطامع امبريالية متزايدة .

ويأتي انعقاد الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربي في العراق تأكيداً للوعي القومي النبيل الذي يؤمن به في ضرورة التخطيط لما يحتمل أن يحل بمنطقة الخليج العربي من آثار سلبية في المستقبل . لذلك كله . يحاول هذا البحث دراسة دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي مع دراسة تطبيقية عن القطر العراقي ، مستمداً في ذلك على ما توفره الاحصاءات والدوريات والمجلات الرسمية المختلفة من بيانات ومعلومات كانت العون في تحديد أبعاد هذه الدراسة .

وهنا تكرر الصعوبة ذاتها التي تواجه أي بحث عن هذه المنطقة (وغيرها من أقطار العالم الثالث) ، من نقص في البيانات وغيرها .
ويحاول هذا البحث - في القسم الأول - أن يرسم الصورة العامة لامكانيات الخليج العربي النفطية ، انتاجاً واحتياطياً وعوائداً ، في محاولة لتوضيح إن نفقت عوائده وما خلفته من آثار إيجابية لتطوير اقتصاديات تلك الأقطار ، مستعرضاً بذلك برامج التنمية الاقتصادية المختلفة لهذه المنطقة .
في حين أن القسم الثاني قد تفرغ لدراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الاقتصادية المختلفة خلال الفترة ٥١ / ٩٧٤ من خلال تحليل إحصائي مقارنة للمخصص والمسروف فعلاً لبرامج التنمية المختلفة لتحديد اتجاه استغلال عوائد النفط وتبيان مدى امكانية أخذ أقطار الخليج باستراتيجية خطط التنمية القومية للعراق ٧٠ - ٩٧٤ وما سبيلها .
وقد انتهى البحث إلى تحديد أبعاد الصورة المستقبلية لاقتصاديات دول الخليج العربي من خلال التحليل المقارن لموارد الرقعة الاقتصادية المتاحة (الزراعية - الصناعية - النفطية - والتعدينية الأخرى - السكانية - المالية) في هذه المنطقة . وقد فرغ إلى عدد من النتائج والتوصيات ، يمكن لتخصصات ضيقة مختلفة أخرى أن تناوئها بالبحث والتمحيص للأخذ بها وتعميمها على الوطن العربي الكبير .

وكان من تلك النتائج :

- ١ . إن زيادة اعتماد أقطار الخليج على النفط كمورد أساسي من موارد الدخل قد حدد هيكل وبنية اقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي : اقتصاد أحادي السلعة - تبعية اقتصادية - ازدواجية اقتصادية أيضاً .
- ٢ . سوء تخطيط واستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج فهي لم توجه الوجهة السليمة وكما ينبغي لتنمية اقتصاديات تلك الأقطار واعمارها وإنما صرفت في مجالات استهلاكية متعددة (الانفاق الاستهلاكي الحكومي)

إلى جانب استنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية ودعائية أو لأغراض أخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من مدخرات تلك العوائد قد أُودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في اقيامها (٦٧ / ١٩٧٣) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف .

أما التوصيات فيمكننا أن نلخصها في تحديد أسباب وامكانية وواجه استثمار المدخرات المالية لأقطار الخليج الناجمة عن عوائد النفط لتحقيق تنمية اقتصادية عربية هادفة ، عن طريق انشاء مؤسسة خليجية عربية للتنمية والتخطيط ، تضمن للخريطة العربية استقلالها وسيادتها . وامكانية اعتماد تجربة العراق الرائدة في خطة التنمية القومية كنموذج عربي جدير بالتطبيق والتعميم ، لكي يتسنى إحداث تغييرات هامة في هيكل وبنية اقتصاديات أقطار الخليج وما يرافق ذلك من ظهور تغيرات ايجابية كبيرة في العناصر المكونة للبيئة الجغرافية العربية بأكملها .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

جداول رقم (٢-ب)

الاجمالي	١٩٧٤	٧٤	٧٣	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦	٦٥	٦٤
١٣,٢٩٨	٤٦١٠	١٣٦٧	٢٧٥٢٠	٨٤١٠٠	٢٦٦,٢	٤٨٢,٥	٤٧٦,٢	٢٦٦,٢	٢٩٤,٢	٢٧٦,٩	٢٥٢,٩	٢٤٢,٩
١٩,١٩١	٧٠٠٤	٢٠٠١	١٦٥٦,٨	٢٩٩,٨	٨٩٥,١	٨١٢,٢	٧٦٥,٦	٧١٧,٦	٧٧,٢	٦٧١,١	٦٥٥,١	٦٤٥,١
٤٢,٨٢٠	١٧٢٦٩	٤٩١٤	٢١٠٦,٩	٢١٤٨,٩	١١٩٩,٧	١٠٠٨,٠	٩٦٥,٥	٨٥٢,١	٧٧٦,٩	٦٥٥,٢	٥٦١,٠	٥٦١,٠
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٢,٢٦٢	١١٩١	٢٦٧	٢٥٦,١	١٩٧,٤	١٥٢,٠	١١٩,٢	١٠٩,٥	١٠٦,١	٩٢,٩	٦٨,٥	٦٤,٥	٦٤,٥
-	٥٧٦	١٦٥	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٨٥,٢٥١	٢٦٧٢	١٠٢٥	٤٥٠,٩	٤٢٠,٧	٢٢٢,١	١٩١,١	١٥٢,٢	١٠٥,٠	٩٩,٨	٢٢,٢	١٢,٢	١٢,٢
١,٧٦٧	٢٢,٨٢٢	٩٨٢٠	٦١٤٥,٢	٤٠١٧,٢	٢٩٧١,١	٢٦١٠,٠	٢٤٧٠,٠	٢١٢٧,٧	١٤٤٠,٢	١٨٠٢,٩	١٦٤٧,١	١٦٤٧,١
١٢٢,٠٨٢	٤٥,٢٩٤	١٧,١٤٨	١٤,٧٢٢	٨٨٥٤	٧٩٩٢	٤٧٩٨	٤٢٢٢	٢٥٢٩	٢١٥٨	٢٨٤٧	٢٢٢٨	٢٢٢٨
%٥٧	%٥٩	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-

(١) د. جمال حنانيا : بتقرير العرب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، من عام ٦٢ إلى ١٩٧١ ٢ غدا الجزائر عن : Middle East. Economic Survey, September 8 1972.

- مجلة تخطيط العرب . تموز ١٩٧٤ ، ص ٧ .

- للتوسعة العامة للتقرير ، مجلة التوزيع ، المجلة الحادية عشر ، تموز آب ١٩٧٤

القسم الاول

يعالج هذا الموضوع النقطتين التاليتين :

أولاً : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية : (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية في دول الخليج .. المملكة العربية السعودية، الكويت ، العراق) .

.....

أولاً : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية : (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

من تحليل الجداول المرقمة ٢،١ : الاشكال المرقمة ٣و٢ نستنتج : -
١. تنعم منطقة الخليج العربي بأهمية نفطية عالمية متميزة : انتاجاً واحتياطياً فقد بلغ إجمالي انتاجها عام ١٩٧٣ نحو (٧٦١) مليون طن . أي نحو سبعة أمثال ما أنتجته قبل عقدين من الزمن تقريباً . وهي بذلك فرضت سيادتها على نحو أقل من ثلث إجمالي الإنتاج العالمي بقليل (٢٦٩٪) وقد هيا لها انتاجها هذا فرصة احتلال مركز الصدارة في خريطة العالم النفطية .

ولانتحصر أهمية هذه المنطقة في خريطة الإنتاج الحالية بل تتعداها إلى خريطة المستقبل المنظور أيضاً . يؤكد ذلك سيادتها على نحو نصف إجمالي الاحتياطي المؤكد في العالم .

غير أن أهمية منطقة الخليج العربي لاتنبع عن أهميتها العالمية -آفة الذكر- فحسب بل لكونها المسؤول الأول والرئيسي عن أبعاد الخريطة النفطية للعالم العربي بأسره . صحيح أن أهميتها النسبية قد انخفضت من ٩٦٪ عام ١٩٥٢ إلى ٨٠٪ عام ١٩٧٣ نتيجة لظهور منتجين جدد كالجُمهورية العربية الليبية والجزائر . إلا أنه يمكن القول بأنها ستبوء مكانتها الأولى في السنوات القليلة القادمة . كما يدل على ذلك نسبة نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد للوطن العربي (٨٧٪) .

وتتجلى خطورة هذه الحقيقة فيما لو علمنا بأن الموارد النفطية هي المسؤولة تماماً عن تحديد أبعاد خريطة العالم العربي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الحالية والمستقبلية على حد سواء بالإضافة إلى أن هذه الموارد قابلة للتضوُّب . من هنا تبرز الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العالمية والعربية وما ينبغي عمله من أجل إحداث تغيرات ايجابية هادفة في الخريطة العربية بما يكفل وجودها واستقلالها وسيادتها .

٢.

تربع المملكة العربية السعودية على عرش دول الخليج انتاجاً واحتياطاً مؤكداً . فهي تستأثر بنحو نصف إجمالي إنتاج دول المنطقة وزهاء سبع الإنتاج العالمي (١٩٧٣) . وقد تضاعف إنتاجها نحو تسع مرات خلال العشرين سنة الأخيرة . وقد آقترن ذلك بارتفاع أهميتها النسبية بالنسبة لإجمالي إنتاج النفط في العالم والخليج العربي . فقد بلغت نسبة مساهمتها عالمياً نحو ١٢,٩٪ (١٩٧٣) مقابل ٦,٨٪ فقط عام ١٩٥٢ . ونحو ٤٧٪ عام ١٩٧٣ مقابل ٤٠٪ عام ١٩٥٢ . بالنسبة لمنطقة الخليج العربي وهي بذلك تنفرد على دول الخليج - انفراداً ومجتمعين - إن لم يكن دول العالم النفطية أجمع - في نمو معدلات الإنتاج السريعة . وتتضح أبعاد الأهمية النسبية للسعودية فيما لو علمنا بأنها تظفر بنحو ربع الاحتياطي المؤكد من النفط في العالم . أي قرابة نصف احتياطي منطقة الخليج العربي وزهاء ٤٢٪ من جملة احتياطي الوطن العربي بأسره .

وهذا يعني أن المملكة السعودية قد حظيت وستحظى بالمرتبة الأولى بين دول الخليج العربي كما أن الزيادة السنوية السريعة بمعدلات إنتاجها وارتفاع إجمالي احتياطها :- كما توضحه البيانات - تشير لأول وهلة إلى الأهمية الكبيرة لهذه الرقعة من المنطقة العربية ، وتحديد أبعاد مهامها القومية المرتقبة في تحقيق خريطة اقتصادية عربية

نامية ومتطورة . إلا أن الدراسة قد كشفت عن اتجاه مضاد لهذه الحقيقة تماماً . فالنفط وموارده لم تسخر لتحقيق تنمية اقتصادية هادفة بل استترفت في مجالات استهلاكية وترفيهية ودعائية وغيرها . كما سنرى لاحقاً عند دراسة النقطة التالية .

٣. وتأتي الكويت بالمرتبة الثانية بين دول الخليج العربي إذ تنعم بنحو ١٨٪ من إجمالي إنتاجها أي نحو ٤,٩٪ عام ١٩٧٣ من إجمالي الإنتاج العالمي مقابل ٦,١٪ عام ١٩٥٢ . والملاحظ هنا تراجع الأهمية النسبية للكويت من إجمالي الإنتاج العالمي خلال السنتين المذكورتين . والذي يرجع إلى النمو السريع لمعدلات الإنتاج في بعض مناطق الإنتاج النفطية الأخرى ، بالإضافة إلى شهور منتجين جدد على مسرح الإنتاج مما كان له أثره في إحداث تغيرات سريعة في سلم التطور .

وعلى الرغم من أن الكويت والمملكة السعودية قد بدأنا الإنتاج بعيد زمني ومعدلات إنتاجية سنوية وبأهمية نسبية متقاربة كما يؤكد ذلك عام ١٩٥٢ إلا أن العقدين التاليين كانا كفيلاً بتغيير الصورة تماماً لصالح المملكة السعودية التي بلغ إنتاجها نحو ثلاثة أمثال نظيرتها وبالتالي آرتفاع أهميتها النسبية إلى درجة مطابقة لنمو حجم إنتاجها هذا . بيد أن خريطة الكويت المنتظرة قد لا تكون كذلك طالما أنها تسيطر الآن على نحو ثمن الإحتياطي العالمي (١٣,٣٪) وزهاء أكثر من نصف احتياطي المملكة السعودية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكويت أسعد حظاً من سابقتها في تنفيذ بعض من عوائد مواردها النفطية لتغيير ملامح خريطتها الجغرافية الطبيعية والبشرية . إلا أن ذلك أقل مما ينبغي بكثير مما يكشف عن شواهد سلبية متعددة الجوانب حالت دون تأدية النفط لرسائله في إحداث التغيير الأفضل كما سنرى فيما بعد .

٤. ويأتي العراق في المرتبة الثالثة بين دول الخليج العربي إنتاجاً واحتياطياً مؤكداً . وهو لا ينعم سوى بنحو أقل من ثلث إجمالي إنتاج المملكة العربية السعودية وزهاء ثلاثة أرباع إنتاج الكويت إلا أنه يفوقهما قدماً في الإنتاج كما أنه أسعد حظاً في تنفيق واستخدام عوائده النفطية منذ بدء الإنتاج وحتى الآن عامة وخلال الفترة (١٩٧٤/١٩٧٠) بصورة خاصة في ظل خطة التنمية القومية كما سئرى لاحقاً .

٥. أما باقي أقطار الخليج العربي فتظفر بالأهمية النسبية الباقية ٥,٨٪ و ٥,٧٪ من إجمالي إنتاج الخليج العربي والعالم على التوالي . وتحظى أبو ظبي بالمكانة الأولى بين مجموعة هذه الأقطار (٢,٢٪) وتليها البحرين (١,٢٪) قطر (١٪) فالمنطقة المحايدة الكويتية السعودية (٠,٩٪) فدبي (٠,٤٪) وذلك عام ١٩٧٣ .

والملاحظ هنا النمو السريع لحجم إنتاج هذه الأقطار خلال العشرين سنة الأخيرة بالإضافة إلى ارتفاع نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد في المنطقة والعالم وهو بذلك يفوق نصيب باقي الوطن العربي (الوطن العربي باستثناء منطقة الخليج) من احتياطي النفط المؤكد .

من هنا تظهر أهمية هذه الأقطار في المساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وسياسية هادفة تحقق للخريطة العربية طموحاتها القومية السامية .

غير أن ما أُنجز في هذا المجال محدود جداً كما سئرى . ولعل من المفيد أن نشير إلى حجم العوائد النفطية التي تسلمتها دول الخليج هذه . فمن تحليل جدول رقم (٢) نستنتج :

(١) حظيت دول الخليج العربي بمجتمعة بنحو ٨١,٧١٦ مليون دولار خلال الفترة ١٩٧٤/١٩٥٠ كلإجمالي تراكمي وهي بذلك أتفردت بنحو أكثر من نصف إجمالي العوائد النفطية العربية (٥٧٪) والأبعد من ذلك أن منطقة الخليج هذه كانت تستأثر بحملة

عوائد النفط تقريباً خلال السنوات الأولى لبدء الإنتاج وحتى نهاية عام (١٩٦٠). ذلك قبل بدء الإنتاج التجاري للأقطار العربية الأخرى في شمال أفريقيا . وهذا يعني أن هذه المنطقة أسعد حظاً من غيرها من أرجاء الوطن العربي في هذا المجال سبقاً تاريخياً وأهمية نسبية انتاجاً واحتياطياً وعوائداً .

(٢) على الرغم من أن العراق كان قد ظفر بالمرتبة الأولى (٧٣٪) بين دول الخليج بالنسبة لإجمالي عائداته النفطية عام ١٩٤٠ ، إلا أنه سرعان ما فقد مكانته هذه أمام منافسين كبيرين هما .. السعودية والكويت . وما تجدر الإشارة إليه هنا هو النمو السريع والمطرد بمعدلات حجم العوائد النفطية لهاتين الدولتين مقارنة بالعراق . ذلك يرجع في اعتقادنا إلى النمو السريع في حجم أنتاجهما النفطي الذي يعكس رغبة الشركات الأجنبية العاملة فيهما بجلاء ، في حين أن معدلات الإنتاج العراقي قد أتسمت بالنمو البطيء مع وجود سنوات تدبذب كما في ١٩٦٧، ٦٦، ٦٢، ٥٨، ٥٦، ٤١ . مثلاً . ومع ذلك فإن العراق يعتبر من أول أقطار دول الخليج العربي تخطيطاً لعوائده النفطية في برامج تنمية مختلفة باعتراف الاقتصاديين الغربيين أنفسهم . (١) وكما سنرى لاحقاً .

(٣) والحقيقة الثالثة التي أود أن أظهرها هنا هي النمو السريع لحجم العوائد النفطية خلال السنوات الأربع الأخيرة (١٩٧٤/٧١) الذي يرجع إلى التناور السريع لأسعار النفط المعلنة وما نجم عنه من زيادة دخول حكومات دول الإنتاج — لاحظ الجدول رقم (٣) التالي—

(1) Murray, J.: The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East, Bournemouth.

نتيجة تطبيق إتفاقية طهران (١). وشرق البحر المتوسط (٢)
 وصدور قانون تأمين شركة نفط العراق رقم (٦٩) لسنة ١٩٧٢ (٣).

جدول رقم (٣)

تطور الأسعار المعلنة للنفط العربي وحصة حكومات الدول المنتجة والمصدرة
 عن كل برميل بالدولار الأمريكي (٤)

الفترة الزمنية	السعر المعلن للبرميل	متوسط حصة الدول (الربيع + الضريبة)
١٩٦٥/٦٠	١,٨٠	٠,٨٢
١ كانون الثاني - ١٤ تشرين الثاني	١,٨٠	٠,٩١
١٩٧٠	١,٨٠	١,٣٢
١٥ شباط - ٣١ آذار ١٩٧٢	٢,٢٨	١,٨٠
آب / ١٩٧٣	٣,٠٧	١,٨٠
١٦ تشرين الأول - ٣١ كانون الأول	٥,١٢	٣,٠٥
١٩٧٣	١١,٥٦	٧,٠٠
١ كانون الثاني ١٩٧٤		

- (١) عقدت إتفاقية طهران في ١٥/شباط/١٩٧١
 مجلة نفط "مرب" - العدد السادس - السنة السادسة - آذار ١٩٧١ - ص ٢٣
 (٢) الوقائع العراقية : إتفاقية شرق البحر المتوسط - العدد ٢٠٠٨ - ٨ حزيران ١٩٧١ ،
 ص ٢١/٢٠
 (٣) صدر قرار التأمين في الفئاح من حزيران ١٩٧٢ .
 (٤) مجلة نفط العرب العدد الحادي عشر - السنة التاسعة - آب / ١٩٧٤ . ص ٢٥

نستخلص من كل ما تقدم : أن منطقة الخليج العربي هذه تحظى بمكانة هامة ومتميزة في عالم النفط ليس نتيجة للسبق التاريخي بالنسبة لبدء الإنتاج التجاري وغزارة الإنتاج وانخفاض تكاليف إنتاجه (١) وعوامل ايكولوجية أخرى فحسب ، بل نتيجة لمعدلات نمو الإنتاج السريعة وزيادة أهميتها النسبية الحالية والمستقبلية من إجمالي العالم عامة والوطن العربي بوجه خاص . كل ذلك يتطلب ، وبالضرورة أن يتخذ النفط وموارده مادة أساسية لكل عملية تنمية هادفة تحقق لهذه المنطقة والوطن العربي كل ما تصبو إليه بما تقدمه من إمكانيات تعتبر مادة التغيير الأساسية الطبيعية والبشرية على حد سواء .

وتقف المملكة العربية السعودية والكويت والعراق على رأس قائمة دول الخليج هذه لما لها من إمكانيات نفطية كبيرة أنتاجاً واحتياطياً وعوائداً . والسؤال الذي يُثار الآن : ماذا حققت هذه الدول في مجالات التنمية ؟ أو أين نفقت عوائد النفط منذ بدء الإنتاج التجاري وحتى الآن ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في النقطة التالية .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية للنول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية المختلفة في دول الخليج : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

هنا سنحاول أن نجيب عن السؤال الآنف الذكر وللوصول إلى هذا الهدف فإننا سنتعرض بالدراسة لواقع التنمية في الأقطار الثلاثة الأولى في منطقة الخليج العربي : إنتاجاً واحتياطياً وعوائداً وهم : (المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

(١) المملكة العربية السعودية :

في أول الستينات وضع أول برنامج للتنمية في المملكة العربية (١) لمعرفة التفاصيل عن تباین تكاليف الإنتاج وعوامل إنخفاضها بالنسبة لإنتاج النفط العربي عامة ونفط الخليج خاصة ، راجع :

Adelman, M.A: "Oil production Costs in Four Areas," Reprinted From the proceedings of the Council of Economics, February 28 march 1966, P. 114.

السعودية ، حددت مدة تنفيذه بعشر سنوات (١) . وقد حققت السنوات الثمان الأولى لتنفيذه ٦٢ / ٦٣ / ٧٠ / ١٩٧١ / ١٣٨٢ / ١٣٨٣ / ٩٠ / ١٣٩١ هـ ، معدل نمو بلغ نحو ١٠٪ وهو ضعف المعدل المقرر للأقطار النامية الأخرى (٢).

ولعل المقصود هنا بمعدلات النمو حجم الناتج المحلي (الدخل القومي) الذي يرجع أساساً إلى النمو في حجم معدلات الإنتاج بالنسبة لقطاع النفط لا غيره . وبالتالي ارتفاع حجم عوائده المالية ، كما يؤكد ذلك التقرير الذي نشره مركز الأبحاث والتنمية الصناعية في المملكة (٣) . ويؤكد ذلك أيضاً زيادة الأهمية النسبية لقطاع النفط بالنسبة لإجمالي مكونات الدخل القومي في البلاد خلال الفترة ١٣٨٤ / ١٣٨٥ (١٩٦٤ / ١٩٦٥) و ١٣٩١ / ٩٠ هـ (١٩٧٠ / ١٩٧١) من نحو ٦٢٪ إلى ٧٢٪ .. (٤) . وهنا نتساءل أوليس المقصود بالتنمية بعث الحياة في وتائر النمو المختلفة لقطاع الاقتصاد الوطني ؟ فإذا كان كذلك فهل أستطاعت القطاعات الأخرى في اقتصاديات المملكة أن تحدث تغيرات إيجابية هامة مثلاً ؟؟

إن نسبة مساهمة قطاع الزراعة والأحراش وصيد الأسماك من إجمالي الدخل القومي (الوطني) بلغت ١٣٩٠ / ١٣٩١ هـ نحو ٧٪ مقابل ١٢٪ عام ١٣٨٥ / ٨٤ هـ وهي سنة التخطيط الأولى وكما أعتمدها التقرير آنف الذكر . وليس حال قطاع الصناعات التحويلية أفضل مما سبقه . فالأهمية النسبية لصناعة تكرير النفط والصناعات التحويلية الأخرى قد آتست. بالثبات

(١) المملكة العربية السعودية ، مركز الأبحاث والتنمية الصناعية : التركيب الصناعي من الناحيتين الفنية والإقتصادية واحتمالات النمو في المملكة العربية السعودية ، ج ١ (تقرير والتوصيات) محرم / ١٣٩٣ هـ ، شباط ١٩٧٣ ، ص ٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٧

(٤) إن النسب المئوية الواردة في هذا البحث هي جميعاً من حسابات الباحث معتمداً على الأرقام المطلقة الواردة في جدول رقم ١-٣ الوارد بالمصدر التالي :
المملكة العربية السعودية / مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

طيلة الفترة ١٣٨٤ / ١٣٩١ هـ (٩٪ و ٢,٦٪) لكل منهما على الترتيب .
والأبعد من ذلك أن قطاع الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحية قد
انخفضت أهميته النسبية من نحو ١,٧٪ إلى ١,٦٪ خلال الفترة ذاتها .
هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة زيادة تسرب الأموال العربية (مدفوعات
عوامل الدخل إلى الخارج) السعودية إلى الخارج . (للإيداع في البنوك أو
الاستثمارات الأجنبية) خلال الفترة ١٣٨٤ / ١٣٩١ هـ بمعدل يفوق معدلات
نمو الناتج المحلي الإجمالي كما يؤكد ارتفاع الأهمية النسبية لها خلال العام
١٣٩٠ / ١٣٩١ هـ التي بلغت نحو ٣,٧٪ مقابل ٣,٠٪ عما كانت عليه عام ١٣٨٤ هـ
حاصل مانقدهم يعكس بجلاء مدى سيطرة القطاع النفطي وأستمرارية
معدلات نموه على حساب القطاعات الإنتاجية الأخرى التي لم تنل بعد في
اعتقادنا ما تستحقه من عناية تتناسب وأهميتها لاقتصاديات الدولة . وهنا
تكمن الخطورة ، إذ أن قطاع النفط قطاعاً أجنبياً وأن الإسراف في الإعتماد
على موارده قد يجعل اقتصاديات أي قطر اقتصاداً تابعاً ويربط اقتصاديات
ذلك القطر باقتصاديات دول الشركات ذلك . وبمجموع القول أنه يخلق هيكلأ
اقتصادياً متداعياً لا ينشأ اقتصادياً نامياً ومتطوراً .

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

جدول رقم (٤)

نصيب الفرد في الكويت من الخدمات التعليمية والصحية مقارنة (١)
بغيره من دول العالم عام ١٩٦١ ، بالدينار الكويتي .

جنسية الفرد	نصيبه في حقل التعليم	نصيبه في حقل الخدمات الصحية
كويتي	٢٨	٢٦
إيطالي	٨,٢	٧
بريطاني	٢١	١٧
سويدي	١٧,٩	٥,٣
في الأقطار العربية	من ٢ إلى ٢	من ٣ إلى ٤

(١) دولة الكويت : وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الاقتصادية والأحصاء ،
التنمية في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ١٠

جدول رقم (٥) التوزيع القطاعي لجملة الإستثمارات القومية الإجمالية في الخطة الخمسية الأولى ٦٧ / ٦٨ - ٧١ / ١٩٧٢ (١)

الإجمالي		القطاعات القومية			القطاعات الإقتصادية حكومي مشترك خاص
بالنسبة % للمجموع	خلال الخطة				
٧,٧	٧٠,٠	٦٠	١٠,٠	—	نفط وغاز طبيعي
٩,٤	٨٦,٠	٢٦	٣٩,٠	٢,١٠	الصناعة
					الزراعة والثروة
٠,٩	٨,٠	٣	—	٥,٠	الحيوانية
٠,٤	٤,٠	٤	—	—	الثروة السمكية
٧,١	٦٤,٨	—	—	٦٤,٨	الطاقة (كهرباء وغاز)
٧,٩	٧٢,٠	—	—	٧٢,٠	المياه والري
١٦,٧	١٥٢,٢	٥٤	٨,٠	٩٠,٢	النقل والمواصلات
					الإعلام والإرشاد
١,٤	١٣,٠	—	—	١٣,٣٠	الوطني
١,٠	٩,٠	٢	—	٧,٠	البحث والتدريب
٥,٧	٥٢,٠	٢	—	٥٠,٠	الخدمات التعليمية
٢,٠	١٨,٠	١	—	١٧,٠	خدمات اجتماعية ودينية
٣,٦	٣٣,٠	٣	—	٣٠,٠	خدمات صحية
١٩,٤	١٧٧,٠	١٠٠	٢,٠	٧٥,٠	اسكان ومباني عامة
٢,٤	٢٢,٠	١٥	١,٠	٦,٠	تجارة ومال وسياسة
					مرافق عامة وخدمات
٥,٠	٤٦,٠	—	—	٤٦,٠	بلدية
١,١	١٠,٠	—	—	١٠,٠	خدمات أمن وعدل
٨,٢	٧٥,٠	٧٥	—	—	التغيير في المخزون السلمي
جملة الإستثمارات					
% ١٠٠,٠	٩١٢,٠	٣٤٥	٦٠,٠	٥٠٧,٠	القومية الإجمالية

(١) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

اضف إلى ذلك أن أكثر من ثلث إجمالي الناتج المحلي يتجه بعيداً عن الرقعة الجغرافية للدولة ،وعموماً فإن النفط يغذي الميزانية الحكومية بنحو ٩٠٪ من إيراداتها ،بينما لاتساهم الرسوم الكمركية مثلاً سوى بنحو ٣٪ من إجمالي إيرادات المملكة (١).

وعليه ،فإن مثل هذه المؤشرات - على قلتها - تعكس وبوضوح الواقع السلبي للتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية . وهذا وليس من اليسير مناقشة خطة التنمية الحالية (الخطة الاولى المعتمدة في منتصف ١٣٩٠) للمملكة لعدم توفر البيانات والمعلومات الكافية إذ لازالت البلاد تفتقر إلى تعداد سكاني شامل يمكن أن يكون القاعدة الأساسية التي تستند عليها أية تنمية هادفة

٢- الكويت :

اعتمدت الكويت سياسة استثمارية خاصة خلال السنوات ١٩٥١ / ١٩٦٧ م .ويمكن تحديد اتجاهين رئيسيين لها هما :
الاتجاه الأول : التأكيد على تنمية المرافق العامة والقوى البشرية عن طريق رفع المستوى التعليمي والخدمات الصحية .لكذلك خلال الفترة ١٩٦٠/١٩٥٢م كما يظهرها الجدول رقم (٤) .

الاتجاه الثاني : التأكيد على الاستثمارات الانتاجية المباشرة والتوسع في الاستثمارات الأخرى .ومن أجل ذلك فقد قدمت حكومة الكويت لأول مرة -خطة التنمية الخمسية الاولى إلى مجلس الامة للمصادقة عليها عام ١٩٦٧ ، الا أن ذلك لم يتم فعلاً (٢) . غير أن مشروعاتها قد نفذت من خلال الميزانيات . فقد رصد في الخطة المذكورة ٩١٢ مليون دينار تستثمر في القطاعات المختلفة .وقد استأثر القطاع العام بنحو ٥٥.٦٪ وحظي القطاع

-
- (١) المملكة العربية السعودية : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩ .
(٢) للتفاصيل عن التنمية في الكويت انظر : دولة الكويت ، وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الاقتصادية والإحصاء (قسم الإحصاء) : التنمية في دولة الكويت ، ، نيسان ، ١٩٧٣ ، ص ١٠ .

الخاص بنسبة ٣٧٫٨٪، والنسبة الباقية للقطاع المشترك. وقد وزعت الاستثمارات على النحو الذي يظهره الجدول التالي : (جدول رقم ٥)

ومن تحليله يتضح : -

١. أن معظم قطاعات الانتاج لم تحظ بأهمية كبيرة في جدول هذه الخطة، فقطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية لم ينعم سوى بأقل التخصيصات المعتمدة في جدول هذه الخطة. إذ بلغت نسبة مساهمته فيها نحو ١٣٪ من اجماليها فقط. وكذلك بالنسبة للقطاع الصناعي الذي لم تزد نسبة مساهمته من إجمالي التخصيصات عن ٩٤٪. وقد ورد في التقرير الخاص عن التنمية الذي أصدرته دولة الكويت (١) ... « أنه روعي تجنب الطفرة في التصنيع والتدرج في عملية التصنيع بشكل يتوافق مع توافر القوة العاملة المتخصصة والمهارات البشرية ».

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(١) نفس المصدر . ص ٣٤

جدول رقم (٦)

مساهمة القطاعات الاقتصادية في الناتج القومي خلال عام ١٩٧٠/٦٩
(الكويت)

المساهمة بالناتج القومي ١٩٧٠/٦٩

النشاط الاقتصادي

النشاط الاقتصادي	مليون دينار	%
المناجم والمخارج	٥٥٧	٥٦,٦
الخدمات (أ)	١٩٠	١٩,٣
التجارة (ب)	٨٥	٨,٦
التشييد والبناء	٣٩	٤,٠
الصناعة التحويلية	٣٦	٣,٧
الكهرباء والماء والغاز	٣٦	٣,٧
النقل والمواصلات والتخزين	٣٥	٣,٦
الزراعة والصيد	٥	٠,٥
المجموع	٩٨٣	% ١٠٠

(١) نفس المصدر ، ص. ٥٠ .

- (أ) تضم الخدمات الحكومية الإدارية ، الخدمات الاجتماعية ، خدمات الأعمال ، الترفيه والتسليه ، الخدمات الشخصية .
- (ب) تضم تجارة الجملة وألفرد والبنوك والمؤسسات المالية ، التأمين ، العقارات وخدمات المال والتجارة .

ولعل من المفيد أن نتساءل : أوليس بالامكان مضاعفة الأهمية النسبية بالنسبة للقطاع الصناعي ضمن برامج الخطة الخمسية هذه ضمن المعطيات المتاحة حالياً ؟ لاسيما وأن هناك نسبة قد تصل إلى النصف أو تزيد من إجمالي المشتغلين في هذا القطاع هم من غير الكويتيين . ولماذا إذن نؤمن بأحداث طفرة سريعة في نمو قطاع آخر أقل أهمية بالمقارنة الدقيقة (اقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً) مع القطاع الصناعي لعملية التنمية الهادفة : الآ وهو قطاع الاسكان والمباني العامة الذي استأثر بالمرتبة الاولى أي بنحو خمس إجمالي التخصيصات (١٩,٤ ٪) . والسؤال الثالث أوليس من المعقول أن تتناسب معدلات النمو للقطاعات المختلفة ضمن خطة التنمية (وطنياً وقومياً) مع معدلات نمو حجم إيراداتها النفطية ؟

إن التنمية الهادفة في اعتقادنا هي التي تتخذ من قطاعات الانتاج الأساسية الصناعة والزراعة والنقل والخدمات هدفاً أساسياً لها وبحكم توفر المقومات الجغرافية : الطبيعية والبشرية من أجل تغيير معالم الخريطة الحالية نحو الأفضل لتمكن من البقاء والنمو بعد نفاد النفط أو تبدل أهميته النسبية مستقبلاً . (٢) ظفر قطاع النقل والمواصلات بأهمية نسبية معقولة بلغت نحو ١٦,٧ ٪ إذ أن تطوير الموانئ البحرية والجوية والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية تعتبر اموراً حيوية للتنمية .

أما النسبة الباقية فهي لصالح قطاع الخدمات الانتاجية والاجتماعية الأخرى والتي استأثرت جميعاً بنحو ٣٩ ٪ من إجمالي التخصيصات . إن هيكل الخطة الخمسية الاولى هذه لا يتناسب وامكانية الكويت النفطية ولا مع واقع تعداد سكانها حالياً ، وعليه فأنا نرى بأن خطة التنمية الهادفة هي التي تأخذ في ستراتييجيتها الاعتبارات الآتية :

أ - تحقيق وتائر نمو سريعة لقطاعات الاقتصاد الوطني والقومي عامة ويعتمد قطاعات الانتاج الرئيسة هدفاً لها .

ب- تحقيق مبدأ التوازن بين تخصيصات الخطة ومعدلات النمو لآيراداتها بحيث لا تترك فائضاً من الدخرات المالية تودع في البنوك أو للاستثمارات الأجنبية .

ج- الأخذ بعين الاعتبار أن النفط مورد فاني لآمال وأن اسعاره آخذة في التزايد المستمر- كما رأينا - وعليه فان التوجيه الأمثل يقضي بضرورة برجة الانتاج بما يتلائم تماماً مع خطط التنمية وطنياً وقومياً .
والخلاصة ، أن الموارد النفطية لازالت هي السمة المميزة للاقتصاد الكويتي فالنفط يغذي الميزانية الاعتيادية (١٩٧٣/ ١٩٧٢) بنحو ٩٤,٥٪ من إجمالي إيراداتها (١). وهو يساهم بنحو ٥٦,٦٪ من إجمالي الناتج القومي (١٩٧٠/ ٦٩) في حين لانساهم القطاعات الاقتصادية الأخرى سوى بنحو ٣,٧٪ بالنسبة للصناعة وزهاء ٠,٥٪ بالنسبة للقطاع الزراعي كما يؤكد ذلك جدول رقم (٦).

وهذا يعني أن الاقتصاد الوطني واقع تحت رحمة القطاع النفطي وهو قطاع أجنبي حالياً أولاً ، وأن الاقتصاد الكويتي أحادي السلعة ثانياً . وهو تابع لاقتصاديات دول الشركات بالضرورة ثالثاً . من هنا تبرز أهمية الأخذ بأبعاد استراتيجية جديدة للتنمية تكفل تحرير الاقتصاد الوطني من تبعية قطاع النفط .

٣- العراق :

يعتبر عام ١٩٥٠ نقطة التحول الأولى في الاقتصاد العراقي نحو الإنماء . فقد شهد هذا العام ميلاد مجلس الإعمار (٢) . وفي عام ١٩٥٣ ، أنشئت وزارة الإعمار . وقد قدم المجلس إلى الحكومة ثلاثة برامج (خطط للتنمية «الإعمار») . الأول عام ١٩٥١ (للفترة ٥١/ ١٩٥٦) استناداً إلى توصيات

(١) نفس المصدر . ص ٢٠

(٢) الحكومة العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٠ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١

والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٥١

والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢ .

بعثة البنك الأولى للإتحاد والإعمار L: B. R. D' (١) والثاني عام ١٩٥٥
(للفترة ٥٥ / ١٩٥٩) وقد جاء تنفيذاً لتوصيات اللورد سولتر Salter (٢).
أما البرنامج الثالث لفترة (٥٦ / ١٩٦١) . وقد جاء نتيجة لاستكمال دراساتي
سولتر وهيئة آرثر . دي . لتل (٣) Arthunr D. Little

ومن دراسة تلك البرامج يمكن أن نقول إنها أهتمت بدرجة كبيرة بقطاعات
الزراعة والري والنقل والمواصلات والإسكان . ولم ينل القطاع الصناعي
إلا حوالي ١٦٪ بالمتوسط من إجمالي تخصيصات القطاعات المختلفة في البرامج
الثلاثة . ناهيك عن نسبة التنفيذ الفعلي كانت دون ذلك بكثير ، كما سئري
لاحقاً . بالإضافة إلى أن البرنامج الثالث كان أكثر حظاً من سابقيه في تمتعه
بفرص البقاء والتنفيذ . كما أن مشروعات تلك البرامج كانت تنسم بطابع
الحفاظة التامة بالنسبة لكافة المشروعات والتي من شأنها الحفاظ على العلاقات
الإجتماعية والسياسية السائدة ، خاصة في القطاع الزراعي . كما أنها لم
تكن جادة في إقامة صناعات تعتمد على الحماية الكمركية بالإضافة إلى
إهمالها تنمية القوى البشرية .
وعلى الرغم من ذلك ، فإن تلك البرامج قد ساهمت فعلاً في تغيير بيئة العراق
طبيعياً وبشرياً ، سواء بالسيطرة على المياه واستغلالها أو بالنمو العمراني في
مناطق البلاد المختلفة .

أما في ظل سنوات العهد الجمهوري فقد شرع أربعة برامج .
البرنامج الأول: الخطة الاقتصادية المؤقتة (٥٩ / ١٩٦٢) (٤) والثاني : الخطة
الاقتصادية التفصيلية (٦١ / ١٩٦٥) . والثالث الخطة الاقتصادية الخمسية (٦٥)

International Bank of Reconstruction and Development: "The Economic (١)
Development of Iraq" Baltimore 1952 .

(٢) قدم لورد سولتر تقريره في ١٤ نيسان ١٩٥٤ .

لورد سولتر : أعمار العراق (خطة العمل) ، بغداد ١٩٥٦ ص ١٢٢ - ١٣٣

Little, A.D.: "Aplan for Industrial developments in Iraq" Cambridge(r)
Massachusetts May 1956 .

(٤) الوقائع العراقية : رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ (الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثانية ، العدد

٢٨١ ، ٣١ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

والعدد ٤٩٤ : قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثالثة ٧ ذار ١٩٦١ .

جدول رقم (٧)

دراسة مقارنة لتخصيصات السنوية والاستثمارات الفعلية للقطاعات الاقتصادية الرئيسية ضمن برامج

القطاعات	مجموع الفترة ١٩٥٨/٥١	سنوات بعد الثورة
----------	----------------------	------------------

المجموع المتوسط السنوي ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣

الزراعة والري والصرف
واستصلاح الأراضي

التخصيص السنوي	١٤٣,٨	١٧,٩	٢٣,١	٢٩,٦	١٥,٦	٢٠,٢	٤٩,٩
المصرف الفعلي	٧٤,١	٩,٢	١٠,٩	١٠,٨	١١,٩	٦,٣	٤,٥
نسبة ١:٢ بالمائة	٥١,٩	٥١,٩	٤٧,٢	٣٦,٥	٧٦	٣١	٩
الصناعة والتعدين وتوليد الطاقة							

التخصيص السنوي	٦٢,١	٧,٧	٩,٤	٢١,٣	١٢,٥	٢٤,٧	٦٥,١
المصرف الفعلي	٣٠,٩	٣,٨	٤,٩	٥,٧	٧,٢	١٠,٣	٩,٥
نسبة ٢:١ بالمائة	٥٠	٥٠	٥٢,١	٢٦,٨	٥٨	٤٢	١٥
النقل والمواصلات والتخزين							

<http://Archivebeta.Sakhrii>

التخصيص السنوي	١٠٩,١	١٣,٦	٢١,٣	٥٧,١	٢٥,٥	٢٢,٤	٦٢,٤
المصرف الفعلي	٥٥,١	٦,٨	١٣,٧	٨,١	١٤,٢	١٥,٨	١٨,٣
نسبة ١:٢ بالمائة	٥٠,٤	٥٠,٤	٦٤,٤	١٤	٥٦	٤٩	٢٩
المباني والإسكان							

التخصيص السنوي	١٠٣,٥	١٢,٩	٢٩,٨	١٢٦,٧	٤٤,٨	٣٠,٨	٥٧,٦
بالمصرف الفعلي	٣٠,٩	٣,٠,٨	٢٥,١	٢٢,٩	٣٣,٤	٢٦,٤	٢١,٢
نسبة ٢:١ بالمائة	٢٩	٢٩	٨٤,٠	١٨	٧٥	٨٦	٢٧

المجموع العام

لتخصيصات	٤١٨,٥	٥٢,٣	٨٣,٦	٢٣٤,٧	٩٨,٤	٩٨,١	٢٣٥,٠
المجموع العام للمعروفات							
الفعلية	١٩١,٠	٢٣,٩	٥٤,٦	٤٧,٥	٦٦,٧	٥٨,٨	٥٣,٥
نسبة ٢:١ بالمائة	٤٥,٧	٤٥,٧	٦٥	٢٠	٦٨	٥٩	٢٣

أخذت أرقام ١٩٥٢/٥١ إلى ١٩٦٧/٦٦ عن : مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة الأولى
استحلت - مع المقارنة - بقية الأرقام عن : وزارة التخطيط : تقسيم النمو الاقتصادي في العراق

التنبؤ في المراق للسنوات ١٩٦٩/٥١ (بملايين الدنانير) (١).

١٩٦٩/٥١		١٩٦٩/٥٩		١٩٦٩		١٩٦٩		١٩٦٩		١٩٦٩	
الاجمالي العام	بمجموع فترة بعد الثورة	١٩٦٩/٥١	١٩٦٩/٥٩	المجموع	المتوسط	المجموع	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط
١٩٦٩/٥١	١٩٦٩/٥٩	١٩٦٩/٥١	١٩٦٩/٥٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩
١٩٦٩/٥١	١٩٦٩/٥٩	١٩٦٩/٥١	١٩٦٩/٥٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩	١٩٦٩

٢٣,٨	٤٥٣,٤	٢٨٨	٣٠٩,٦	٢٢,٠	٤٠,٠	٢٩,٧	٢٩,٦	٢٥,٢	٢٤,٧
٩,٤	١١٩,٠	٩,٥	١٠٤,٩	١٦,٦	١٤,٨	١٠,٤	٦,٨	٥,٢	٦,٧
٣٩,٥	٣٩,٥	٣٣,٧	٣٣,٧	٧٥,٥	٣٧	٣٥	٢١	٢١	٢٧

٢١,٦	٤١٣,١	٣١,٩	٣٥١,٠	٢١,٠	٣٩,٥	٣٩,٨	٤٢,٦	٣٢,١	٤٢,٠
٩,٠	١٧١,٩	١٢,٨	١٤١,٠	١٩,٠	١٣,٤	٢٢,٧	١٨,٩	١٢,٩	١٦,٥
٤١,٦	٤١,٦	٤٠,٦	٤٠,٦	٩٠,٥	٣٢,٩	٥٨,٥	٤٤	٤٠	٣٨

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٢٢,٥	٤٢٩,٦	٢٩,١	٣٢٠,٥	١٢,٠	٢٠,٧	٢١,٠	٢٣,٦	٢٦,٦	٢٧,٩
١٠,٧	٢٠٤,٤	١٣,٦	١٤٩,٣	١١,٦	١٢,٤	١٤,٨	١٢,٠	٩,٥	١٨,٩
٤٧,٧	٤٧,٥	٤٦,٥	٤٦,٥	٩٦,٧	٥٩,٩	٧٠,٥	٥١	٣٦	٦٨

٢٩,٧	٥٦٥,٣	٤٢,٠	٤٦١,٨	٣٠,٩	٣٠,٠	٣٢,٢	٢٣,١	٣٠,٧	٢٥,٢
١٥,٩	٣٠٣,٢	٢٤,٨	٢٧٢,٣	٢٦,٧	٢٤,٨	٢١,٤	٩,٤	١٢,٤	١٤,٥
٥٣,٥	٥٣,٩	٥٩	٥٩	٨٦,٤	٨٢,٧	٦٩,٥	٤١	٤٠	٥٨

٩٧,٩	١٨٦١,٤	١٣١,١	١٤٤٢,٩	٨٥,٩	١٣٠,٢	١٢٢,٧	١١٨,٩	١١٤,٦	١٢٠,٨
٤٥,١	٨٥٨,٥	٦٠,٧	٦٦٧,٥	٧٣,٩	٦٥,٤	٦٩,٣	٤٧,١	٤٠,٠	٥٦,٦
٤٦,٣	٤٦,١	٤٦,٢	٤٦,٢	٨٦	٥٠	٥٧	٤٠	٣٥	٤٧

مايس ١٩٦٨ ، بئساد من ٣٨-٣٩.

١٩٧٠/٥ ، ج١ ، الملحق الاحصائي رقم ٣ و ٤ .

(١٩٦٩) (١) والرابع : خطة التنمية القومية (١٩٧٤/٧٠) (٢) .
ومن دراسة تلك الخطط يتضح أن فترة التخطيط في العهد الجمهوري قد اتسمت خلال السنوات العشر الاولى بعدم الاستقرار نتيجة للاوضاع السياسية والاقتصادية التي عمت البلاد . والملاحظ أن قطاع الاسكان قد حظي بالمرتبة الاولى في فائحة هذا العهد . بالرغم من كونه قطاعاً استهلاكياً ، لكن مالبث القطاع الصناعي أن احتل تلك المرتبة في ظل الخطة التفصيلية والخمسية غير أن القطاع الزراعي استأثر بالمرتبة الاولى في ظل خطة التنمية القومية حتى يسهم في احداث ثورة زراعية هادفة في البلاد . إن اهتمام هذه الخطة بتنمية القطاع الزراعي يتماشى مع منطلقات نظرية النمو (٣) فالتنمية الزراعية في أقاليم الجهات الخافتة وشبه الخافتة تتطلب السيطرة الكاملة على مياه الأنهار لتنظيم ري محكم وهذا يتطلب مزيداً من الاتفاق على البنيان الأساسي للإنتاج الذي سوف تتأخر مردوداته الاقتصادية وهذا يتماشى مع وفرة العوائد النفطية حالياً .

ولما كان ما تقدم غير كاف لتوضيح أبعاد الصورة العامة للتنمية في العراق ، فإن دراسة نسب التنفيذ الفعلي (المخصص و المصروف فعلاً) يمكن أن يحقق هذا الهدف . هذا ما سنتصلى لدراسته في القسم الثاني من هذا البحث

(١) : الوقائع العراقية رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ : قانون الخطة الاقتصادية الخمسية للسنوات ١٩٦٩/٦٥ ، العدد ١١٣ ، السنة السابعة ١ تموز ١٩٦٥ .

(٢) الوقائع العراقية : رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٤ / ٧٠ ، العدد ١٨٦٢ ، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠ .

(٣) ايكون كيميش : النفط كصدر مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية : الندوة العلمية العالمية (النفط كسلح) ابحاث الندوة ٢١٠ المجلس الوطني للعلم والتفان ، بغداد تشرين الثاني ١٩٧٢ م ص ٢٠ .

« القسم الثاني »

يحاول هذا القسم الإجابة عن التساؤلات التالية : لماذا لاتتخذ دول الخليج العربي من النفط عوائداً ودخولاً - أداة للتغيير الأفضل والمرتبب للخريلة العربية بأسرها ، طالما أن وجوده صدقة جيولوجية وإقتصادية ليس إلا وإن موارده قابلة للنضوب ؟ ؟ وإذا كانت بعض دول الخليج كالعراق قد آمنت فعلاً بهذا الحتم الجغرافي لواقع النفط متخذة منه أداة التمويل الأولى لخطط التنمية الاقتصادية المختلفة الحالية والمستقبلية ، فما هي الخطوات التي قطعنها في هذا المجال ؟ وهل بالإمكان أخذ تجربة العراق كنموذج يؤخذ به لدعم اقتصاديات دول هذه المنطقة ؟

إن الدراسة التالية تنصدي للإجابة عن مثل هذه التساؤلات وعليه فإنها تحاول دراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الاقتصادية المختلفة خلال الفترة ١٩٧٤/٥١ ، من خلال تحليل احصائي مقارنة للمخصص والمصرف فعلاً لبرامج التنمية لتحديد اتجاه استغلال عوائد النفط وتبيان مدى امكانية أخذ أقطار الخليج بسرائيحية خطة التنمية القومية للعراق
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
ولتحقيق هذا الهدف لابد من تحليل جدول رقم (٧) ومنه نستنتج :

١. بلغ المجموع العام للتخصيصات الاستثمارية - خلال هذه الفترة - نحو ٤ ١٨٦١ مليون دينار استثمر منها فعلاً نحو ٥ ٨٥٨ مليون دينار ، أي حوالي ١ ٤٦٪ . فقط . ظفرت السنوات الثمان قبل الثورة بنحو ٥ ٤١٨ مليون ديناراً من اجمالي تخصيصاتها في حين هبطت مصروفاتها الفعلية إلى نحو ١٩١ مليون ديناراً أي زهاء ٧ ٤٥٪ من اجمالي تخصيصاتها . بيد أن نسبة التنفيذ الفعلي هذه قد ارتفعت خلال سنوات بعد الثورة ، ولكن ببطء شديد جداً حتى بلغت نحو ٢ ٤٦٪ بالرغم من أن متوسط السنوي للمصروفات الفعلية لسنوات ما بعد الثورة (١٩٥٨) قد بلغ مرتين

ونصف تقريباً مما كان عليه خلال سنوات قبل الثورة. وذلك يرجع أساساً إلى تزايد المخصص السنوي أيضاً بنسبة مشابهة تقريباً. وعموماً فإن المتوسط السنوي لنسبة التنفيذ الفعلي العام خلال هذه الفترة لم يتجاوز ٤٦٣٪ أي أن هذا المعدل قد نما ببطء شديد خلال فترة العهد الجمهوري وإن كان هناك هبوط ملحوظ للسنوات ٦٠ / ٦٣ / ١٩٦٥ .

ويوضح ذلك أن أكثر من نصف تخصيصات مشروعات التنمية لم تنفذ، وقد عجزت عن تحقيق أهدافها المرسومة . ولإنها استنفذت في مجالات الإنفاق الاستهلاكي للدولة . وهذا ينطبق بدرجة كبيرة على السنوات العشر ٥٨ / ١٩٦٨ . نتيجة للأحداث السياسية والأزمات التي أحاطت بالبلاد .

٢. إستائر القطاع الزراعي بالمرتبة الأولى ببرامج التنمية قبل الثورة تخصيصاً واستثماراً . إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ٢٤٣٨ مليون ديناراً صرف منها نحو ١٧٤ مليون ديناراً . أي أكثر من نصفها تقريباً (٩٠٪) . ساهم هذا القطاع بنحو ٣٤٪ و ٣٨٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات هذه الفترة (٥١ / ١٩٥٨) على التوالي . إن ارتفاع نسبة المصروفات الفعلية يعكس الاهتمام الشديد لمجلس الإعمار بتنمية قطاع الزراعة في العراق لما يتفق وتوصيات الخبراء الأجانب آنذاك .

أما في سنوات بعد الثورة فإن قطاع الاسكان قد قفز ليحتل هذه المرتبة إذ بلغت تخصيصاته نحو ٤٦١٨ مليون ديناراً ، صرف منها نحو ٢٧٢٣ مليون دينار أي زهاء ٥٩٪ منها . إن نصيب هذا القطاع قد بلغ نحو ٣٢٪ و ٤٠٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات مناهج الاستثمار في هذه الفترة (٥٩ / ١٩٦٩) على التوالي مما يدل على عناية العهد الجمهوري بهذا القطاع كما تؤكدتها نسبة التنفيذ الفعلي . أن العناية بتنمية هذا القطاع في بلد متخلف اقتصادياً كالعراق - آنذاك - لا يعني إلا تبديداً لموارده الاقتصادية في

مشروعات عقبة - خاصة خلال الفترة ١٩٦٣/٥٩ - يمكن أن نطلق عليها مشروعات أسرّضاء الجماهير أو مشروعات السمعة كما تسمى مما دفع بالخطلة الاقتصادية الخمسية ١٩٦٩/٦٥ إلى تقليص نصيب هذا القطاع .

٣. ساهم قطاع النقل بالمرتبة الثانية قبل الثورة . إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ١٠٩,١ مليون دينار صرف منها فعلاً نحو ٥٥,١ مليون ديناراً، أي نصفها تقريباً . حظي هذا القطاع بنحو ٢٥٪ و ٢٨٪ من إجمالي التخصيصات والمصروفات الفعلية لهذه الفترة . إن تنمية هذا القطاع كان أمراً ضرورياً وملازماً لتنمية القطاع الأول الزراعة والري لاسيما في المنطقة الشمالية من البلاد .

واصل العهد الجمهوري الاهتمام بهذا القطاع ، وإن كان بدرجة أقل نسبياً ، مما يمكن وضعه بالمرتبة الثالثة بين القطاعات الأخرى . فقد بلغ إجمالي المصروفات الفعلية نحو ١٤٩,٣ مليون ديناراً أي نحو ثلاثة أمثال مصروفات سنوات قبل الثورة .

٤. سيطر القطاع الصناعي على المرتبة الثانية بين برامج التنمية بعد الثورة . إذ بلغت إجمالي تخصيصاته نحو ٣٥١ مليون ديناراً صرف منها فعلاً نحو ٤٠٪ أي أنه حظي بحوالي ٢٤٪ و ٢١٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات كافة القطاعات الاقتصادية في العراق خلال هذه الفترة في حين لم يكن يحظى سوى بحوالي ١٤٪ و ٢٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات مجلس الإعمار (قبل الثورة) على التوالي . وهذا يدل على مكانة القطاع الصناعي في برامج التنمية بعد الثورة . ويؤكد ذلك ارتفاع المتوسط السنوي للمصروفات الفعلية له التي بلغت حوالي ١٢,٨ مليون دينار بعد الثورة ، مقابل ٣,٨ مليون دينار قبل الثورة أي نحو أكثر من ثلاثة أمثالها تقريباً وهي بذلك تشكل أعلى المتوسطات في هذا المجال بعد قطاع الإسكان . ومع ذلك ، فإن نسبة التنفيذ الفعلي لهذا القطاع

بعد الثورة (٤٠,١٪) كانت أقل بكثير مما كانت عليه قبل الثورة «٥٠٪» إن هذه الظاهرة تفتقر بطبيعة الظروف السياسية والإقتصادية التي آكتنفت البلاد بعد الثورة .

٥. يذيل قطاع الزراعة قائمة برامج التنمية في سنوات بعد الثورة إذ بلغت نسبة مساهمته نحو ٢١٪ و ١٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات هذه للفترة على التوالي ، إن هبوط نسبة مصروفاته الفعلية من الإجمالي العام يدل على قلة الإهتمام به ويؤكد ذلك المتوسط السنوي للمصروف الفعلي الذي بلغ نحو ٩,٥ مليون دينار طيلة الفترة ١٩٦٩/٥١ على الرغم من زيادة تخصيصاته خلال الفترة ١٩٦٩/٥٩ عما يقابلها (٢٨,١٪ و ١٧,٩٪ قبل الثورة وبعدها على التوالي) . فلا غرابة إذن أن يتدهور نصيب هذا القطاع من إجمالي الدخل القومي العراقي ، والحقيقة إن ما أنجز من مشروعات في هذا المجال يفوق منجزات السنوات التالية مما يحتم ضرورة الإهتمام بهذا القطاع والعمل على رفع معدلات نموه بشكل يتناسب على الأقل وأحتياجات القطر . وبالفعل فإن حكومة الثورة قد أولت أهتماماً بالغاً بهذا القطاع في خطة التنمية القومية .

٦. إن مقارنة المتوسط السنوي للإجمالي العام المخصص والمصروف الفعلي يظهر بوضوح العناية الكبيرة التي حظي بها قطاعاً الاسكان والنقل في برامج التنمية في العراق خلال الفترة ١٩٦٩/٥١ . على التقيض من قطاعي الصناعة والزراعة، بالرغم من أهمية الأخيرين في تنمية الاقتصاد الوطني وما يمكن أن ينجم عنه من تغيرات أفضل في توزيع السكان وأنماط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية المختلفة فلم يتجاوز المتوسط السنوي للمصروف الفعلي تسعة ملايين دينار و ٩,٤ مليون ديناراً لكل من الصناعة والزراعة على التوالي ، مقابل ١٥,٩ و ١٠,٧ مليون دينار لكل من الاسكان والنقل على التوالي . مما يؤكد مرة أخرى ضرورة الإهتمام بهذين القطاعين لتنمية البلاد .

وأخيراً فإن انخفاض نسب التنفيذ الفعلي لبرامج التنمية إلى أقل من النصف بقليل يعني تبديد إيرادات تلك البرامج بنفس النسبة تقريباً . وإذا كانت عوائد النفط قد أمدت برامج التنمية بنحو ١٠٨٥,٩ مليون ديناراً طيلة الفترة ١٩٧٠/٥١ أي نحو ٨٩,٨٪ من إيراداتها ، فإن هذا يعني أن نصف هذه العائدات تقريباً قد انحرف عن مجالات استثماراته المرسومة ليمتصه الاتفاق الاستهلاكي الحكومي . أما النصف الآخر فقد استهلك في تنمية قطاعات الإسكان والنقل أولاً والزراعة والصناعة ثانياً . إن هذه الصورة لا بد أن تكون مرآة لعدة مشكلات أعاق نمو الاقتصاد الوطني ، يمكن إجمالها بما يلي : -

أ. إهمال تنمية الموارد البشرية : فهي لم تستهدف تنمية الموارد والقدرات البشرية المتاحة . فلم تكن بتوسيع قاعدة العمل الوطني . أن أي تخطيط هادف يجب أن يبنى على الكادر البشري اللازم لإدارة .. مشروعاته على الأقل على الأقل جنباً إلى جنب مع مشروعاته الأخرى . أي أن واقع برامج التنمية في العراق يظهر تناقضاً كبيراً بين مجموع استثماراتها وبين فرص العمالة التي ستتيحها . أي أن تلك البرامج أخذت بمبدأ زيادة حجم الكفاءة الانتاجية عند أقصى حدودها ، وتعتبرها الهدف الأساسي ، فمشروعاتها غالباً ما تعتمد على التقدم التكنولوجي إلى حد بعيد . فهي تتطلب مبالغ كبيرة من رؤوس الأموال ولم يراعى فيها تكثيف الانتاج بشكل يقتصد في استخدام العمال وبتوسيع في استخدام العمال (١) Labour Intensive poticy . وهذا يرجع غالباً إلى الاختيار العشوائي لمشروعات التنمية المختلفة وكانت محصلة ذلك شيوع ظاهرة البطالة بشتى أنواعها : الدائمة والموسمية والمفتتعة ، وحتى بطالة المثقفين . كل ذلك يقترن بسوء تخطيط وتنفيذ برامج التنمية عامة . غير أن خطة التنمية القوية ٧٠ / ١٩٧٤

(1) Wrigley E.A. Industrial Growth and population change Cambridge 1962 p.56.

استطاعت أن تكبح جماح العديد من المظاهر السلبية هذه كما يشهد بذلك قرارات ٧ شباط عام ١٩٧٤ التاريخية التي امتصت كافة العمل العاطل المتاح بما هيأته له من فرص استخدام جديدة ومتطورة نتيجة تنفيذ مشروعاتها المختلفة .

ب. ضعف الأجهزة الادارية والحكومية : إن أجهزة الدولة المسؤولة عن تخطيط وتنفيذ تلك البرامج تعاني من النقص الكثير في الاختصاصات الفنية والاقتصادية وغيرها مع وجود تضخم مناقض في أجهزتها في عدد الموظفين حالياً . لذا يبدو من الضروري التنسيق بين برامج التنمية ومشروعاتها وسياسة لتعليم العالي في البلاد ، وفعلاً فإن خطة التنمية القومية أخذت في ستراتيجيتها مسألة تنمية الخبرات الفنية والكفاءات الفنية والكفاءات العلمية بجدية كبيرة كما يؤكد ذلك ارتفاع عدد طلبة البعثات الدراسية العليا في السنوات الأربع وتشريع قانون رعاية أصحاب الكفاءات العراقيين والعرب رقم ١٥٤ لسنة ١٩٧٤ .

ج. نقص البيانات الإحصائية وعدم كفاءة أجهزة الإحصاء : إن البيانات الإحصائية الدقيقة والمتنوعة هي الوسيلة الأساسية لبلوغ أعلى درجات النجاح في التخطيط وإذا كانت الإحصاءات في العراق تعاني من النقص وعدم الدقة الشيء الكثير فلا غرابة إذن أن تعجز برامج التنمية عن تحقيق أهدافها المرجوة .

د. عدم وجود تنسيق بين السياسة المالية (الميزانية الإعتيادية) والسياسة الإعمارية (الميزانية الإستثمارية للدولة) : فالميزانية الإعتيادية يجب أن تكون جزء من الخطة غير أن واقع الحال عكس ذلك إذ أصبحت الأخيرة تابعة للأولى ، ومتأثرة بها (١) . والملاحظ أن الدولة عمدت إلى تخصيص جميع عوائد النفط للميزانية الإستثمارية قبل عام ١٩٥١ لكنها خفضتها إلى نحو ٧٠٪ إلى ٥٠٪ عامي ٥٢=٥٩ على التوالي . أما النسبة

(١) الدكتور جواد محمود هاشم : تخطيط الاقتصاد القومي في العراق ، ص ٤١ .

الباقية فننصب في مجالات الإنفاق الإستهلاكي للدولة الذي أخذ ينمو بشكل يفوق نمو الدخل القومي للبلاد .

والآن إذا كانت خطة التنمية القومية ١٩٧٤/٧٠ قد أخذت على عاتقها مهمة إحداث تنمية هادفة في القطر من خلال ستراتيجية معينة تهدف - فيما تهدف إليه - معالجة المشكلات آتفة الذكر وغيرها فهل حققت هذه الخطة نجاحاً في مهمتها ؟؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستلزم دراسة المخصص والمصروف فعلاً ونسب التنفيذ إلا أن الصعوبة هنا هو عدم توفر كافة البيانات التي تعين الباحث في هذا المجال . ومع ذلك فبالإمكان تحليل الجدول رقم (٨) ومنه نستنتج :-

أ. إن نسبة التنفيذ لقطاعات الخطة مجتمعة قد تضاعفت خلال العام ٦٩ / ١٩٧٠ عما كانت عليه عام ٦٨ / ١٩٦٩ . وقد حققت خطة التنمية القومية في عامها الأول إنجازات هامة . فقد بلغت نسبة التنفيذ لتخصيصات قطاعاتها المختلفة مجتمعة نحو ضعف (٩١,٥٪) ماحققته الخطة السابقة (٤٥٪) ٦٥ / ١٩٦٩ .

ب. تضاعفت نسب التنفيذ للقطاعات النوعية المختلفة في شل الخطة القومية، (٦٩ / ١٩٧٠) . فقد بلغت نسب التنفيذ للقطاع الزراعي نحو ٧٩,٥٪ مقابل ٤٧,٨٪ والخدمات ٧٨,٧٪ مقابل ٥٤,٩٪ . ولعل ارتفاع نسبة التنفيذ الفعلي للقطاع الزراعي يأتي هنا تأكيداً لما ذهبنا إليه سابقاً من أن الخطة القومية اعترمت خلق ثورة زراعية في البلاد . كما يدل على ذلك أيضاً ارتفاع الأهمية النسبية لهذا القطاع مقارنة مع قطاعات الإنتاج الأخرى .

هذا بالإضافة إلى أن هناك مؤشرات أخرى يمكن الاستدلال بها على أن هذه الخطة كانت أفضل مما تقدمها تخطيطاً وتخصيصاً وتنفيذاً

Copyright © 2006 John Wiley & Sons, Ltd.

1990/1	1990/2	1990/3	1990/4	1990/5	1990/6	1990/7	1990/8	1990/9	1990/10	1990/11	1990/12
1991/1	1991/2	1991/3	1991/4	1991/5	1991/6	1991/7	1991/8	1991/9	1991/10	1991/11	1991/12
1992/1	1992/2	1992/3	1992/4	1992/5	1992/6	1992/7	1992/8	1992/9	1992/10	1992/11	1992/12
1993/1	1993/2	1993/3	1993/4	1993/5	1993/6	1993/7	1993/8	1993/9	1993/10	1993/11	1993/12
1994/1	1994/2	1994/3	1994/4	1994/5	1994/6	1994/7	1994/8	1994/9	1994/10	1994/11	1994/12
1995/1	1995/2	1995/3	1995/4	1995/5	1995/6	1995/7	1995/8	1995/9	1995/10	1995/11	1995/12
1996/1	1996/2	1996/3	1996/4	1996/5	1996/6	1996/7	1996/8	1996/9	1996/10	1996/11	1996/12
1997/1	1997/2	1997/3	1997/4	1997/5	1997/6	1997/7	1997/8	1997/9	1997/10	1997/11	1997/12
1998/1	1998/2	1998/3	1998/4	1998/5	1998/6	1998/7	1998/8	1998/9	1998/10	1998/11	1998/12
1999/1	1999/2	1999/3	1999/4	1999/5	1999/6	1999/7	1999/8	1999/9	1999/10	1999/11	1999/12
2000/1	2000/2	2000/3	2000/4	2000/5	2000/6	2000/7	2000/8	2000/9	2000/10	2000/11	2000/12
2001/1	2001/2	2001/3	2001/4	2001/5	2001/6	2001/7	2001/8	2001/9	2001/10	2001/11	2001/12
2002/1	2002/2	2002/3	2002/4	2002/5	2002/6	2002/7	2002/8	2002/9	2002/10	2002/11	2002/12
2003/1	2003/2	2003/3	2003/4	2003/5	2003/6	2003/7	2003/8	2003/9	2003/10	2003/11	2003/12
2004/1	2004/2	2004/3	2004/4	2004/5	2004/6	2004/7	2004/8	2004/9	2004/10	2004/11	2004/12
2005/1	2005/2	2005/3	2005/4	2005/5	2005/6	2005/7	2005/8	2005/9	2005/10	2005/11	2005/12
2006/1	2006/2	2006/3	2006/4	2006/5	2006/6	2006/7	2006/8	2006/9	2006/10	2006/11	2006/12
2007/1	2007/2	2007/3	2007/4	2007/5	2007/6	2007/7	2007/8	2007/9	2007/10	2007/11	2007/12
2008/1	2008/2	2008/3	2008/4	2008/5	2008/6	2008/7	2008/8	2008/9	2008/10	2008/11	2008/12
2009/1	2009/2	2009/3	2009/4	2009/5	2009/6	2009/7	2009/8	2009/9	2009/10	2009/11	2009/12
2010/1	2010/2	2010/3	2010/4	2010/5	2010/6	2010/7	2010/8	2010/9	2010/10	2010/11	2010/12
2011/1	2011/2	2011/3	2011/4	2011/5	2011/6	2011/7	2011/8	2011/9	2011/10	2011/11	2011/12
2012/1	2012/2	2012/3	2012/4	2012/5	2012/6	2012/7	2012/8	2012/9	2012/10	2012/11	2012/12
2013/1	2013/2	2013/3	2013/4	2013/5	2013/6	2013/7	2013/8	2013/9	2013/10	2013/11	2013/12
2014/1	2014/2	2014/3	2014/4	2014/5	2014/6	2014/7	2014/8	2014/9	2014/10	2014/11	2014/12
2015/1	2015/2	2015/3	2015/4	2015/5	2015/6	2015/7	2015/8	2015/9	2015/10	2015/11	2015/12
2016/1	2016/2	2016/3	2016/4	2016/5	2016/6	2016/7	2016/8	2016/9	2016/10	2016/11	2016/12

[illegible]

وقد حققت إنجازات كبيرة ومتنوعة ، مما يوحي بالقول إن ما رسم لها من أهداف - سنأتي لتحديد لها لاحقاً - قد تحققت فعلاً .

فبظلتها صدر القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ : قانون تأميم شركة نفط العراق المحدودة ثم أعقبه قوانين أخرى ذات علاقة كالقانون رقم (٢٨) لسنة ١٩٧٣ ثم القوانين الخاصة بتأميم حصة الشركات الأمريكية والمولندية والبرتغالية (كولينيكيان) من أسهم شركة نفط البصرة . ثم صدور قرارات ٧ شباط ١٩٧٤ التي أتاحت فرص العمل أمام جميع المتعطلين من المثقفين وغيرهم ورفع المستوى المعاشي للجماهير وتخفيض أسعار بعض السلع الاستهلاكية الأساسية وبعض الضرائب وغيرها . ولعل النقاط التالية تمثل الأبعاد الإستراتيجية لخطة التنمية القومية :- (١)

١. دعم الإقتصاد القومي عن طريق تنمية قوى الإنتاج وتقديم أنتاجية العمل واستخدام كل إمكانيات التكنولوجيا الحديث .
٢. التوسع في الإستثمار المادي والبشري .
٣. الربط بين سياسي الإستثمار والإدخار بحيث يكون التركيز على توفير المدخرات الوطنية حتى يمكن الإعتماد عليها في عملية التمويل الذاتي للتنمية .
٤. الإرتفاع بمستوى معيشة المواطنين عن طريق الربط بين سياسة الإستهلاك ومتطلبات التنمية .
٥. إحداث توعية جماهيرية هادفة عن التنمية وضرورتها حتى يمكن للجميع المساهمة الإيجابية في تحقيق الأهداف المنشودة .
٦. اعتماد مبدأ النمو المتوازن في تخطيط التنمية مما يستلزم استغلال الموارد الزراعية والتعدينية استغلالاً أمثل بالإضافة إلى تنمية الصناعات المختلفة بما يكفل تحقيق اقتصاد متنوع ومتطور .

(١) الوقائع العراقية : العدد ١٨٦٢ ، ص ص ١٢٥ - ١٢٦

٧. توسيع قاعدة التصدير وتنوع هيكل الصادرات الوطنية .
٨. تحديد أهداف الإنتاج والإستيراد على النحو الذي يحقق تحسين كمي ونوعي لحياة الجماهير .
٩. الأخذ بمبدأ التركيز والتكامل في المشروعات المختلفة .
١٠. العمل على خلق المناخ الملائم للتنمية القطرية والقومية والعالمية .
١١. دعم القطاع الخاص بما يتلائم والإمكانات التي يمكن أن يؤدي دوره في عملية التنمية .

«التائج والتوصيات»

نستخلص مما تقدم :

١. إن منطقة الخليج العربي تزخر بإمكانات جيولوجية وجغرافية كما يؤكددها جدول رقم (٩) . فهي تحظى بنحو نصف إجمالي الإحتياطي المؤكد للنفط في العالم ، وتسهم بنحو ربع إجمالي إنتاجه السنوي . بالإضافة إلى غناها برواسب تعدينية أخرى . كما أنها تضم نحو مليون كيلو متر مربع من الأراضي الصالحة للزراعة (المروج والمراعي) . صحيح أن عشرها فقط مما يمكن : إخضاعه لأنماط الزراعة العلمية الحديثة بالسيطرة على المياه السطحية (العراق فقط) وإخضاعها للنظام الرأسي والأفقي في عمليات الإنتاج ، إلا أن باقي المناطق يمكن الإنتفاع منها بتوسيع عمليات أستغلال مياها الجوفية .
- أضف إلى ما تقدم ، فإن منطقة الخليج تضم نحو ٨٠٪ من الفواض المالية لإجمالي الوطن العربي . إن المؤشرات الثلاثة أعلاه تتيح الفرصة أمام هذه المنطقة باعتماد إستراتيجية تنموية عربية هادفة تحقق للخريطة العربية طموحاتها . إن الدعوة لاعتماد مثل هذه الإستراتيجية تنسجم تماماً مع الإمكانيات البشرية المحدودة لهذه المنطقة بالإضافة إلى ضرورتها القومية والإنسانية .

جداول رقم (٩)

توزيع موالد الدولة بين دول الخليج العربي

دول الخليج العربي	إجمالي النصف الذكوري	إجمالي النصف الأنثوي	الساحة الأراضي الصالحة للزراعة (١)	عدد السكان	معدل الزيادة للسكان
العربي	١٩٧٢ مليون	١٩٧٢ مليون	كم	كم	ألف نسمة ٧٢/٧٢ ٦٩/٦٠ بليون دولار
السعودية	١٨,٧	١٨,٧	٢,١٤٩,٠٠٠	٨٠٤,٦٢٠	٧,٢٣٥ ١,٧
البحرين	٠,٧	٠,٧	٥٨٩	٢١٢	٢,٩
قطر	٠,٧	٠,٧	٢,٨٨٥	٧٥	٤
الإمارات	٢,٢	٢,٢	٨٣,٩٠٠	٢٠٥	٦,٩
إجمالي دول الخليج (٢)	٢٨,٩	٢٨,٩			٣٥

(١) فقط العرب : العدد الثاني عشر ، السنة السادسة ، سبتمبر ١٩٧٢ ، ص ١٦ .

(٢) فقط العرب : العدد الثاني ، السنة العاشرة ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ١١ .

ثم قارن مع فقط العرب ، أكتوبر ١٩٧٤ ، ص ٩ .

(٣) بلغت إجمالي اللخوات (القوافض) للآلة العربية نحو ٤٤ مليون دينار .

٢. على الرغم من أن عوائد النفط لدول الخليج قد بلغت حتى نهاية عام ١٩٧٣ نحو أكثر من ٨١ بليون دولار إلا أن ما أنفق منها في المجالات الإستثمارية كان محدوداً كما كشفت الدراسة عن ذلك. فلم تزد نسبة النفقات الإستثمارية عن ٥٠٪ في العراق خلال السنوات ١٩٦٩/٥١ و ٣٨٪ في الكويت والسعودية خلال النصف الثاني من ستينات هذا القرن. (١) هذا ناهيك عن التخصيصات القطاعية المختلفة التي تمثلت في ألقطاعات الإستهلاكية والإستملكات والقروض الأجنبية كما هو الحال بالنسبة للمملكة السعودية والكويت .

أي سوء تخطيط وأستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج. فهي لم توجه الوجهة السليمة وكما ينبغي لتنمية اقتصاديات تلك الأقطار وإعمارها ، وإنما صرفت في مجالات أستهلاكية متعددة (الإنفاق الإستهلاكي الحكومي) إلى جانب أستنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية أو لأغراض أخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من فوائض العوائد قد أودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في أقيامها (١٩٧٣/٦٧) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف. فقد خفض الباون الإسترليني عام ١٩٦٧ بنسبة ١٤,٣٪ كما خفض الدولار مرتين أولاًهما عام ١٩٧١ و ثانيتهما عام ١٩٧٣ بنسبة ٧,٦٪ و ١٠٪ على التوالي .

إن الهبوط المستمر لأسعار العملات العالمية: الباون الإسترليني والدولار الأمريكي ماهو إلا محاولات جديدة للسيطرة على عوائد نفط دول الإنتاج ثانية .

ولعل المنطق يُملي على دول الإنتاج هذه مسؤولية برجة إنتاجها وتخطيطه بما يتفق وأهداف خططها التنموية ، لا أن تُسرف في أستنزاف

(١) المجلس الوطني للسلم والتضامن : الندوة العلمية العالمية للنفط من أبحاث الحلقة ١٠ ص ٢

مواردها النفطية وتحويلها إلى عملات أجنبية تودع في مصارف دول الشركات وما يمكن أن يصيبها من أضرار مادية ملموسة ومستمرة . فالجدير بها أن تبرمج إنتاجها بما يتلاءم وأهداف خططها التنموية . فالنفط الحبيس في مكانه يمكن أن يحقق مزيداً من المدخرات المالية نتيجة لزيادة الأسعار فخلال عام ١٩٧٤ زادت أسعار النفط أربع مرات . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن دول الخليج لاستهلاك من إنتاجها سوى أربعة بالمائة ٤٪ فقط في حين تصدر النسبة العظمى الباقية خاماً . وهنا تكمن خسارة أخرى كبيرة لهذه الدول . إذ أن ما يضيفه طن واحد من النفط الخام من دخل لدول الخليج لا يعادل سوى ثمن ما يمكن أن يضيفه لاقتصاديات دول أوروبا الغربية بعد تصنيعه (١) . لما يمكن أن يقدم من فرص التشغيل والقيم المضافة الناجمة عن التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع والاستهلاك وغيرها . وهنا تبرز مسألة جوهرية أخرى وهي ضرورة الإسراع بمشروعات الصناعات البتروكيمياوية المزمع إنشاؤها وتخطيط غيرها من خلال استراتيجية تنمية عربية موحدة . حتى يمكن تبييد ضباب المستقبل الذي خلفه العمر المنتظر لنفط العالم .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذا بالإضافة إلى أن زيادة اعتماد أقطار الخليج على النفط كمورد أساسي من مورد الدخل قد حدد هيكل وبنية اقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي . (اقتصاد أحادي السلعة فالنفط لازال يغذي الدخل القومي لأقطار الخليج بنسب كبيرة تتراوح بين الثلث والثلثين من إجمالي وتساهم الصادرات النفطية بالمتوسط بنحو أكثر من ٩٠٪ من إجمالي قيمة الصادرات لأقطار الخليج كما أن حجم التجارة الخارجية ونسبتها إلى إجمالي الدخل القومي تظهر هي الأخرى سيطرة القطاع النفطي ٤٠٪ للعراق و ٥٤٪ للسعودية و ٦٤٪

(١) نفط العرب : العدد الأول ، السنة العاشرة ، ت ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠

و نفط العرب : العدد ١١/السنة التاسعة/ آب ١٩٧٤ ، ص ٥-٧

للكويت . كما أن الموازين التجارية لأقطار الخليج تظهر اختلالاً واضحاً لصالح القطاع النفطي) .. وتبعية اقتصادية متمثلة في ارتباط اقتصاديات أقطار الخليج باستثناء العراق باقتصاديات دول الشركات النفطية الأجنبية المستغلة .

وازدواجية اقتصادية متمثلة في الجمع بين بيئتين متناقضتين الأولى بيئة حضرية متطورة هي بيئة الشركات في مدن البترول ومنشآته ، وبيئة رعوية وبدوية متخلفة هي عموم البيئة العربية للمنطقة وعليه يجب على دول الخليج أن تعيد النظر في خططها التنموية الحالية وأن تأخذ في حساباتها استراتيجية هادفة . تعتمد النفط وعوائده أساساً لكل تخطيط اقتصادي ناجح يعتمد قطاعات الإنتاج الأساسية حتى تحرير اقتصادياتها من سيطرة قطاعها النفطي . لاسيما وأنها باستثناء العراق تخضع لنفوذ الشركات الأجنبية المستغلة .

وهنا تبرز ضرورة تأميم شركات النفط العاملة في المنطقة والأخذ بتجربة العراق الناجحة والاستفادة من إمكانياته البشرية في هذا المجال ، خاصة وأن سوق النفط الآن هو سوق المنتج ، ما يمكن معه استبعاد أية مشكلات تسويقية محتملة . حتى يمكن برجة إنتاجها وتنمية مراقفها النفطية بما يتلائم وخطط التنمية المنتظرة . (١) <http://Archivebeta.Sakhrit.org>

٣. كشفت الدراسة إلى أن الأبعاد الاستراتيجية لخطط التنمية في العراق يمكن أن تكون نموذجاً جديراً بالتطبيق والتعميم لما تضمنته من أهداف وطنية وقومية وأنسانية سامية .

ويمكن تحقيق ذلك فيما لو تم إنشاء «مؤسسة خليجية عربية مشتركة للتنمية والتخطيط» تقع على عاتقها مسؤولية برجة إنتاجها النفطي وتخطيط أوجه استثماراته مستفيدة بذلك من مدخرات عوائدها النفطية المتزايدة

(١) هنا يمكن الإشارة إلى التقرير الذي أعده معهد ستانفورد للأبحاث في الولايات الأمريكية لحساب السعودية الذي جاء فيه : أن كل خطط التنمية بالسعودية يمكن تمويلها بعوائد إنتاج ثلاثة بلايين نفط يومياً بموجب الأسعار الحالية. هذا في الوقت الذي تتطلع فيه المملكة إلى زيادة إنتاجها إلى نحو ١١ مليون برميل يومياً .

مجلة نفط العرب : العدد (٩) / السنة التاسعة / حزيران ١٩٧٤ - مقابل ص ٤٦ .

التي تقدر بنحو ٣٥ بليون دولار ، متخذة من الخريطة العربية بأسرها مسرحاً جغرافياً لتنفيذ برامجها .

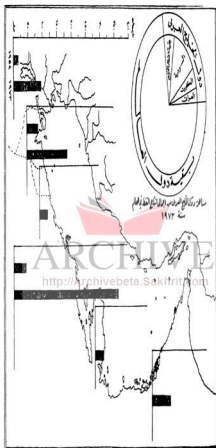
صحيح أن هناك خطوات إيجابية في هذا المجال متمثلة في الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية (١٩٦١) (١) . . والمؤسسات التي أنشأت بموجب اتفاقية التنسيق والتعاون الاقتصادي العربي ، كالمؤسسة العربية لضمان الاستثمار (٢) . والمؤسسة العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية واتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية (٣) . . والصندوق العراقي للتنمية الخارجية (٤). إلا أنها لازالت دون الحد الأدنى لطموح شعبنا العربي في حجم امكانياتها وفعاليتها وقراراتها ودينامية إنجازاتها .

إن المؤسسة الخليجية العربية المشتركة للتنمية والتخطيط يمكن أن تقوم مقام الإسمنت في بناء صرح الوحدة العربية المنتظرة من الخليج إلى المحيط . طالما لا يوجد من ينكر الأهمية الاستراتيجية العظمى والمتزايدة للتكتلات الاقتصادية والسياسية في عالمنا الحاضر .

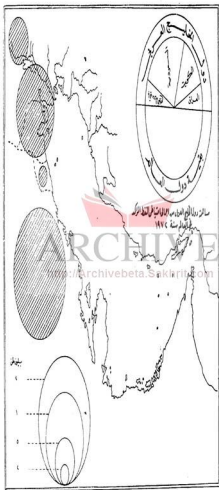
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

- (١) لتفاصيل أنظر : عبد الطيف يوسف الحيد الصندوق الكويتي لتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته . نطق العرب ، عدد خاص عن الكويت ، ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة ١٩٧١ / ٢ ص ٥٨ - ٦٠ . وكذلك د. نعيم الشعار : فوائض عائدات النفط ، ومؤسسات التمويل العربية مجلة البترول المؤسسة المصرية العامة للبترول (المجلد الحادي عشر / العدد الثاني / تموز - آب ١٩٧٤ ، صص ٢٦ - ٣١ .
- (٢) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول المضيغة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول العربية : مطبوع بالرونيو ص ص ١ - ١٣ .
- (٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) : اتفاقية استثمار رؤوس الاموال العربية وانتقالها بين البلدان العربية ، مطبوع بالرونيو ، ص ص ١ - ٣ .
- (٤) أنشي بموجب القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٤ ، لتفاصيل أنظر : مجلة الاقتصاد (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ، ت ١ ، ١٩٧٤ ، صص ٥٣ - ٥٥ .





شكرًا (١) توزيع النسخة المطبوعة من هذا العمل العربي عام ١٩٧٣ و١٩٧٤



مصادر البحث

- البنك المركزي العراقي : التقرير السنوي لسنة ١٩٧١ (دائرة الاحصاء والأبحاث) بغداد ١٩٧٢ .
- ايكون كيمنش : النفط كمصدر مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية : الندوة العلمية العالمية (النفط كسلاح) أبحاث الندوة . المجلس الوطني للسلم والتضامن ، بغداد ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .
- دولة الكويت ؛ (وزارة التجارة والصناعة) إدارة البحوث الاقتصادية والاحصاء التنمية في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٣ .
- جان ارنست : التخطيط الاقتصادي ، مجلة الاقتصادي العراقي ، العدد الثاني السنة السادسة ، بغداد ، تموز ١٩٦٥ .
- د. جمال حمدان : بترول العرب ، دار المعرفة ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤
- د. جواد محمود هاشم : تخطيط الاقتصاد القومي في العراق .
- الحكومة العراقية : قانون الأعمال العمرانية الرئيسية لسنة ١٩٣١ ، رقم ٨٩٧٩ لسنة ١٩٣١ . مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣١ .
- الحكومة العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٦ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢ .
- الحكومة العراقية : (مجلس الاعمار) : المنهاج العام لمشاريع مجلس الاعمار للسنوات ٥١-١٩٥٦ و ٥٥-١٩٥٩ والتعديل ٥٦-١٩٦١ .
- عبد اللطيف يوسف الحمد : الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته : نفط العرب ، عدد خاص - ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة ، كانون الثاني ١٩٧١ .
- لورد سولتر : إعمار العراق (خطة العمل) بغداد ١٩٥٦ .
- مديرية الحسابات العامة : التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية ١٩٣٦ مجلة الاقتصاد : (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٤ .

مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة الأولى ، بغداد ، مايس ١٩٦٨ .
مجلة نفط العرب (مكتب عبد الله الطريقي للاستشارات البترولية)

العدد السادس آذار ١٩٧١

و العدد الثاني عشر أيلول ١٩٧٢

و العدد التاسع حزيران ١٩٧٤

و العدد العاشر تموز ١٩٧٤

و العدد الحادي عشر آب ١٩٧٤

و العدد الاول تشرين الاول ١٩٧٤

و العدد الثاني تشرين الثاني ١٩٧٤

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) : اتفاقية تسوية منازعات
الاستثمار بين الدول المضيضة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول
العربية (مطبوع بالرونيو) .

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) : اتفاقية استثمار رؤوس
الأموال العربية وأتقائها بين البلدان العربية (بالرونيو) .

المملكة العربية السعودية : (مركز الأبحاث والتنمية الصناعية) التركيب الصناعي
من الناحيتين الفنية والاقتصادية وأحتمالات النمو في المملكة العربية
السعودية ج ١ و ٢ ، الرياض شباط ١٩٧٣ .

المؤسسة المصرية العامة للبترول : مجلة البترول ، المجلد الحادي عشر ، العدد
الثاني ، تموز ١٩٧٤ .

د.نعيم الشعار : فوائض عائدات النفط ومؤسسات التمويل العربية ، مجلة البترول
المصرية ، المجلد الحادي عشر ، تموز - آب ١٩٧٤ .

وزارة الاعلام ، مديرية الاعلام العامة : المعالم الأساسية لخطة التنمية القومية
للسنوات ٧٠ - ١٩٧٤ في العراق ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
بغداد ١٩٧٠ .

وزارة التخطيط : (الدائرة الاقتصادية) التقرير السنوي عن متابعة تنفيذ
الخطة الاقتصادية الخمسية للسنة المالية ٦٨ - ٦٩ آذار ١٩٧١

الوقائع العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ ، العدد ١٥٠٠ ، ٣١ آذار ١٩٣٦
الوقائع العراقية : العدد ١٨١ ، السنة الثانية ، رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ ، قانون
الخطة الاقتصادية المؤقتة .
الوقائع العراقية : العدد ٥٩٢ ، السنة الرابعة ، رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١ ، قانون
الخطة الاقتصادية التفصيلية .
الوقائع العراقية : رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ للسنوات ٦٥ - ١٩٦٩ ، العدد
١١٣٥ ، السنة السابعة ، تموز ١٩٦٥ .
الوقائع العراقية : العدد ٤٩٤ ، قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة
الثالثة ، ٧ آذار ١٩٦١ .
الوقائع العراقية : اتفاقية شرق البحر المتوسط ، العدد ٢٠٠٨ ، ٨ حزيران
١٩٧١ .
الوقائع العراقية : رقم ٧٠ : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ - ٧٤
العدد ١٨٦٢ ، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠ .
(المذكرة التفسيرية) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

Adelman, M. A. " Oil Production Costs in Four Areas," Reprinted
from the Proceedings of the Council of Economics ;
February 28 March 1966 .

International Bank of Reconstruction and Development : " The Economic
Development of Iraq , " Baltimore 1952 .

Little, A. D. : " A plan for Industrial Development in Iraq ;
Cambridge , Massachusetts , May 1956 .

Middle East Economic Survey , September 8, 1972 .

Middle East Economic Digest No. 10. May 1972 .

- Murray, J : "The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East , " Bournemouth .
- United Nations : " Statistical Yearbook 1973 , " New York 1974 .
- Wrigley, E. A. : " Industrial Growth and Population Change , " Cambridge 1962 .

الدكتور محمد ازهر السماك

مدرس - كلية الاداب
جامعة الموصل



بحث القى في الندوة العلمية العالمية الاولى لمركز دراسات الخليج العربي
التي عقدت خلال الفترة ٢٩ / ٣١ آذار ١٩٧٥ . في البصرة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المسكوكات الفضية العباسية في إقليم مصر البحوث الأثرية والحضارية لجامعة الموصل

عبد الواحد الرمضاني

مقدمة

تضم مجموعة البحوث الأثرية والحضارية لجامعة الموصل مجموعة كبيرة من النقود الفضية والنحاسية (غير المدروسة) تختلف العهود الإسلامية ، ويحوي هذا البحث دراسة تحليلية دقيقة للمسكوكات الفضية العباسية التي تحتويها هذه المجموعة ممهداً لها بدراسة للسكة العلانية وتطورها منذ مختلف العصور وحتى الفترة الزمنية للنقود موضوعة البحث .

ولقد كان التطور الزمني لمسار السكة الفضية العباسية (موضوعة البحث) هو الأساس الذي ارتكزت عليه في طريقة بحثي لها ، فقد تضمن دراسة نصوص كتاباتها وأماكن ضربها وأسماء خلفائها وألقابهم وسني حكمهم وكذلك زخرفتها ونقوشها ، كما تضمن وزن وقياس أقطار جميع هذه القطع النقدية ، فضلاً عن تخطيطات دقيقة لكل الزخارف والنقوش التي وردت على هذه النقود ، وأوضحت هذا كله في جدول زمني يحوي أرقامها في مركز البحوث وأقطارها وأوزانها وسني ضربها ومكانه وكذلك أسماء الخلفاء العباسيين الذين قاموا بسكها .

وأبعته أخيراً بنماذج واضحة المعالم من صور السكة المدروسة في هذا البحث
السكة : تعدد تعريف المؤرخين للسكة ، فدارت جميع هذه التعريفات حول
النقود المختلفة التي تداولتها الشعوب الإسلامية من فلوس نحاسية أو دراهم
فضية أو دنانير ذهب .

وفي معنى من هذه المعاني قصد بالسكة : تلك النقوش التي تزين النقود
وفي معنى آخر : قوالب السكة التي تحتم محل العملة المتداولة ، أو وظيفة السك
نفسها التي كان يجب أن تقوم تحت اشراف الدولة .

أما المعنى الأكثر شيوعاً فهو اطلاق (السكة) على النقود العربية التي
تضرب في مختلف دور السك والتي أصبحت فيما بعد وسيلة التعامل الرئيسة
بين مختلف الشعوب الإسلامية (١) .

إن السكة لا تقتصر على المعادن فقط في أمم العالم القديم بل أن السلع النقدية
كانت تفرضها ظروف معينة في بلد معين وبهذا اختلفت السلع بين الشعوب
فكانت في بلاد مادة استهلاكية كاللوز والشاي وفي بلاد أخرى عبيداً أو
خيولاً أو جلود ، كما استعمل الحار كذلك في الصين كوسيلة رسمية للتبادل
حتى القرن الرابع ق . م واستعمل الثور في اليونان كذلك كوسيلة للتبادل ،
ويذكر هوميروس أن بعض الأسلحة كانت تساوي تسعة ثيران وبعضها
مائة والجارية قدرت بأربعة ثيران .

والحق أنه ليس هناك أي حرج في هذا مادامت النقود وسيلة للعبادة

(١) ابن خلدون / المقدمة ، أعادت طبعه مكتبة المثنى في بغداد ص ١٨٢ - ١٨٣ .
أنظر : د. عبد الرحمن فهمي / فجر السكة العربية (مطبعة دار الكتب بمصر) سنة ١٩٦٥
ص ٢٧ . النقود العربية ما ضيها وحاضرها من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣) ص ١٥
فبراير سنة ١٩٦٤ ص ٨ .
وأنظر د. باقر الحسيني / العملة الإسلامية في العهد الأتابكي (مطبعة دار الجاحظ) بغداد
سنة ١٩٦٦ ص ١٤ ، تطور النقود العربية الإسلامية (مطبعة دار الجاحظ) بغداد سنة
١٩٦٩ ص ١٢ .

يرتضيها الناس في معاملاتهم تحقيقاً للمنافع (١) .

ولم يكن للعرب في جاهليتهم سكة يختصون بها ويتداولونها دون غيرهم من الشعوب المجاورة ، بل كانت نقود الدولتين الساسانية والبيزنطية قد استعملت كوسيلة للتبادل في معاملاتهم التجارية (٢) فلقد كان لقريش رحلة تجارية في الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة أخرى في الصيف إلى الشام (٣) كما كانت لهم رحلات أخرى إلى بلاد العراق . وكان رجال هذه القوافل يستصحبون معهم الدنانير الذهبية البيزنطية والدرهم الفضية الساسانية وكذلك الفلوس الحميرية بكمية قليلة (٤) .

وحين بعث الرسول العظيم في هذه الامة أقر تداول السكة واستمرار التعامل بها ، بل تعامل نفسه بها وكذلك أهل بيته (٥) وأصحابه كما استلم منها أهدايا وأمر أن تسلم بها الزكاة التي هي ركن من أركان الدين الجديد ، فجعل في كل خمس أواق من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وفرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار (٦) .
وقد كانت قريش تزن الذهب بوزن أسمته ديناراً وتزن الفضة بوزن معين أيضاً أسمته درهماً وكانت كل عشرة أوزان الدرهم سبعة أوزان الدنانير

(١) د . عبد الرحمن فهمي / النقود العربية / ص ١٣ .

(٢) البلاذري - / فتوح البلدان (نشر الاب انتاس الكرمل في كتابة النقود العربية وعلم

النبات الجزء الخامس بالنقود من كتاب البلاذري (لیدن ١٨٦٦) .

وانظر إلى كتاب الكرمل القاهرة ١٩٣٩ م ص ١٠ (ويشير إلى ورود دنانير ذهبية بيزنطية

إلى أهل مكة) عبد الرحمن فهمي فجر السكة العربية / ص ٢٨ - ٢٩

(٣) القرآن الكريم سورة قريش آية ٢١

(٤) يوسف غنيمة/ النقود الباسية - مجلة سومر م ١٣٩٩ - ١٩٥٣ ص ٩٨

(٥) ابن سلام / كتاب الاموال صححه محمد حامد الفقي القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ٥٢٥ (روى

علي بن ابي طالب انه قال زوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام عل اربعمائة وثمانين درهماً وزن ستة دنانير) .

(٦) المقرئ - / نشر الاب انتاس الكرمل في كتابه (النقود العربية وعلم النبات) الجزء

الخاص بالنقود من كتاب المقرئ (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩ م ص ٣٠ .

أي أن وزن الدرهم $\frac{7}{11}$ من وزن الدينار كما أن الشعيرة $\frac{1}{11}$ من وزن الدرهم (١).
 وكان الدينار البيزنطي الذهبي الذي تداوله المسلمون في فجر الاسلام قد
 تعمل به في بلاده الأصلية (الدولة البيزنطية) وبلاد العرب على أساس
 وزنه الذي هو ٤.٢٥ غم أي مثقالاً ، وبهذا أصبح المثقال من الذهب يساوي
 ديناراً (٢)

وللدرهم الفارسي الفضي شكل قرصي مستدير صور على وجهه الأول
 الجزء العلوي من صورة كسرى فارس يعتمر تاجاً وهو بشكل جانبي
 Profil ، أما الوجه الثاني من الدرهم فنصور عليه معبد نارساساني ، يقوم
 حارسان مدججان بالسلاح على جراسته ، كما حوت هذه السكة كتابات
 بهلوية تذكر اسم الملك الذي ضربها مع دعاء لاسرته ويلاحظ كذلك ثمة
 زخرفة تشتمل على خيمة يحضنها هلال وهي في الهامش الخارجي للدرهم
 وهذه الزخرفة ترمز إلى الرفاه عند الشرقيين عددها بين ٣ - ٤ (٣)
 اما الدينار البيزنطي فكان قرصاً ذهبياً مستديراً أقل قطراً من الدرهم
 الساساني صور على أحد وجهيه الامبراطور البيزنطي الذي أمر بسكه . وفي
 فجر الاسلام كانت الصورة لهرقل وحده أو مع ولديه هرقلوناس وقسطنطين
 وقد قبض كل منهم على صليب طويل وتوج كل منهما بصليب آخر .
 أما الوجه الثاني من السكة فكان عليه صليب قائم على أربعة مدارج يحيطها
 عبارات من الدعاء تشير إلى مكان ضرب الدينار مكتوبة بالأحرف اللاتينية

(١) الكرملي ص ١١

(٢) يوسف غنيمه / النقود العباسية / ص ١٠٠ .

والدينار كلمة رومية من Denarins قيمتها عشر اساتم الأس في الأصل من النقود
 النحاسية .

والدرهم تعريب (درم) الفارسية ومنها (دراغمي) اليونانية التي أصبحت (درغما)
 بالسرانية وهو وحدة من النقود الفضية .

يوسف غنيمه / النقود العباسية / ص ١١٥

(٣) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ١٤

واليونانية (١) .

واستعمل العرب كذلك الفلّس البرونزي الذي كان أيضاً قرصاً مستديراً على أحد وجهيه صورة للإمبراطور واقفاً متوجاً يعلوه صليب ويده اليمنى عصا المطرانية وباليسرى كرة ، ويعلو كل منهما صليب أيضاً وهو الشارة المسيحية المقدسة ، أما الوجه الثاني فعليه رمز نقدي حرف (M) أي رقم (٤٠) في اليونانية ويعني أن القطعة تساوي (٤٠) نيميا (٢) .

وحين جاء الخليفة أبو بكر ومن بعده الخلفاء الراشدون بقيت السكة الذهبية والفضية والنحاسية ذات الصور الآدمية والكتابات البهلوية واليونانية جارية ومتداولة بين الصحابة والمسلمين ، فأقروا السكة بما فيها وما عليها (٣) ،

كما أمر عمر بأخذ الجزية من شعوب البلاد المفتوحة بالسكة المتداولة فأُخذت بالدراهم على أهل الفضة والدنانير على أهل الذهب (٤) كما زاد سنة ١٨هـ بأن أمر بضرب (الدراهم) على نقش الكسروية وشكلها وكذا فعل عثمان ومعاوية (٥) بعده وأضاف على الدراهم عبارة (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها الآخر (لا اله الا الله وحده) ، أما عثمان فقد نقش على الدراهم عبارة التكبير (الله أكبر) (٦) .

(١) ناصر النقشبدي / الدينار الإسلامي في المتحف العراقي (بغداد ١٩٥٣ ص ١١)

باتر الحسيني / العملة الإسلامية في العهد الأتابكي / ص ١٥ .

عبدالرحمن فهمي / الشارات المسيحية. والرموز القبطية على السكة الإسلامية (مقالة في

كتاب المؤتمر الثالث . للآثار في البلاد العربية المنعقدة في مدينة فاس سنة ١٩٥٩) ص ٣٣٨

لوحه ١ ، ٢ .

(٢) عبدالرحمن فهمي / النفود العربية ماغيها وحاضرها ص ٢٧ .

(٣) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) ابن عبد الحكم / فتوح مصر وأخبارها طبعه هنري ماسي القاهرة / ١٩١٤ ص ١٥٢ .

(٥) المقرئزي - المصدر السابق - ص ٣١ - ٣٢ .

Walker. Arab Sassanian Coins London 1941 PP,3,5

(٦) عبدالرحمن فهمي / النفود العربية ماغيها وحاضرها / ص ٢٥ .

ولقد بدأ الطراز النقدي الجديد يوطد نفسه كلما وطلد المنتصرون أنفسهم في البلاد الجديدة كما ظهرت كلمات مضافة بحروف عربية مثل كلمة (جائز) و (طيب) (١) .

وفي زمن معاوية بن أبي سفيان ٤١ - ٥٦٠ (٦٦١ - ٦٨٠م) ضربت دنانير ذهبية نقشت عليها صورته متقلداً سيفاً ، ويشير المقرئزي إلى أن بعضاً منها وقع بين يدي شيخ من الجند فقال للخليفة (يامعاوية إنا وجدنا ضربك شرّ ضرب) (٢)

ومع هذا فإن هذه الدنانير لم يعثر عليها حتى الآن (٣) وقد يكون السبب صهرها زمن عبد الملك ابن مروان عند اصلاحه السكة أو عدم وجودها أساساً لأن ظهورها في هذه الفترة قد يكون سبباً لصراع بين الأمويين والبيزنطيين كما سيحدث زمن عبد الملك بن مروان ، ولقد قام معاوية أيضاً بضرب فلوس برونزية حملت دار ضربها (إيليا) بفلسطين وصور عليها صورته مفروق الشعر يحمل السيف بيئناً ، كما قام بضرب الدراهم الفضية ووزن كل عشرة دراهم منها سبعة مثاقيل (٤) .

إلا أن أهم الإصلاحات التي طرأت على النقود الإسلامية كانت زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٥٨٦ (٦٨٥ - ٧٠٥م) فلقد تولى الخليفة الأموي الحكم في فترة مضطربة جداً من حياة الدولة الإسلامية كان فيها عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب قد ثارا في الحجاز والعراق على التوالي ، فقام الخليفة الجديد بضرب الحركات المناهضة لسلطاته فقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ وأخاه عبدالله سنة ٧٣هـ وبذلك أحكم سيطرته على الدولة الإسلامية .

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٣٦ .

(٢) مقرئزي المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) يلاحظ عدم وجود أي دينار من دنانير معاوية في أي كتلوك منشور للنقود فضلا عن المجموعات الشخصية المنشورة .

(٤) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٣٧ .

وقد إلتفت عبدالمملك بن مروان نحو توحيد الأمة الاسلامية وصبغها بصبغة عربية في كافة المجالات الادارية والمالية ، وبدأ بضرب أول نقود عربية صرفة سنة ٥٧٧هـ كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي والاداري والسياسي في الاصلاح الجديد(١).

إن الإصلاحات النقدية التي قام بها الخليفة عبدالمملك بن مروان جاءت على مراحل متعددة وبصورة تدريجية (٢) ، إلا أنها انتهت أخيراً في سنة ٥٧٧هـ بتعريب كامل للدينار الاسلامي حيث احتلت الكتابات العربية وجهي الدينار العربي واختفت الدنانير المصورة ، وأصبحت الدنانير الجديدة على الشكل التالي :

المركز : لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : ARCHIVE

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

الظهر :

المركز : الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد

الهامش :

بسم الله ضرب هذا الدين سنة (سبع وسبعين) ولقد حصل تغيير بسيط في كتابة الدنانير في أقاليم شمال أفريقيا والأندلس

(١) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ٣٤ .

(٢) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٤٣ .

على الشكل التالي :
الوجه

المركز : لا اله إلا
لا الله
وحده

الهامش :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

الظهر :

المركز : بسم الله
الرحمن
الرحيم

الهامش :

(بدون بسملة) ضرب هذا الدين سنة (سبع وسبعين)
كما ظهرت أجزاء للدنانير مثل النصف والثالث .

أما الدراهم الإسلامية فقد عريت سنة ٥٧٩ هـ وما بعدها وكانت تحمل النصوص
الكتائية للدنانير الشرقية مع تكملة النص القرآني من سورة الانخلاص إلى (أخذ)
على مركز وجه الدرهم وأكملت عبارة الهامش إلى (ولو كره المشركون)
وذلك لاتساع قطر الدرهم الفضي عن قطر الدينار الذهبي .

وأما الفللس البرونزي الذي كان عملة مساعدة لرواج العمليات التجارية
فقد تم تعريبه وحمل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وأقدم هذه الفلوس
يرجع إلى سنة ٩٠ هـ (١) .

وبأنتهاء عبدالمملك بن مروان من هذه الصيغة الجديدة لسك العملة العربية

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص-٤٩-٥٠-٥١ .

بدأ عهد من الاستقرار المالي للدولة وأصبحت السكة إسلامية عربية صرفة مستقلة بذاتها مع احتمال حصول بعض التغيير في وزن السكة وخاصة للدنانير التي كان يحقق وزنها بصنح الزجاج (١) المخصصة لهذا الغرض .
وقد بقيت السكة الإسلامية تضرب بالطريقة هذه مع الاختلاف الحاصل عادة في سني انضرب طيلة عهد الأمويين .

وبعد مجيء العباسيين إلى الحكم سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) أبقى على الصنح المكتوبة على السكة الإسلامية الذهبية فيما عدا مركز الوجه الذي تغير من سورة الإخلاص (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) إلى (محمد رسول الله) (٢) زمن الخليفة العباسي السفاح وكذا المنصور ١٣٦ - ١٥٨هـ (٧٥٤ - ٧٧٥م) وأبنت المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ (٧٧٥ - ٧٨٥م) والخليفة المهدي من بعده ١٦٩ - ١٧٠هـ (٧٨٥ - ٧٨٦م) إلا أنه بمجيء الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ (٧٨٦ - ٨٠٨م) حصل تغيير رئيس في سك النقود وذلك بأن أمر بكتابة اسمه واسم أبنت على الدنانير ، كما أمر بأن يتولى وزرائه وولانته وعمال ماله الإشراف على السكة دونه وذلك بعد أن كان الخلفاء من قبل يتولون الإشراف مباشرة على عيار الدنانير والدراهم (٤) <http://Archiv.eta.nl>

وقد حصل تطور هام في زمن الخليفة المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ (٨١٣ - ٨٣٣م) وذلك في السنة التاسعة لحكمه سنة ٢٠٧هـ حيث أضاف الخليفة إلى السكة بعض الآيات القرآنية على وجه الدينار في هامش ثان نصه (لله الأمر من قبل

(١) الصنح الزجاجية : هي قطع زجاجية تستعمل للتحقق من الوزن صنمت زمن الخليفة عبد الملك بن مروان .

انظر عبدالرحمن فهمي / صنح السكة في فجر الإسلام / مطبعة دار الكتب المصرية / سنة ١٩٥٧ ص ٢ .

(٢) باقر الحسيني / العملة الأتابكية / ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) ستانلي لين بول / طبقات سلاطين الإسلام / ترجمة عباس إتيبال ومكي طاهر الكبيسي / دار منشورات البصري سنة ١٩٦٨ ص ٢٢ .

(٤) باقر الحسيني / العملة الأتابكية / ص ٢١ .

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) كما أضيفت البسمة كاملة على عبارة الضرب وأصبح نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار سنة أما ظهر الدينار فقد أضيفت إليه عبارات أخرى فأصبح نصها : (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) :

ويلاحظ أن الدراهم العباسية كانت قد سبقت الدنانير الذهبية في تسجيل أسماء الخلفاء عليها وذلك ضمن أكتابات الواردة في نصوصها وذلك منذ زمن الخليفة المهدي ١٥٨ - ١٦٩ هـ كما يلاحظ في المسكوكات العباسية الفضية التي هي مادة هذا البحث وهي مضروبة بالعراق .

ويلاحظ كذلك أن النقود العباسية الفضية (الدراهم) المضروبة بمصر نادرة جداً سواء كانت زمن المهدي أو غيره من الخلفاء العباسيين حيث لا يوجد أيها منها حتى الآن بين أيدي الباحثين عدا أعداد قليلة من الدراهم منذ سنة ١٨١ هـ زمن الخليفة هارون الرشيد ، أحدها في مجموعة المكتبة الأهلية بباريس (٢) .

الخليفة المنصور (٣) ١٣٦ - ١٥٨ (٧٥٤ - ٧٧٥ م)

وفي زمن المنصور نقص أوزن الدراهم الفضية ثلاث حبات فصار الدرهم

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) يوجد درهم بالمتحف البريطاني ضرب مصر سنة ١٨٢ هـ .

Lane- pade : Catalogue of oriental coins in the British Museum
(London 1875) VOL. T . P . 83 no-227

انظر عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ١٠١ .

(٣) يعتبر الخليفة المنصور من أهم خلفاء العباسيين الذين حكموا في الدولة العباسية ، وكانت فترة حكمه التي استمرت نحواً من اثنتين وعشرين سنة فترة ازدهار للدولة العباسية وقد بنى عاصمة هذه الدولة في بغداد سنة ١٤٥ هـ وأضفى على نظام ادارته المركزية كازر جميع السلطات يده بعد أن قضى على خصوم الدولة كعمه عبدالله بن علي وابي مسلم الحراني .

وقد توفي المنصور تاركاً الملك لابنه وولي عهده المهدي .

انظر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٦٦

ج ٧ ص ٤٧١ - ٦١٤ .

ثلاثة ارباع القيروط (١)

الخليفة المهدي (٢) ١٥٨ - ١٦٩ هـ (٧٧٥ - ٧٨٥ م)

وقد كان المهدي أول من 'ذكر اسمه من الخلفاء على النقود (٣) كما
'ذكر أسم ولديه هارون الرشيد وموسى الهادي فضلاً عن ولاته في الأقاليم
المختلفة (٤) .

الخليفة المعتضد بالله (٥) ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ (٨٩٢ - ٩٠٢ م)

وفي هذا ألبحث مسكوكة فضية للخليفة المعتضد ضربت سنة ٢٨٥ هـ في
مدينة السلام (٦) .

(١) يوسف غنية / النقود العباسية ص ١٠٨

وكان المئقال = ٢٢-٢٠ قيراط

كل عشرة دراهم = ٧ مثاقيل

الدراهم = ١٤ قيراط

الوقية = ٤٠ درهم

القرطل = ١٢ وقية

انظر الكرمل / ص ١٠ - ١١

(٢) جاء المهدي بعد أبيه المعتضد وقد حكم إحدى عشرة سنة، ثم اغتالها بجروب أو قن اغلية وقد

أهم بالفتون والعمارة واصطبغ تاريخ عاصته بغداد بظواهر الترف والآية .

د. علي إبراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام / مكتبة النهضة المصرية / سنة ١٩٧٢

ص ٣٦٧ - ٣٦٨

(٣) يوسف غنية / نفس المصدر السابق / ص ١٠٨

(٤) وداد القزاز / الدراهم العباسية / سومر مجلد ٢٠ ج ١ ، ص ٢٤ ، سنة ١٩٦٤ م ص ٢٥٩ .

(٥) جاء بعد الخليفة المعتضد وهما من خلفاء العصر العباسي الثاني الذي امتد أكثر من أربعة قرون

كان فيها الخلفاء تحت سيطرة الأتراك والبيهييين ثم السلاجقة وقد تميز عصر المعتضد بخروج عصر

ابن البيت واستيلائه على الكثير من بلاد فارس كما قصد بغداد نفسها إلا أنه هزم ورد على اعتقابه .

انظر : د. علي إبراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام / ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

وانظر : حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام السياسي ٣ أجزاء القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٨

ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٦) انظر مسكوكة المعتضد باقه بالبحث رقم ٣٨ م وانظر شكل رقم ١١ .

الخليفة المقتدر بالله (١) ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ (٩٠٨ - ٩٣٢ م)

وفي هذا البحث مسكوكة فضية له ضربت بمدينة الموصل (٢)

لقب الخليفة

وهو لقب لرئيس الدولة لُقّب به أول مرة أبو بكر الصديق كخليفة لرسول الله ثم استمر الخلفاء يلقبون أنفسهم به حتى مجيء الخليفة العباسي المأمون حيث لقب نفسه بخليفة الله (٣) .
مدن الضرب :

أما مدن الضرب التي ضربت فيها هذه المجموعة من النقود فهي : مدينة الموصل (٤)
ومدينة السلام (٥) ومدينة الكوفة (٦) .

(١) جاء بعد الخليفة المكتن وكان من أضعف خلفاء الدولة العباسية فقد استولت النساء عليه وخاصة أنه حيث أصبحت تمالج أمور الدولة وتديرها وغلايت المال من الأموال واغتلفت أمور المسلمين في عهده ثم خلع وأعيد ثم قتل سنة ٣٢٠ هـ .

ابن طباطبا / القفري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية / دار صادر - بيروت سنة ١٩٦٦ . ص ٢٦٤

(٢) انظر مسكوكة المقتدر بالله بالبحث رقم ٣٩ من وانظر شكل رقم ١٢

(٣) حسن إبراهيم حسن / علي إبراهيم حسن / التلخيص الإسلامي / طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩ ص ٢٢

(٤) سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق أو لأنها وصلت بين سنجار وأحذية

وثيل بل الملك الذي أجدتها كان يسمى الموصل وهي مدينة قديمة تقع على طرف دجلة

ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى ... وقال أهل السير إن أول من إستحدث الموصل وأوئد بن

بيو راسف الأزدي ، وقال حمزة الأصفهاني : كان اسم الموصل في أيام الفرس نورا وديسر

انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان / دار صادر للطباعة والنشر طبعة بيروت سنة ١٩٥٧

مجلد ٥ ص ٢٢٣ .

(٥) بدأ ببناء مدينة السلام الخليفة المنتصور سنة ١٤٥ هـ في موضع صالح للملكة وسميت العاصمة

الجديدة (بغداد) و (المدينة المدورة) وقد اشرف بنفسه على مالية البناء الخاصة لبنائها

وقد صرف عليها نحو تسعة ملايين من الدنانير حيث حاكت في عظمتها وجلالها القسطنطينية

عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وقد قسمت قسمين الكرخ وهو الجانب الغربي والرافقة

وهو الشرقي وقد بنى الرشيد فيها بعد قصره له فيها سماء الرافقة .

انظر : الطبري / نفس المصدر / ج ٧ ص ٦١٤ .

علي إبراهيم حسن / التاريخ الإسلامي العام / ص ٣٥٨ .

ابو الفدا / تقويم البلدان / طبعة باريس سنة ١٨٣٠ م ص ٣٠٣ .

(٦) سميت كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل أي تجمع . مصرت زمن الخليفة عمر =

الرموز والزخارف على المسكوكات الفضية العباسية :

يلاحظ على السكة الفضية العباسية بعض الرموز الكتابية والحروف المقطعة التي لها دلالة على صحة الوزن والجودة ولقد كان هذا سارياً زمن الأمويين قبلهم وحين جاء العباسيون أبقوا عليها التزاماً منهم أمام الأمة بالتأكيد على صحة عيار السكة ، ولقد كان المنصور أول خليفة عباسي استعمل هذه الألفاظ على سكته الفضية التي ضربها عام ١٤٨هـ بمدينة السلام (١) وكذلك السكة التي ضربها بمدينة السلام أيضاً سنة ١٥٥هـ حيث نقش عليها (بخ بخ) (٢) وقد انتشرت هذه الألفاظ زمن الخليفة المهدي في سكته المضروبة بمدينة السلام وكذلك في سكة الأقاليم التابعة للخلافة العباسية حيث نُقش عليها كلمة (بخ) (٣) أيضاً .

كما نشاهد على السكة الفضية العباسية بعض مظاهر الزينة المختلفة كالحلقات والنقاط بأشكال مختلفة :

كحلقة واحدة ونقطتين تتكرر ثلاث مرات (٤)

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

أو نقطة أسفل كتابة المركز (٥)

أو عدة نقاط أحادية على المحيط الخارجي للمسكوكة (٦) . . .

أو عدة نقاط مزدوجة تتكرر أربع مرات (٧) . . .

= بن الخطاب (رض) سنة ١٧هـ ويقال سنة ١٩هـ وقد غطها سعد بن أبي وقاص

مسجداً جامعاً حين كتب إليه الخليفة عمر بذلك ، وجرى باسطيها من الأهواز وقد قال

سلمان الفارسي بأن أهلها أهل الله وهي قبة الإسلام ، يحن إليها كل مؤمن .

انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان / ص ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ .

(١) وداد القزاز / الدرهم العباسي / سومر مجلد ٢٠ ج ١ ، ٢ سنة ١٩٦٤ ص ٢٦٠ .

(٢) انظر مسكوكة المنصور الفضية رقم ٤٠ من وانظر شكل رقم ٢

بخ : معناها جيد (أي النقود الجيدة) وبخ بخ : معناها التأكيد على جودة النقد .

(٣) انظر مسكوكة المهدي الفضية رقم ٢٩ من وانظر شكل رقم ٩ .

(٤) انظر مسكوكة رقم ٣٣ من وانظر شكل رقم ٧ .

(٥) انظر مسكوكة رقم ٦ من وانظر شكل رقم ٦ .

(٦) انظر مسكوكة رقم ٣٦ من وانظر شكل رقم ٦ .

(٧) انظر مسكوكة رقم ٢٩ من وانظر شكل رقم ٩ .

أو حلقة كبيرة تليها حلقتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل التالي (١)

أو حلقتان صغيرتان تليها حلقة تتوالى ثلاث مرات أيضاً كما في الشكل التالي (٢)

أو حلقة كبيرة داخلها حلقة صغيرة وتليها حلقتان صغيرتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل (٣)

ويلاحظ كذلك في السكة الفضية العباسية (الدراهم) دوائر مفردة (٤) أو مزدوجة (٦) أو ثلاث دوائر (٥) متتالية تحيط بالمرکز أو الهامش الكتابي وهي على شكل حلقتي .

والحق أن هناك زخارف أخرى ليست بين أيدينا على السكة العباسية فهناك سكة نحاسية ضربت زمن الخليفة محمد الأمين في الكوفة سنة ١٩٥ هـ عليها زخرفة مختلفة عن الزخارف السابقة وهي على شكل دائرة كبيرة تتكون من دوائر صغيرة وحولها دائرة أخرى (٧) من نقاط كما في الشكل التالي .



رقم التسلسل	١	الخليفة المنصور
رقم القطعة	٣٧ مس	١٣٦ - ١٥٨ هـ (٧٥٤ - ٧٧٥ م)
نوع المعدن	فضة	درهم
القطر بالمليمتر	٢٥ مليمتر	

- (١) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٣ .
 - (٢) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٣) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
 - (٤) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٣ .
 - (٥) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٦) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
 - (٧) يوسف غنيمة / النفود العباسية / مجلة سومر / مجلد ٩ ج ١ ١٩٥٣ ص ٢٦٠ .
- في الحلقة الكبيرة يوجد حلقة صغيرة

الوزن بالغرام ١ ٢,٧٥٠ غم

سنة الضرب ١ ١٤١ هـ

مكان الضرب ١ الكوفة

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصّها :

لااله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصّها
بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة إحدى وأربعين ومئة.
ويحيط بالهامش والمركز ثلاث دوائر متلاصقة تزخرفها بالحيط
دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصّها :

محمد

رسول

الله

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصّها :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق (ليظهره) على الدين

كله ولو كره المشركون .

ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر متعددة تزين

الدائرة الخارجية منها دوائر صغيرة .

ويلاحظ أن الدرهم مثقوب . (١)

(١) انظر شكل رقم (١) .

الخليفة المنصور

(درهم)

رقم التسلسل ٢ ١

رقم القطعة ٤٠ مس ١

نوع المعدن ١ فضة

القطر بالمليمتر ٢٤ ١ مليمتر

الوزن بالغرام ٢,٧٥٠ ١ غم

سنة الضرب ١٥٥ هـ ١

مكان الضرب ١ مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس

وخمسين ومئة .

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين

تزخر بها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

محمد

رسول

الله

(بخ) بخ

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر
متعددة ، تزين الدائرة الخارجية دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١).

الخليفة المهدي	٣	١	رقم التسلسل
(١٥٨ - ١٦٩ هـ (٧٧٥ - ٧٨٥ م)	٣٤	١	رقم القطعة
		١	نوع المعدن
		٢٤	القطر بالمليمتر
		٨٠٠	الوزن بالغرام
		١٦٢	سنة الضرب
		مدينة السلام	مكان الضرب
			الوجه :

المركزية : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا الله

الله وحده

لا شريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اثنتين و(ستين) ومئة .
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرهما
بالخيط دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

(١) انظر شكل رقم (٢) .

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس عقرب الساعة نصها
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دائرة تزين
الخارجية منها خمسة دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

رقم التسلسل ٤ ١

رقم القطعة ٣١ مس ١

نوع المعدن ١ فضة

القطر بالمليمتر ٢٣ ١

الوزن بالغرام ٢,٤٩٥ ١

سنة الضرب ١٦٢ هـ ١

مكان الضرب ١ مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها

بسم (الله ضرب هذا الدرهم) بمدينة السلام سنة اثنين وستين ومئة

(١) انظر شكل رقم (٢)

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها
بالحيط دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

(الله) صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق لي(ظهره

على الدين كله ولو كره المشركون) .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة.

ويلاحظ أن الدرهم ناقص ومثقوب (١)

الخليفة المهدي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(درهم)

رقم التسلسل	١
رقم القطعة	٣٠
نوع المعدن	فضة
القطر بالمليمتر	٢٣
القطر بالمليمتر	٢٣
الوزن بالغرام	٢,٧٢٠
سنة الضرب	١٦٢ هـ
مكان الضرب	مدينة السلام
الوجه	:

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

(١) انظر شكل رقم (٤) .

الله وحده

لاشريك له

: الهامش

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها:
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اثنتين وستين ومئة
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين ترخرفها
بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

: الظاهر

المركز: كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها:

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

: الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها:

(محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على (الدين كله) ولو كره المشركون .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة

والدرهم ناقص ومثقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

رقم التسلسل ٦ ١

رقم القطعة ٣٦ مس ١

نوع المعدن ١ فضة

القطر بالمليمتر ٢٣ ١

الوزن بالغرام ٢,٧٧٠ غم ١

سنة الضرب ١٦٢ هـ ١

(١) انظر شكل رقم (٥) .

مكان الضرب مدينة السلام

هذا الدرهم مشابه للدرهم رقم (٣٠) من حيث صاحب الضرب (الخليفة المهدي) وسنة ومكان الضرب .
الا أن جزءاً كبيراً من الكتابة غير واضحة على ظهر الدرهم كما انه مثقوب (١).

الخليفة المهدي	٧	رقم التسلسل
(درهم)	٣٣ مس	رقم القطعة
	فضة	نوع المعدن
	٢٤ ملمتر	القطر بالملمتر
	٢,٨٥٠ غم	الوزن بالغرام
	١٦٢ هـ	سنة الضرب
	مدينة السلام	مكان الضرب

هذا الدرهم مشابه للدرهمين رقم ٣٠ ، ٣٦ من حيث صاحب الضرب الخليفة المهدي (وسنة ومكان الضرب كما أن الدرهم مثقوب (٢).

الخليفة المهدي	٨	رقم التسلسل
(درهم)	٣٢ مس	نوع القطعة
	فضة	نوع المعدن
	٢٣ ملمتر	القطر بالملمتر
	٢,٨٥٠ غم	الوزن بالغرام
	١٦٣ هـ	سنة الضرب
	مدينة السلام	مكان الضرب
	الوجه :	

(١) انظر شكل رقم (٦) .

(٢) انظر شكل رقم (٧) .

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة ثلث (وستين) ومئة.
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين ترخرفها
بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

<http://Archivebeta.sakhril.com>

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة ترين .

الخارجية منها دائرتان صغيرتان .

ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١)

رقم التسلسل	٩	١
رقم القطعة	٢٩ مس	١
نوع المعدن	فضة	١
	الخليفة المهدي	
	(درهم)	

(١) انظر شكل رقم (٨) .

القطر بالمليمتر	١	٢٣ مليمتر
الوزن بالغرام	١	٢,٧٨٥ غم
سنة الضرب	١	١٦٥ هـ
مكان الضرب	١	مدينة السلام
الوجه :		

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :
لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وستين ومئة .
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بثلاث دوائر متلاصقة ترخرفها
بالحيط دوائر صغيرة مزدوجة
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها :

محمد رسول الله

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

بنو

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :

محمد رسول (الله) أرسله بالهدى (ودين الحق) ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة

والدرهم مثقوب (١)

(١) انظر شكل رقم (٩)

الخليفة المهدي	١٠	١	رقم التسلسل
(درهم)	٣٥	١	رقم القطعة
فضة		١	نوع المعدن
٢١ ملليمتر		١	القطر بالمليمتر
٢,٥٩٥ غم		١	الوزن بالغرام
—		١	سنة الضرب
—		١	مكان الضرب
			الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :
لا اله الا

الله (وحده)

(لا) شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

هذا الدرهم

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين يزخرهما
بالمحيط دوائر إلا انه لا تظهر منها سوى دائرة واحدة فقط وذلك
لتااكل المسكوكة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

○

محمد رسول

الله صلى الله

عليه (وسلم)

(الخليفة) المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

محمد رسول الله أرسله (بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره المشركون (.
ويظهر بقايا دائرة كانت تحيط كلا من الكتابة المركزية
والهامشية

والدرهم متاً كل جداً ومكسوراً (١) .

رقم التسلسل	١	١١	الخليفة المعتضد بالله
رقم القطعة	١	٣٨ مس	٢٧٩ - ٢٨٩ هـ (٨٩٢ - ٩٠٢ م)
نوع المعدن	١	فضة	
القطر بالمليمتر	١	٢٢	مليمتر
الوزن بالغرام	١	٣,٣٨٠	غم
سنة الضرب	١	٢٨٥ هـ	
مكان الضرب	١	مدينة السلام	

الوجه : المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش الداخلي : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام (سنة) خمس وثمانين ومايتين .
الهامش الخارجي : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ (يفرح) المؤمنون بنصر (الله)
ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامش الداخلي والهامش الخارجي دائرة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها :

الله

محمد

(١) انظر شكل رقم (١٠) .

رسول

الله

المعتضد بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون .
والكتابة المركزية محاطة بدائرة (١).

الخليفة المقتدر بالله

١٢

رقم التسلسل

٢٩٥ - ٥٣٢٠ (٩٠٨ - ٩٣٢ م)

٣٩ مس

رقم القطعة

فضية

نوع المعدن

٢٢ مليمتراً

القطر بالمليمتر

٢,٥٢٠ غم

الوزن بالغرام

سنة الضرب

الموصل

مكان الضرب

الوجه

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها:

(لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

أبو العباس بن

أمير المؤمنين

الهامش الداخلي:

كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:

بسم الله ضرب هذا الدرهم بالموصل سنة

(١) انظر شكل رقم (١١) .

الهامش الخارجي :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها
(لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ) يفرح المؤمنون
بنصر الله .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها
محمد
رسول
الله

المقتدر بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها:
(محمد رسول الله أرسله بالهدى) ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره (المشركون) .

ويلاحظ في هذا الدرهم أن مركز الوجه تكرر ضرب قلبه مما
أدى إلى تكرار السطر الثالث منه كما أن جزء كبيراً من وجه وظهر
الدرهم غير واضح (١).

(١) انظر شكل رقم (١٢) .

« جدول الاقطار والاوزان والسنين وأماكن الضرب »

رقم التسلسل	رقم القطعة في المركز المعدن	نوع	القطر بالمليمتر	الوزن بالغرام	سنة الضرب	مكان الضرب	الخليفة العباسي
١	٣٧ مس	فضة	٢٥ مليمتر	٢,٧٥٠ غم	١٤١ هـ	الكوفة	المنصور
٢	٤٠ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٧٥٠ غم	١٥٥ هـ	مدينة السلام	المنصور
٣	٣٤ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٠٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٤	٣١ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٤٩٥ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٥	٣٠ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٢٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٦	٣٦ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٧٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٧	٣٣ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٨	٣٢ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٣ هـ	مدينة السلام	المهدي
٩	٢٩ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٨٥ غم	١٦٥ هـ	مدينة السلام	المهدي
١٠	٣٥ مس	فضة	٢١ مليمتر	٢,٥٩٥ غم	—	—	المهدي
١١	٣٨ مس	فضة	٢٢ مليمتر	٢,٣٨٠ غم	٢٨٥ هـ	مدينة السلام	المتنقذ بالله
١٢	٣٩ مس	فضة	٢٢ مليمتر	٢,٥٢٠ غم	—	الموصل	المقتدر بالله

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

المراجع العربية والأجنبية

- ١ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ
بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد
المقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أعادت طبعه
- ٢ - ابن سلام (أبو عبيد القاسم) ت ٢٢٤ هـ
كتاب الأموال (صححه وعلق على هوامشه محمد
حامد الفقي) القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ٣ - ابن طباطبا (محمد بن طباطبا) المعروف بابن الطقطقي
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر - بيروت سنة ١٩٦٦
- ٤ - ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧ هـ
فتوح مصر وأخبارها
طبعة هنري ماسية - القاهرة ١٩١٤
- ٥ - أبو القدا (إسماعيل بن عماد الدين) ت ٧٣٢ هـ
تقويم البلدان
طبعة باريس سنة ١٨٣٠ م
- ٦ - انستاس الكرملي (الأب)
التقود العربية وعلم النميات
القاهرة ١٩٣٩ م
- ٧ - البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ
كتاب فتوح البلدان
وقد نشر الكرملي الجزء الخاص بالتقود
لندن ١٨٦٦ م
- ٨ - حسن ابراهيم حسن (الدكتور)
تأريخ الاسلام السياسي
٣ أجزاء - القاهرة سنة ١٩٥٤ - ١٩٤٨ م

٩ حسن ابراهيم حسن (الدكتور) علي ابراهيم حسن (الدكتور)

النظم الإسلامية طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩م

١٠ الحسيني (الدكتور محمد باقر)

العملة الإسلامية في العهد الأتابكي

مطبعة دار الجاحظ - بغداد سنة ١٩٦٦م

(١١)

تطور النقود العربية الإسلامية

مطبعة دار الجاحظ - بغداد سنة ١٩٦٩م

١٢ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ

تاريخ الرسل والملوك دار المعارف بمصر ١٩٦٦ تحقيق أبو الفضل

ابراهيم

١٣ عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور)

فجر السكة العربية

مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٥م

١٤ النقود العربية ماضيها وحاضرها

من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣)

١٥ فبراير سنة ١٩٦٤م

١٥ ————— الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الإسلامية

مستل من كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية

المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩م

١٦ ————— صنع السكة في فجر الإسلام

مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٧م

١٧ علي ابراهيم حسن (الدكتور)

التاريخ الإسلامي العام

مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٢م

(١٨) لين بول (ستانلي)

طبقات سلاطين الإسلام

ترجمة عباس إقبال ومكي طاهر الكعبي

دار منشورات البصري ١٩٦٨م

(١٩) المقريري (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ

النقود القديمة الإسلامية

(نشرة الأب أنستاس الكرمل في كتابه النقود العربية

وعلم التماثيل) القاهرة ١٩٣٩

(٢٠) النقشبندی (ناصر الدين)

الدينار الإسلامي في المتحف العراقي بغداد ١٩٥٣م

(٢١) وداد القزاز الدرهم العباسي في زمن الخلفيتين المهدي والهادي

مستل من مجلة سومر المجلد العشرون الجزء الأول

والثاني بغداد سنة ١٩٦٤م

(٢٢) ياقوت (شهاب أبو عبدالله الحموي الرومي) ت ٦٢٦هـ

معجم البلدان (٥ مجلدات) دار صادر للطباعة والنشر

طبعة بيروت سنة ١٩٥٧م

(٢٣) يوسف (غنيمة)

النقود العباسية

مستل من مجلة سومر المجلد التاسع الجزء الأول

بغداد سنة ١٩٥٣م

(٢٤)

Lane-Poole (stanley)

Catalogue of oriental coins in the British Museum

London-1875-1890

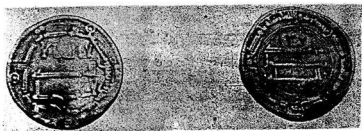
(٢٥)

Walker (John):

A catalogue of the Arab-Sassanian Coins (London 1941)

وجه

ظهر



درهم رقم ۱

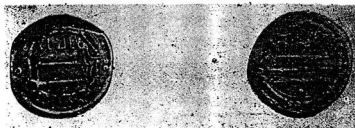


درهم رقم ۲



درهم رقم ۳

۱۵۲

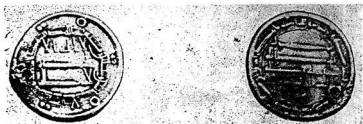


۱۰۰ ریال درم رقم ۴



۱۰۰ ریال درم رقم ۵





درهم رقم ۷



درهم رقم ۸



درهم رقم ۹



درهم رقم ١٠



ARCHIVE

درهم رقم ١١

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



درهم رقم ١٢

عبد الواحد الرمضاني

مدرس مساعد قسم التاريخ

كلية الاداب - جامعة الموصل

عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ مُحَمَّد بنُ عمرو بنُ جَزْءِ الانصاري

(ت ١٢٠ - ١٢٥ هـ / ٧٤٧ - ٧٥٢ م)

وكتابه التاريخ في السيرة والمعاري

محمود ياسين التكريتي

تمهيد :

ساهمت مدرسة المدينة خلال القرنين الأول والثاني
 الهجريين في نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين (١)
 إذ أخذت هذه الفكرة في بداية نشوئها التأكيد على
 دراسة الحديث والإهتمام به (٢) لكونه أحسن مرجع
 أمام الصحابة لمعرفة التشريع وفائدته (٣) فانبرى قسم
 منهم لكتابة حديث رسول الله (ص) والتركيز على
 أقواله وأفعاله .

- (١) سوف لا أتناول في البحث العوامل التي أدت إلى نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين
 راجع بهذا الصدد فرانز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٥ - ٩٩ ،
 الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٣ - ٢١ ، جواد علي / موارد تاريخ
 الطبري / مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الأول / ٤٤ - ١٥٣ السنة الأولى ١٩٥٠ .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية / ٧٤ / ٢٣٨ تراجع مادة الحديث . مقالة كتبها المشرق
 جوينيل ، بشار عواد / مقالة أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين /
 (نشرها كاتب المقال في كراس صغير) .
- (٣) دائرة المعارف الإسلامية / ١٢٢ / ٤٤٠ ، (مادة السيرة) .

□ وهذا ، لاشك ، يمثل الإنجاه الإسلامي الذي انتهجته مدرسة المدينة (١) دار سنة الرسول ومركز حكمه وإلى جانب هذا الاتجاه أصبح للبصرة والكوفة إنجاه قبلي ، وصار لكل إنجاه مدرسة تاريخية. ونتيجة للتأثير المتبادل بين المدرستين تفوق الاتجاه الإسلامي فتغلب اتجاه أهل الحديث (٢) وعلى هذا فالظاهرة البارزة التي نراها على المؤرخين القدماء أن أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث (٣) وأعتمد على مادتهم في التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة. (٤) كانت الجهود التي بذلت في كتابة الحديث ودراسته بداية لظهور الكتابة التاريخية عند المسلمين (٥) كما ساعدت في نفس الوقت على تطور فكرة التاريخ عندهم (٦) بالإضافة إلى كونها تكشف لنا علاقة الحديث بالتاريخ. واتسعت جهود أهل المدينة من جيل التابعين في دراسة الحديث لتتعدى أحاديث الرسول (ص) فتشمل تسجيل أقوال الصحابة وأعمالهم ، وفعلاً أثمرت تلك الجهود في أواخر القرن الأول الهجري لتشمل أخيراً فعاليات الأمة بكاملها (٧) فبدأ بعدها تأليف كتب الإدارة والآداب والقضاء .

أخذت الدراسة الأولى لحياة الرسول والتي قام بها التابعون وتابعو التابعين أساساً لمادتها التاريخية دراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاءوا من قبله (٨) ويعلق الأستاذ جواد: على هذه الدراسة بقوله : (يمكن أن يقال عنها « بداية » السيرة ولذلك قيل لها « المبتداء » أو « المبدأ ») . (٩) وأعقب هذه الدراسة

- (١) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٢) المرجع السابق / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٣) جواد علي / مقالة - موارد تاريخ الطبري / ٥٦ ، منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الأول من السنة الأولى ١٩٥٠ .
- (٤) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٥) أنظر بهذا الصدد / الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ ، ٣٢ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٦ - ١٥٧ .
- (٦) بشار عواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ٥ .
- (٧) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .
- (٨) جواد علي / مقالة موارد تاريخ الطبري / ١٥٠ - ١٥١ .
- (٩) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥١ .

التركيز على غزوات الرسول (ص) (١) وتدوينها ، ثم شملت فترة الرسالة تبعها جهود التابعين (٢) في هذا المضمار وأتمت كتاباتهم بالدقة والتحري والإهتمام بالإسناد .

علق هورفيتس على هذه الناحية بقوله : « إذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحائف والكتب مشكوكاً في صحتها وقيمتها فإنه لا يوجد شك في أنّ مثل هذه الكتب كانت نادرة في جيل التابعين الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة » (٣) .

لقد أطلق حول هذه الدراسات الأولى التي شملت حياة الرسول أسم المغازي (٤) وقد ذكر الأستاذ « هاملتون جب » أنّ المغازي أو الغزوات اصطلاح أطلق على المصنفات الأولى التي ألّفَت السير (٥) ، وبين أيدينا آراء أخرى حول معنى المغازي فقد ذكر الأستاذ الدوري أنّها « تعني لغوياً غزوات الرسول (ص) وحروبه » (٦) وذهب الأستاذ جواد علي إلى إلحاقها بالسيرة فقال : « ثم صار العرف أنّ يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له المغازي وهو القسم الثالث والخامسة » (٧) ، وعلى ضوء ما تقدم نستنتج اتساع أفق الكتابة التاريخية وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين

(١) ذكر ليفي دلافيدا في مقاله عن السيرة (أن إنصراف الجيل الثاني من المؤمنين إلى تحليل ذكرى

المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية) وعليه فهو يضيف سبباً آخر من الأسباب

التي دفعت المسلمين إلى كتابة المغازي / دائرة المعارف الإسلامية ، م ١٢ / ٤٤٠

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية م ٧ / ٢٣١

(٣) يوسف هورفيتس / المغازي الأول ومؤلفوها ٢ .

(٤) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية / م ٤ / ٤٨٦ (مقالة كتبها جب ، مادة علم التاريخ) .

(٦) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / .

(٧) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥١

بدليل أنها شملت فترة الرسالة بكاملها (١) في وقت زاد الإهتمام فيه بجمع الحديث وتسجيله على نطاق واسع على أن دراسة السيرة (٢) إنما ازدهرت خاصة في المدينة وتمت في صورتها الواسعة إلى جانب الأحاديث (٣) ومن هنا يتضح لنا أن السيرة ذات مفهوم عام وشامل .

ومن الذين ألفوا من جيل التابعين في السيرة والمغازي عروة بن الزبير بن العوام ت ٨٩٤ / ٧١٢ م (٤) أعقبه أبان بن عثمان بن عفان ت سنة ٩٥ هـ - ١٠٥ هـ (٥) ومن معاصري عروة شرحبيل بن سعد ت ١٢٣ / ٧٤٠ م. (٦) عقب هؤلاء ثلاثة من العلماء ألفوا في المغازي ، وهم : عبدالله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٣٠ - ١٣٥ هـ / ٧٤٧ - ٧٥٢ م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م) (٧) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ / ٧٤١ م . غير ان كتب هؤلاء فقدت ولم يبق منها غير الإقتباسات التي وردت في الكتب (٨) ومما يؤكد بلا شك فقدان تلك الكتب مقالته فرائز روزنثال في تعليقه على الصور الأساسية لعلم التاريخ الإسلامي بقوله : « لذلك قد يبدو أن الكتب الأولى التي دونت في تاريخ الخبر وكذلك الأشكال الرئيسية الأخرى كانت كتباً خاصة دونها العلماء ولم تبق عنها

- (١) مورفيس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٢ ، الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ ، دائرة المعارف الإسلامية / ١٢ / ٤٤٩ ، بشار عواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ١٢ .
- (٢) أشار حاجي خليفة إلى أن الإمام محمد بن اسحاق رئيس أهل المغازي هو أول من كتب بالسيرة وقد حددت سنة وفاته ١٥١ هـ / ٧٦١ م ، حاجي خليفة / كشف الظنون ١١١ - ١١٢ .
- (٣) دائرة المعارف الإسلامية / ١٢ / ٤٥٠ ، راجع مادة السيرة .
- (٤) انظره في / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٠٣ ، الذهبي / تذكرة الحفاظ / ١ / ١١٦ .
- مورفيس: المغازي الأولى ومؤلفوها / ١١ - ١٥ الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب ٢٠ - ٢١ .
- (٥) راجع حوله / ابن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٠١ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٠٥ .
- (٦) انظره في خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٦١ ، الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٢ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٢ .
- (٧) انظره في / الذهبي / تذكرة الحفاظ / ١ / ١٠٦ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٥٤ / ٥ .
- (٨) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٣ .

معلومات واضحة أو دقيقة » (١) .

لقد استمر العلماء المسلمون السابقون في الكتابة التاريخية إلى أن حلّ القرن الثاني الهجري حيث شهد نشاطاً ملحوظاً للأخباريين واللغويين والنسابين (٢) كلٌّ في حقله إلى أن أنتجت هذه الدراسات جميعاً مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة . (٣) وأخيراً يمكننا القول أن دراسة السيرة لم تستقر إلاّ في منتصف القرن الثاني الهجري وتلمس هذا من خلال تعرفنا على تراث الزهري ومن تبعه من كتاب مدرسة المدينة إذ راعى الجميع التسلسل التاريخي في تدوين الحوادث التاريخية ، وكما عبر عنه الأستاذ الدوري في دراسته بقوله : « ودراسة رواياته التي وصلتنا جعلتنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى السيرة — وهو التعبير الذي استعمله — هيكلًا محلولاً ورسم خطوطها بوضوح » . (٤) ثم قال : « وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة » . (٥)

تتركز دراستنا هذه على جهود محدث عاصر الزهري في حياته وأخذ عنه بعض رواياته ، كتب في السيرة والمغازي ، وحاول في نفس الوقت أن يكتب عن تاريخ الأمة وأحداثها . هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، ولأجل معرفة أسلوبه في الكتابة التاريخية وجب التعرف على حياته .

(١) فرانز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٩ .

(٢) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٣٤ - ٣٥ .

(٣) بعد التوسع في دراسة المغازي والسيرة ، وبعد استعراض تطور الكتابة التاريخية خلال القرن الثاني الهجري نلاحظ ظهور النقد التاريخي والإلتزام به ، وأصبح ضمن أسلوب مدرسة العراق إلى جانب أسلوب مدرسة المدينة .

(٤) الدوري / بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب / ٢٣ .

(٥) المصدر السابق / التاريخ عند العرب / ٢٣ .

حياته :

هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي من بني النجار (١) يقال له أبو بكر المدني (٢) ولد (٣) من أسرة مدنية خدم أبناؤها الإسلام وقيام دولته منذ عهد النبي (ص) (٤) وتقلد بعضهم مناصب إدارية فيها (تسنة ١٣٠ - ١٣٥هـ / ٧٤٧ - ٧٥٢م) (٥) بعد أن عاش سبعين عاماً .

يبدو أنه درس على يد علماء عصره من المحدثين والرواة وأخذ بعض رواياته من بيته وخاصة أسرته (٦) إذ اشتهر من بينها جده محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري، ووالده الراوية أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وخالة أبيه عمرة بنت عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة التي روت الحديث عن عائشة (رض) .

أما جده الأكبر عمرو بن حزم الأنصاري كان من بين من بعثهم الرسول (ص) إلى أمصار الجزيرة العربية حتى نراه يستقر عاملاً في اليمن (٧) بعد أن ولّاه الرسول (ص) وفداهم ليقيمهم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه أمره وأمره فيه بأمره (٨)

- (١) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .
- (٢) ذكر خليفة بن خياط كنيته بأبي محمد / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٦٠ .
- (٣) تجهل المصادر التاريخية سنة ولادته وتاريخ حياته .
- (٤) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٧ .
- (٥) اختلفت المصادر التاريخية حول سنة وفاته بل وردت إلينا إشارة في كتاب الطبقات لخليفة ابن خياط أن سنة وفاته هي ١٣٠هـ زمن أبي جعفر وقصد به الخليفة أبو جعفر المنصور ، كما حددها جواد علي سنة ١٣٦هـ .. راجع بصددها / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٦٠ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ٢٠٩ ، عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣ .
- (٦) انظر محمد بن سعد / الطبقات / ٧٢ / ٢١٧ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٢١٧ / طبعة المعارف بمصر / ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٤ / ٥٩٤ - ٥٩٥هـ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٢٦ .
- (٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٥٩٤ - ٥٩٥هـ ، هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٧ .

وبقي في اليمن إلى أن ولي أمر نجران حينما فرق الرسول (ص) أعمال اليمن على جماعة من المسلمين (١) ويبدو أن عمرو بن حزم بقي على نجران إلى وفاة الرسول (ص) ، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله « كان على نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن حرب ، وعمرو بن حزم على الصلاة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات » (٢) أما البلاذري فقد ذكر أن « أبا سفيان بن حرب ولي نجران بعد عمرو بن حزم (٣) وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن عمرو بن حزم لم يستمر في عمله الإداري في نجران إذ ترك أرضها وغادرها بسبب الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول (ص) إذ أنتفضت اليمن والبلدان وأرتد باليمن الأسود العنسي (٤) بعد أن كانت مذبحة العنسي وواعدته نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعد بن العاص وأنزلوه مترلها ، (٥) وتنفط أخباره حتى توفي سنة ٥٦٣ يوم الحرة (٦) حينما هزم الأمويون أهل المدينة ، ومما لا شك فيه أن عمرو بن حزم من أصحاب الرسول (ص) وكان يخرج بعض الأحيان في صحبته ، سمع حديثه ، ولا شك أن أباه بكر حدث عن أبيه بعض حديثه ورواه عنه ابنه عبدالله بن أبي بكر بن حزم .

أما والده أبو بكر فكنته عبد الملك (٧) وأمه خاتمة بنت عمارة (٨)

- (١) في سنة ٥١٠ حج الرسول (ص) بالمسلمين حجة الوداع ورجع إلى المدينة وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال وأفرد كل رجل بحيزه ... واستعمل عمرو بن حزم على نجران / انظر / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٣/١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٢٨ .
- (٢) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٨/٣ .
- (٣) البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٣/١ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٩/٣ .
- (٥) الطبري / تاريخ الطبري / ١٨٥/٣ . طبعة دار المعارف .
- (٦) المصدر السابق تاريخ الطبري / ٥ / ٤٩٠ . ط. دار المعارف .
- (٧) ذكر ابن حجر العسقلاني كنته أبو محمد وقيل لإسمه أبو بكر وقيل لإسمه وكنته - والتصويب من الطبري / كنته عبد الملك / انظر المنتخب من ذيل المذيل / ١٢٨٠٥ (الطبعة الأوردية) .
- (٨) هو عمارة بن حزم وكان عقيماً (أي من شهد بيعة العقبة مع الرسول (ص) بدرياً وهم عم بني عمرو بن حزم روى الحديث الطبري / تاريخ الطبري / ١٠٦/٣ .

القاضي المدني روى الحديث عن أبيه وأرسل عن جده وعبد الله بن يزيد ابن عبدربه الأنصاري وعن خالته عمرة بنت عبد الرحمن وآخرين ثقة (١). وكان من محدثي أهل المدينة وثقاتهم أهم بكتابة الحديث ، ودرسته ومما زاد من اهتمامه هو طلب عمر بن عبد العزيز منه كتابة الحديث وروى لنا عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة وأم سلمة : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث الرسول (ص) أو سنة ماضية أو حديث عمرة فأكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله (٢) وربما ساعدت على ثقة عمر بن عبد العزيز به هو شهرة تبحره في الفقه (٣) إذ درس على يد أبان بن عثمان بن عفان (٤) فضلاً عن كونه ذا إلمام ومعرفة بالقضاء قال (أبو ثابت عن ابن وهب عن مالك : لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٥) . وتقلد قضاء المدينة في سنة ٨٦ هـ في ولاية عمر بن عبد العزيز لها ، وهذا يكشف عن إشارة عمر عليه في كتابة الحديث جاءت على عهد ولايته للمدينة كما شهد عمر بن عبد العزيز على قبلته وعلمه فقال لقاضيه (ما وجدت من أمر هو ألد عندي من حق وفاق هوى) (٦).

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ووردت إلينا إشارة عند البلاذري تفصح لنا بأنه تقلد مكة (وكان يتخاصم إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في أجور الدور بمكة فيقضي بها على من

- (١) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .
- (٢) ابن سعد / الطبقات / ٢م / ١٣٤ ، ٣٥٣ ، وأضاف ابن حجر العسقلاني قائلا : وكان ولاء عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد / ابن حجر / ٣٩ / ٢ .
- (٣) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .
- (٤) الذهبي / تراجم رجال دوي عنهم ابن اسحاق / ٩٠ .
- (٥) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/٢ .
- (٦) ابن سعد / الطبقات / ٥ / ٢٤٥ ، ٢٥٢ .

أكثرها وهو قول مالك وآبن ذئب (١) ومع هذا لم تسعنا المصادر التاريخية بمعلومات نستطيع على ضوءها إثبات أو نفي ما أشار اليه البلاذري في أن أبا بكر بن حزم تقلد قضاء مكة وربما وقع في خطأ أو وهم في التعبير فكتب مكة بدل المدينة .

تنقل بين المناصب الإدارية للدولة الأموية فعينه الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ ولاية المدينة وقضاءها (٢) وعاق هورفيتس عليها بقوله : « تلك الولاية لم يتقلدها قبله أحد من أهل المدينة في عصر الأمويين » (٣) وأستمر في منصبه هذا على عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى أن عزله الخليفة يزيد الثاني من منصب الولاية وبقي محتفظاً بمنصب القضاء إلى سنة ١١٨ هـ حيث عاد فتقلد منصب ولاية المدينة من جديد لبضعة أيام وتوفي سنة ١٢٠ هـ (٤) .

ترك أبو بكر بن حزم كتباً في الحديث تمثل آثاره التاريخية فقد ذكرها آبن حجر بقوله « وزاد غيره فسألت أبنة عبدالله بن أبي بكر عن تلك الكتب فقال ضاعت » (٥) ، وكان له فضل علمي على ولده عبدالله بن أبي بكر بن حزم فنراه يحثه على دراسة الحديث والتأكد من صحته عن طريق المقارنة والتحري (النقد) ويقول له : « إني أراك تحب الحديث وتجاهل أهلها فلا تستقبل صدر حديث إلا إذا سمعت عبزه استدلل بأعجازها على صدورها » (٦) وأشهر من

(١) البلاذري / فتوح البلدان / ١٣ / ٥٠ .

(٢) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٨٩ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩ / ١٢ .

(٣) نقل هورفيتس تعليقه هذا من ابن حجر / انظر بهذا الصدد / ابن حجر / تهذيب التهذيب

/ ١٢ / ٣٩ ، هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .

(٤) إختلف حول سنة وفاته فقد أخطأ خليفة بن خياط بذكرها سنة ٨١٠٠ ، وقال الهيثم بن عدي

(وابن أبي بكر مات سنة ٨١١٧) والأصح هو ما رواه ابن حجر عن الواقدي أن سنة وفاته

هي ٨١٢٠ ، بدليل أنه بقي في ولاية المدينة إلى سنة ٨١١٨ / ابن حجر / تهذيب التهذيب

/ ١٢ / ٣٩ .

(٥) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩ / ١٢ .

(٦) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٩١ .

روى عنه الحديث ابنه عبدالله (١) ومحمد وابن عمه محمد بن عمارة بن عمرو ابن حزم وعمرو بن دينار والزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى . وخلف من الأولاد عثمان ومحمد أبا بكر الفقيه وأم كلثوم (٢) ولهذا نشاهد والده كان أحد الشيوخ الذين درس على يدهم عبدالله بن أبي بكر بن حزم .

ومن الرواة الآخرين الذين أخذ منهم رواياته عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار خالة أبيه ، روت الكثير من الأحاديث عن السيرة النبوية ، خاصة وأنها تعيش مع عائشة (رض) وفي حجرها (٣) وعن سلمة وكانت من الثقة في الحديث ومن بين من روى عنها محمد بن شهاب الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى في مدينة تابعة (٤) . أما الشيوخ الآخرون الذين روى عنهم الحديث فهم عروة بن الزبير بن العوام (٥) ومحمد بن شهاب الزهرى (٦) ويحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة ، وعبدالله بن كعب ، وصفية بنت حي بن أخطب ، والعباس بن سهل بن سعد الساعدي وآخرون غيرهم ، كما روى الكثير من الروايات بدون ذكر الإسناد .

شهدت المدينة نشاطاً ثقافياً واسعاً تركز في دراسة الحديث وكتابته في الفترة التي عاش فيها عبدالله بن أبي بكر بن حزم فترك أثراً في شخصيته العلمية . وخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول (ص) والتي شكلت في دورها أبعاد السيرة النبوية ، وإن هذا الارتباط من الأحاديث والسيرة ترك أثراً لا يمحى

(١) روى عبدالله بن أبي بكر بن حزم الحديث عن أبيه وعدد رواياته التي عثرت عليها ثلاثة من مجموع الروايات المستدة ، كما روى ما يقرب من سبع روايات عن عمرة بنت عبدالرحمن خالة أبيه .

(٢) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .

(٣) ابن سعد / الطبقات / ١٣٤/٢ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٤٣٨/١٢ .

(٤) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٤٣٩/١٢ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٢١٤/٤ - مطبعة المعارف .

(٦) ابن هشام / ١٥ / ٢٦٥ انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٩١/٢ .

في أسلوب التأليف التاريخي (١) وفي الوقت نفسه زادت ثقة الناس في روايات التابعين وتابعيهم (٢) فأقدم العلماء على الدراسة والكتابة ومن بينهم عبدالله بن حزم الذي وجد من البيئة الثقافية عاملاً حثه على الدراسة خاصة وقد سبقه في هذا الحقل الثقافي دارسون اعتبروا من مؤسسي مدرسة المدينة أمثال أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد (٣) ، فجاء ليضيف إلى ما كتبوا قائمة من الروايات التي ربطت مدرسة المدينة في الجيل التالي بعد عروة وشرحبيل فضلاً عن أن الزهري هو المؤرخ المعاصر له إذ توفي (سنة ١٢٤ هـ) (٤) والذي أعطى للمغازي والسيرة بدراسته الواسعة هيكلها وعليه اجتمعت العوامل البيئية والثقافية والاجتماعية لتساهم في توجيه عبدالله بن أبي بكر بن حزم لدراسة الحديث وروايته. يضيف هورفيتس إلى ماسبق عاملاً آخر شجعه على الدراسة والكتابة هو ابتعاده عن الأعمال الرسمية (٥) معتمداً على ما ذكره ابن حجر العسقلاني حول ذلك بقوله : (عن ابن القاسم عن مالك أخبرني ابن خثابة (٦) قال : قال لي : شهاب من بالمدينة يعني فأجابه فقال : ابن شهاب ما ثم مثل عبدالله بن أبي بكر ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حي) . (٧) مما لاشك فيه أن عدم اشتغاله في منصب إداري واجهه نحو الكتابة ولكننا نتجاهل الأسباب التي منعت من تقلده للمناصب الإدارية . كما لم تتوفر أماننا المعلومات التاريخية عن حياته اليومية وبهذا تبقى الجوانب الأخرى غامضة ، ولم يصل إلينا غير نص يؤكد بدوره على أنه عاش محدثاً في المدينة وفي مسجدها . (٨)

- (١) دائرة المعارف الإسلامية / ٤م / ٤٨٧ (راجع مادة التاريخ) .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية / ٢٣١/٧م (راجع مادة الحديث) .
- (٣) مر التعريف بهم سابقاً .
- (٤) عبدالعزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٢ ، كما وصلتنا بعض النصوص التي رواها عبدالله بن أبي بكر عن محمد بن مسلم الزهري .
- (٥) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٤٠ .
- (٦) ورد رسم كلمة (خثابة) في هورفيتس الحاشية بكلمة عزابه والتصويب من ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ .
- (٧) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ - ١٦٥ .
- (٨) انظر النص : في الطبري / تاريخ الطبري / ٣٨٦/٣ - ٣٨٧

امتناز بصدقه وكثرة رواياته للأحاديث ووصفه أبو حاتم والنسائي بأنه ثقة (١) وأضاف ابن سعد أنه كان كثير الحديث عالماً ، وقال مالك : من أهل العلم والبصرة ، وقال عنه ابن عبد البر : كان من أهل العلم ثقة ومحدثاً وفقياً مأموناً حافظاً (٢) . ووضعه ابن خياط ضمن الطبقة السابعة من محدثي أهل المدينة (٣) وعليه فقد التفت المصادر على ذكره ضمن طبقة المحدثين الثقات .

إن التعرف على جوانب الدراسة التاريخية التي قام بها عبدالله بن أبي بكر بن حزم لا يمت إلا بالرجوع إلى كتب التاريخ التي حفظت لنا بين نصوصها بعض آثاره بالرغم من فقدان كتابه الذي يشمل المغازي والسيرة . وتمثل هذه الآثار مقتبسات من النصوص التي ذكرها المؤرخون مثل ابن هشام والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس وابن كثير .

كتابته التاريخية :

تناولت دراسته الأحداث التاريخية القريبة من بعثة الرسول (ص) (٤) وبهذا ساهم في الكشف عن بعض الجوانب التاريخية عن (العصر الجاهلي) ثم انتقل إلى دراسة الفترة الإسلامية وشملت حياة الرسول (ص) بما فيها الفترة المكية وذكر الوحي ونزول جبرائيل ، مبايعة الأوس والخزرج للرسول (ص) وموقف قريش من مبايعة الأنصار ، ثم يأتي تركيزه على الفترة المدنية أكثر من الفترة المكية . ذكر مثلاً أول جمعة أقيمت بالمدينة وإسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وذكر أول من توفي بالمدينة وأول من ولد فيها بعد الهجرة ، ثم ينتقل بالكتابة عن مغازي الرسول (ص) مبتدأً بغزوة بدر الكبرى (٥) وتصدى المسلمين لقافلة أبي سفيان بن حرب ، وموقف أبي سفيان ، واستنفار قريش ضد المسلمين ، وذكره في بدر ، وذكره القتل والأسرى من قريش . ثم ينتقل

(١) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق ٢٥ / ابن حجر / تهذيب التهذيب ١٦٥/٥ .

(٢) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب ١٦٥/٥ .

(٣) خليفة بن خياط / الطبقات ٦٠٢/٤ .

(٤) بلغ عدد الروايات التي رواها عبدالله بن حزم (٦) نصوص آثاره التاريخية .

(٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٦٠٦ - ٦٠٧ / الدرر / تاريخ الطبري ٢٢٧/٢

إلى ذكر غزوة حمراء الأسد (١) وغزوة الخندق ، وغزوة غطفان ، وغزوة بني
 الحبان ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بني المصطلق وسرية زيد بن حارثة إلى وادي
 أم القرى ، ثم غزوة خيبر ، وسرية غالب بن عبدالله ، وغزوة ذات السلاسل .
 وغزوة مؤتة ثم فتح مكة ، يوم الخندمة ، وغزوة حنين ، وغزوة تبوك (٢) ،
 ثم يقدم مادة تاريخية طيبة عن الوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) كوفد
 نعيم وحمير سنة ٩ هـ . ووفد الأزد ، ووفد زيد (٣) ، ووفد عمرو بن معد
 بن بكر ، ووفد عبدالقيس . كما ذكر الوفود التي بعثها الرسول (ص) إلى
 أمصار الجزيرة العربية كارساله وفدا الى نجد يدعوهم إلى الإسلام سنة ٣ هـ (٤) ،
 وفد الرسول إلى نجران سنة ٩ هـ (٥) .

ونقل لنا عبدالله بن أبي بكر بن حزم بعض كتب الرسول إلى عماله ووصاياه
 أولئك التي أرسلها إلى القبائل العربية أو ملوك المناطق المجاورة ومن هذه الكتب
 كتاب ملوك حمير إلى الرسول (ص) وجواب الرسول عليه (٦) وكتاب
 الرسول (ص) إلى خالد بن الوليد سنة ١٠ هـ ، وجواب خالد عليه ، (٧)
 ووصيته لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ، وكتاب الرسول إلى كسرى أنوشروان (٨)
 ثم كتاب مسيلمة إلى الرسول والجواب عليه (٩) . ويبدو أنه ساهم في حفظ
 جزء من الوثائق الرسمية لدولة الإسلام عن طريق روايته أخبار الكتب والسفارات

- (١) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ق / ١٠٢ الطبري / تاريخ الطبري / ٥٣٥/٢ طبعة المعارف -
 مصر - ابن سيد الناس / عيون الأثر في فنون المفاصل والشمائل والسير / ٢ / ٢
- (٢) سيأتي ذكر هذه الغزوات أثناء إستعراض المادة التاريخية التي قدمها لنا عبدالله بن أبي بكر
 ابن حزم .
- (٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١١٥/٣ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، مطبعة المعارف ، مصر .
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ق / ١٨٤ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .
- (٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ق / ٥٢٨ .
- (٦) الطبري / تاريخ الطبري / ١١٥/٣ .
- (٧) المصدر السابق / ١٢٦/٣ .
- (٨) نفس المصدر السابق / ٦٥٥/٢ .
- (٩) الطبري / تاريخ الطبري / ١٤٦/٣ .

التي بعثها الرسول (ص) في عهده أو الولاة على عهده ، فضلاً عن كشفها عن طبيعة الديبلوماسية عند المسلمين (على عهد الرسول (ص)) .

ولم تقتصر دراسته على هذه النواحي بل روى أخباراً وقعت في عهد الرسول (ص) وهو بالمدينة مثلاً هجرة زينب بنت الرسول (ص) ووقوع أبي العاص زوجها بالأسر في يوم بدر ، واستشارة رسول الله المسلمين باطلاق تجارتها ، والحديث عن إسلامه (١) ، وحديث الإفك (٢) والحديبية ، وخروج الرسول معتمراً إلى مكة (٣) وبيعة الرضوان تحت الشجرة (٤) ، كما تطرق الى ذكر مرض الرسول (ص) وأمره إلى أبي بكر بالصلاة في الناس (٥) ثم نقله خبر وفاة الرسول (ص) سنة ١١ هـ ويوم دفنه (٦) ، وصلاة العباس بالمسلمين على الرسول ، والقاء المغيرة بن شعبة خاتماً في قبر الرسول أثناء دفنه . (٧) .

ويتحفنا عبدالله بن أبي بكر بن حزم ببعض المعلومات الإقتصادية كالنفي والغنائم والأصناف الذين شملتهم قسمة الأموال من المسلمين من أموال المؤلفين قلوبهم من غنائم حنين (٨) كما يورد في رواياته ذكر لعمال الرسول وبعض ولاته على الوفود الذين بلغتهم إلى القبائل العربية أو ملوك الدول المجاورة ، كما قدم لنا بعض أسماء الذين استخلفهم الرسول على المدينة أثناء خروجه غازياً

- (١) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٤٥٠ - ٤٥١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٤٦٦ / ٤٦٧ .
- (٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٢٩٧ - ٢٩٩ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦١١ / ٢ .
- (٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٣٠٩ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦٢٣ / ٢ .
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٣١٥ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦٣٢ / ٣ .
- (٥) ابن سعد / الطبقات / ٢ / ٢٠٠ .
- (٦) راجع ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٦٢٢ ، ٦٦٤ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ .
- (٧) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٤١ ، ابن سعد / الطبقات / ٢ / ٧٨ / ٢ .
- (٨) انظر ابن هشام / السيرة / ١ / ٦٤٢ ، ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٥ ، الطبري / ٤٤٤ / ٢ - .

بالمسلمين (١) ، وذكره عمال الرسول على الأمصار لجمع الصدقات . (٢)
ويستمر عبدالله بن حزم في تقديم الأخبار عن عهد الخلافة الإسلامية ، ففي
عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رض) يذكر لنا استشارة عبدالرحمن بن عوف
لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر بالخلافة واستقرار رأي عمر على مبايعته
أمام الناس بالمدينة (يوم السقيفة) (٣) ثم حديثه عن الردة بما فيها ردة هوازن
وسليم وعامر وحضرموت ، وقدم الأشعث إلى الرسول وإسلامه (٤) ،
وتوجيه الجيوش إلى الشام ووقعة قرقر (الجسر) (٥) ، وتكلمه على معركة
القادسية . (٦) .

شملت دراسته أيضاً عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كتوليه الخلافة وذكر
خطبته في المسلمين سنة ٢٣ هـ ، وقسمة عمر بن الخطاب لوادي أم القرى بين
المسلمين بعد إجماع اليهود من خيبر (٧) وذكره قصة وقعت في نجران على
عهد عمر بن الخطاب . ونشهد أثراً لروايته في عهد الخليفة عثمان بن عفان
فيورد لنا نصاً واحداً عن مقتله سنة (٣٥ هـ) . فقال : (نزول المؤذن عليه
يأذنه بالصلاة فرفض وخرج إلى الإمام علي فقام وصلى بالناس في اليوم الآخر
من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ حتى قتل) (رض) / (٨) .

أما العهد الأموي فقد وصل إلينا نص واحد كان قد رواه عبدالله بن حزم
الأنصاري ، ويتعلق بمقتل ابن الزبير وجماعة من المسلمين ، قال : (بعث
الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبدالله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن

(١) مر ذكر هذه الوفود سابقاً ، كما سيأتي ذكرها ضمن آثاره التاريخية انظر الطبري / تاريخ الطبري

/ ٣ / ١٤٧ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٦٥٧ .

(٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٢٩ .

(٤) المصدر السابق / ٣ / ٣٨٧ ، ٤٥٩ .

(٥) المصدر السابق / ٣ / ٥٧٥ .

(٦) المصدر السابق / ٤ / ٢١٤ .

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٣٥٧ .

(٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٤ / ٤٢٣ .

حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم ذهب إلى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فباع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان (١) .

تناولت دراسته حياة الرسول وفترة الرسالة ، بعد أن روى لنا بعض النصوص المتعلقة بالفترة القريبة من عهد البعثة النبوية . (العصر الجاهلي) منتقلاً إلى ذكر الفترة المكية مستعرضاً ومفصلاً الفترة المدنية مع تركه لنا اشارات تعود إلى العهد الراشدي والأموي تمثل تاريخ الخلفاء .

نستنتج مما سبق كله وجود محاولة لدى عبدالله بن أبي بكر للكتابة عن السيرة بالرغم من تركيزه الواضح على مغازي رسول الله (ص) (٢) وتفصيله في بعضها ، ولأشك أنه استمد رواياته هذه من محدثي أهل المدينة الثقات بالإضافة إلى اهتمامه بالتسلسل التاريخي (الزمني) في عرض مادته التاريخية ففكرة التاريخ واضحة عند ابن حزم .

أسلوبه :

تميزت كتابته بالدقة والحياد إذ كتبها بأسلوب مدرسة المدينة ، وخير ما يفسر هذا تعبيره عن الحادثة الواحدة بأكثر من نص تاريخي أحياناً ، أما الحياد فيتضح من خلال فكرته فلم تكن لديه أية ميول فكرية أو سياسية ، بالإضافة إلى ما امتاز به أسلوبه من البساطة والوضوح بعيداً عن المبالغة والتأثير .

ترك عبدالله بن حزم في كتابته مجالاً لذكر الشعر مستشهداً به على لسان رجال ساهموا في الأحداث التاريخية التي قالوا فيها شعرهم ، فقد أورد في معركة بدر الكبرى (٣) وفي غزوة حمراء الأسد (٤) وفي غزوة خيبر (٧ هـ) (٥) وغزوة بني بليان سنة (٨ هـ) وما قاله كعب ابن مالك (٦) وما قاله عبدالله

(١) الطبري / تاريخ الطبري / ١ / ٥٥٤ .

(٢) وقد نقل عن عبدالله بن أبي بكر قال أبو جعفر وكانت غزوته بنفسه ثمان وعشرين غزوة ويقول بعضهم من سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة النبي (ص) خيبر ، وغزوته من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أهلها إلى منزله ولكنه مضى منها إلى وادي القرى / راجع الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٥٨١٥٢ .

(٣) راجع ابن هشام / البيرة النبوية / ١٣ / ٤٥٠ - ٤٥١ الطبري / تاريخ الطبري

(٤) انظر ما قاله معبد الخزاعي من الشعر / بعد أن رأى الرسول وصحبه الكرام في هذه الغزوة

(٥) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٣ / ١١٢ - (٥) المصدر السابق / ٢٣ / ٣٦١ الطبري . تاريخ الطبري / ٣ / ٢٢١ . (٦) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٤٦٤ / ٢ / ٥ .

بن رواحة في غزوة مؤتة ، (١) وما قاله حماس بن فيس بن خالد (أخو بني بكر) في يوم الخندمة قبل دخول الرسول (ص) مكة (٢) وما ارتجز به كرز بن جابر يوم الخندمة أيضاً (٣) وما قيل على لسان وفد زبيد سنة ١٠ هـ من الشعر أمام الرسول (ص) (٤) ، وما ردد في ردة هوازن وسليم وعامر سنة ١١ هـ (٥) كما وردت أبيات مبعثرة من الشعر في مواقف أخرى من الأحداث التاريخية التي كتب عنها .

علق هورفيتس على ادخال عبدالله الشعر في الأحداث التاريخية بقوله (إن أسرة عبدالله كانت محبة للشعر) . إن هذا التعليق حول الملكة الشعرية التي انتصفت بها أسرة عبدالله بن حزم لا يكفي أن يثبت أن عبدالله كانت له القدرة على نظم الشعر أو أنه كان محباً له ، ولكن نظم الشعر أو كثرته هو تعبير عن طابع البيئة الثقافية التي عاش أو كتب فيها عبدالله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (٦) ويدعم هورفيتس رأيه هذا بقوله : ولدينا في كتاب الأغاني (خبر عن تحدي أحد أبناء أبي بكر بن محمد) لا يمكن أن تقطع أكان عبدالله نفسه أم أحد إخوته (٧) (الفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التي كان يعجب بها) (٨) ، إن عدم معرفة اسم الشخص من أولاد أبي بكر بن حزم

(١) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٧٧-٢٧٧٦/٢ ق / الطبري / تاريخ الطبري / ٥٧/٢ .

(٢) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٧٧/٢ ق - ٤٠٨ ، (٣) المصدر السابق / ٤٠٨/٢ .

(٤) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٣٤٠١٣٢/٣ .

(٥) الطبري (تاريخ الطبري ٣٨) ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٦) راجع هذا الصدد / عبد العزيز الدوري في تعليقه عن عروة بن الزبير ، وكلامه على محمد بن مسلم الزهري / الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣٢٢ ، ٢٣٣ .

(٧) لم تصلنا أية معلومات تؤكد على أن عبد الله بن حزم لديه اخوة ، والاصح كان لديه أخ واحد فقط هو القاضي محمد ، انظر ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .

(٨) راجع / ابي الفرج الاصفهاني / الاغانى / ١٩ / ٣٨ - ٣٩ ، ييفان / كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق / ٥٤٦/٢ ، هورفيتس / المغازي الاولى ومؤلفوها / ٤٤ - ٤٧)

والذي تحدى الفرزدق بمعارضة شعر حسان لا يصلح - دليلاً قاطعاً على أن عبد الله كانت لديه الملكة والموهبة الشعرية على حسب ما ذهب إلى تفسيره هورفيتس ، ولكنه استطاع أخيراً أن ينقذ تعليله بالقول : (وتحدث القصة في شباب عبدالله أو أحد إخوته وترينا للمرة الثانية مبلغ عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه) . (١)

كما وصلت إلينا منه إشارة إلى آيات قرآنية لها صلة بالحوادث كاستشهاده بآية من سورة النساء في غزوة الخندق (٢) وما قاتنه عائشة (رض) في حديث الأفك (٣) وما ذكر في وصية الرسول (ص) لعمر بن حزم حينما ولاه وفد الحارث بن كعب وبعثه إلى اليمن . (٤)

وتجدر الإشارة إلى قصص الأيام ضمن أسلوبه فقد وردت في كتابته اشارات ضعيفة ، ولم ترد في جميع ما رواه من نصوص سوى إشارتين لها بالإشارة الأولى تدور حول قصة وقعت في نجران . قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب (رض) حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبدالله بن النضر تحت دفن منها قاعداً واضمماً يده على ضربة في رأسه ممسكاً بيده عليها فإذا آخرت يده عنها تنبعث دماً وإذا أرسلت يده ردها عليها فأمسكت دمه وفي يده خاتم مكتوب فيه (ربي الله) فكتب فيه إلى عمرو بن الخطاب يخبره بأمره فكتب اليهم عمر (رض) أن أقروه على حاله ورددوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا) ، وبمجرد لقاء نظرة على النص السابق الذي ينتهي استناده إلى عبدالله نرى أن عبدالله روى النص بعبارة (أنه حدث) ولذا

(١) هورفيتس/ المنازى الاول ومؤلفوها / ٤٧.

(٢) القرآن الكريم / سورة النساء ، آية ٥١ - ٥٥ ، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٥٦٥/٢.

(٣) سورة يوسف (ع) / آية ١٨ ، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٦١١/٢ .

(٤) سورة المائدة / آية / ١١ انظر ايضاً سورة هود / الآية / ٨ ، وراجع كذلك وصية الرسول في / ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٣ / ٥٩٤.

لا يترك مجالاً للشك أو نقداً لروايته . بالرغم من أن مدرسة المدينة عرفت بالميل إلى الحديث فانخذت شكل الرواية المجردة من النقد ، (١) كما تفصح لنا كلمة (حدث) وبرأي قاطع أنه نقل النص من كتاب قرأه أو رواية نقلها مشافهة من الآخرين ، فلذا يترك في دراسته مجالاً للنقد والتمحيص .

أما الإشارة الثانية فيعود حديثها إلى معركة بدر ، قال ابن إسحاق : وحديثي عبدالله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان نتظر الواقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فيها حميمة الخيل فسمعت قائلاً يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكنت أهلك ثم تماسكت (٢) ، والملاحظ على هذا النص أن عبد الله بن حزم يرويه بنفس طريقة رواية النص السابق وتحت عبارة (أنه حدث عن ابن عباس) . وبهذا الأسلوب من الإسناد استطاع أن يدفع الشك عن روايته كما استطاع بنفس الوقت أن يكشف لنا عن أسلوب مدرسة المدينة الذي لانجد في كتاباتها صدى لقصص الأيام . أما الإسناد فلم يهتم به عبدالله اهتماماً واضحاً ، فأكثر نصوصه التاريخية خالية من الإسناد وليس هذا معناه أنه نحى عن أسلوب المدينة التي تركز بدورها على الإسناد وهتم به ، فزاه يركز على الأسناد في رواياته التي تتعلق بفترة ما قبل الإسلام ، أما الفترة الإسلامية (الفترة المكية ، والفترة المدنية) فيذكر الإسناد في بعضها ويترك القسم الآخر بدون اسناد أما الروايات المسندة فيلاحظ عليه فيها أنه يهتم بالإسناد الجمعي إذ يذكر سلسلة من الرواة ، (٣) كما يذكر في بعض نصوصه عدة روايات على الحادثة الواحدة . (٤) وهذا يدل على الدقة ، وفي قسم من رواياته يعطي رأيه في الأحداث بدون سند ، ويعمله هذا يضيف

(١) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٣ .

(٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / (١٥) / ٦٣٣ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٤٥٣/٢ .

الاصفهاني / الاغانى / ١٩٨٤ .

(٣) مر بنا قسم من هذه النصوص سابقاً .

(٤) مر ذكر هذه الروايات سابقاً

معلومات جديدة إلى قائمة ما كتبه في دراسته وهي بنفس الوقت تمثل بحوثه الشخصية التي اعتمد في كتابتها على جهوده : (١) أما رواياته الخالية من الإسناد فزاه يحسن تقديم المادة التاريخية فيها ويبدأها في عبارة أنه حدث (٢) أو حدثه بعض أسلم (٣) أو عن عبدالله بن كعب من لأتهم : قال (٤) بالإضافة إلى هذا فقد وردتنا أكثر رواياته غير المسندة عن تلميذه محمد بن اسحاق قال : حدثني عبدالله بن أبي بكر قال : (٥) وبهذا فإنه يدخل إلى رواية النص بدون ذكر صاحب القول ، بعد أن ينتهي إليه الإسناد ، وبعمله هذا يكون غير متقيد بقواعد الرواية (٦) وبهذا فإنه يكمل نصوصه المسندة بروايات غير مسندة يحسن فيها تقديم المادة التاريخية .

مما سبق نلاحظ أن عبدالله بن أبي بكر بن حزم ساهم في وضع إطار الدراسة التاريخية التي كان مركزها الأول المدينة المنورة ، مع المحدثين من معاصريه تلك الدراسة التي اتخذت دراسة لحديث أساساً لها ، إذ أن (أغلب المؤرخين القدماء كانوا من أصحاب الحديث ، فكانوا يتبعون في تدوينهم ومعالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين) (٧) وهذا ما نلاحظه في دراسة عبدالله بن حزم ، التي تتسم بوجود نقص في مادته التاريخية التي كتبها فهذا ناتج عن ضياع بعضها ، فلم يصل إلينا منها سوى مقتبسات متناثرة وروايات متفرقة إلا أنها تفي بحاجة البحث وتكوين دراسة حول (٨) ومع : هذا تبقى الفكرة التاريخية

- (١) انظر مثلاً رأيه في بيعة الانصار فخرسول (ص) / الطبري / تاريخ الطبري ٣٦٧/٢ ، رأيه في جبريل عليه السلام ونزول الوحي / الطبري / تاريخ الطبري ٣٨٧-٣٨٦/٢ .
- (٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٠/٢ ، الطبري / تاريخ الطبري ١٢٤/٢ ، ٣٦٧ ، ج ١١٥/٣ الاصفهاني / الاغانى ١٩٨/٤ .
- (٣) ابن هشام / السيرة / ق ٣٣٢/٢ الطبري / تاريخ الطبري ١٠/٣ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري ٥٩٦/٢ .
- (٥) انظر ابن هشام / السيرة / ق ٤٥٠/١ - ٤٥١ / ق ٣٤٨/٢ الطبري / تاريخ الطبري ٦٤٦ / ٢ .
- (٦) جواد علي / موارد تاريخ الطبري ١٥٧ .
- (٧) المصدر السابق / ١٥٧ .
- (٨) سبق وان مر بنا الاشارة حول تركيزه على الفترة المدنية ، ومغازي الرسول (ص) الا أن ذكر بعض غزوات الرسول لم تصلنا معلومات عنها عن طريق روايته ، كغزوة ذات العشرية وقينقاع والسيق والقردة ، وذات الرقاع وأحد .

كاملة لديه عندما يجبرنا في ثلاثة نصوص أن غزوات الرسول (ص) كانت ستاً وعشرين غزوة (١) ، وأما إشارته للأحداث التاريخية التي وقعت في عهد الرسول (ص) أو تلك التي حدثت بعد وفاته ، كانتخاب أبي بكر (رض) أو الردة وتوجيه الجيوش إلى أمصار الجزيرة العربية والشام ، فهي تعبير حي عن واقع الأمة ، وعن صلة الحوادث التاريخية بعضها ببعض مكونة بمجموعها فكرة التاريخ (تاريخ الأمة) . فهو لم يكتب عن السيرة والمغازي فحسب بل تخطى إطارها فكتب عن تاريخ الخلفاء في العهدين الراشدي والأموي بالرغم من كونها إشارات معدودة ومحدودة المعلومات ويمكننا القول بأنه كان قد جمع في دراسته هذه أسلوب المحدثين والمؤرخين . بدليل أن الدراسة التاريخية على عهده لم يتضح منهجها ، ولم يكتمل إطارها إلا على يد تلميذه محمد بن اسحاق (٢) الذي قلّد نهج استاذة سواء في الكتابة التاريخية فنقل بعض رواياته (٣) أو في استعارته التسلسل التاريخي منه في عرض مادته لغزوات الرسول (٤) ، وعليه فقد آهم عبدالله بالتسلسل التاريخي للحوادث ، وإلى جانب استلوايه وفكرته فهو يشير إلى الأماكن الجغرافية للحوادث ، ولمواقع المعارك ، وهذا يكمل الفكرة التاريخية لديه ولدى القارئ لمادته مثلاً ذكره وفاة أمية بنت وهب أم الرسول (ص) بالأبواء بين مكة والمدينة (٥) ، وذكره مكان تجمع المشركين من بني ثعلبة ومحارب بندي أمر في غزوة غطفان (٦)

(١) مر ذكرها ضمن الاسلوب / انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٥٨١٥٤/٣ .

(٢) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٧٦ .

(٣) بلغ ما رواه محمد بن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم أربعون رواية / انظر فهرست الطبري / مطبوع مع الجزء العاشر / تاريخ الطبري / ٣٠٥ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ٢٠٩ .

(٤) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٥٢ / ٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٨ . هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٢٣ .

(٥) ابن هشام / السيرة / ١٣ / ١٦٨ الطبري / تاريخ الطبري / ١٦٥/٢ .

(٦) الواقدي / مغازي رسول الله / ١٥١ .

وكذلك ما أورده في غزوة خيبر سنة ٥٧ هـ حيث فتح الله على يد المسلمين حصن الصعب بن معاذ وهو حصن كثير الطعام في خيبر (١) ومن فتح مكة وصول المسلمين إلى ذي طوى - وادي بمكة - (٢) وقدم لنا بعض الأرقام عن عدد جيش المسلمين في غزوة غطفان فندب الرسول (ص) أربع مائة رجل وخمسين (٣) كما ذكر لنا عدد من أصيب من المشركين في يوم الخندمة والمسلمون سائرون للدخول إلى مكة فقال : (وأصيب من المشركين ناسٌ قريب من إثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً) . (٤) فهذه أمثلة تاريخية تعود ضمن الروايات التي قدمها لنا ابن حزم وهي أرقام مقبولة إلى حد ما ، وهي بنفس الوقت تكشف لنا مدى دقته وتمحيصه للمعلومات ، مبتعداً عن المبالغة ولهذا غلبت على أسلوبه طابع البساطة والوضوح .

ويتضح لنا من خلال دراسته اهتمامه المبكر بالزمن والتاريخ ، فذكر وفاة أم الرسول (ص) وهو ابن ست سنين ، (٥) ومكث الرسول في غزوة غطفان إحدى عشرة ليلة بعد أن استخلف على المدينة عثمان بن عفان (٦) . كما تطرق إلى الزمن في حوادث أخرى ، وأخيراً يبدو لنا أنه راعى أهمية الوثائق المكتوبة (مراسلات الرسول (ص)) ، فنقلها لنا إلى جانب نصوصه التاريخية ورواياته ، ولما يكسب الأهمية لهذه جميعاً أنه رواها عن محدثين ثقة كعائشة ، وعمر بن عبد الرحمن والزهري وعاصم بن قنادة ، وابن عباس وغيرهم . وهذا لاشك يعطي لرواياته قيمة تاريخية بالرغم مما حدث لكتابه من فقدان وضياح قد تبقى على أثرها الدراسة التاريخية حولها غير واضحة الخطوط ناقصة .

(١) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٠ / ٣ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٥ / ٤٠٥ .

(٣) الواقدي / مغازي رسول الله (ص) / ١٥١ .

(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٥ / ٤٠٨ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ١٦٥ / ٢ .

(٦) الواقدي / مغازي رسول الله / ١٥٣ .

وأخيراً أترك القارئ الكريم يتعرف على آثار عبدالله التاريخية التي كتبها.
فترة ما قبل الإسلام (التاريخ الجاهلي)

١. قصة ذبيح ابراهيم لولده (١)
 ٢. ذكر قائد القيل وسائسه بمكة ، ومصريهما (٢)
 ٣. قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب . (٣)
 ٤. حديث أساف ونائلة ومسخرهما حجرتين بالكعبة . (٤)
 ٥. وفاة آمنة ام الرسول (ص) وهو ابن ست سنوات بالأبواء بين مكة والمدينة . (٥)
 ٦. وصية عبدالمطلب لابنه ابي طالب برعايته لرسول الله (ص) من بعده . (٦)
 ٧. ذكر لحديث الحس عند قريش وموقف الرسول (ص) منها (٧).
- أما فترة الإسلام فقد تناول فيها :
٨. من بيعة العقبة الأولى : إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من الأنصار (٨)
 ٩. تسمية قباء الأوس من قبل رسول الله (ص) (٩)

- (١) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٢٦٥/١ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣ / ٥٧ ، علي بن برهان الخليلي / السيرة الخليلية / ج ١ / ١٠١/١
- (٣) المصدر السابق / ١٣ / ٧٦ . ابن هشام/السيرة النبوية / ١٣/٧٦ .
- (٤) ابن هشام السيرة / ١٣ ٨٢ - ٨٣ .
- (٥) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣ / ١٦٨ ، الطبرى / تاريخ / ٢ / ١٦٥ .
- (٦) الطبرى / تاريخ / ٢ / ٢٧٧ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- (٨) ابن هشام/ السيرة / ١٣/٤٣٥ الطبرى / تاريخ الطبرى / ٢ / ٣٥٩ ، ابن سيد الناس/عيون الاثر / ١ / ١٥٩
- (٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣ / ٢٤٦ ، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٢ / ٣٦٣ . ابن كثير/ البداية والنهاية / ٣ / ١٦٢ .

١٠. ما قاله العباس بن عباد. في الخرج قبل مبايعتهم للرسول (ص) (١).
١١. موقف قريش من بيعة الأنصار (٢).
١٢. الوحي ومهمة جبرائيل عليه السلام (٣).
١٣. ذكر أول من توفي بعد هجرة الرسول في المدينة (٤) وأول من ولد بعد الهجرة في المدينة (٥).
١٤. اسلام عبدالله بن سلام بعد الهجرة (٦).
١٥. من سنة ٥٢ هـ : وحول غزوة بدر الكبرى ذكر تصدى المسلمين لقافلة أبي سفيان ، وموقف أبي سفيان من الرسول ، وأستفاره قريش لقتال المسلمين (٧).
١٦. حديثه حول إشارة سعيد بن معاذ على الرسول (ص) ببناء عريش له خلال معركة بدر : ومقتل أمية بن خلف (٨).
١٧. حديثه عن شهود الملائكة في وقعة بدر ومقتل أبي جهل (٩).
١٨. كلامه على القيم وأسارى بدر أمثال عمرو بن أبي سفيان بن حرب (١٠) وأسرى أبي العاص ابن الربيع زوج زينب أم رسول الله (ص) وهجرة زينب إلى المدينة ، وموقف قريش منها ، مشورة أبي سفيان حولها (١١).

- (١) الطبري / تاريخ الطبري / ٣٦٤/٢ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٤٤٨ - ٤٤٩ الطبري / تاريخ الطبري / ٣٦٧/٢ .
- (٣) الطبري / تاريخ الطبري / ٣٨٦/٢ - ٣٨٧ ، ابن سعد / الطبقات / ١٩١ / الواقدي / مغازي رسول الله / ٤٠ .
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٥٠٧ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣٩٧/٢ .
- (٥) ابو الفرج الاصفهاني / الأغاني / ٤ / ١١٥ .
- (٦) ابن سيد الناس / عيون الاثر / ١ / ٢٠٨ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ١ / ٦٠٦ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٢٧ .
- (٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٠ / ٦٣١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٤٠ ، ٤٥١ .
- (٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ١ / ٦٣٢ - ٦٣٤ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٥٣ - ٤٥٤ .
- (١٠) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٤٥٠ - ٤٥١ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٦٦ .
- (١١) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٦٥٣ ، ٦٥٤ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

- موقف الرسول من تجارة أبا العاص وإسلامه . (١).
١٩. استنكار كعب بن الأشرف بخبر مقتل المشركين يوم بدر، غزوة حمراء الأسد . واستعداد أبي سفيان للقاء المسلمين . (٢).
٢٠. خبر قدوم أبي براء عامر بن مالك من نجد إلى الرسول (ص) لإرسال الرسول وفداً إلى نجد . الغدر بالنوفد وقتلهم . (٣).
٢١. جلاء بني النضير من المدينة ، ترك أموالهم . قسمة أموالهم بين المسلمين ذكر من أسلم منهم (٤).
٢٢. ذكر من يستخلفهم الرسول (ص) في غزواته . (٥).
٢٣. ذكره غزوة الخندق ، وخروج بني النضير إلى مكة ، وتحالفهم مع قريش . ولقاءهم بغطفان بن قيس وأنفاقهم على حرب الرسول . وإشارة سلمان الفارسي بخبر الخندق . ومقتل سعد بن معاذ في يوم الخندق (٦).
٢٤. غزوة بني الحنظلة . غزوة ذي قرد . قتال بن الأكوع وبلاءه . موقف الرسول منه . موقف المسلمين من الرسول بالقتال . تنظيم الرسول للمسلمين (٧).
٢٥. غزوة بني المصطلق سنة ٥٦ . وسبب غزو الرسول لهم . موت رجل من الأنصار ، أقتال جهجاه بن مسعود وسنان بن وبر الجهنمي ، غضب عبدالله ابن أبي بن سلول وتحريضه الناس ضد المهاجرين اعتذاره أمام (٨) الرسول (ص).

- (١) ابن هشام / السيرة النبوة / ١٥ / ٦٥٨ الطبري / تاريخ الطبري / ٤٧١/٢ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوة / ٢٥ / ١٠٢٠٥١ الطبري / ج ٢ / ٨٧ / ٥٣٥٤ ، ابن سيد الناس / عيون الاثر / ج ٢ / ٣٧ .
- (٣) ابن هشام / السيرة النبوة / ٢٥ / ١٨٤ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٤٥ - ٤٤٦ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- (٥) الواقدي / مغازي رسول الله / ١٤١ - ١٤٥ .
- (٦) ابن هشام / السيرة / ٢٥ / ٢٨٠ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٦٥ - ٥٦٦ ، ٥٩٥ .
- ابن سيد الناس / عيون الاثر / ج ٢ / ٢٥١ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوة / ٢٥ / ٢٨١ - ٢٨٢ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٩٦ .
- (٨) ابن هشام / السيرة / ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ ، ابن سيد الناس ، عيون الاثر / ج ٢ / ٩١ .

٢٦. حديث الإفك في غزوة بني المصطلق ، سبب تخلف عائشة عن ركب المسلمين ، مرور صفوان بن المعطل السلمي بها لإعراض الرسول عنها(١)
 ٢٧. من قصة الحديبية ، خروج الرسول معتمراً إلى مكة وتجنبه (ص) لقاء قريش رأيي الحليس بن علقمة . ثم ذكر رسول قريش إلى الرسول (ص) (٢) .

٢٨. بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وسرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة (٣) .
 ٢٩. كتاب رسول الله (ص) إلى كسرى أنوشروان . (٤)
 ٣٠. غزوة خيبر سنة (٥٧) وضع بني أسهم الأسلمين في الغزوة . قسمة أموال خيبر على المسلمين ، إرسال عبدالله بن رواحة خارصاً على المسلمين ويهود خيبر (٥) .

٣١. ومن سرايا الرسول (ص) : سرية غالب بن عبدالله في رمضان إلى الميمنة وصف حالة الرسول (ص) عندما دخل مكة معتمراً سنة ٥٧ . (٦)

٣٢. غزوة ذات السلاسل . (٧)

٣٣. غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب ، وصية الرسول بأهله وحزبه عليه ، تشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على القتال ، آثار مؤتة على المسلمين ، وحديث سلمة بن هشام في المدينة (٨)

-
- (١) ابن هشام / السيرة / ٢٩٧/٢ - ٢٩٩ الطبري / تاريخ الطبري / ج ٢/ ٦١١ .
 - (٢) المصدر السابق / ٣٠٩/٢ ، ٣١٢ ، الطبري / تاريخ الطبري / ج ٢/ ٦٢٣ ، ٦٢٨ .
 - (٣) ابن هشام / السيرة / ٣١٥/٢ : الطبري / تاريخ الطبري / ٦٣٢/٢ ، ٦٤٣ ، ابن سيد الناس / عيون الاثر / ١٠٨/٢ .
 - (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٦٥٥/٢ .
 - (٥) ابن هشام / السيرة / ٢/ ٣٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ : الطبري / تاريخ الطبري / ٣/ ١١ ، ١٩٠ .
 - (٦) ٢٠ ، وانظر ابن كثير / البداية والنهاية / ١٨١/٤ .
 - (٧) ابن هشام / السيرة / ٢/ ٣٧١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢٤/٣ .
 - (٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٣٢٢/٣ .
 - (٩) ابن هشام / السيرة / ٢/ ٣٧٦ - ٣٨٣ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٤١/٣ ، ٤٢ .

٣٤. فتح مكة سنة (٨٨) ، وصول الرسول (ص) إلى وادي طوى : يوم الخندمة ، وذكره من أصيب من المسلمين والمشركين في يوم الخندمة. (١)
٣٥. غزوة حنين (٨٨) عدة المسلمين ، وضع أم سليم بنت ملحان في ألقنال (٢)
٣٦. تقسيم الرسول أموال هوازن والمؤلفة قلوبهم من غنائم حنين أخبار الرسول (ص) عند رجوعه من حنين. (٣) غزوة تبوك .
٣٧. أمر الرسول (ص) بالتهيؤ لقتال الروم ، قصة وقعت لرجلين من المسلمين ، محنة المسلمين ومطر السماء عليهم . (٤)
٣٨. ذكره للوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) وفد تميم ، ووفد حمير وكتابهم إلى الرسول في رمضان سنة ٨٩ (٥) وصية الرسول لمعاذ حين بعثه إلى اليمن (٦) وفد الرسول إلى نجران ، قدوم وفد الازد إلى الرسول ، ووفد زبيد ، ووفد عمرو بن معد بن بكر ، وفد عبد القيس . (٧)
٣٩. كتاب مسيلة الكذاب إلى الرسول (ص) والجواب عليه . (٨)
٤٠. ذكره عمال الرسول وتوزيعهم للجمع الصدقات على الأمصار . (٩)
٤١. ذكره لعدد غزوات الرسول (ص) . (١٠)
٤٢. ذكره وفاة الرسول (ص) والصلاة عليه ودفنه (١١) المغيرة بن شعبه وإلقائه الخاتم في قبر الرسول (ص) أثناء دفنه . (١٢)
- أما كتابته عن العهد الراشدي فهي :

- (١) ابن هشام / السيرة / ٢ / ٤٠٥ ، ٤٠٧ - ٤٠٨
- (٢) المصدر السابق / ٤٤٦/٢ / الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٧٣ ، ٧٦
- (٣) انظر الطبري / ٩٣/٣ .
- (٤) ابن هشام / السيرة / ٢ / ٥٢٢ ، ٥١٦ / الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٠٥ ، ١٠١
- (٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١١٥ ، ١٢٠ .
- (٦) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٥٩٠ .
- (٧) المصدر السابق / ٢ / ٥٢٨ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ .
- (٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٤٦ .
- (٩) المصدر السابق / ٣ / ١٤٧ .
- (١٠) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .
- (١١) ابن هشام / ٢ / ٦٦٤ ، ٦٦٢ / الطبري / ٣ / ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٤١ .
- (١٢) ابن سعد الطبقات ج ٢ / ٢ / ٧٨ .

ما ذكره في يوم السقيفة ، وانتخاب أبي بكر (رض) مشورة عبدالرحمن ابن عوف لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر ، استقرار رأي عمر بمبايعة أمام الناس . (١)

حديثه عن الردة - ردة هوازن وسليم وعامر (٢) وردة حضرموت .

قدوم الأشعث إلى أبي بكر وإسلامه من جديد (٣) ، توجيه الجيوش

قبل أبي بكر إلى الشام ، وقعة القرقس أو القس قر (الجسر) . (٤)

ذكره لمعركة القادسية سنة ١٤ هـ . (٥)

أما خلافة عمر بن الخطاب فقد ذكر عنها :-

١. خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالمسلمين عندما ولي الخلافة سنة ٢٣ هـ (٦)

٢. قسمة عمر بن الخطاب لواءي القرى بين المسلمين بعد إجلاء اليهود عن خير . (٧)

٣. ذكره لقصة وقعت في حوران على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٨).

أما خلافة عثمان بن عفان (رض) فقد تطرق إلى ذكر مقتله (٩)

وهو النص الوحيد الذي وصل إلينا من بين رواياته والتي تعود إلى خلافة

عثمان بن عفان . أما العهد الأموي :- فقد وصلنا منه نص واحد ذكره

لمقتل جماعة من المسلمين على يد الحجاج في خلافة عبدالملك بن مروان (١٠)

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٢٧٠

(٢) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٣) المصدر السابق / ٣ / ٣٣٩

(٤) المصدر السابق / ٣ / ٣٨٧ ، ٤٥٩

(٥) المصدر السابق / ٣ / ٥٧٥

(٦) المصدر السابق / ٤ / ٢١٤

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٣٥٧

(٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣ / ١٣٦ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٢٤٤

(٩) الطبري / تاريخ الطبري / ٤ / ٤٢٣

(١٠) الطبري / تاريخ الطبري / ٦ / ١٩٣

المراجع ومصادر البحث

١. القرآن الكريم

٢. ابن حجر العسقلاني :

شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي (ت ٨٥٢هـ)
تهذيب التهذيب ١٢ جزء ط ١ - دائرة المعارف النظامية -
حيدر آباد - الدكن ١٣٢٦هـ - ١٣٢٧هـ .

٣. ابن خياط

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)
الطبقات (رواية أبي عمران موسى بن زكريا) ٤ أجزاء
حققه سهيل زكار مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٦ .

٤. ابن سعد

محمد بن سعد كاتب الواقدي
الطبقات الكبير ، علي بنصحيجه أدارد سخاو م ١ - ٩ .
لیدن - بريل ١٣٢١هـ - ١٣٤٧

٥. ابن سيد الناس

فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (ت ٥٣٤هـ)
عيون الأثر في فنون المغازي والسير جزءان مطبعة
القدسي والسعادة - القاهرة ١٣٥٦هـ

٦. ابن كثير :

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية ١٤ جزءا مطبعة السعادة - القاهرة ،
١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م

٧. ابن النديم :

الفهرست مكتبة الخياط بيروت . ١٩٦٤ .

٨. ابن هشام :

أبو محمد عبد الملك بن هشام : الحميري (ت ٢١٣ - ٢١٨هـ)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته - القسم

الأول جزءان والقسم الثاني ج ٣ . ٤ / ط ٢ مطبعة
مصطفى الحلبي - القاهرة - ١٩٥٥ .

٩. الأصفهاني :

أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
الأغاني - ٢١ جزء - مطبعة التقدم - القاهرة .

١٠. البلاذري :

أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ على الأغلب .)
١. فتوح البلدان ٣ أقسام - نشره صلاح الدين المنجد .
مطبعة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .
٢. أنساب الأشراف ج ١ تحقيق محمد عبدالله -
مطابع المعارف - القاهرة - ١٩٥٩ م .

١١. حاجي خليفة

مصطفى بن عبدالله

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
١٢- ٢ أعادت طبعه بالآفست - مكتبة المثنى بغداد .
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

١٢. الحلبي :

علي بن برهان الدين (ت ٩٧٥ / ١٠٤٤م) .
٣ أجزاء - إنسان العيون في سيرة الأمين والمؤمن (السيرة
الحنلية) مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده - ط ١ القاهرة -
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

١٣. الذهبي

أبو عبدالله شمس الدين (ت ٥٧٤٨هـ)
١. تذكرة الحفاظ جزءان - ط ٣ - مطبعة المعارف .
حيدر آباد - الدكن - ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .
٢. تراجم رجال روى عنهم بن اسحاق بريل -
لندن ١٨٩٠ م .

١٤. الطبري :

أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٢١٠هـ)
١٠ أجزاء - تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعارف
القاهرة ١٩٦١ - ١٩٦٩ ج ٢، ٣ - الطبعة الأوربية -
بريل - لندن - ١٨٨٣هـ - ١٨٨٥هـ .
المنتخب من ذيل المذيل .

١٥. الواقدى :

أبي عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)
مغازي رسول الله (ص) ط (مطبعة السعادة - القاهرة)
- ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

المراجع الحديثة :

١٦. دائرة المعارف الإسلامية : -

نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي ورفاقه

ARCHIVE

١٧. اندوري عبدالعزيز

بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

١٨. روزنثال :

فرائز

علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة د. صالح أحمد
علي - الناشر مكتبة المثنى بغداد .

١٩. علي :

جواد

مقالة موارد تاريخ الطبري - منشورة في مجلة المجمع
العراقي - ج ١ السنة العاشرة مطبعة التفيض ، بغداد ١٩٥٠

٢٠. معروف

بشار عواد

مقالة : أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين - دار
الجمهورية . بغداد - ١٩٦٦ . (طبعت في كراس صغير)

٢١. هورفيتس :

يوسف

المغازي الأولى ومؤلفوها . ترجمة حسين نصار - مطبعة
مصطفى الحلبي - الطبعة الأولى - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م .



محمود ياسين النجدي

ARCHIVE

مكتبة بيتا archivebeta.sakhril.com - قسم التاريخ

مكتبة الآداب - جامعة الموصل

مكانة العرب وفوزهم في العصر العباسي

٥١٣٢ - ٥٢٣٢

صلاح عبدالهادي الحيدري

تعتبر قريش أعز القبائل العربية في الجاهلية والإسلام ، لها أبجاء والثروة والرياسة والسيادة الدينية ، وقد ظلت كذلك طوال عهد الراشدين لا ينافيها في ذلك منازع .
وحين جاء الأمويون اتبعوا سياسة عربية في غالب أمورهم ، لأنهم خشوا على أنفسهم من العرب من الضياع والاندماج مع العناصر الأجنبية ، خاصة عندما أخذ عدد الداخلين في الإسلام من الأعاجم في الازدياد بسبب كثرة الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة فاعتمدوا على العرب دون غيرهم ،

□ فحصرُوا فيهم الوظائف الإدارية والعسكرية ، ونقلوا الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية إلى العربية . وضربوا السكة والنقود وكتبوا عليها اللغة العربية . علاوة على ذلك كان فيهم بيت الخلافة وأشراف أئمتنا حين وكبار العمال والولاة .

ويبدو أن شعور العرب بالتفوق والتعصب تجاه العناصر الأخرى في العصر الأموي لم يكن قاصراً على رجال الحكم ومظاهره ، بل امتد إلى العرب أنفسهم حتى قيل إن بعضهم كان إذا مرت جنازة عربي صاح (واقوماه)

وإذا مرت به جنازة غير عربي قال (مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء) (١). وهكذا ظل للعرب المكان الأول في الدولة الأموية حتى سقوطها .

وما أن جاء العصر العباسي الأول الذي شهد نمواً ملموساً في نفوذ الفرس لمساعدتهم بني العباس في الوصول إلى مركز الخلافة ، حتى بادر هؤلاء بمكائفاتهم بتولي وممارسة تقاليدهم ونظمهم الإدارية كالوزارة مثلاً ، وهذا مادعا السيوطي (٢) إلى القول بأنهم «قدموهم على العرب حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها»

وعلى الرغم مما أدعاه السيوطي إلا أنهم في الواقع كانوا موضع ريبة وشك من قبل السلطة وعلى رأسها الخليفة العباسي الذي كان يجاريهم كما يبدو في بداية الأمر لأن الدولة العباسية في بداية نشوئها ، فكان العباسيون يحتاجون إلى من يؤازرهم في تلك الفترة العصية لاسبيا وأن أعداء الدولة كانوا متربصين بها .

ولكن ما أن ثبتت الدولة العباسية أقدامها حتى نكثوا بهم ، وقمعوا تطلمعهم إلى النفوذ والسيطرة ، فقتلوا أبا سلمة الخلال وأبا مسلم الخراساني ، كما نكبوا بعض العوائل الفارسية المشفذة كالبرامكة وآل سهل .

لقد كان معظم رجالات العرب الذين أعتمد عليهم العباسيون يتمون إلى قبائل عربية مشهورة ، كخزاعة ، وباهلة ، وبني أمهلب ، وبني حمير ، وبني الحارث (٣) ، وبني تميم ، وبني عبد القيس (٤) ، وغيرها من القبائل العربية . وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في مساندة الدعوة العباسية وهي في مهدها ، إذ كان غالبية المشرفين على تنظيمها وسير أمورها من بين رجال

(١) دروزة ، محمد عزة - تاريخ العرب في الاسلام ص ٥٨١ بيروت ، منشورات المكتبة العصرية.

(٢) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٩ - ص ٢٧٠ القاهرة ١٣٨٩ م - ١٩٦٩ م ط ٤ .

(٣) البقوي ، أحمد بن أبي يعقوب - البلدان ص ٢٥٢ ، لندن ١٨٩١ م .

(٤) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٦٤ القاهرة ١٩٦٦ ، الحمداني ، أبو بكر أحمد بن ابراهيم ، مختصر كتاب البلدان ص ١٧٠ لندن ١٣٠٢ م .

تلك القبائل ، فكانوا نقباء للدعوة (١) ، وهؤلاء النقباء هم (٢) :
 قحطبة بن شبيب الطائي ، مالك بن الهيثم الخزاعي ، خالد بن ابراهيم الذهلي ،
 موسى بن كعب التميمي . لاهز بن قريظ التميمي (٣) ، سليمان بن كثير
 الخزاعي . عمرو بن اعين الخزاعي .
 القاسم بن مجاشع التميمي ، شبل بن طهمان مولى بني أسد ، عمران بن
 اسماعيل مولى آل أبي معيط ، طلحة بن زريق مولى طلحة الطلحات ، عيسى
 ابن اعين مولى بريدة بن حصيب الأسلمي . وبذلك نرى أن عدد النقباء العرب
 هم أكثر من الذين كانت اصولهم فارسية .

كما ساهمت تلك القبائل العربية فيما بعد عند اندلاع الثورة العباسية في مساعدة
 الجيوش العباسية الثائرة بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي ، الذي عينه إبراهيم
 الإمام قائداً أعلى لل جيش العباسي ، والذي تمكن من احتلال الكوفة هو وأبناؤه (٤).

وبعد قيام الدولة العباسية لم يتوان الخلفاء العباسيون في الاستعانة
 بقواد من العرب في القضاء على أعدائهم وخصوصاً منهم السياسيين ،

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن عدد نقباء الدعوة بلغ اثني عشر نقباء ، كما وأن هناك نظراء النقباء
 وعددهم اثنا عشر أيضاً ، يحملون محل أحد النقباء إذا مات ، ومعظمهم من العرب (انظر
 مؤلف مجهول - اخبار الدولة العباسية - ص ٢١٥ - ص ٢١٩ بيروت ١٩٧١ م ، الدكتور
 عمر ، فاروق - طبعة الدعوة العباسية - ص ١٥٩ بيروت ١٩٣٨٩ = ١٩٧٠).

(٢) انظر - مؤلف مجهول - اخبار الدولة العباسية - ص ٢١٥ - ص ٢١٧ ، عمر ، فاروق
 طبعة الدعوة العباسية - ص ١٥٩

(٣) ويسيه صاحب كتاب طبعة الدعوة العباسية ص ١٥٩ (لاحظ بن قريظة التميمي) .

(٤) مؤلف مجهول - اخبار الدولة العباسية - ص ٢٢١ وما بعدها ، ابن تقي الدينوري ، ابي
 محمد عيد الله - الإمامة والسياسة - ص ٢٢٥ القاهرة ١٩٠٤ م ، الحفري ، محمد - تاريخ
 الأمم الإسلامية - ص ٢٥ القاهرة ١٩٧٠ م ، فاروق عمر - العباسيون الأوائل - ج ٢
 ص ٣٨ - بغداد - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م ، طبعة الدعوة العباسية - ص ١٩٧ - ص ١٩٨

فهذا أبو العباس السفاح عندما أراد قمع ثورة منصور بن جمهور (١) في سنة ١٣٤هـ إستعان بقائد عربي من صميم العرب هو موسى بن كعب ، بعنه على رأس جيش عدته ثلاثة آلاف من العرب وأنوالي بالبصرة ، والف رجل من بني تميم خاصة . (٢)

وتشير بعض المصادر التاريخية (٣) إلى أنه غلب عليه شخصية أبي الجهم بن عطية الباهلي ، كما إتخذ لنفسه سماراً وجلساء من العرب منهم أبو بكر الهذلي ، وخالد بن صفوان ، وجبله بن عبدالرحمن الأزدي . كما وإنه أوكل إلى بعض رجاله من العرب بعض المناصب المهمة والخطرة في نفس الوقت كالشرطة والحرس الخاص ، فعين عبدالحبار بن عبدالرحمن الأزدي قائداً للشرطة العامة ، كما عين أبا بكر بن أسد الخزاعي قائداً عاماً للحرس الخاص (٤) . يتضح من دراسة تلك النصوص أن الخليفة العباسي أبا العباس السفاح كان يثق بهؤلاء الرجال ، ويعتمد عليهم في إدارة شؤون البلاد السياسية والعسكرية والإدارية ، ولذلك عهد إليهم بتلك المهمات الجليلية . ولم يقف عند هذا الحد بل نراه أيضاً يسمح بعقد المناظرات في مجلسه بين رجاله من العرب يتناظرون فيها بأعجادهم وأنسابهم وأحوالهم وهو في كل ذلك يستمتع بحديثهم وكلامهم العربي الأصيل (٥) .

(١) « وهو منصور بن جمهور بن حصي بن عمرو الكلبي من بني كلب بن وبرة ، كان من سكان « المزنة » من ضواحي دمشق . وخرج مع يزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ ثم سار إلى العراق ، فقبل أنه أقتل عهداً على لسان يزيد بامرة العراق ، فحكم بها أربعين يوماً ، وجعل على شرطته حجاج بن أرطاة . ثم انه عزل فسار نحو بلاد السند ، فغلب عليها مدة . ولما استولى السفاح سنة ١٣٢هـ وجه لقتاله موسى ابن كعب ، فالتقاء فانهزم منصور ومات بالمغازة بين السند وسجستان عطشاً » . انظر - الزركلي - غير الدين - الأعلام ج ٨ - ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦ الطبعة الثالثة .

(٢) الطبري - تاريخ - ج ٧ - ص ٤٦٤

(٣) اليعقوبي - تاريخ - ج ٢ - ص ٣٦١ ، ص ٣٨٩ التجت - ١٣٥٨ ، أمهاني - مختصر البلدان - ص ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٦١ ، ص ٣٨٩ .

(٥) أمهاني - مختصر البلدان - ص ١٦٧ .

وأخذت مكانة الغرب ومترئثهم في العلو عندما ارتقى عرش الخلافة العباسية أبو جعفر المنصور الذي لعب دوراً كبيراً في تأسيس الدولة العباسية حتى اعتبر مؤسسها وكان يميل إلى العرب . وليس أدل على ذلك من قوله عندما حاصر ابن هبيرة . ومن معه من القبائل اليمانية في مدينة واسط محاطاً بإياهم « البطلان سلطانكم . والدولة دولتكم » (١) .

وهكذا اعتمد المنصور على رجال تلك القبائل العربية واتخذ منهم قادة أشداء يذودون عنه ويحمونه وقت الشدائد والملمات ، فاستعان بهم في قمع الحركات المناوئة للسلطان العربي ومنها الحركات الشعبية (٢) . فعندما ثار الخراسانيون الفرس بزعامة سباز (٣) على أثر مصرع أبي مسلم الخراساني على يد الخليفة المنصور سنة ١٣٧ هـ بآلقائد العربي أبو جعفر جهوز بن مرار لإخمادها (٤) . كما وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه في سنة ١٥٠ هـ ثار إسماعيل بن إسحاق بن أبي مسلم الخراساني ، فاستولى على كثير من المدن الخراسانية كهرات وبادغيس وستر ، فعظم الأمر على المنصور ، فاختار

ARCHIVE

(١) الديوري - الإمامة والشيعة - ص ٢٩١

(٢) الشعبية هي تميل إلى وهي الشعوب الأخرى وخاصة الفرس ، ومحاولتها ضرب الكيان

العربي وإزالة سلطان العرب . وهي وثيقة الصلة بالزبدية - انظر - الدكتور الديوري عبد العزيز - الجذور التاريخية للقومية العربية - ص ٣٥ - ط ١ - بيروت ١٩٦٠ م .

(٣) كان سباز رجلاً مجوسياً من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب أبي مسلم الخراساني وصنائه ، فلما قتل أبو مسلم ثار سباز وكثير أتباعه واطاعه أكثر أهل الجبال الواقعة جنوب بحر قزوين أو بحر طبرستان وغلب على كثير من بلاد خراسان ، واضطر المنصور أن يرسل إليه جيشاً كبيراً خاض معه معارك واسعة - انظر - ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبائي - الفخري في الأدب السلطاني - ص ١٥٣ ط شالون ١٨٩٤ م (ويرى الديوري : أن سباز انتفح حوله الحرية والغلاة وبشرى ثورته بنهاية السلطان وأعلن أنه يريد الذهاب إلى الحجاء وهدم الكعبة) . الجذور التاريخية للقومية العربية - ص ٤٠ وفي رأينا أن هذه الحركة الشعبية ، والحركات الأخرى المناوئة للسلطان العربي كانت قد اتخذت من مقتل أبي مسلم الخراساني ، حجة لقيام بأعمالها المضادة .

(٤) الميبري - تاريخ - ج ٢ - ص ٣٦٨ ، ابن الطقطقي - الفخري - ص ١٥٣

لهذه المهمة أحد رجالات العرب وهو خازم بن خزيمه الذي أستطاع إلحاق الهزيمة بخصمه ثم تمكن من أسره وحمله إلى بغداد (١) .

ويمكن أن نبين منزلة العرب في عهد المنصور من خلال تخطيطه لمدينة بغداد، إذ أقتطع القطائع لرجالات من العرب وأسكنهم فيها - منها قطعة الصحابة على نهر الصراة وقد سكنتها جماعات من قریش وربيعة ومضر واليمانية (٢) ، كذلك أختط العرب لأنفسهم أرباض الكرخ وقطائعها فإليهم تنسب الدروب والسكك (٣) ، وبنيت قصور لحاشية الخليفة في درب سليمان ، وينسب هذا الدرب إلى سليمان بن أبي جعفر في الشارع الأعظم على دجلة بين باب خراسان والجسر . وعند بنائه الجانب الشرقي من بغداد أسكن العرب فيه وأقطعهم ألقطائع أيضاً، فقد أشار اليعقوبي إلى قطائع لبني هاشم على رأس الجسر من جهة الشرق (٤) . كما أشار إلى قطائع تنسب إلى الخزاعيين والباهلين والمهالبة وتتصل بقطائع بني هاشم المذكورة (٥)، وقطائع أخرى لبني حمير وبني الحارث (٦) .

والحقيقة أننا لو تدقنا النظر في تلك النصوص التاريخية لوجدنا أن تلك القطائع والأرباض لم تمنح من قبل المنصور إلا للأتباع المخلصين أولاً ثم للذين وثق بهم أو حاول كسبهم .

وقد اتخذ المنصور سميراً وجلساء من العرب منهم هشام بن عمر التغلبي ، وعبدالله بن الربيع الحارثي ، واسحاق بن مسلم العقيلي ، والحارث بن عبد الرحمن

(١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٥ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد - المبر وديوان

المبتدأ والتبصر - ج ٣ - ص ١٩٨ القاهرة - ١٢٨٤ هـ ، السيوطي - الخلفاء - ص ١٧٤ .

(٢) اليعقوبي - البلدان - ص ٢٤٣

(٣) نفس المصدر - ص ٢٤٦ .

(٤) اليعقوبي - البلدان - ص ٢٥٢ .

(٥) نفس المصدر - ص ٢٥٢ .

(٦) نفس المصدر السابق - ص ٢٥٢ .

الحرشي (١) . وكان يوصي حاجبه بأن يأذن لهم بالدخول عليه عندما يأتون مباشرة ويتقدمهم على غيرهم (٢) .
كما أسند بعض المناصب الإدارية الهامة مثل مناصب الولاية لرجال من العرب منهم :

يزيد بن حاتم المهلي (٣)	ولاية أفريقية (تونس)
محمد بن الأشعث الخزاعي (٤)	ولاية مصر
معن بن زائدة الشيباني (٥)	ولاية اليمن
يزيد بن أسيد السلمي (٦)	ولاية أرمينية
روح بن حاتم المهلي (٧)	ولاية السند - ثم فلسطين - ثم القيروان
المسيب بن زهير العنبي (٨)	ولاية خراسان

- (١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٢ - ص ٣٦١ ، ص ٣٦٩ .
(٢) ابن المقفع - رسالة في الصحابة - (رسائل البلاء) - ص ١٣٠ - ط ١ القاهرة - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م .
(٣) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ ، وقد أشار الزركلي ، غير الجين - في كتابه الأعلام ج ٣ - ص ٦٣ ط ٣ (إلى أن يزيد بن حاتم كان والياً على أفريقية في زمن الرشيد أيضاً) .
(٤) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وهو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ، كان من كبار قواد المنصور ، ثم ولاء على بلاد مصر سنة ١١٤١ هـ وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١١٤٩ هـ)
انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٦ - ص ٢٦٤ .
(٥) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وقد ولاء المنصور على بلاد اليمن وقد توفي سنة ١١٥١ هـ)
انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٨ - ص ١٩٢ .
(٦) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (ولاء المنصور ولاية أرمينية وبقي فيها حتى بعد مجي المهدي بن المنصور لثلاثة) انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٩ - ص ٢٢٩ .
(٧) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وكان حاجباً للمنصور ، ثم ولاء ابنه المهدي على بلاد السند ثم نقله إلى البصرة فالكوفة . وولاه الرشيد على فلسطين ثم أرسله والياً على القيروان وبقي فيها إلى أن مات سنة ١١٧٤ هـ) انظر الزركلي - الأعلام - ج ٣ - ص ٦٣ .
(٨) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (كان قائداً للمنصور ثم تولى رئاسة الشرطة في زمن المنصور والمهدي والرشيد في بغداد ، وقد ولاء المهدي ولاية خراسان ، وقد توفي سنة ١١٧٥ هـ) انظر الزركلي - الأعلام - ج ٨ - ص ١٢٤ .

هشام بن عمرو التغلبي (١) ولاية السند
 خالد بن ابراهيم الذهلي (٢) ولاية خراسان
 قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس (٣) ولاية اليمامة وخراسان
 وكان يكثر من اعتماد هؤلاء الولاة لثقتهم فيهم وتيقنه من إخلاصهم .
 أما معظم القضاة الذين يفصلون بين الناس في أيامه فقد كانوا من العرب
 في الجانبين الشرقي والغربي من بغداد (٤) .
 وهكذا عظمت مكانة العرب عند الخلفاء العباسيين حتى أصبحوا موضع
 استحسانهم وتقديرهم يركنون اليهم وقت الشدائد والأيام العصيبة ، فقد حظى
 آل المهلب وآل قحطبة بمتلة عظيمة عند الخلفاء العباسيين وخاصة المنصور .
 فأطلقوا أيديهم في شؤون الدولة حتى أصبحوا مضرب الأمثال وقد أشار
 الأستاذ المدور (٥) إلى أن المهلبين كانوا من عظماء العرب ومن لهم الرأي
 المقدم عندهم ، والأمر المطاعة عليهم ، فقد كانوا هم وآل قحطبة من القواعد
 الذين نصروا العباسيين على بني أمية ، ثم استمروا في مناصرتهم لهم ، فقدمهم
 أبو جعفر في المراتب من هذه الوجهة حتى انصرف اليهم الوجوه وانطلقت
 الألسن في مدحهم بالقصائد التي تعظم عن أن يقال مثلها في الخلفاء أنفسهم
 كقول المغيرة بن حنبل : -

أمسى العباد لعمرى لاغيث لهم
 إلا المهلب بعد الله والمطر
 هذا ينود ويحمي عن ديارهم
 وذا يعيش به الانعام والشجر

(١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (ولاء المنصور سنة ١٥١ هـ على بلاد السند ، وقيل
 انه لما بلغها انتح كشمير والملائتان والفتندار وبني فيها مسجداً ، وأغصبت البلاد في ولايته
 واستمر فيها ست سنوات ثم عاد الى بغداد سنة ١٥٧ هـ حيث توفي في ذلك العام) - انظر -
 الزركلي - الاعلام - ج ٩ - ص ٨٦ - ص ٨٧ .

(٢) الزركلي - الاعلام - ج ٢ - ص ٢٣٣

(٣) السيوطي - الخلفاء - ص ٢٦٩

(٤) ابن سعد ، محمد - الطليقات الكبرى - ج ٧ - ص ٢٣ - ص ٧٥ - ص ١٣٣٨ .

(٥) المدور جميل نخلة - حضارة الإسلام في دار السلام - ص ٣٨ - ص ٢٤ - القاهرة - ١١٢٣

ولم يقف الخلفاء العباسيون عند هذا الحد ، بل نرى انهم يتخذون لهم حرساً من العرب ، مبالغاً في الحيلة ، فقد ذكر ان المهدي - عندما رجع من الحج سنة ١٦٠ هـ أخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق وأقطعهم واجرى عليهم الأرزاق (١) .

كما وإنهم أبقوا على إجناد العرب في الجيش العباسي رغبة منهم في المحافظة على توازن العناصر المؤلفة للجيش العباسي : وكان معظمهم يتكون من القبائل المضرية واليمانية (٢) ، وقد عرفوا بأسم - « عرب الدولة » (٣) ، ويذكر الأستاذ هل بأن عددهم كان يصل إلى ما يقرب من ١٢٥.٠٠٠ ألف جندي عربي (٤) .

وتشير بعض المصادر العربية إلى أن الخلفاء العباسيين اتبعوا سياسة العطاء ومنح الأرزاق لرجال من العرب ، وهي السياسة التي كان قد اتبعها الأمويون من قبلهم . فقد ذكر أن المنصور كان يجري عليهم الأرزاق والمعونات على حسب منزلتهم (٥) . ومن الطريف أن زياد بن عبدالله الحارثي ، كان قد طلب في كتاب بعثه إلى المنصور بمأله زيادة في عطائه وأرزاقه فأجابه المنصور إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعتا في رجل أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فأكتف بالبلاغة (٦) .

كما وأن ابنه المهدي قسم في سنة ١٦٤ هـ على بني هاشم أكثرهم خمسة وستين ديناراً وأقلهم خمسة وأربعين ديناراً ومشبيخة القرشيين وأكثرهم خمسة وأربعين ديناراً وأقل القرشيين سبعة وعشرين ديناراً ومشبيخة الأنصار أكثرهم

(١) ابن الأثير - الكامل - ج ٥ - ص ٥٧ .

(٢) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ١٠١ بغداد ١٩٤٥ م .

(٣) لويس ، برنارد - العرب في التاريخ - ص ١٢٠ بيروت ١٩٥٤ م .

(٤) ي . هل - الحضارة العربية - ص ٨٤ القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٥) ابن المقفع - رسالة في الصنعة (رسائل البلاء) - ص ١٣٠ .

(٦) السيوطي - الخلفاء - ص ٢٦٧ ط القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

سبعة وعشرين ديناراً وأقل الأنصار سبعة عشر ديناراً والعرب أكثر من الموالي (١) ولما نزل المهدي عيساباذ أمر أن تكتب أسماء أولاد المهاجرين والأنصار وفرق فيهم ثلاثة ملايين درهم فأغنى كل فقير وأجبر كل كسير (٢) . ثم قام الرشيد أيضاً ، فأجرى للمهاجرين والأنصار ووجوه أهل الأمصار (٣) . أما عن حياتهم الخاصة فقد امتلكوا الضياع والأراضي الزراعية الشاسعة (٤) وكانوا على ما يبدو يفلحون تلك الأراضي بواسطة أجراء وفلاحين من غير العرب . لأنهم كانوا يأتفون من مزاوله المهن البدوية (٥) ، لذلك كانوا يركون هذه الحرف في العصرين الأموي والعباسي إلى الأعاجم .

ونتيجة لهذه المكانة الاجتماعية اللاتقة ، فقد حرص الكثيرون من رجالات القرمس على الإنتماء إلى بعض القبائل العربية (٦) رغبة في الوصول إلى تلك المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها العرب ، وليس ادل على ذلك من بشارة بن برد الذي يفتخر بولائه لبني عقيل فيقول :

إني من بني عقيل بن كعب

موضع السيف من طلي الأعناق (٧)

(١) الخطيب البغدادي ابن بكركي تحقيقه في طلي بغداد ج ١٣ - ص ١٩٤ القاهرة

١٣٤٩ - ١٩٣١ م

(٢) الأربلي ، عبد الرحمن - خلاصة الذهب المسبوك - ص ٦٦ القدس ١٨٨٥ م

(٣) الجهمياري ، أبي عبد الله محمد بن عبدوس - الوزراء والكتاب - ص ١٧٧ ط ١ -

القاهرة - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

(٤) التنوخي ، أبو علي الحسن بن علي - الفرج بعد الشدة - ج ١ - ص ١٣١ - ص ١٣٢ القاهرة

١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م

(٥) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر - الحيوان - ج ٥ - ص ٣٨٩ القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩٤٥ م

م ، علي ، صالح احمد - التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول

المجري - ص ٦٥ ط ٢ - بيروت - ١٩٦٩ م

(٦) يرى فان فلوتن : (ان المسلمين من غير العرب قد الحقوا منذ اعتناقهم الاسلام ببعض قبائل

العربية على ان يكونوا موالي لتلك القبائل طمعاً في كسب بعض المظاهر المادية والمنوية)

انظر كتابه - السيادة العربية والشيعه والاسرائيليات - ص ٣٦ ، ص ٣٨ القاهرة - ١٩٦٥ م

(٧) الأصفهاني ، أبو الفرج - الأغاني - ج ٣ - ص ٢٠ القاهرة - ١٢٨٥ هـ

كما وإن والبة بن الحباب انتحل له نسباً عربياً فأنكر ذلك عليه أبو العتاهية
وهجاءه :

أوالسب أنست في العسرب

كثمل الشيص في السرطب (١)

غير أن مركز العرب مالبت أن تضعضع وسرى فيهم الضعف لعاملين
الأول ؛ الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية ، والثاني ؛ بينهم وبين الفرس الذين
أخذوا يتبأون مركز الصدارة ويحلون محل العرب في المناصب السياسية الخطيرة
مستهدفين وراء ذلك استعادة أمجادهم القديمة .

ومما لاشك فيه أن الصراع القائم بين العصبيتين اليمانية والمضرية كان العامل
الرئيسي في تفكك قواهم وتفتت سلطانهم . ومن المعروف أن الخليفة العباسي
أفاد من هذا الصراع بين العصبيتين في عسكر العرب ، فتنافر المضريين واليمانيين
وتنازعهم شغلهم عن التكتل والتفرغ للإنقلابات ضد الدولة وقد ورد في
المصادر العربية ما يشير إلى أن للخليفة العباسي درواً هاماً في إثارة هذا الصراع (٢) .
كما أفاد الفرس من النزاع القائم بين الأميين والمأمون ، لتحقيق مآربهم فأيدوا
المأمون وحزبه الفارسي بزعامة بني سهل ، ومنذ ذلك الحين استفحل أمرهم
في الوقت الذي بدأ سلطان العرب يتدهور .

ولم تزل حالة العرب تسوء يوماً بعد يوم حتى كانت أيام المعتصم فانهار
بخلافته سلطان العرب .

صلاح عبد الهادي الجيلدي

مدرس مساعد - قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الموصل

(١) الفياض ، عبادة - تاريخ البرامكة - ص ٣١ بغداد - ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨ م
(٢) الطبري - تاريخ - ج ٨ - ص ٣٧ ، ابن الأثير - الكامل - ج ٥ - ص ٣٤ ، ابن الطقطقي
- الفخري - ص ٢٣٥

العالم الاديبي عبد الملك بن حبيب

حازم عبد الله خضر

علم بارز من أعلام الثقافة في الأندلس ، تحدث عنه عشرات من المصادر الأندلسية والمشرقية وأشادت بفضلته في مجالات عديدة من ألوان الثقافة العربية الإسلامية .

وقد سبق سعيد أعراب إلى تناول جانب من جوانب ثقافة عبد الملك وهو الجانب التعليمي في رسالة كتبها عبد الملك إلى معلم ولده ناقش هذه الرسالة وعدها أول نص تعليمي أندلسي ، واستبطن ملاحظات وتوجيهات عديدة في التربية والتعليم ونشر ذلك في مجلة الثقافة المغربية ، ولخصت الملاحظات التي استخلصها وناقشت بعض وجهات نظره فيها.

وكتب الدكتور محسن جمال الدين مقالا في عبد الملك بن حبيب أكد على الجانب الادبي والشعر بصورة خاصة بعد التعريف بأهم الجوانب الاخرى مختصراً ونشره في مجلة الرسالة الإسلامية التي يصدرها ديوان الأوقاف ببغداد في عدد شباط وآذار سنة ١٩٧٤ .

ومع أن الجاهدين قد تناولا نواحي معينة من ثقافة عبد الملك فلمني قد أفدت منهما واستشهدت ببعض وجهات نظرهما وناقشت الاخرى في مواضع عديدة يجدها القارئ الكريم أثناء قراءته للبحث .

اسمه ونسبه :

(عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي يكنى أبا مروان) (١) ويؤكد اليعمري هذا النسب أولاً ولكنه يورد رواية تجعل علماً آخر بين حبيب وسليمان باعتباره جد عبد الملك فيقول : « ... ونقل من خط الحاكم المستنصر بالله بأنه عبد الملك بن حبيب بن ربيع ابن سليمان ... » (٢) ويؤيد اليحصبي ذكر هذا الاسم .

ونلاحظ اختلافاً طفيفاً أيضاً في رسم أحد الأعلام عند ياقوت مع أنه يذكر النسب كاملاً حين يقول : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون ابن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي يكنى أبا مروان » (٣) ويبدو أن هذا تصحيف كثيراً ما يقع في تراجم الأشخاص .

ويقف الحميدي في ذكر نسب عبد الملك عند هارون ويضيف إليه بأنه من موالى سليم فيقول : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون أبو مروان السلمي من موالى سليم » (٤).

أما الضبي فينفرد بإضافة المسيحية فيقول : (عبد الملك بن حبيب بن سليمان ابن هارون أبو مروان السلمي من موالى سليم المسيحية) (٥) . وذلك غير مستبعد للاختلاط الحاصل في الاندلس ويرد نسب عبد الملك مختصراً في عدد من المصادر بهذا الشكل (عبد الملك بن حبيب السلمي) (٤) . ويترد نسبة عبد الملك على هذا النحو بين التفصيل والاختصار أو الاختلاف الطفيف في لفظ أحد أفراد النسب في جميع المصادر التي ترجمت له والمراجع التي تحدثت

(١) تاريخ علماء الاندلس / ابن الفرغني ص ٢٦٩ ، تهذيب التهذيب للعسقلاني ج ٢ ص ٣٩

(٢) الديباج المذهب ابن فرحون ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١ .

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ ، وبغية الوفاة للسيوطي ص ٣١٢ .

(٤) جذوة المقتبس ص ٢٦٣ وتاريخ علماء الاندلس ص ٢٦٩ وغيرها .

(٥) بغية الملتبس ص ٣٦٤ .

(٦) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٨٢ والمغرب في حل المغرب ج ٢ ص ٩٦ . وميزان

الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٥٢ .

عن ثقافته وعلمه .

مولده وحياته :

على الرغم من أننا نجد عدداً كبيراً من المؤرخين وأصحاب التراجم قد تعرضوا للكلام على عبد الملك بن حبيب ، فإن أكثرهم قد تعرض لسنة وفاته بالدرجة الاولى وكانت لهم آراء متعددة في تحديدها ، فقسم منهم يجعل الوفاة في رمضان من سنة ٢٣٨ هـ (١) ، وقسم آخر يجعل وفاته في ذي الحجة من سنة ٢٣٩ . (٢)

وهناك من لا يحدد سنة وإنما يورد التأريخين فيقول الحميدي « وكانت وفاته بالاندلس في شهر رمضان سنة ٢٣٨ كذا قال يحيى بن عمر وغيره ، وقيل مات في يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين بقرطبة » (٣)

أما سنة ولادته فلا نكاد نجد في المصادر من يذكر شيئاً بشأنها سوى السيوطي وهو متاخر ومع ذلك فلم يحدد تاريخاً وإنما ذكر ذلك بصورة تقريبية حين قال : « عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الاندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي الاندلسي القرطبي ولد بعد السبعين ومائة » (٤) ، نجد من يذكر عمر عبد الملك ونرى المصادر تختلف في تقدير عمره فمن قائل أنه عاش أربعة وستين عاماً (٥) ، ومن قائل أنه عاش ثلاثة وخمسين عاماً كالفتح في المطمح والمقري في النفع وصاحب ترتيب المدارك الذي يرى أنه عاش ستة وخمسين عاماً وآخرين (٦) وهناك من يرى أنه عاش أربعة (١) تاريخ علماء الاندلس / ص ٢٧٢ ، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٥ . شذرات الذهب

ص ٢٨٩ / ٩٠ العبري خبر من غبرج ص ٣٠٨ ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) المغرب في حل المغرب ج ٢ ص ٩٦ ، طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٢٢

(٣) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ وبغية الملتصص ص ٣٦٥ والديباج المذهب ص ١٥٦ وغيرها .

(٤) طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ .

(٥) تاريخ علماء الاندلس ص ٢٧٢ ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٤٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ .

وبغية الوفاة / ٣١٢ .

(٦) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ وبغية الملتصص ص ٣٦٥ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٢ وغيرها .

وسبعين عاماً (١) .

وإذا تأملنا هذه المجموعات الثلاث من المصادر والارقام التي أوردتها في تقدير عمر عبد الملك وجدنا المجموعة التي قدرت عمره بأربع وستين سنة ربما كانت أقربها إلى الصواب ذلك أن فيها ابن القرضي وهو متقدم على الجميع حيث توفي سنة ٤٠٣ هـ ويليهِ ياقوت ، كما أن الأخذ برقم ٦٤ يتفق مع ما ذهب إليه السيوطي من أنه ولد بعد السبعين ومائة كما ذكرنا آنفاً . ويترجح هذا الرأي عندما ننظر في مواقف الدارسين المحدثين الذين حاول عدد منهم وضع تاريخ لولادة عبد الملك ووفاته خلافاً للقدماء وأبادر إلى القول بأن ذكرهم لتاريخ ولادة عبد الملك إنما كان بالاعتماد على تاريخ الوفاة وذكر مقدار عمره في المصادر القديمة ولذلك وجدناهم يختلفون في هذا التقدير تبعاً لاختلاف القدماء فيه ، فقسم منهم يجعل ولادته سنة ١٧٤ هـ (٢) وقسم آخر يجعل ولادته سنة ١٧٩ أو سنة ١٨٠ (٣) ، وهناك عدد آخر قد أغفل سنة الولادة فلم يتعرض لذكرها بالتحديد أو التقدير . وهكذا نجد إجماعاً أو شبه إجماع على سنة وفاته وإختلافاً كبيراً في سنة ولادته وتقدير عمره . وإزاء ذلك نستطيع أن نقرّجج بأن ولادته حوالي سنة ١٧٤ أو أكثر منها بقليل وذلك اعتماداً على ترجيح عمره الذي رأينا أن يكون حوالي أربعة وستين عاماً بخاصة وأتينا نجد بعض الباحثين المحدثين يتعرض لوفاة عبد الملك مختاراً رأي المجموعة التي تقول « عبد الملك بن حبيب توفي سنة ٢٣٩ وله من العمر أربع وستون سنة » (٤) .

أما التواريخ الأخرى فإننا لانرى أنها تنسجم مع تأريخ الوفاة من جهة ومع الأخبار التي أشرنا إلى طرف منها من جهة أخرى قبل قليل . ذلك أن جعل

(١) العبر في خبر من خبر ج ١ ص ٤٢٨ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي

(٢) الاعلام قزركلي ج ٤ ص ٣٠٤ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ مقال سعيد اعراب ص ١٠٧ آ ١٠٨

(٣) أثر العرب والاسلام في الحضارة الأوروبية ص ٣٧١ . معجم المؤلفين ج ٣ ص ١٨١ .

تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ج ٣ ص ٨٦ ، وتاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .

(٤) فصول في الأدب الأندلسي د . حكمت الأوسي ، ص ٦٠ .

الولادة سنة ١٨٠١ أو ١٧٩٩ يعني أن عمر عبد الملك ثمانية وخمسون أو سبعة وخمسون عاماً في الآن وهو رتبة لم يرد في أي من الروايات الكثيرة التي عرضنا جوانب منها وأب رقب له هو الذي يجعل عمر عبد الملك ستة وخمسين عاماً ثم يعقب عليه بذكر رواية الشيرازي التي تجعل عمره ثلاثة وخمسين عاماً (١)

أما ما سوى ذلك من الروايات والأخبار فبعيد لا يمكن أن يتصور مع الروايات المتوفرة لدينا ، وإذا استطعنا أن نقدر ولادة عبد الملك بحوالي منتصف السبعين بعد المائة كان علينا أن نذكر مكان هذه الولادة، وأكثر المصادر تقول إنه ولد في (البيرة وسكن قرطبة) (٢) ونقرأ في أكثر من مرجع من المراجع الخالصة أنه ولد في حص واط وقضى صدر شبابه في البيرة وقرطبة (٣)، ومن المعلوم أن قرطبة في الفترة التي نشأ وترعرع فيها عبد الملك كانت تشهد النهضة العلمية والثقافية على نطاق واسع وكان فيها كبار العلماء والمثقفين المشهورين الذين تلقى عنهم عبد الملك ثقافته وعالمه الاولي ومنهم « صمصمة ابن سلام والغازي بن قيس وزيايد بن عبد الرحمن .. » (٤)

وتحدثنا المصادر أن عبد الملك بن حبيب قد حصل علوماً كثيرة وألم بأطراف ثقافته واسعة قبل أن يرحل إلى المشرق على عادة الاندلسيين في رحلاتهم الدائمة التي كانوا يرونها أمراً ضرورياً لاستكمال العلوم التي بدأوا بتحصيلها في الاندلس وبغية الوقوف على آخر ما توصل اليه المشاركة من الانجازات العلمية والثقافية ، هذا بالإضافة إلى ما تنطوي عليه الرحلة نفسها من المعاني في نفوس الاندلسيين لعل من أبرزها أنهم ينظرون إلى كل من تلقى علومه في المشرق نظرة تختلف عن نظرتهم إلى من لم يسافر .. وتحدثنا بعض المصادر

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٢ ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ في التعريف بمدينة البيرة .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٣ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ .

(٤) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٢ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١ وغيرها .

أن عبد الملك قد رحل إلى المشرق حاجاً وأنه تفرغ للعلم والمعرفة بعد أدائه فريضة الحج وأقام بالمدينة المنورة فترة من الزمن .

وبلاحظ المتأمل في المصادر أنها تختلف في سنة رجوعه من المشرق أما تاريخ سفره فإنه على رأي عدد من هذه المصادر (حج سنة ثمان ومائتين) (١) ولا نجد خلافاً في سنة رحيله بقدر ما نجده في سنة رجوعه إلى الاندلس بعضهم يقول أنه «انصرف إلى الاندلس سنة ست عشرة وقد جمع علماً عظيماً..» (٢) ولكننا نجد ما يدل على أنه تأخر في المشرق إلى ما بعد سنة ٢١٦ فيحدثنا اليحصبي أنه كتب بأبيات إلى أهله من المشرق سنة عشرين ومائتين .. (٣) ونحن نميل إلى ترجيح القول برجوعه سنة ست عشرة أو أكثر من ذلك لأسباب عديدة لعل من أهمها الفترة الزمنية التي يستغرقها المسافر إلى المشرق ذهاباً وإياباً وقد تزيد على السنة في بعض الأحيان ومنها أن بعض المصادر ذكرت أن تاريخ رجوعه سنة ست عشرة أو أكثر . ومنها الاشارات العديدة التي تدل على اتصاله بالعلماء ومناظراته في الحجاز ومصر . ومنها الايات الشعرية التي أوردتها اليحصبي وغيره في الحنين إلى وطنه ونفهم منها شوقاً شديداً وخفة للقاء الأهل الاصدقاء من العلماء والادباء في الاندلس وسيأتي ذكر هذه الأبيات عند الكلام على شعره .

وأخيراً فإن هناك من ذكر أن (رحلة عبد الملك استمرت ثمانين سنوات) (٤)

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ . والعبري في خبر من خبر ج ١ ص ٤٢٨ . ذكر ابن حجر المصلي أن عبد الملك رحل سنة ثمان وخمسين ومائتين وذلك وهم لوقوع هذا التاريخ بعد وفاة عبد الملك بعشرين عاماً . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩٠ .

(٢) الديباج المذهب ص ١٥٤ وقد ذكر اليحصبي انه انصرف سنة (عشر) ولعل لفظة (ست) قد سقطت من الاصل وهو ، ينسجم مع رواية ابن فرحون المتقدم على اليحصبي .

(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) مجلة الرسالة الإسلامية ص ٥١ ، د . محسن جمال الدين .

والذي نراه أنها استمرت أكثر من هذه المدة للأسباب التي ذكرنا .
ومهما يكن فلإن عبد الملك قد مكث في المشرق فترة طويلة لانتقل عن عشر سنوات إن لم ترد عليها وذلك له قيمة كبيرة في افساح المجال أمام العالم الدؤوب للإطلاع على ماتوصل اليه القوم من الإنجازات الثقافية في مختلف العلوم والفنون ولعل من الامور البارزة المهمة في هذه الرحلة لقاءه بأصحاب الامام مالك وكان هذا اللقاء بالنسبة له هاماً باعتباره أحد علماء المذهب المالكي في الاندلس حيث تحول الاندلسيون اليه بعد أن كانوا على مذهب الامام الاوزاعي . ويصف بعضهم جانباً من نشاطه في المدينة أثناء رحلته فيقول (تردد على مجالس العلم في المدينة المنورة حيث درس مذهب الامام مالك وكان عند رجوعه إلى الاندلس من العناصر الفعالة في تحويل الاندلس إلى المذهب المالكي عن مذهب الاوزاعي ...» (١)

ونلاحظ أن بعض المؤرخين القدامى يقعون في وهم تاريخي عند وصفهم للقاء عبد الملك بأصحاب الامام مالك فيقول صاحب المطمح (انه لقي مالكا) (٢) ويذكر آخر خبراً عن رحلته فيقول (ويقال أنه أدرك مالكا آخر عمره) (٣) ويكرر المقرئ هذه الرواية ويضيف إليها: «ويقال أنه لقي مالكا آخر عمره وروى عنه سعيد بن المسيب ...» (٤) ويكرر عدد من الباحثين المعاصرين هذه الرواية نفسها دون مناقشة (٥) .. أما مسألة لقاء الامام مالك فانها بعيدة بل مستحيلة الوقوع لسبب هام واضح هو أن الامام مالكا توفي ١٧٩هـ (٦) أي قبل رحيل عبد الملك إلى المشرق بما يقرب من ثلاثين عاماً وحين كان عبد الملك صبياً .

- (١) تاريخ الأندلس مقدمة لمحقق هامش ص ٢٣ .
- (٢) مطلع الأنفس وسرح التأنس / الفتح بن خاقان ص ٤٠ وجذوة المقتبس ص ٢٦٤ .
- (٣) بنية المتنبي / ص ٢٦٥ .
- (٤) نفح الطيب ج ٢ ص ٢١٥ .
- (٥) المطرب في أدب الأندلس والمغرب / محمد عجاج ص ٩٧ ، والحلل السندية ج ١ ص ٢٩١ . وانظر كذلك الرسالة الإسلامية ص ٥١ .
- (٦) انظر في ترجمة الامام مالك الاعلام ج ٦ ص ١٨٦ ومعجم المؤلفين ج ٨ ص ٦٨ وغيرها .

ثقافته وفقهه :

كثيراً ما تصف المصادر عبدالمملك بأوصاف تدل على سعة علمه وذكائه بل إنه على ما يبدو قد عدّ في العلماء قبيل أن يسافر إلى المشرق وعندما كانت سنه لا تتجاوز الثلاثين عاماً إن لم نقل عنها يقول الشيرازي رحل وهو فقيه عالم إلى المدينة فعرض كُتبه على عبدالمملك بن عبدالعزيز الماجشون ... » (١) وعتمد له اليحصبي فصلاً تحت عنوان (ذكر مكانه وثناء الفضلاء عليه) ومما قاله فيه : (كان جماعاً للعلم كثير الكتب طويل اللسان فقيه البدن (٢) نحويّاً عروضياً شاعراً نسابه اخبارياً وكان أكثر من يختلف إليه الملوك وأبناؤهم من أهل الأدب » (٣) ونجد أحد الأدباء الأندلسيين المشهورين الذين دونوا أدب الأندلس وحفظوا لتاسير عدد كبير من الأدباء الذين عاشوا قبل القرن السادس الهجري وهو الفتح بن خاقان نجده يثني على عبدالمملك ويشيد بمآثره العلمية في شتى الفنون والآداب ، من ذلك قوله فيه : ... خلادت منه الأندلس فقيهاً عالماً أعاد مجاهل جهلها معالماً وأقام بها للمعالم سوقاً نافقة ونشر منها ألوية خافقة وجلا عن الألباب صداً الكسل وشحطها شحذ الصوارم والأسل وتصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالأندلس وفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه » (٤) بل اننا نجده يحتل مكاناً بارزاً من الكتب المشهورة في الأدب واللغة ، ومن يتصفح معجم البكري يجده يعتمد في العديد من صفحاته على عبدالملك بن حبيب ، فقد أورد رأيه بعد شرحه للفظلة جمع فقال : (قال عبدالملك بن حبيب : هي المزدلفة) وقال عبدالملك بن حبيب عرنة ليست من عرفة انما هي من الحرم وعرفة خارجة من الحرم) . (٥)

(١) طبقات الفقهاء ص ٢٨٢ .

(٢) فقيه البدن عبارة مبهمة ويبدو أن فيها تصحيحاً أو أن المقصود بها إن صحت (صحة بدنة) .

(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٢ / ٣٣ وانظر كذلك الديباج ص ١٥٤ .

(٤) مطبع الأنفس ص ٤٠ .

(٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع الصفحات ٣٩٢ و ١١٩١ وغيرها .

ولعلنا لاستبعاد صحة الرواية التالية التي قرأناها عن ثقافة عبد الملك ومكانته . لما دنا من مصر في رحلته أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقي الرفقة على عاداتهم فكلما أطل عليهم رجل له هيئة ومنظر رجحوا الظن فيه وقضوا بفراستهم عليه حتى رأوه وكان ذا منظر جميل . فقال قوم : هذا فقيه وقال آخرون بل شاعر وقال آخرون بل طبيب وقال آخرون خطيب ، فلما كثرت اختلافهم تقدموا نحوه وأخبروه باختلافهم فيه وسألوه عما هو فقال لهم : كلكم قد أصاب وجميع ما قدرتم أحسنه والخبرة تكشف الحيرة والإمتحان يخلي الإنسان ، فلما حط رحله وأتى الناس شاع خبره فتعد إليه كل ذي علم فسأله عن فنه وهو يجيبه جواب محقق فعجبوا ووثقوا بعلمه وأخذوا عنه وعطلوا حتى علمائهم . (١)

وقد أبرز الباحثون المحدثون مكانة عبد الملك في كثير من دراساتهم في الثقافة والمتنقيين الأندلسيين فسماه بعضهم العالم الشاعر (٢) .

على أننا لا ينبغي أن نغفل الفترة التي عاش فيها عبد الملك وحالة العلوم والثقافة فيها فقد عاصر أميرين أوفىما الحكم بن هشام الذي تولى الإمارة من سنة ١٨٠ وحتى سنة ٢٠٦ هـ . والثاني الأمير عبد الرحمن بن هشام من سنة ٢٠٦ إلى ٢٣٨ ، وتحدث المصادر أن الأمير الحكم كان أديباً شاعراً وناثراً يحب الأدب والأدباء ولكن عبد الملك لم يعل قدره ويرتفع مقامه إلا في ظل عبد الرحمن الأوسط الذي وثبت البلاد وثبتها الثقافية الواسعة بجهوده ورعايته ... (٣) وظهر عبد الملك مؤرخاً وأديباً مقرباً من الأميرة وانتشر سموه في العلم والرواية فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة ورتبه في طبقة المفتين فيها فأقام مع يحيى زعيمها في المشاورة والمناظرة (٤) وتولى التدريس في جامع قرطبة وهو أكبر معهد في العاصمة الأندلسية حتى قال بعضهم رأيت يخرج من الجامع وخاتمه ثلاثمائة طالب حديث

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص ١٥٥ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٢٣
(٢) قضايا أندلسية ص ٧ والاعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٠٢ ودولة الاسلام في الأندلس محمد عباد
عنان ج ١ ص ٢٧٣ .

(٣) انظر في ذلك الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٦ / ١٩ .

(٤) الديباج المذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٥ .

وفرائض وفقه واعراب ... » (١)

ويذكر بعض الباحثين المحدثين : « انه كان يقسم طلبته في مسجد قرطبة إلى مجموعات يدرس كل مجموعة علماً » . (٢) وهذا يدل دلالة واضحة على سعة علم الرجل ومعرفته بأهم أساليب التعليم التي تعتمد على تصنيف الطلبة وتدريسهم حسب قابلياتهم ومواهبهم ورغباتهم وقد يطول الكلام إذا عرضنا لحملة أخرى من آراء وأقوال العلماء والمؤرخين والدارسين فيه قديماً وحديثاً .

آثاره :

ولعل مما يكمل هذه الصورة ويزيدها وضوحاً أن نعرض لبعض المؤلفات التي أوردت المصادر القديمة أسماءها على أنها جزء يسير من أصل ما خلفه ابن حبيب والذي بلغ الفاً أو يزيد كما نذكر مصادر عديدة (٣) غير أننا لا نملك من هذا العدد الكبير سوى أسماء عدد قليل من هذه المصادر ولم يصل إلينا من هذا العدد سوى اثنتين - فيما نعلم - الأولى الرسالة التي نشرها وعلق عليها سعيد اعراب في مجلة الثقافة ، والثاني كتاب مخطوط يتناول الأحداث التاريخية في وقت مبكر من حياة الانسان وتحتي عصر متأخر وسنذكر الاثرين عند الكلام عن عبد الملك النائر وعبد الملك المؤرخ .

على أن ذلك لا يمنع من ايراد أسماء أهم الكتب التي أوردتها المصادر منسوبة إليه :

١. كتاب الواضحة (٤) في الفقه ويضم - على ما يبدو - مجموعة من الكتب

(١) الديباج المذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٥

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ .

(٣) نفع الطيب ج ٢ ص ٢١٤ ومن المحدثين الاعلام ج ٤ ص ٣٠٢ وظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٥ . وانظر كذلك المطر في أدب الأندلس والمغرب بمحمد عجاج وعلي سعد ص ٩٧ . والحركة القنوية في الأندلس / خير حبيب مطلق ص ٧٠ / ٧١ ، وعلم التاريخ عند المسلمين .. وعرف صاحب كشف الظنون ببعض كتبه منها : علم اعراب القرآن وشرح الموطأ والواضحة انظر الصفحات ١٢١ / ١٢٣ / ٩٠٩ من الجزء الأول والصفحات ١٩٠٧ / ١٩٩٦ من الثاني

(٤) يبدو من تأكيد المصادر أن كتاب الواضحة أهم كتب عبد الملك في الفقه . سماه بعضهم (مصنف الواضحة) انظر مرآة الجنان ص ١٢٢ . وانظر كذلك روضات الجنات ص ٤٣٤ .

الفقهية منها :

- أ . الجامع .
- ب . كتاب الفضائل .
- ج . كتاب تفسير الموطأ .
- د . كتاب غريب الحديث .
- هـ . كتاب حروب الاسلام .
- و . كتاب المسجدين .
- ز . كتاب سيرة الامام في الملحين .
- ح . كتاب طبقات الفقهاء والتابعين .
- ط . كتاب مصابيح الهدى .

ومن تواليفه الاخرى :

- ١ . أعراب القرآن .
- ٢ . كتاب الحسبة في الأمراض .
- ٣ . كتاب القرائن .
- ٤ . كتاب السخاء واصطناع المعروف .
- ٥ . كتاب كراهية الغناء .
- ٦ . كتاب في النسب وفي النجوم .
- ٧ . كتاب الرغائب .
- ٨ . كتاب الجامع تأليفه وهو في مناسك النبي (ص) .
- ٩ . كتاب الورع في العلم .
- ١٠ . كتاب الورع في المال وغيره ستة أجزاء .
- ١١ . كتاب الحكم والعمل بالجوارح .
- ١٢ . كتب المواعظ سبعة .
- ١٣ . كتب الفضائل سبعة فضائل النبي (ص) وأصحابه وفضائل عمر

بن عبد العزيز وفضائل مالك بن أنس .

١٤ . كتاب أخبار قريش وأنسائها خمسة عشر كتاباً .

١٥ . كتاب السلطان وسيرة الامام ثمانية كتب .

١٦ . كتاب الباه والنساء ثمانية كتب وغير ذلك من كتب سماعه في الحديث والفقه وتأليفه في :

١٧ . الطب وتفسير القرآن ستون كتاباً .

١٨ . وكتاب الفاريء والناسخ والمنسوخ ورغائب القرآن .

١٩ . كتاب الرهون والبدي والمغازي والحديثان خمسة وتسعون كتاباً .

٢٠ . وكتاب مغازي رسول الله (ص) اثنان وعشرون كتاباً . (١)

ولا يخفى أن عدد هذه الكتب يتجاوز العشرين باعتبار أن عدد منها يندرج في بعض الكتب الرئيسة ... ومهما يقل في احتمال المبالغة في هذا العدد واحتمال أن يكون بعض هذه الكتب فصولاً من أصل كتاب واحد على عادة المؤلفين في تلك العصور حيث كانوا يسمون الفصل أو ما يقل عنه أحياناً كتاباً ... مهما يقل من هذا القيل فإن هذه الكتب بكثرتها وتعدد موضوعاتها سواء ما أكان منها منقولاً أو مخطوطاً تدل على سعة علم الرجل ، وشمول ثقافية وعاءو مكانته في علماء عصره ومتففيهم حتى أثار ذلك حساده من العلماء والادباء الآخرين وتمثل شيء من ذلك فيما نقله ابن حبان حين قال : « كان يحيى بن يحيى وأصحابه الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلم لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها اذ كان مع تقدمه عالماً بالاعراب واللغة متفنناً في العلوم القديمة » . (٢)

وربما وجدنا هذا الحسد يتطور إلى الطعن في علمه وضبطه حتى نجده

(١) كتاب الديباج المذهب ص ١٥٥ / ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٥ / ٣٦ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٤ . وقد وردت الكتب وأسمائها واعدادها بصورة تختلف عن هذا في مصادر عديدة أخرى .

(٢) المغتسب من أنباء أهل الأندلس ص ٤١ .

عند بعض المتأخرين يتهم بأن روايته ساقطة مطرحه (١) ويردد شيئاً من من هذا ابن فرحون (٢) واليحصي ولكنهما يستدركان بأن هذا التضعيف ، تحامل من حساده ويستشهد اليحصي بقول منذر بن سعيد القاضي الاديب المشهور : ((انك لا تجد أحداً ممن يحكي عنه معارضته والرد لقوله ساواه في شيء وأكثر ما نجد أحدهم يقول كذب عبد الملك أو أخطأ ثم لا يأتي بدليل على ما ذكره . (٣) وشهادة منذر بن سعيد هذه لها قيمتها باعتبارها من القضاة الأدباء والعلماء المشهورين في القرن الرابع الهجري. عبد الملك الأديب :

وإلى جانب الثقافة الإسلامية الواسعة التي كان عليها عبد الملك في مجال الفقه والشريعة والتفسير والسير والمغازي يلاحظ المنتجع لأخباره أنه أديب مارس الأدب في فنية المشهورين الشعر والنثر تدلنا على ذلك المجموعات الشعرية التي ذكرتها المصادر الأندلسية والمشرقية والأمطر الثرية القليلة التي تقرأوها في عدد آخر من هذه المصادر وإذا كانت الأخبار الدالة على شعره أكثر وأوضح من تلك التي تدل على نثره آثرنا أن نبدأ بالنظر في شاعريته . وأبأدر إلى القول بأن الدكتور محسن جمال الدين قد أورد معظم الأبيات التي وجدت في المصادر المشرقية والأندلسية ولكن فاتته بضعة أبيات أخرى سأنبه عليها في مواضعها . (٤)

ومما تجدر الإشارة إليه أن مكانة عبد الملك الأدبية نوهت بها المصادر التي ترجمت له فوصفه بعضها بأنه د كان قد جمع علم الفقه والحديث وعلم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الأدب وله تصانيف جمّة في أكثر الفنون .. . (٥)

- (١) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ١٧٤ فيما ينقله عن ابن حزم .
- (٢) الديباج المذهب / ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٦ / ٣٧ حيث يفتد الأخير فصلاً بعنوان ذكر ما يحمل به عليه .
- (٣) الديباج المذهب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٨ .
- (٤) أنظر مقال الدكتور جمال الدين المنشور في مجلة الرسالة الإسلامية .
- (٥) أنباء الرواة على أنباء النحاة / القفطي ج ٢ ص ٢١٦ و تاريخ علماء الأندلس ص ٢٧٢ .

ووقف الباحثون المحدثون على بعض جوانب أدبه والأخبار المتواترة عنه فأشادوا بذكره وأكدوا على مكانته وعرف بعضهم بالجانب الأدبي من ثقافته فقال : « ومن الذين القوا في الأدب في هذا العصر عبد الملك بن حبيب (توفي سنة ٢٣٩) وكان أدبياً نحويًا حافظاً وشاعراً متصرفاً في أضرب العلوم المختلفة في الأخبار والأنساب والأشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب .. (١) ومن النماذج الشعرية التي ذكرتها المصادر أبيات يذكر فيها ابن حبيب شيئاً عن وضعه المالي ويشير إلى تنوع المغنين وتفضيلهم في العطاء والمنح عليه وعلى أمثاله من العلماء والفقهاء على قلة الفوائد التي يجنيها المجتمع من المغنين مقابل كثرتها وأهميتها لدى العلماء والفقهاء والمتقنين وكذلك مع الفارق الكبير بين جهد الإثنين :

صلاح أمري والذي ابتغى سهل على الرحمن في قدرته
ألف من البيض - وأقلل بها لعالم أو في على بغيته (٢)
ياخذها زرياب في رفقته وصنعتي أشرف من صنعه
وقد ذكر صاحب المغرب أن المغني زرياب (٣) قد غنى بين يدي الأمير
عبد الرحمن الأوسط شعره أطربته فأعطاه ألف دينار

والآيات تدل على ظاهرة إجتماعية شائعة في عصر عبد الرحمن الأوسط وهي مكانة المغنين والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها وحالتهم المادية التي تنسم بالرفاه وسعة العيش مقابل ضيق وحاجة في أوساط أخرى في مقدمتها العلماء والفقهاء وقد أشار أحد الذين ترجموا لعبد الملك وأوردوا هذه الآيات ضمن الآثار الأدبية التي ذكرها له ، بأن عبد الملك « لم يكن من أهل السعة (١) فصول في الأدب الأندلسي ، د . حكمت الأوسي ص ٦٠ وانظر كذلك : الحركة الغنية في الأندلس (٢) وردت هذه الآيات في طبعات التحوين ص ٢٨٢ والجدوة ص ٢٦٥ والمغرب ج ٢ ص ٩٦ . وأنباء الرواة ج ٢ ص ٢٠٦ والديباج المذهب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ ونقح وقد ذكرها الدكتور جمال الدين في مقاله .
(٣) زرياب : أبو الحسن علي بن نافع ، نشأ بالشرق تلميذاً لاسحق الموصلي في الفناء سافر إلى الأندلس ونال شهرة واسعة : انظر ترجمته في المطرب لابن دحية ص ١٤٧ . وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ...

في دنياه ، بل كان من المقتر عليهم رزقهم » (١).

ويرى بعض الباحثين أن عبد الملك أراد بهذه الآيات أن ينفس عن نفسه ويبين أن رغبته في الحياة سهلة يسيرة ولكنه لم يستطع الوصول إليها مع أن قليلاً من المال يبلغه ما يريد » (٢) ونحن نعتقد أن مراد عبد الملك إبراز الفرق بين طبقة وطبقة المغنين ومن ينهم ولا يقضي ذلك أن يكون متطلعاً إلى الحياة السهلة اليسيرة وأن قليلاً من المال يبلغه هذه الحياة وواقع الرجل في مكانته وجهوده يلقي ضوء واضحاً على هذه النظرة

ولعبد الملك آيات أخرى توجه بها إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط في يوم عاشوراء يحثه على الوفاء بالمستلزمات الإسلامية لهذه الذكرى فقال :
لاتنس - لا ينسك الرحمن - عاشورا
قال النبي صلاة الله تشملهم قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة يكن عيشه في الحسول محبوباً (٣)
فارغبديتك - فيما فيه رغبنا حين الورى كلهم حيا ومقبوراً (٤)
وأورد المقرئ ثلاثة آيات منها مع اختلاف بين في بعض الألفاظ على النحو التالي :

لاتنس - لا ينسك الرحمن - عاشورا
قال النبي صلاة الله تشملهم قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في اتفاق موسمه أن لا يزال بذاك العام ميسوراً (٥)

(١) أنباء الرواة على أنباء النخبة ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) قضايا أندلسية د . بدر متولي حميد ص ٣٧ .

(٣) المقتبس / ١ ن حيان ص ٤٨ ..

(٤) هكذا ورد البيت - وفيه نقص - ولعل إضافة لفظة مثل (مدى) بعد لفظة (يكن) تعين على استقامة الوزن .

(٥) نفع الطيب ج ٢ ص ١١٢ ويبدو أن الدكتور جمال اعتمد هذه الرواية

ولاشك أن الباحث بفضل رواية ابن حيان على رواية المقرئ لمكانة الأول في مؤرخي الأندلس وتقدمه على المقرئ في الزمن والمكانة العلمية والثقافية مما أجمع عليه المؤرخون والدارسون قديماً وحديثاً . (١)

وإذا كانت هذه الآيات من حيث مضمونها تتسم (باليساطة) (٢) والوضوح والسهولة كما يرى بعض الباحثين فإن لها دلالة أخرى تتمثل في معالجة القضايا الإسلامية واحياء المناسبات والتذكير بأهميتها وأثرها في المجتمع وما ينبغي على الناس أن يقوموا به إزاءها وبخاصة الأمراء باعتبارهم قدوة لغيرهم وأسوة لرعيتهن وهم أقدر على إيفاء حق هذه المناسبة من عامة الناس .

وأخيراً فإننا نستطيع أن نلمح في الآيات مظهراً من مظاهر الحياة الأندلسية والمجتمع الأندلسي في هذه الفترة . ذلك المظهر الذي يدل على الإهتمام بهذه المناسبات واحياءها في ضوء التوجيهات النبوية الواردة بشأنها والتي انطلق منها عبدالمملك في آياته داعياً إلى التوسعة على المحتاجين والمعوذين استجابة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة وأمثالها .

ويأتي شعر عبدالمملك أحياناً خلال المراسلات الثرية التي كان يكتبها لأصدقائه من الأدباء والعلماء ومن هذا النوع نجد آياتاً أوردتها المصادر الأندلسية والمشرقية وهي موجهة ضمن رسالة بعث بها إلى صديق له من الأدباء اسمه محمد بن سعيد الزجاجي (٣) أوردتها الزبيدي إذ قال : (وكتب عبدالمملك إلى محمد بن سعيد الزجاجي (رسالة وصلها بهذه الآيات : (٤)

كيف يطيق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الفرق .

-
- (١) ينظر مثلاً : مقدمة الدكتور محمود علي مكي في تحقيقه لجزء من المقتبس . و مجلة العربي عدد ٨٨ سنة ١٩٦٦ . مقال (المؤرخ ابن حيان وكتابه المقتبس في تاريخ الأندلس) للاستاذ محمد عبدالله عتات . (٢) قضايا أندلسية ص ٣٦ . (٣) محمد بن سعيد الزجاجي أديب وكاتب للأمر عبد الرحمن الأوسط انظر في ترجمته : المغرب ج ١ ص ٣٣٠ . والمقتبس ص (٤) طبقات النحويين ص ٢٨٢ .

إذا قرضت الشعر أو رمته حالت همومي دونه فانغلق
والشعر لا يسلس الا على فراخ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر يرضى من الحضّر بأدنى العتق
أما ذمام الود مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق
مباحلت عن عهدك لا والذي يوجد بالرزق على من خلني
وقد وردت الايات في مصادر أخرى ولكنها تختلف عنها في بعض الألفاظ
وعدد الأيات فقد أوردها الفتح على الشكل التالي (وكتب إلى محمد بن سعيد
الرحالي رسالة ووصلها بهذه الأيات :

كيف يطبق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الفرق
فاقنع بهذا القول من شاعر يرضى من الحفر بأدنى العتق
فضلك قد بأن عليها كما بأن لأهل الأرض ضوء الشفق
أما تمام الود مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق (٢)
ويروى المقرئ الأيات بالشكل التالي (وكتب إلى الزجاني رسالة وصلها بهذه
الأيات (٣) :

والشعر لا يسلس الا على فراخ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر يرضى من الخط بأدنى العتق (٤)
فضلك قد بأن عليه كما بأن لأهل الأرض ضوء الشفق
أما ذمام الود مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق
ويلاحظ أن آيات الرواية الاولى أكثر من الأيات الواردة في كل من
روائي الفتح والمقرئ وبيت الثاني والبيت الأخير في الرواية غير موجودين

- (١) الحضر : بضم وسكون وضم : ارتفاع القوس في عدوه - القاموس ج ٢ ص ١٠
العتق : ضرب من السير فسح سريع للإبل والغيل - أنظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٣٨
(٢) مطمح الأنفس ص ٤١ . (٣) فتح الطيب ج ٢ ص ٢١٦ ، ويبدو أن الدكتور جمال الدين
اعتمد هذه الرواية .
(٤) الكلمة جاءت بهذا الرسم هنا (الخط) وفيها تصحيف واضح والصحيح كما رويت سابقاً .

في روايتي الفتح والمقرى، كما أن هاتين الروايتين تختلفان في ثابتهما عن الاولى بوجود البيت الثاني .

ونحن نفضل الرواية الاولى لانها وردت في مصدر سابق على مصدري الروايتين التاليتين إذ من المعلوم أن الزبيدي قد توفي سنة ٣٧٩، أما الفتح فمن رجال القرن الخامس وأوائل السادس وأما المقرى فمتأخر عن الاثنتين كثيراً .

ومهما يكن من أمر الاختلاف في الأبيات مما اضطررنا لذكر الروايات المتعددة المختلفة فإن هذا لا يغير من دلالتها على تصوير حالة نفسية يبدو أنها عرضت لعبد الملك فقد كان على ما يبدو يعاني من قلق وانشغال فكر لا يمكنه من التفرغ لنظم الشعر الذي لا بد له من خلو بال وحضور قلب وهدوء حال واستقرار ويرجع بعض الباحثين هذا إلى ظاهرة عامة يمكن أن تلاحظ في حياة الأندلسيين الذين كانت ظروفهم لا تسمح لهم بمعالجة الأشعار التي تمثل حياة الدعة والترف : من الغزل والوصف ومجالس اللهو وهذا عبد الملك ابن حبيب السلمي العالم الشاعر الذي توفي سنة ٢٣٨ هـ يقول : ان الإنشغال وعدم الإطمئنان وقلة فراغ البال تدعو إلى الإنصراف عن الشعر والتجويد فيه وقد كتب رسالة إلى صديقه محمد بن سعيد الزجاجي وصلها بهذه الأبيات (١) وفي رأبي أن أبيات عبد الملك الصق بنفسه وشخصيته وثقافته من أن تكون ظاهرة عامة تسري على جميع شعراء الأندلس بل وحتى على شعراء عصره فقط بدليل أن شعر الشعراء يحوي أغراضاً متعددة ولم يقتصر على غرض واحد بعينه . ولدينا نموذج آخر من شعر عبد الملك يقرب في ظروفه من ظروف الأبيات السابقة فهو وارد أيضاً ضمن رسالة نثرية كما تحدثنا المصادر : غير أننا لا نجد شيئاً من نثر هذه الرسالة سوى الأبيات والإشارة إليها : (وكتب بن حبيب إلى الرشاش (٢) الأديب يستهديه مداداً ووجه إليه قارورة كبيرة) : -

(١) قضايا أندلسية ص ٧

(٢) الرشاش : أبو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش : أديب مترسل مشهور في عهد عبدالرحمن الأوسط ترجم له صاحب المغرب ج ١ ص ١١٤ وغيره .

أاحتج من خبر إلى سقية فامدد لنا منه (مرساك (١)
وأبعث وأن قلّ به طيباً ولا تكن دوننا فنلحاك
ولا تهولنك قارورتي فلنأقنع من ذاك (٢)

ولعلنا نلاحظ طابع البساطة - شكلاً ومضموناً - على هذه الأبيات
فموضوعها عادي يمكن أن يسلك في غرض الشعر الاجتماعي أو الإخوانيات
وأما أسلوبها فيتسم بالبساطة والوضوح ولكنه مع ذلك يدل على موهبة في
الشعر واضحة . وما يتصل بهذا الشعر موضوعاً وشكلاً بيت واحد أورده
ابن حيان بعد أن قدم له بقوله أن (له بيت شعر في التعريض ببعض قضاة
الأمير عبدالرحمن ضمنه كتاباً خاطبه في شأنه (من الخفيف) :

كان بالقاسطين منارؤوفاً وعلى المقسطين سوط عذب (٣)

على أننا نستطيع أن نفهم من البيت غرضاً آخر غير ما دلت عليه الأبيات
السابقة وهو نقد الأوضاع والأشخاص وبخاصة المقربين للأمير من القضاة
فهو يصور القاضي بالإنحراف عن الحق بظلمه للناس ومحاباته للظالمين حتى
كان بهم رؤوفاً رحيماً بينما هو على الغرومين والمظلومين سوط يلهب
ظهورهم ويتزل بهم أنواع العذاب والبلاء .

ومرة أخرى نلاحظ إفتقار الرسالة إلى النص الثري وأقتصارها على النص
الشعري مع أن الإشارة واضحة إلى هذا البيت ضمن رسالة ثرية بل إننا
نستطيع أن نرجح بأن هذا البيت قد لا يكون الوحيد وإنما هو واحد من
مجموعة أبيات لم تصلنا كاملة . وما نلاحظه في البيت المذكور تأثير عبدالملك

(١) يبدو أن في البيت نقصاً وخاصة في شطره الثاني، ولعل حرف الباء قد سقط من لفظة (مرساك)
إذ لا يستقيم الوزن إلا بوجوده .

(٢) ترتيب المديار ج ٢ ص ٤٥ . ولم ترد الأبيات في أي مصدر آخر . كما لم تذكر في مجلة الرسالة
الإسلامية .

(٣) المفتبس ص ٤٨ ، ولم يذكر البيت في مجلة الرسالة الإسلامية .

بالقرآن الكريم والفاظه فانظرة القاسطين وتعني الظالمين وردت في قوله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (١) وأما لفظه المقسطين فمعني العادلين المتصفين وقد وردت في قوله تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (٢) فإذا توقفتنا قليلاً بعد هذه الصورة الشعرية التي أوردناها لعبدالمملك وأعدها النظر في جميع الصور الأخرى السابقة عليها وجدناها تمثل لنا شعر عبدالمملك في ظل الأمير عبدالرحمن الأوسط وبعد رجوعه من رحلته الإسلامية العلمية إلى المشرق والتي قدرنا أنها إستغرقت حوالي عشر سنوات أو أكثر ، أما الصور التي سنوردها الآن فهي تمثل لنا الشعر الذي قاله عبدالمملك أثناء رحلته ومن المؤسف أننا لانملك من هذه الصور الشعرية سوى إثنين : —

أما أولاهما فقد قالها عبدالمملك دفاعاً عن نفسه وتأكيداً لشخصيته الثقافية ومنزلته العلمية حيث يفهم منها أنه قوبل بحذر وتحفظ بل ربما بأعراض وفتور يدل على جهل بحقيقته وأستصغاره لشأنه (... وحكى أنه قال في دخوله الشرق وحضر مجلس الأكابر فازدأراه من رآه فقال : —

لا تنظرون إلى جسمي وقلته . وأنظر لصدري وما يحوي من السنن
فرب ذي منظر من غير معرفة . ورب من تزدريه العين ذو قطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة . لم يلق بال لها إلا إلى زمين (٣)
وفهم من الأبيات بالإضافة إلى الفتور الذي إستقبل به عبدالمملك أبان وصوله المشرق نفهم أنه كان نحيف الجسم رقيقاً لا يلفت مظهره نظر الناس ولا يتوقعون أن ينطوي مثله على ذلك العلم الذي حواه . كما نفهم أيضاً

(١) سورة الجن آية (٦) ، وانظر تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ ص ٣٩٥ .
(٢) سورة الحجرات ، آية (٩) ، وانظر تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ ص ٣٩٥ .
(٣) مطلع الأنفس ومسرح التأمل ص ٤١ . ونفع الطيب ج ٢ ص ٢١٦ ، وقد وردت في مجلة الرسالة الإسلامية .

معالجة عبد الملك لآفات إجتماعية طالما نخرت في جسم التمتع في كل زمان ومكان وهي إعتقاد المظاهر مقياساً للإحترام والتعظيم والحكم على الأمور والأشخاص بالظاهر السطحي دون ألباطن الحقيقي . وكم ضاع من الناس وفقدوا ما كان ينبغي لهم من الإحترام والتعظيم بسبب هذا المقياس ومنهم من أهمل وكان يحط أزدرأ وأحتقار إلى زمن طويل حتى انتهى له أن يكشف عن نفسه ويثبت بطلان الحكم عليه كالثلوة الملقاة في مزبلة لا يتوقع أحد أن يجدها في مثل هذا المكان وقد يطول زمن ضياعها حتى ينهأ لها أن ترفع وتوضع في مكانها الصحيح .

ومن آيات هذه المجموعة الصورة الثانية التي قالها في المشرق ويبدو أنه كتب بها إلى أهله سنة عشرين ومائتين :-

أحب بلاد الغرب والغرب موطني ألا كل غربي علي حبيب
فيا جسداً مضناه شوق كأنه إذا نضيت عنه الثياب قضيب
ويا كبدأ عادت رفاناً كأنها بلدغها بالكاويات طيب
وأهلي بأقصى مغرب الشمس دارهم ومن فوهم بحر أجش مهيب
وهول كربه ليله كنهاره وسر حش لركاب (تنوب) (١)
فما الداء إلا أن تكون بغربة وحبك داء أن يقال غريب
فيا ليت شعري هل آيتن ليلة بأبأ كفاف نهر الثلج حين يصوفي
وجولي صحابي وبني وأمها ومعشر أهلي والرؤوف مجيب (٢)

ولا يخفى أن هذه الآيات تمثل غرضاً طالما تردد في شعر الأندلسيين القرنين الثاني والثالث الهجريين فكثيراً ما كانوا يحنون إلى أوطانهم ويرسلون الزفرات الحرى يصوغونها شعراً معبراً أصدق تعبير عن حبهم لوطنهم وتعلقهم به كالذي نجده لعبد الرحمن الداخل في مخاطبته نخلة وجدها في الأندلس فذكرته بأهله ووطنه في المشرق :

- (١) لعل لفظة (دؤوب) بدل (تنوب) في آخر هذا البيت حيث يكون المعنى أكثر دقة وإستقامة.
(٢) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ والديباج المذهب كاملة سوى اختلاف وتصحيح في بعض الألفاظ وقد ذكرت الآيات في الرسالة الإسلامية سوى البيت السادس

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة^١ تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
 فقلت شبيهي في الغرب والنوى وطول ألتنائي عن بني وعن أهلي
 نشأت بأرض أنت فيها غربة^٢ فمثلك في الإقصاء والمتأى مثلي
 سقتك غوادي ألزن في المتأى الذي يسح ويستمر السماكين بالوبل (١)
 وتذكرنا هذه الآيات بقصائد عديدة لشعراء مشاركة في هذا المعنى أو
 غيره ولكن في نفس القافية والوزن كما يدل على تأثر الأندلسيين بالمشاركة
 وحرصهم على محاكاتهم في أدبهم وبخاصة في فترة القرنين الثاني والثالث أي
 الفترة التي عاش بها عبد الملك بن حبيب (٢)
 عبد الملك الناشئ

وإذا جئنا إلى النظر في الملكة الأدبية الثانية - وهي الكتابة والنثر وجدنا
 قدراً قليلاً لا يمين على تكوين صورة واضحة متكاملة عن النثر الذي كان
 عبد الملك يمارسه ولكنه على كل حال يعطي فكرة موجزة وملحة خاطفة...
 ولقد أشرنا سابقاً إلى أن بعض النصوص الشعرية وردت ضمن رسائل بعث
 بها عبد الملك إلى الأمير عبدالرحمن تارة وإلى أصدقائه تارة أخرى لكننا
 لانجد بين أيدينا نصوص هذه الرسائل وأشرنا كذلك إلى أن هذا كان نهجاً
 عاماً لدى الأدباء الأندلسيين وهو الانتقال من النثر إلى الشعر لتجديد نشاط
 القارئ وتشويقه إلى الإستمرار في القراءة والتتبع ولكن المؤسف أن لانجد
 هذه النماذج كاملة بين أيدينا مما يجعل أمر القول في نثر عبد الملك وخصائصه
 محاطاً بكثير من التحفظ والحذر ومتسماً بالعموم والإجمال أكثر من انصافه
 بالتخصيص والتفصيل .

وينفرد اليحصبي (٣) بإيراد نص فيه أسطر قليلة يمكن أن تُعد نموذجاً
 من نثر عبد الملك وتبينها على ممارسته لهذا الفن بشكل أوسع وأشمل وإن لم
 يكن قد وصلنا كاملاً .

- (١) البيان المغرب ابن عذاري المراكشي ج ٢ ص ٩٠ ، وانظر كذلك ص ٨٩ آيات أخرى في
 نفس المعنى أو قريب منه لعبدالرحمن الداخل نفسه .
 (٢) وقد أشار الدكتور محسن جمال الدين إلى هذا التأثير اشارة عامة ، انظر الرسالة الإسلامية ص ٥٥ .
 (٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ / ٤٧ .

(ولما بلغه من تحامل الفقهاء عليه ، ما شق عليه ، كتب إلى الأمير عبد الرحمن : - أسبغ الله على الأمير كرامته وأعلى في الجنة درجته ، ان العذري أكرم الله الأمير قال أبياتا أعجب بها العلماء (ما فيها مثل يضرب على الأمير) في خاصة نفسي والسير من ألتعرض يكفي غيره من التصريح كما قال الشاعر :
لذي اللب قبل اللوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم (١)
وهي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه في ألقوم أعداء له وخصوم (٢)
كضرائر الحساء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم
يلقى اللبيب مشتتاً لم يجترم شيم الرجال وعرضه مشنوم
وما هذا إلا كما قال زهير :

وأخذ التحمي ليس يبرح حاملاً ذنباً عليك عرفت أم لم تعرف (٣)
ونجد نموذجاً يمكن أن نضمه إلى الأسطر السابقة لكي نستطيع أن نقف
على بعض الخصائص الثرية التي أمتازت بها كتابة عبد الملك ...
وهذا النموذج : نص رسالة كتبها عبد الملك إلى معلم ولده وقد نشرها (٤) سعيد
اعراب ودرسها من الوجهة الربوية والتعليمية ، وسنأتي لدراسة هذه بعد قليل.
أما نص الرسالة فهو : -

فليكن أول ما تؤدب نفسك ، فإن عيني متعلقة بهم وأعينهم متعلقة بك ،

- (١) ورد البيت منسوباً للمتلمس في ديوانه هذه الصورة :
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم
انظر ديوان المتلمس ص ٢٦ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٧٠ ، ونسبه ابن عبد ربه لعقيل
بن أبي طالب (انظر العقد الفريد ج ٤ ص ٦)
- (٢) أورد ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٩٠ هذه الأبيات في باب الحسد ولم يسم قائلها كما
قدم البيت الأخير وجعله أولاً وأورد هذه الصورة :
- (٣) لم أقف على هذا البيت في ديوان زهيرين سلمى ولا في ديوان ابنه أبي كعب وفيه تصحيف
على ما يبدو ولعل (أخو) بدل أخذ في الاصل ليستقيم الوزن والمعنى .
- (٤) نشرت الرسالة في مجلة الثقافة المغربية ج ٧ سنة ١٩٧٢ .

فالحسن لهم بما استحسنتم والقيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ولا تكثرهم عليه فيملوه ولا تكثرهم من فن إلى فن حتى يحصلوه لأن أزدحام العلوم مضلة للفهم ومشقة للذهن ، وعليهم من الشعر أعفاه ومن الحديث أشرفه ومنهم مثل الطبيب المشفق لا يبيع الدواء إلا في موضع الداء وهذا هم بي ولا تضر بهم دوني وأجعل أدبك لهم مدحاً يزادون رفقاً وشوقاً وتطلقهم في النهار ثلاثة أوقات : بعد الصبح للإفطار ، وقبل الظهر للغداء وبعض الراحة ، ومع غشية النهار وذلك بحسب قصر النهار وطوله ، يوسع عليهم في طوله ويضيق عليهم في قصره ، وأطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح وإصلاحها وتجديدها ، ولينس عليهم رجوع إلى المكتب إلا صبيحة السبت (١).

والنص الأول مع الآيات فيدل بوضوح على تحامل الفقهاء وحسدهم لعبد الملك وأنه شحان في وقت ما هذفاً يرمى من قبل الحاسدين والمبغضين ... وهو إلى جانب هذا يدل على تأثير عبد الملك بالشعراء والأدباء المشاركة وحفظه لأشعارهم واستشهاده بمجموعات من أبيانهم في نثره وشعره .

وربما استظفنا أن تلحق أيضاً نقدياً بمتعمد الموازنة بين المعاني وارجاعها إلى قائلها ولكنه على كل حال اتجاه ضعيف ولمحة لحاطفة لا تمكن من الحكم الواضح ولا تسوغ وصف عبد الملك بالنقد على أن النصين الأول والثاني إذا نظر إليهما ضمن خلال دلالتهما الترية أمكننا القول بأن عبد الملك نائر وان له اسلوباً واضحاً فيهما غير أن هذا الاتجاه لا يكاد يخرج عن اسلوب المشاركة بل نجد نصاً مشابهاً للجاحظ نسبة إلى عتبة ابن أبي سفيان في وصية لؤدب ولده : ((... ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بي إصلاحك بنفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنتم والقيح عندهم ما استقبحت ، علمهم كتاب الله ولا تكثرهم عليه فيملوه ولا تتركهم فيه فيجروه ثم روه من الشعر أعفاه ومن الحديث أشرفه ولا

(١) مجلة الثقافة المغربية ٧٦ سنة ٢٠١٣ ، مقال سيد امراث

تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وعلماهم سير الحكماء وأخلاق الادباء وجنهم محادثة النساء .
 ويهددهم بي وأدبهم دوفي وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الماء ولا تتكل على عنزى ، فأني قد اتكلت على كفايتك وزد في تأديتهم أزدك في بري إن شاء الله)) (١)

ويتضح من النصين أن بينهما تشابهاً كبيراً إلى درجة تدفع إلى القول ، باعتماد أحدهما على الآخر فكان عبد الملك أخذ هذه الوضعية ونسج على منوالها واعتمد بعض عباراتها ولكنه خالف في بعض مبادئ التربية وأضاف إليها المنهج اليومي للتعليم كما سرى عند النظر في الرسالة من الوجهة التربوية والتعليمية .
 غير أن ما يجعلنا في الحكم باعتماد عبد الملك على الجاحظ أن البيان والتبيين لم يظهر في المشرق إلا بعد سنة ٢٣٣ (٢) وإذا كانت وفاة عبد الملك سنة ٢٣٨ أو ٢٣٩ على ما مر بنا فإن من الصعب أن نتصور وصول كتاب البيان إلى الأندلس بهذه السرعة كما أن كتابة عبد الملك رسالته إلى معلم ولده تلت نظرنا إلى أن هذه الرسالة ربما كتبت قبل هذا التاريخ بفترة ، لأن أولاده قرؤوا العلم عنه وكانوا كباراً عند وفاته (٣)

ومهما يكن من أمر التشابه أو الاختلاف بين الرسالتين فإن رسالة عبد الملك تعطينا صورة عن خصائص كتابته التي تتميز بالسجع وقصر العبارة ...
 وغيرها من الصفات والخصائص التي نجدها في أسلوب الجاحظ خاصة وأساليب كتاب المشرق عامة ولعل ما يؤيد هذا أن الأندلسيين في هذه الفترة كانوا معنيين أشد العناية بمتابعة أهل المشرق وترسم خطاهم في الأدب شعره ونثره ، وإذا كنا في شك

(١) البيان والتبيين ج ٧ ص ٧٣

(٢) ذلك ما توصل إليه عبد السلام هارون في مقدمته لتحقيق البيان والتبيين ، بعد النظر في علاقة الجاحظ بأحمد بن أبي دؤاد وتوجه الجاحظ بكتابة البيان إليه قبل وفاته سنة ٢٣٣

انظر مقدمة المحقق البيان والتبيين ص ١٦/١

(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٨ والديباج المذهب ابن فرحون ص ١٥٤

من اعتماد عبدالمالك على الجاحظ في هذه الرسالة فنحن أمام احتمال القول بنسبتها إليه في وقت متأخر من حياته وإذا كان سعيد أعراب قد نشرها وهو يعتقد أنها لعبدالمالك من خلال العبارات التي تبدو واضحة فيها ... فلم يبق أمامنا إلا أن نفترض اعتماد عبدالمالك على أدباء آخرين أو على تيار النثر المشرقي بصورة عامة وذلك يمكن أن يكون قد حدث في رحلته للمشرق وإطلاعه على أسلوب الجاحظ وغيره قبل أن يظهر البيان والتبيين .

عبدالمالك المعلم والمرئي :

وإذا أعدنا النظر في هذه الرسالة من خلال النهج التربوي والتعليمي وجدناها قد احتوت جملة من التوجيهات التربوية والتعليمية في تربية الصبية وتعليمهم وفق أحدث الوسائل التعليمية وألوان النهج المتبعة الآن في أماكن عديدة من العالم وهي ماثار دراسات المتخصصين والمُعنيين بشؤون التربية والتعليم ... وقد لفت سعيد أعراب إلى أهمية هذه الرسالة بعد أن عثر عليها مخطوطة ونشرها ثم علق عليها باستنباط أهم القواعد والأسس التربوية والتعليمية التي كان عبدالمالك يرى ضرورة اتباعها من قبل المعلمين لتكون رسالتهم إيجابية منتجة وتكون جهودهم ناجحة مثمرة . وسأورد ملخصاً لهذه النقاط مع الإشارة إلى النصوص التي استنبطت منها :-

١ . شخصية المعلم وما ينبغي أن تكون عليه من القدوة الحسنة والسيرة الفاضلة وهي من قول عبدالمالك في صدر الرسالة (فليكن أول ما تؤدب به نفسك فإن عيني متعلقة بهم وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن لهم ما استحسنت والقيح عندهم ما استبجحت ...) .

٢ . ويخطط ابن حبيب لتعليم أبنائه منهجاً يضم من أهم فقره واولى مواده : (تعليم كتاب الله) حفظاً ومدارسة وترتلاً لما في ذلك من أثر كبير في رسوخ العقيدة الصحيحة واستيعاب الاصول الأولى لأكثر العلوم العربية والاسلامية مما يشكل القرآن الكريم أصلاً أصيلاً له .

- ٣ . وينصح ابن حبيب معلم ولده أن يأخذهم بالرفق والرغيب دون الاكراه والترهيب وذلك واضح في قوله : (ولا تكرههم عليه فيملّوه و ...) .
- ٤ . ومن القواعد الأساسية في التربية والتعليم حتى الآن - وقد إلتفت إليها عبدالملك التدرج في تدريس الموضوعات للطلبة فلا يتنقل بهم من موضوع إلى آخر حتى يستوعبوه ويقفوا على تفاصيله ودقائقه فيقول : (ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصلوه لأن ازدحام العلوم مضلة للفهم ومشقة للذهن) .
- ٥ . ومن المواد التي تضمنها منهج عبدالملك في التربية والتعليم : تعليم الشعر ولكنه قيّد ذلك بأن يكون الشعر الذي يدرس مبره من المجون والعبث أو القبح والمجاء .
- ويحث المعلم على تعليم الحديث الشريف فيقول : (وعلمهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه) ويقصد بشرف الحديث صحته وسلامته من الضعف والوضع وغيرهما .
- والذي نميل إليه أن المقصود بشرف الحديث حديث الأدباء والعلماء وأقوالهم إذ الحديث النبوي شريف كله .
- ويرى الأستاذ أن ذكر الحديث الشريف ووجوب تعليمه مع القرآن الكريم وعدم الإكتفاء بالشعر العفيف مذهب مغربي وأندلسي خاص .
- ٧ . ويشترط ابن حبيب في المعلم أن يكون حكيماً في تصرفاته مع طلبته كالطبيب الذي (لا يضع الدواء إلا في موضع الداء) .
- ٨ . ويتطرق ابن حبيب إلى مشكلة هامة شغلت المربين منذ القديم وهي : عقوبة الطفل وقد كانت وما تزال موضع أخذ ورد فمنهم من أباح الضرب ومنهم من منعه ومنهم من توسط ، وابن حبيب من المتشددين في هذا الباب فهو لا يبيح لمعلم أبناؤه أن يضربهم أو يغيضهم (فهدهم) بي ولا تضربهم دوني) .
- ٩ . ومن القضايا الهامة التي ألفت إليها عبدالملك أن يجعل المعلم تأديبه مدحاً وتشجيعاً لازماً وتقريراً . وهذا فيما نعتقد أصل من الأصول الخطيرة

في التربية وإن كان البعض يستهين بآثره غير مقدر لحقيقة إبعاده ونتائجه... يقول عبد الملك في ذلك : (وأجعل أدبك لهم مدحاً يزدادون رفقاً وشوقاً) ، ويعلق ، اعراب على ذلك بقوله : « والمسألة تتصل بعلم النفس . فمن كان مزباه - كما يقول ابن خلدون - بالعسف والقهر سطابه القهر وضيق على الذئس في أنبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث خوفاً من أنبساط الأيدي إليه بالقهر وفسدت معاني الإنسانية التي له ثم يجعل الأستاذ الباحث ما تبقى من الرسالة متعلقاً بما يسميه :

اليوم الدراسي والأسبوع الدراسي
ويُفهم من توجيهات عبد الملك في هذا الخصوص أن الأسبوع الدراسي في رأيه يبدأ صباح السبت وينتهي في عصر الخميس ولذلك يكون يوم الجمعة بطوله عطلة

وهذا يفهم من قوله (وتطلقهم في النهار ثلاثة أوقات....

١. من الصباح الباكر إلى وقت الضحى يدرس فيه الصبيان القرآن الكريم.
 ٢. عند الضحى استراحة لتناول الفطور
 ٣. من الضحى إلى ما قبل الظهر للكتابة وتعلم الخط .
 ٤. وقبل الظهر ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء .
 ٥. بعد الظهر يدرسون بقية العلوم من شعر وحديث وما إلى ذلك .
 ٦. وعند الظهر استراحة خفيفة تختلف بحسب طول النهار وقصره... (١)
- وبعيد أن ينتهي اعراب من عرض أهم النقاط التي وقف عليها في رسالة عبد الملك يعقب على ذلك بقوله :

(ولأين جيب آراءه تتصل بالتربية والتعليم جاءت متفرقة في بعض كتبه أورد طائفة منها القابسي في رسالته (٢)....) ومن طريف آرائه أنه أباح

(١) الثقافة المدرسية ص ٧٦ سنة ١٩٧٢ ص ٥٩/٦٥

(٢) انظر علم التاريخ عند المسلمين والتعليم في رأى القابسي الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، ص ٢٧٤ وص ٢٧٦ وغيرها

الإستئجار على تعليم الشعر. وأيام العرب. وخالف أئمة الفقه في ذلك
ثم يحتم بحته بقوله :

(فنحن إذا نظرنا إلى ابن حبيب كأحد المربين في الإسلام ومن الرعي
الأول في الغرب الإسلامي ، نجد أنه صاحب رأي وصاحب رسالة ترفع
اسمه في قائمة المربين ولا سيما إذا عرفنا أنه عاش في القرن الثالث الهجري
أي في صميم القرون الوسطى التي بعدها المؤرخون من عصور الظلام والتأخر
في حياة العالم) (١).

عبدالمالك المؤرخ :

ونود أن تلقى بعض الأضواء على جانب هام آخر من جوانب ثقافة هذا
العالم الكبير في فترة خطيرة من فترات الأندلس كانت تحدث خلالها تحولات
كبيرة في جميع نواحي الثقافة والمعرفة واللوان العلوم والفنون والآداب ومظاهر
الحضارة

هذا الجانب هو التاريخ حيث كان عبدالمالك على ما يبدو من المعينين الذين
شغلت جهودهم مكاناً بارزاً في الدراسات التاريخية في هذه الفترة المهمة من
تاريخ المجتمع الإسلامي في الأندلس <http://Archive>

يحدثنا الزبيدي أن لعبدالمالك عدداً كبيراً : (من دواوين الفقه والحديث
والأخبار) (٢) ويحدثنا الفاضل عن عبدالمالك بن حبيب مؤكداً على الجانب
التاريخي في ثقافته فيقول : (أن له مؤلفات في الفقه والتاريخ والآداب
كثيرة حسان) (٣).

أما ابن سعيد فإنه يشيد بثقافة عبدالمالك وجهوده في ميدان التاريخ والمؤرخين
وأنه كان : (نابه الذكر في تاريخ بن حيان وألهمه وتغيرهما) (٤) والمصادر

(١) مجلة الثقافة ج ٧ سنة ١٩٧٢ ص ٦٥

(٢) طبقات النحويين والفقيين ص ٢٨٢

(٣) تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ .

(٤) الغلب في حل المغرب ج ٢ ص ٩٦

الثلاثة المذكور أندلسية قبة من عهد عبدالمملك وتعد من الأسس والقواعد الرئيسة في مصادرنا الأندلسية ولعل أهم ما في أخبار هذه النصوص تأكيدها على إعتقاد ابن حيان في مؤلفه التاريخي المشهور على عبدالمملك وإذ كان ابن حيان من الشخصيات التاريخية البارزة المتسمة بالدقة والعمق والإستقصاء (١) فإن إعتقاده على عبدالمملك يلفت النظر إلى أهمية الأخير ومكانته في التاريخ والمؤرخين في عصره ... وإلى جانب هذا نرى مؤرخاً آخر من مؤرخي الأندلس يعتمد إعتقاداً بارزاً وهاماً على عبدالمملك كقوله مثلاً وهو يروي عن عبدالمملك :

« ... وقال عبدالمملك بن حبيب ، عن الليث بن سعد أن إنساناً جاء إلى موسى لما وصل ناحية طليطلة فقال إبعث معي أدلك على كثر فبعث معه رجلاً ... »
 « وقال عبدالمملك بن حبيب ، لما ولي الأندلس السمع بن مالك الخولاني سنة مائة في الأندلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه دخل الأندلس جيش من العرب » .

(قال عبدالمملك بن حبيب يرفعه إلى نعيم التجيبى ...) (٢)
 وهكذا لو إستعرضنا العديد من كتب التاريخ والتراجم الأندلسية لوجدناها تعتمد على عبدالمملك بن حبيب ربما يشير بعضها إلى كتابه في التاريخ على أنه مصدر هام رئيس من مصادرنا عن فترة مهمة من فترات التاريخ الأندلسي .
 وإذا عرفنا هذه المكاتبة التي يمثلها عبدالمملك في كتب التاريخ الأندلسي وحتى المشرقي إلى حد ما استطعنا أن نتغاضى ولو قليلاً عن قضية ضياع كتب عبدالمملك في التاريخ مادامت هناك نصوص تاريخية تروى عن عبدالمملك وتكون ركناً بارزاً في عدد من مصادر الأندلس على أن هناك أثراً

(٤) مقال محمد عبد الله عنان في مجلة العربي (المؤرخ ابن حيان وكتابه المتفيس) عدد ١٩٦٦ / ٨٨ .

(٥) تاريخ افتتاح الأندلس / الصفحات ٢٠١ / ٢٠٧ / ٢١٠ / ٢١٤ على التوالي . وانظر كذلك الاعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ ص ١٥٩ وصفحات أخرى .
 وانظر كذلك علم التاريخ عند المسلمين الصفحات ١٠٠ / ٥٢٧ / ٦٤٧ وغيرها .

تاريخياً باقياً دو (الكتاب المسمى بالتاريخ) (١) يرى بعضهم ن : « أول كتاب صنف في الأندلس : وبقي إلى الآن ينسب إلى أبي مروان عبد الملك ابن حبيب السلمي المرداسي الألبيري القرطبي » (٢) . هذا الكتاب ما يزال مخطوطاً في المكتبة البودلية في أكسفورد وعنوانه كما يرد في هذه المخطوطة هو : « كتاب في ابتداء خلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس وعدة الأنبياء نبياً نبياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين إستفتاح الأندلس وما وجد فيها من الذهب والفضة وألجوه والياقوت والزمرد والآلعة وما أخرج منها وعدة ملوكها ومن يلها وذكر شيء من الخدثان وما يعلم منهما في بعض البلدان وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة : تأليف : عبد الملك بن حبيب رضي الله عنه وفيه ذكر القضاة - قضاة قرطبة لابن الحارث » (٣) . ثم يخصص الكاتب في وصف المخطوطة فيقول : « . . . ونجد في الورقة الأولى من هذه المخطوطة بيان محتوياتها وفيها تبين أنه يبدأ بالكلام على أولية خلق الدنيا ويتحدث فيه عن أول ما بدأ الله به خلقه في السموات والبحار والجبال والجنة والنار وآدم وحواء ثم ما جرى بينهما وبين إبليس ثم بعض سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويتكلم عن الكتب المنزلة ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس » . ثم يحدثنا عما يوجد بالأندلس من الذهب والفضة واللالى والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الحيرات وميون الثروة ... » (٤)

هذا المخطوط التاريخي الذي قدم موجزاً لوصفه كما ورد في أحد مراجعنا الأندلسية هو الأثر الوحيد الذي نعرف أنه موجود مخطوط من كتب عبد الملك

- (١) تاريخ الفكر الأندلسي / بانشيا ص ١٩٥ وتاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص ٤٧٩
- (٢) تاريخ الادب العربي / بروكلمان ج ٣ ص ٨٦ .
- (٣) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .
- (٤) المصدر نفسه ص ١٩٥ .

التاريخية ... يدل عنوانه على موضوعاته ، فهو يبدأ مع بدء الخليفة ثم يتدرج في تتبع الحوادث سائراً مع الزمن متعرضاً لأهم الأحداث التي تهم الناس منذ القديم . والكتاب بهذا يبدو ذا أهمية في التاريخ العربي العام والأندلسي بوجه خاص ولكن ذكره لأحداث وقعت بعد وفاة عبد الملك جعل بعض الباحثين يشك فيه جملة ويرى أنه ربما كان منسوباً إليه و ((أن ابن حبيب لم يكتب الكتاب أو لم يكتب إلا جزء منه)) . (١)

وإذا أضفنا إلى هذا ما لاحظته عدد من الباحثين الذين اطلعوا على المخطوطة المذكورة من وجود ((بعض الاساطير التي نسجت حول فتح المسلمين للأندلس)) (٢) استطعنا أن نفهم الدوافع التي دفعت البعض إلى التقليل من قيمة كتب عبد الملك عامة والقول بأن : ((تأليفه لم تظهر ترض أهل العلم المحققين وما وصل إلينا منها يؤيد هذا الرأي)) (٣) . ونقول أنه إذا كان لهذا الرأي ما يبرره عند من يطلع على مخطوط عبد الملك التاريخي فإن هذا لا ينبغي أن ينسحب على مؤلفاته كلها بسبب مكانة الرجل العلمية وشهرته التاريخية واعتماد المصادر العديدة على ما أورده من أخبار وبخاصة ابن حيان كما أشرنا سابقاً . ويؤكد هذه المكانة الدارسون والمتخصصون بالتاريخ واللغة والحضارة في عصرنا الحديث فيصفه أحدهم بأنه : ((أول مؤرخ أصيل أنجبته الأندلس)) . (٤) ونجد هذا الباحث يقرن عبد الملك إلى أشهر المؤرخين المصريين فيقول : ((وإذا كان من المتعارف عليه بين المؤرخين أن أول مؤرخ بمصر الإسلامية هو عبد الرحمن بن الحكم ، فإن من المتعارف عليه بينهم كذلك أن أول مؤرخ للأندلس الإسلامية هو عبد الملك بن حبيب ...)) . (٥)

- (١) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .
- (٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ / ١٢٧ .
- (٣) شيوخ المصري الأندلس ص ٣٤ وانظر كذلك دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٢٩ ،
- (٤) أثر العرب والإسلام في الحضارة الأوروبية ص ٨٧ والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الحضارة ص ١٢٦ / ١٢٧ .
- (٥) المصدر نفسه ص ٣٧١ .

لقد كان عبد الملك عالماً في شتى فروع المعرفة وكان كما وصفه كثيرون ((متصرفاً في أضرب العلوم المختلفة في الاخبار والانساب والاشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب إلى جانب تأليفه الكثيرة في التواريخ والفقه ...)) (٦) وقد يطول بنا الحديث اذا ذهبنا نستعصي آراء الباحثين في علمه وثقافته قديماً وحديثاً ولعل ما أوردناه من بعض نصوصهم يكفي في اعطاء صورة واضحة عن مكانة الـ جل في الاوساط العلمية الثقافية والتاريخية ... ولا نرى بعد هذا تضعيف الـ جل والتقليل من شأنه بعد الذي رأينا من الاشادة بمكانته وفضله من قبل المتخصصين والعارفين بالدراسات التاريخية والادبية وغيرها ومعهم عدد آخر من الباحثين يرون رأيهم في توثيق عبد الملك واعتباره رأساً في علم التاريخ وباقي ألوان الثقافة الاخرى .

حازم عبدالله خضر

استاذ مساعد/قسم اللغة العربية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— المصادر —

١. الاتابكي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ٨١٣ : ٨٧٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
٢. ابن حيان : أبو مروان المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود علي مكي : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣ .
٣. ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان القيسي المتوفى سنة ٣٣٥ : أو ٥٢٩ . مطمح الأنفس ومسرحة الأنس في ملح أهل الأندلس ، طبعة مطبعة السعادة .
٤. ابن دحية : المطرب في أشعار أهل الغرب ARCHIVE <http://Archivebeta.Sakhnet.com>
٥. ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي . كتاب العقد الفريد ، ت. أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ .
٦. ابن سعيد : عبد الملك المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف ط. دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .
٧. ابن القرضي : أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ المتوفى سنة ٥٤٠٣ . تاريخ علماء الأندلس ، نشر :

- الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ .
٨. ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،
٢٧٦-٢١٣ .
- عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، ١٩٦٣
٩. ابن القوطية : أبو بكر
تاريخ افتتاح الأندلس حققه وشرحه عبدالله أنيس الطباع
دار النشر للجامعيين .
١٠. البكري الوزير الفقيه أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز البكري
الأندلسي : المتوفى سنة ٤٨٧ .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق
وضبط مصطفى السقا . طبعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .
١١. الحافظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الحافظ
<http://Archive.org/details/Sakini>
البيان والتمييز ، ت. عبدالسلام محمد هارون ، ج ١ ، ط ٣ ،
سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة
ومكتبة الهلال بيروت : المكتب العربي بالكويت .
١٢. الحموي : الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله
الحموي الرومي البغدادي .
معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ١٣٧٤ ١٩٥٥ .
١٣. الحميدي : أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي المتوفى
سنة ٤٨٨ .
جلوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، مكتبة الثقافة
الإسلامية .

١٤. الحنبلي : المؤرخ الفقيه الأديب ابو الفلاح عبد الحي بن ألعمد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان
١٥. خليفة : العالم الفاضل والأديب والمؤرخ الكامل الاديب مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة .
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، منشورات المكتبة الإسلامية - طهران .
١٦. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ . تذكرة الحفاظ
١٧. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
١٨. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ .
١٩. الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ . طبقات النحويين واللغويين ، محمد أبي الفضل ابراهيم . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ أمين الخانجي بمصر .
٢٠. السخاوي : الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩١٢ .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مكتبة المثنى - بغداد.
٢١. السيوطي : العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة الطبعة الأولى :

- مطبعة دار السعادة بمصر .
٢٢. السيوطي : العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
٩١١/٨٤٩ .
- طبقات الحفاظ ، ت. علي محمد عمر . نشر مكتبة وهبة .
الطبعة الأولى ١٩٧٣ .
٢٣. الشيرازي : أبو اسحق الشيرازي الشافعي ، ٤٧٦/٣٩٣ .
طبقات الفقهاء محققة وقدم له د. إحسان عباس ، دار
الرائد بيروت ، ١٩٧٠ .
٢٤. الأصبهاني : الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني .
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات الطبعة الثانية
١٣٤٧ هـ .
٢٥. الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، المتوفى
سنة ٥٩٩ هـ .
بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبع في
مدينة مجريط : بمطبعة روكس سنة ١٨٨٢ .
٢٦. العسقلاني : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تهذيب التهذيب نسخة مصورة عن الطبعة الأولى حيدر
آباد ١٣٢٦ دار صادر بيروت .
٢٧. العسقلاني : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدرآباد الدكن عمرها
الله إلى أقصى زمن سنة ١٣٣٠ هـ .
٢٨. الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

٢٩. القفطي : الوزير جمال الدين أبوا المحاسن علي بن يوسف القفطي.

إنباه الرواة على أنباه النحاة . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم .

٣٠. المراكشي ابن عذاري

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة:

ج . س . كولان . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت

— لبنان الطبعة الأولى ، كتب التعليقات ، د . احسان

عباس ، ١٩٦٧ .

٣١. المقرئ : الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني .

فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الطبعة الأولى

١٣٦٧ ١٩٤٩ .

٣٢. البافعي : الشيخ الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان

عفيف الدين البافعي البصري المكي المتوفى سنة ٥٧٦٨ هـ .

مرآة الجنان وعزة الیقظان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية

الكاظمة بمدينة سحيدو آباد سنة ١٣٨٨ هـ .

٣٣. البحصي : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض البحصي

السبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، د . د . أحمد بكير

محمود ، دار صادر بيروت .

٣٤. اليعمري : الإمام الجليل العلامة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن

علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المكي .

الديباج المذهب في أعيان المذهب ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١

المراجع

١. أرسلان : الأمير شكيب .
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات
مكتبة الحياة .
٢. أمين : الأستاذ أحمد أمين .
ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة
١٩٦٩ .
٣. الأوسي د : حكمت الأوسي .
فصول في الأدب الأندلس ، مكتبة النهضة بغداد ،
الطبعة الثانية ١٩٧٤ .
٤. بالثيا : آنخل جنتالث بالثيا .
تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ ،
مكتبة النهضة المصرية .
٥. بروكلين : كارل بروكلين .
تاريخ الأدب العربي ترجمة د . عبدالحليم النجار ، طبعة
دار المعارف بمصر .
٦. حميد : دكتور بلدير متولي حميد .
قضايا أندلسية ، نشر دار المعرفة بالقاهرة الطبعة سنة ١٩٦٤
٧. الزركلي : خير الدين الزركلي .
الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب
والمستعربين والمستشرقين .
٨. روزنثال : فرايز روزنثال .
علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د . صالح أحمد العلي
ومراجعة محمد توفيق حسين ، نشر مكتبة المثنى سنة ١٩٦٣ .
٩. عجاج : محمد عجاج وعلي سعد .
المطرب في أدب الأندلس والمغرب ، الطبعة الأولى ١٩٣٢
١٩٣٣ .

١٠. عنان : محمد عبدالله عنان .
دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عهد الناصر - العصر
الأول - التسم الأول ، الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الخانجي
١٩٦٠ .
١١. فروخ : الدكتور عمر فروخ .
تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون - المكتب التجاري
للطباعة والتوزيع والنشر الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٢ .
١٢. كحالة : الدكتور رفعت رضا كحالة .
مجموع المؤلفين - تراجم مصنفين الكتب العربية - مطبعة
التنقي ١٣٧٧ ١٩٥٨ .
١٣. مؤنس : د حسين مؤنس .
شيوخ العصر في الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٥ .
١٤. مركز :
بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم
المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونسكو . طبع الهيئة العامة
للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>
١٥. مطلق : البير حبيب مطلق .
الحركة اللغوية في الأندلس ، المطبعة المصرية صيدا ،
١٦. هيكل : دكتور أحمد عبدالمقصود هيكل .
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة
الثالثة ١٩٦٧ .
١. دائرة المعارف الإسلامية :
المجلات :
٢. مجلة الثقافة المغربية ، تصدرها وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي و
ج ٧ ، سنة ١٩٧٢ ،

مقال سعيد اعراب ، رسالة ابن
إلى معلم ولده .

٣. مجلة الرسالة الإسلامية ، شهرية يصدرها ديوان الأوقاف في
عدد شباط وآذار ، ١٩٧١ .

٤. مجلة العربي الكويتية العدد ٨٨ سنة ١٩٦٦ .
مقال الأستاذ محمد عبدالله عنان بعنوان
ابن حيان وكتابه المقتبس) .



الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

حتى ثورة تموز عام ١٩٥٨

الدكتور عمر الطالب

ظهرت في الفترة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية إلى جانب قصة الرواية المكثفة القصة العاطفية والعوامل التي أدت إلى ظهورها في العراق في هذه الفترة عديدة . فقد كان لأدباء المهجر أثر كبير في نفوس القراء العراقيين ، فهم الذين حملوا لواء الثورة على القديم بعنف واصرار واستطاعوا أن يلائموا بين تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في موطنهم الاصلي والذوي الحديد والروح المرهقة التي استمدوها من عالمهم الجديد .

فكان من ذلك حصيلة أدب جديد (١) وقد أثر جبران بالذات ، ونظراته المتشائمة للحياة ورومانسيته المغرقة في عدد كبير من كتاب القصة في العراق أمثال عبد الحميد لطفي وعبد اللطيف الدليشي وغيرهما .

ولم يقل تأثير مصطفى لطفي المنفلوطي في القراء العراقيين والادباء ، على وجه الخصوص ، عن تأثير جبران خليل جبران فيهم . فقد تمكن أسلوبه في القلوب وأمسى أكثر الكتاب قراء وسر الذبوع في أدب المنفلوطي قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية بأسلوب طلي وسباق مطرد ولفظ مختار (٢) يضاف الى ذلك ما ترجم الزيات من روائع الأدب الرومانسي ك (آلام فرتر) لجيته و (روفاثيل) للامارتين وغيرهما من القصص الرومانسي .

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ١٨-١٩ .

(٢) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ٢١ .

وما نشرته الصحف والمجلات من ترجمات هذا النوع من القصص وبالأخص ما نقل عن الفرنسية على أن الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ومع تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها جعلنا نرى في البيت الواحد أما بالعباءة وابنة سافرة وأن يتغير الولد تجاه والده ، وأن يبقى ظل المرأة باهتاً عند الطبقة المحافظة خلف أسوار البيت في المدن ، يضرب حولها الحجاب وينظر إليها على أنها مركز الخطيئة الى جانب امرأة تخرج للعمل مع الرجل أو فتاة تدخل المدرسة لتتعلم ، على أن هذا انطور كان متفاوت الأثر فقد برز في المدن أكثر من بروزه في الريف وتغلغل في الطبقات الارستقراطية والبرجوازية أكثر من تغلغله في الطبقات الشعبية والعمالية . وكان الانقطاع يدافع عن نفسه بحجج النضال السياسي والزندقة ولكن دون نجاح كبير سوى ما قد يتركه في كل صدر من حوة وقلق ، محاولاً تثبيت الأوهام والخرافات البالية في النفوس وما من شك في أن اجتماع العوامل السابقة قد خلق الاتجاه الرومانسي في الأدب العراقي . وأعطانا كتاب القصة الرومانسيين روجاً جديدة وفكراً جديداً ووقفوا من ظلم المجتمع لهم موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف المستبصر على هذا المجتمع لانه يحقق لهم الرضى الفردي والاجتماعي . وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي ، وأبرز الفردية وجعلها مركز الرؤية بالنسبة للكون والانسان والحياة ، وكل ما يمت إليهم بصلة هو بالقياس الى الفرد الرومانسي ذاتي ونسبي وترتبط هذه الفردية بالحربة التي اعتر بها الرومانسيون وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم وعن أحلامهم في سعادة حرمهم إياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة للوطن الذي يحيم عليه ظلام الاستعمار المقنع تقبده بقيود الذل والعبودية وامتزجت هاتان الدعواتان الى الحرية حرية الفرد وحرية الوطن - داخل نفوس الكتاب امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها في مواجهة الاستعمار الغربي وساقوا على لسان أبطالهم صرخاتهم في سبيل الحرية المسلوبة التي كانت مكبوتة في هذه الفترة فإننا نلاحظ أنها لا تخفي ذوات كتابها ، وإنما تبرزها

وتكشفها جزئياً أو كلياً متوسلة بضمير المتكلم الذي يظهر في صياغة رومانسية أحاسيس المؤلّف ويدور محور القصة حول موقف شعوري واضح قد يقتصر وقد يطول ولكنه لا يخضع لتخطيط معين ، وإنما يجري في حرية واسترسال يسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ، أي يتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون (١) وقد أثر الاتجاه الرومانسي في كتابات عدد كبير من القصصيين العراقيين مثل عبدالحيد لطفي وذنون أيوب وصالح الناهي ، واستمر في تأثيره بعد الحرب العالمية الثانية عند بعض القصصيين الذين سنعرضهم بعد ذلك في دراستنا للاتجاه الرومانسي المتأخر .

وقد كانت الرومانسية في هذه الفترة مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة لارتباط الكاتب العراقي بواقعه الاجتماعي ارتباطاً كبيراً وهذا هو السبب في قلة الأفاقيص التي تتحدث عن الحب والهام ، وكثرة الأفاقيص التي تتناول مآسي الحياة ومسرّاتها . ومن الصعوبة بمكان أن نميز هذين الاتجاهين بصورة منفصلة عن بعضهما في القصة العراقية القصيرة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية لأن القصصيين العراقيين تأثروا بعوامل واحدة وعاشوا ظروفاً متشابهة ، ولكن الفرق بين القصص الواقعي والقصص الرومانسي أن الثاني لم يستطع مجابهة الحياة بقسوتها وشدتها ولم يستطع تفهم المؤثرات باستيعاب وتعقل بل تملكه الفزع منها وهرب بعيداً عنها الى عالم الخيال ، فخلق منه عالماً خاصاً به واندفع وسط آلامه وأحزانه يحترها ويتفنن بها . وكأنه يُكفّر عن سيئات المجتمع وقسوته أما القصص الواقعي فقد استطاع مجابهة الحياة وترصيد ظواهرها ودوافعها بعمق وإدراك وعرف مواطن ضعفها وعوامل قوتها ولم ينهزم أمامها ، بل ترصدها ودرسها عن كثب وسجل تأثيرها وانطباعاتها وإيحاءها ، لذا نجد أن القصص الرومانسي في العراق قبل الحرب لم يستطع التخلص من تأثير الواقع لأن القصص الرومانسي ، رغم جنوحه نحو الخيال ،

(١) قارن محمد مندور (الادب ومذاهب) وصفاء خلوصي (الادب المقارن) . فصل الرومانسية .

ما تزال جذوره مرتبطة بالأرض ، مثال ذلك (نهاية) لذنون أيوب ، يعرض لنا فيها شيخاً في السبعين من عمره يحتمي الحمرة حتى يدمنها بعد موت زوجته التي كان يحبها حباً عظيماً ولا يجد ضيراً في ذلك ، فهو خير من (الشيخ مسعود) المرابي التري الذي يؤدي الفرائض ولكنه يردق الناس برباه ، وهو خير من (الشيخ صالح) الذي دعا الى غلق المدارس ، فهما وأضرابهما ذئاب يرتدون جلود الحملان ، ويمرض البطل ، وحين يعرض نفسه على الطبيب يخبره بدنو أجله . فتأبى عليه نفسه أن يموت كما يموت الناس العاديون ، فيشتري قارباً ويحمل به شيئاً من شراب وثقلاً يربطه برجله ، ودواء مخدراً يزرقه في جسمه ، ثم تلك الميتة على هذه الصورة التي تحافي الواقع كل المجافاة . فالقصة رومانسية التزعة : موت الزوجة المحبة الوفية . انخласه لزوجته وعزوفه عن الزواج بعد موتها اكراماً لذكورها ، اغراقه الاحزان بالحمر والمخللات ، أصابته بمرض عضال لا أمل في شفاؤه ، ميته الغربية في النهاية . ومع كل هذا الاغراق في الرومانسية نجد البطل - مرتبطاً بالأرض - فهو يثقف على الشيخ صالح لأنه يثقف في طريق فتح المدارس ، ويكره الشيخ مسعود الذي يرهق الفقراء برباه «ما قولك بالشيخ صالح الذي صرح علانية بوجوب غلق المدارس لأنها تبث الكفر وقتل كل من تسول له نفسه ارتكاب ما يسميه المحرمات ومقاومة كل ما يسمى تجدد أو اصلاحاً ، أترى ربه يسر من عمله هذا الذي يضعف شعباً بأسره ويجعله طاعة لكل مسنم زعيم أو ظالم طاغية» (١).

وكذلك قصة سليم بطي (بنت الطحان) (٢) فهي قصة رومانسية تحتل بالعواطف والأحاسيس ، تعيش البطلة لأحزانها وآلامها بعد أن يمرض والدها ويصبح رجلاً عاجزاً مفعداً على أثر رفسة حصان ، فتستدعي أمها

(١) لذنون أيوب (صديقي) ص ٢١-٢٢ .

(٢) جريدة البلاد المراقية عام ١٩٤٣ ، مجلة الاديب ، العدد العاشر عام ١٩٤٦ .

قريبها (فرحان) ليساعد في تشغيل الطاحون ، فيتحين فرحان الفرصة للايقاع بالأم . ليثبتها الحب تارة ويهددها أخرى حتى تسقط في حباله . فيفرض سيطرته على البيت ومن فيه ، ويغازل الابنة التي تشعر نحوه باحتقار بعد أن عرفت قصته مع أمها ، وتخطب البطلة من قبل معلم يحبها ، فيقف فرحان في طريق سعادتها لأنه يريد لها لنفسه ويهددها وأمها بفضح علاقته بالأم . ولم تفد معه التوسلات والدموع . الى أن ينتهي على يد الأب المقعد الذي يعرف كل شيء فيجذبه معه إلى بُر الطاحون ، ويموت الاثنان ويتصور الناس أن فرحان ذهب ضحية الأب عندما أراد انقاذه وهو يحاول الانتحار . فالقصة رومانسية التزعة ، الأب الشاب القوي الذي ينحطم على أثر رفسة حصان لا يمكن أن تجعل المصاب معقداً أعمى مشوه الوجه ، استدعاء القريب للمساعدة، شرور القريب . فهو لا يتحلى بخصلة خيرة واحدة، خائن عاهر مبتدع حقير، وقوفه في طريق زواج متحابين مخلصين، نهايته على يد الأب في قاع بُر الطاحون تضحية الأب بحياته من أجل سعادة ابنته. ولكن هذه الرومانسية مشوبة بواقعية أيضاً، ضعف زوجة شابة لزواج معقد أمام قوة طاغية لشاب يفعل المستحيل في سبيل الوصول إلى ما يريد بخطوبة المعلم للابنة بمراسيم شائعة في المجتمع العراقي. خوف الابنة على سعادتها أن تهدم أمام تهديدات فرحان .

وإلى جانب القصص الرومانسي المشوب بالواقعية نجد قصصاً واقعية ذات نزعة رومانسية أيضاً، فالقاص العراقي الواقعي رغم أنصافه بالأرض وترصده لمظاهر المجتمع العراقي. تدفعه عواطفه الثائرة إلى الجنوح نحو الخيال أحياناً وأبتعاده عن الواقع كما في قصة (نفنوف العيد) لأنور شاذول من مجموعته (الحصاد الأول). تعيدُ الأم أبتها بثوب جديد بمناسبة العيد وكانت قد وعدتها به في العيد المنصرم ، أسرت الأم الأمر إلى زوجها، فباع الأب ملابس ابنه الذي مات منذ سنتين ، والتي أبضاها للذكرى، كما باع خاتمه الفضي ذكرى خطوبته ، واشترى الثوب لابنته. وعندما عاد إلى الدار أخبر بأن

زوجته في السجن لأنها همت بسرقة قطعة قماش، وفي العيد لبست الفتاة ثوبها الجديد، وذهبت لزيارة أمها في السجن. الخط العام للقصة - واقعي الاتجاه - فهو يصور ما تعانيه الطبقة الفقيرة في العراق من ضيق وحرمان، ولكن الآلمحات الجانبية أطربتها رومانسية حزينة، الطفلة ولحفتها إلى ثوب جديد في العيد، ضيق ذات اليد، وعدم مقدرة الأسرة على تحقيق أمنية أبتنتها الوحيدة، بيع الأب ثياب ولده المتوفى التي تحمل ذكرى مؤلمة، بيعه خاتم الزواج الذي يحمل ذكرى سعيدة، سرقة الأم من أجل ابتنتها قضاء الطفلة العيد في السجن وهي تزورها. أما كان الأجلر بالكاتب لوالترزم الواقعية في قصته بأن يتعد عن كل هذه المنعطفات ويجعل الأم تدبر أمر شراء الثوب مع الأب لتتوصل إلى حل لهذه المشكلة ؟

ومثلها قصة (شرف) لذنون أيوب من مجموعته (ضحايا) ١٩٣٧ وتدور حول شاب يقتل اخته لأن أحد الناس طعن بشرفها أمامه وبعد أن يقتنها تثبت شهادة الطبيب بأنها عذراء، فلا يجد الأخ طريقاً للتكفير عن خطيئته إلا في الانتحار. من الطبيعي جداً في العراق أن يقتل الأخ اخته غسلاً للعار بل قد أصبح هذا العمل عادة مجيدة وتقليداً مقدساً يدفع فاعله إلى مصاف الأبطال، ولا تزال هذه العادة موجودة حتى الآن كما كانت قبل عشرات السنين. ولكن القصة لم تخل من خيال جامع كإقدام البطل على الانتحار لشعوره بتبكيك الضمير، بل أن قتله اخته لمجرد أن يعيرهُ عدو له بأفعالها شيء غير طبيعي فماذا يحدث في مثل هذه الحالة في العراق، يتأكد الأخ من الأمر فإذا ثبت له صحة ما قيل أقدم على قتل اخته والا فإنه يقتل المفترى على عرضه وما رسم الكاتب قصته بهذا الشكل إلا لإثارة عواطف القراء ضد هذه العادة المردولة. ومن أبرز القصصيين الرومانسيين في هذه الفترة عبدالمجيد لطفي في مجموعته القصصية (أصداء الزمن) الصادرة عام ١٩٣٨ إذ عبر في رومانسيته الحزينة الشاحبة السلبية عن آلام نفسه وشقاها، كان شاباً تحدهو آمال عراض وبصدمه واقع مرير، وبين هذا وذاك سالت عبراته

وتلاحمت بين ظلمات نفسه ودجنتها بسماته . وتعد (أصداء الزمن) وسطاً بين الشعر والنثر ، والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب ، وان كان بأسلوب النثر . (١) وقد شغف بالأدب الرومانسي الذي كان يغذيه أدب المهجر ويمده بتيار من القوة والحياة لما كتب المنفلوطي وما ترجم الزيات . وكتاباته أقرب إلى الشعر بما تحويه من عواطف فياضة وما يتناول من موضوعات . كما تركت أيام الشدائد والأحزاب في نفسه ألماً مكبوتاً ، وتركت مشاهداته الكثيرة آثاراً موجعة في نفسه كثيراً ما استطاع أن يعكسها بصدق وحرارة فيما كتب . (٢)

وتنقسم قصصه الرومانسية إلى قسمين : قسم يُصوّر أحلام شاب يصدر عن ذات غائمة تنطلق في تخيلاتها السارحة إلى غير مصير . وتتحول القصة إلى تنبغات هائمة ، ومواقف في الشعور ضحلة وخواطر ومناجاة لا عمق فيها ولا أبعاد كما لا حظنا في (أصداء الزمن) . والقسم الثاني ، قصص الحادثة وهي أرقى من القسم الأول ويعرض فيها لطفي لقضايا اجتماعية يهاجم فيها الظلم الاجتماعي والنفاق الاجتماعي والخواجز الاجتماعية . وقصصه لا تعكس إلا الألوان الفاجعة ولا اتوحي بغير المساة ولا يروي في الحياة إلا جانبها الباكي المظلم ، فلا يعرف غير مناظر البؤس والألم والفقر . ولعل هذه الصور القائمة للحياة اختمرت في حسه منذ الصغر وكانت أثراً من آثار نشأته التعمه الفقيرة . وهذا ما نلمسه في مجموعته القصصية الثانية (قلب لأم) الصادرة عام ١٩٤٤م . وطابع هذه الأقاصيص طابع اجتماعي يصوّر آلام الناس وأحزانهم . يروي بعضها بأسلوب الحكاية كما في (نهاية ذئب) . وفي اقصوصته (قلب لأم) يتزوج الأب امرأة ثانية هي ابنة شيخ دون أن تعلم زوجته الأولى من الأمر شيئاً . وحين تعلم بالخبر تمرض وعلى فراش الموت يطلب الزوج غفرانها فتفعل . أما الأسلوب فجاء بسيطاً ساذجاً لأنه مروي على لسان طفل ، وكان حديث

(٢٠١) انظر جميل سعيد ، التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٠-٤٢-٤٥ .

الطفل لسذاجته البالغة لا يلائم فنية القصة . (١) وفي (طبيب الطبقة العليا) شعور انساني عميق رغم اغراقه في المبالغة والبعد عن الواقع حيث طاق الطبيب زوجته الارستقراطية لأنها عارضته في تكريس وقته لمعالجة المرضى الفقراء . إن الشيء اللافت في قصصه هذه أنه يشعرنا أنها حقيقية نقلها كما هي في الواقع (٢) أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين بحيث يبدو أنه لا يكتب إلا ما يعرفه عن الحياة أي ما توحى إليه به رغباته ومشاعره فلا يصف إلا ما يحسه ذاته ولا ينقل إلا ما يؤثر تأثيراً مباشراً في نفسه . بالطبع أن المادة الخام تنفصل عن الواقع الخارجي عندما تتحول إلى عمل فني ولا يمكن معادلتها به أو مناقشتها على أساسه ، ومع هذا فإن أقاصيصه تلك لم تصدر عن ذاتية اجتماعية موضوعية ، وإن كانت غايتها اصلاح المجتمع .

بدأ عبد المجيد لطفي يخفو تلك السطحية التي لازمت كتاباته ليبدأ صفحة لأمعة من نتاجه القصصي في مجموعته (في الطريق) الصادرة عام ١٩٥٨ م . والتي أطلق عليها اسم القصة الأولى .

وتأبى شاعريته إلا أن تظهر في كتاباته وأن الحياة الآن مترامية الأطراف وما أنا فيها إلا وحش احتضنت رأسي ، وغمرتني بقبلات حارة لم أجد أعذب وأصفى منها ... وقليلًا قليلًا أطبق العالم كله عليّ بأنياب حادة بيضاء ملوثة كريهة ، وهي تغادرني في القطيع الكبير لنموت وحيدة في وطنها في الشمال (٣) أما باقي أقاصيص المجموعة فإنها تنحو نفس المنحى في تصوير البؤس والفقر والشر . في (الأديب الصغير) يحاول الأب الثري أن يشتري صحيفة شهيرة من أصحابها الفقراء ، ليشق ولده المتأدب مستقبه على صفحاتها ، ولكن أصحابها يأبون ذلك .

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٨٢ .

(٢) يقول لطفي في قصته (كالكلاب تماماً) : ثق بضميري أيها القارئ، فأنا لم أزد على الحادثة حرفاً واحداً بل إنني قصرت كثيراً في إعطاء الصورة الحقيقية لتلك الحادثة .

(٣) عبدالمجيد لطفي ، في الطريق ، ص ٥٨ .

يقارن الكاتب بين الحياة البائسة الشريفة التي يحياها العمال وحياة التبدل والاستهتار والنعمة التي يحياها الأغنياء ، ونلمس فيها روح ذنون أيوب الهادفة إلى التحرير وتجسيد الأفكار وخلق الوعي السياسي لا معالجة المشاكل الاجتماعية فقط . (١)

تطور لطفي في هذه المجموعة واستطاع أن يتفد إلى ضمير الشعب يصور أحلامه وآلامه ومشاكله بعمق ودقة ، ونلمس تأثير قراءاته للأدب الغربي لا سيما الأدب الروسي . فالقصة عنده متأثرة بأدب تشيخوف حيث لا يلتفت إلى العقدة ونقطة التنوير ، والقصة عنده قصة الأثر والانطباع لا قصة العقدة . وفي اقصوصته (فنجان) نحاول الزوجة أن تنفي زوجها عن قيمة ومثله في الحياة ولكنها تفشل . وفي (دمعة محمود) تصوير لمأساة فلسطين ، تصف اللاجئين وآلامهم في العودة إلى الوطن السليب ولكن شخصية محمود جاءت مسطحة خالية من الأبعاد ، نموذجية مجردة لا حياة فيها .

عبدالمجيد لطفي كاتب شاعر ، على أنه في فترة أحسن منه في شعره وهو أحسن ما يكون حين يتحدث عن الحب وعن عواطفه الحزينة ، ومع أنه ميال إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية الراهنة إلا أنه يصحح أحياناً بالفكرة من أجل الجمال الفني إذا اقتضى الحال وهو في هذا لا يقتفي أثر ذنون أيوب الذي يعتبر الفكرة أفدس من الجمال الفني .

ويغرق عبدالله حسن في الرومانسية عبر قصص مجموعته (أقباس الغرام) ١٩٣٨ : (رفيقة حياتي ، حادثة غرام في بومبي) ونستطيع أن نستجلي هذه السطحية عبر موقف من قصته (قصة غرام) ثم لم تلبث أن وضعت رأسها في جحر الفتى وألقت بنفسها بين ذراعيه حتى أغمر عليها وأغمر عليه وبينما هما في سكرات الإغماء ... (٢) .

ونجد فيها كثيراً من المواقف غير المناسبة ولما انتهت من ذلك السباب

(١) انظر كتابنا : الاتجاه الوائمي في الرواية العراقية ، ص ١٠١-١٤٠ .

(٢) عبدالله حسن ، (أقباس الغرام) ص ٣٩ ، .

والشتائم نظرت إليّ بهيجة فرأيتها قد برقت أساريرها ووقفت كن اكتشفت شيئاً جديداً ثميناً فخجلت من نفسي واعتلرت إليها وقلت : أرجوك المَعذرة يا سيدتي على تفوهي بهذه الكلمات» (١).

وتقف مجموعة فؤاد بطي (صباحات الفؤاد) ١٩٣٩ لتؤكد التصاق الكاتب العراقي بالواقع مهما نظر إلى السماء وأغرق في رومانسيته . تتبع الفتاة عرضها مقابل مبلغ زهيد لشراء دواء لوالدها وعندما تعود إلى الدار تفاجأ بموته في (ندوة) .

ويقص كامل بطل القصة في (شعاع أحمر) حبه لفتاة متعلمة تريد لها زوجاً متعلماً لا جاهلاً . وتعد قصة (هكذا نحن) أفضل قصص المجموعة فهي تحكي قصص ثلاث راقصات تقبض عليهن الشرطة متهمه إياهن بالدعارة . وتمتاز بروحها الفكاهية حين تكشف عن جهل الشرطة . ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة للقصة العراقية آنذاك من ركافة الأسلوب وشبوع الأخطاء اللغوية ، والتعليمية وإطلاالات الرأس لبيان رأي أو قول موعظة : «إنما باعت نفسها للحصول على اجرة العملية فما أعظم هذه النفس وما أقدس هذا الشعور» . (٢) ولكنه يمتاز بقدرة جيدة على التقاط الزوايا ، ويحسن حبك القصة بصورة فنية .

• • • • •

وقد صُنّت مجموعة (مآسي الحياة) ١٩٤٢ للياهو خضوري قصصاً مترجمة لموباسان والفونس دوديه وقصة واحدة من تأليفه (مأساة اجتماعية) وهي قصة مغرقة في رومانسيته ، يحب البطل فتاة ، تزل الفتاة فيقتلها ثم يتحرر . ولا نجد في هذه المجموعة شيئاً جيداً غير سلامة أسلوب الكاتب وخلوها من الأخطاء اللغوية .

• • •

(١) عداة حسن ، أقياس الغرام ص ٢٠ .

(٢) فؤاد بطي ، صباحات الفؤاد ، ص ٢١ .

وهكذا تضعيب القصة ضمن إطار هذا الاتجاه وسط تأجج العواطف وانسيابها فليس هناك شخصية ولا حدث متكامل ولا فكرة ولا أي مقوم من مقومات الشكل القصصي ، هناك فقط هيكل عظمي تبرز عليه أحاسيس القلب الذاتية ويشف بصورة واضحة عن فقر الصنعة وضعف حرفية الشكل ، وهكذا تفقد القصة عندهم إطارها المحكم ولا يبتغون منها إلا ما تحمله من موقف شعوري يكشف عن طبيعة المضمون الحر ويزدحم بأحاسيس الذات المتضخمة ويفيدون من الواقع الخارجي ويبالغون في جوانب كثيرة من مرسطة القصة القصيرة عندهم في الشكل ويظهرون هذا السقوط أنهم غير قادرين بوعي أن يتخلصوا من ذواتهم ككل روماني ليلاحظوا غيرهم ويبدأ الفنان في اليوم الذي يتخلص فيه من الفناء في ذاته ليرى سواه .

ونجد ضمن الاتجاه الروماني قصصاً تحليلية لا ترضى بالإنفعال السطحي السريع مثل كتابات عبدالوهاب الأمين في مجموعته القصصية (قصص في الأدب الحديث) الصادرة عام ١٩٣٧ والتي تعتمد على تحليل العواطف وتضخيم وتحويل الإنفعال أحياناً وتحريك الشخصيات لتنتقل الأفكار والإنفعالات كما في (تريمة الوداع) حيث نجد امرأة تنذب أباه المتوفى بألم وحرقة بينما يتطلع حبيبها إلى مفاتن جسدها دون أن يشاركها ألمها ويسرف الكاتب في وصف مفاتن جسدها وينتهي بها الأمر إلى الزواج من غيره ، والحدث مستبعد وغريب ، إذ كيف تسنى لرجل أن يدخل داراً يقام مأتم ليتغزل بمحاسن فتاة مفجوعة بوالدها . (١) ولكنه أراد تصوير ضياع هذا الشاب ليصور فتاة عاتية أوقعت في شراكها صديقين ، تظهر لكل منهما أنها تحبه دون سواه ، إلى أن ينكشف أمرها وينفض عنها . وهي انصوفة جيدة اكتنفها الغموض ليساعد على تصوير ضياع الفتاة ثم يحدثنا عن شاب برم بحياته التافهة ، فأراد أن يقوم بعمل غريب يلفت إليه أنظار الآخرين ، كأن

(١) عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٩٥-٩٦ .

ينتحر أو يمارس نظم الشعر ولكنه لم ينجح في مسعاه ويسير على نفس الطريق في أقاصيصه الأخرى (من ليالي الضيم) و (حب مفاجيء) و (الخمور) وتسم أقاصيص الأمين بتصوير القلق الذي يعانيه جيله وقد يورد صوراً يهدف منها العظة والعبرة ولكن بأسلوب غامض غير بّين كما يعنى بوصف الجزئيات واختيار زوايا الرصد ، ويمتاز أسلوبه بالايحاء وقد يلتوي عليه الإفصاح أحياناً إلا أنه في الجملة قليل الأخطاء . وهو يختار موضوعات جزئية لم يتعود عليها القراء ويعدونّها خطيئة لا تغتفر كأن يعقد علاقة حب بين بطل القصة وزوجة خاله في قصة (قصة من مذكرات مطوية) وهو حدث غريب يطرقه الكاتب لأول مرة في الأدب العراقي نجده بعد ذلك في مسرحية آدمون صبري (أديب من بغداد) . وقد ضمت مجموعته (ذباب) ١٩٥٢ ، خمس قصص مترجمة وقصتين موضوعتين فقط . نجد في قصة (الرجوع) شاباً متزوجاً وهو أب لأطفال لطفاء يعقد علاقة مريبة من امرأة فاتنة لعب ، يقرر في بادئ الأمر تركها ويحرق صورها ، ولكن الصدفة تلعب دورها فيلتقي بها في السيتما ويدرك مدى سيطرتها عليه ، يواعدها ، ويكذب على زوجته ، ويذهب للقائها ولكنه سرعان ما يحس بالتندم فيعود أدراجه . وفي قصته (نكسة) تحليل جيد لشاب لاه لا يهتم لشيء غير ملذاته ، يشاهد بائعة يانصيب يدهسها الباص فينقلب فجأة إلى انسان جاد . ويبدو أن الكاتب في اتجاهه التحليلي هذا قد تأثر بالأدب الغربي ولا سيما بالقصة الموباسانية .

ويشابه سليم بطي عبدالوهاب الأمين في نزعتة الرومانسية التحليلية وقد نشر عدداً من الأقاصيص في الصحف المحلية وكان ينهيها في الغالب بفاجعة . وهو يميل إلى وصف الظلم الاجتماعي وتضخيم الأحداث ، والاعتماد على تحليل النوازع الانسانية في (ضحية) (١) يصور لنا منظر البؤس البالغ والقسوة

(١) جريدة البلاد ، العدد ٢٠٠ ، عام ١٩٣٠ م .

التي انطوت عليها قلوب المترفين (١): تخرج الأم تستجدي المارة ولكن أحداً لم يمد لها يد العون . وتطرق باباً فيخرج إليها رجل ضخم الجثة وما أن تطلب منه إحساناً حتى يجتذبها إلى الداخل ويحاول أن ينال بغيته منها : فلم يستطع فيلجأ إلى ضربها حتى تستسلم في النهاية ، ثم يطردها دون أن يعطيها شيئاً بعد أن قضى وطره منها وتنتهي الاقصصة بموتها جوعاً هي وأطفالها . وقد حشيت الأقصصة بوصف الحرب وما سفكت فيها من ماء (٢) ، وحاول الكاتب أن يؤثر على القراء عن طريق الوعظ والنهويل . وفي (ضحية رأس السنة) (٣) يصور لنا شقاء أم وكدها طول النهار في الخدمة ، كي توفر القوت لوحدها ، وفي ليلة رأس السنة تتأخر الأم في العودة ، فيخرج طفلها لمشاهدة مناج العید فتسحقه سيارة مسرعة وما إن تراه أمه حتى تفيض روحها . وفي أقصصة (تقريع الضمير) (٤) يستمع الكاهن إلى المحتضرة المعترفة تقول له بأنها خانت زوجها (جوزيف) الذي أصرّ على الزواج من فتاة غنية ، وأثمرت خيانتها ابنتها فكتوريا التي تحب كمال ابن جوزيف ، وتطلب من الكاهن أن لا يسمح بزواجهما لأنهما أخوان ، وتنتهي القصة بلجوء فكتوريا إلى الدير تلبية لأمر القسيس . (٥) ونلمس في قصصه تأثير القصة الموباسانية أيضاً .

أما أقاصيص لطفي بكر صدقي التي نشرها في الصحف المحلية ، فهي تدور حول موضوع واحد ، الحب والخمرة ، وهو خير من مثل الضياع الذي كان يحياه الفرد العراقي في عصره ، في تناقضه بين متطلبات العقل والقلب التي تخنمها الحياة وتحققها الحضارة الوافدة من الغرب وبين الواقع الذي كبل

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٣) جريدة البلاد ، العدد ٤ ، عام ١٩٣٠ م .

(٤) جريدة البلاد ، العدد ١٣٣ ، عام ١٩٣٠ م .

(٥) ويعد سليم بطي من أبرز كتاب المسرحية في العراق في العشرينات من هذا القرن .

الفرد بقبود ثقيلة من التقاليد والسيطرة الاجتماعية والاقتصادية التي يفرضها معيل الأسرة ، والتخلف السائد في جميع مناحي الحياة والوقوف بقسوة ضد الأفكار الحرة والتجديد . ويعود هذا الاتجاه بشكل أكثر تكاملاً ونضوجاً عند عبد الملك نوري وغانم الدباغ ومحمد روزنامجي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يوفق الكاتب في أن يخلع على أبطاله الحياة النامية التي تعج بالحركة والنشاط ، شخصيات ضائعة لا أبعاد لها ، وكأنه أراد ذلك ليخلق الانسجام بين الشخصية والحدث . في (جنون الحب) (١) يسرف البطل في الشرب ، وهو يحرّ ذكريات حب . ويفشل الكاتب في نقل صورة واضحة المعالم عن ذلك الحب . ولكنه ينجح في تصوير ضياع هذا المحب لفشله في تجربة الحب القاسية تلك . وفي (نهاية حب) (٢) يتحرر البطل ، لأن الحبيبة طلبت إليه أن يتركها . لأنها متعبة ، وبعد أن تسمع البطلة دوي الرصاص ، وتلمح جسد حبيبها ، تحسّ بفجيعتها ، وفراغ حياتها . ويسير على نفس الاتجاه في أقاصيصه الأخرى مثل (صوت الحب) (٣) و (سكران) (٤) . ويوجد الدارس قصصاً تستحق الوقوف لقصاصين اعتمدوا في قصصهم لا على المضمون العاطفي فقط بل عنوا عناية كبيرة بالتحليل والاهتمام بفنية القصة . ولكنهم لم يجمعوا قصصهم في كتاب واحد فنجد أن يوسف مكي اهتم منذ بداية الثلاثينات بنشر القصص في المجلات العراقية ، مثل (ضحية العهد) (٥) في القرية (٦) ، الرسالة (٧) ، وهي لا تخلو من دقة تعبير ومن تحليل للعواطف يشف عن تفهم ميكر لفن القصة ، وتبشر بتطوره الأخير (٨) ولكنها لا

- (١) جريدة الإغواء الوطني ، العدد ١٨ ، عام ١٩٣١ م .
- (٢) جريدة الاخبار العدد ٤٣٥ ، عام ١٩٣١ .
- (٣) جريدة السياسة ، العدد ٣٣٨ ، عام ١٩٣١ .
- (٤) جريدة البلاد ، العدد ٤١٦ ، عام ١٩٣١ .
- (٥) الحاصد السنة الثالثة ، كانون أول ، ١٩٣٠ .
- (٦) الحاصد ، العدد ٣٣ السنة الثالثة ، آذار ١٩٣٢ .
- (٧) الحاصد ، العدد ٢١ السنة الرابعة ، كانون أول ١٩٣٢ .
- (٨) عبدالاله أحمد ، نشأة القصة تطورها في العراق من ١٢٩٠ .

تخلو من عيوب القصة الرومانسية التي ذكرناها سابقاً . وظهرت امكاناته القصصية عبر قصصه (عاطفة جامحة) (١) خطام (٢)، سخرية الموت (٣) . في القصة الأولى يُصوّر لنا يوسف ، في الحرمان الذي تعانيه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع هذا الحرمان مع صبي تطيل مداعبته وتحاول إثارته ولكنه لا يعي ما تفعل . وعندما يمرض الصبي تعود (سعاد) بطلة القصة فتسيل إلى الصبي مقبلة فيمنعها صارخاً ضجيراً . وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف بطئته وصرعها وردود فعلها (٤) «و اضطربت ميول شاردة من العطف والشهوة والأومة وانحنت في رغبة .. وألصقت شفتيها المرتجفتين بثغره الملتهب وراحت في قبلة راعشة تمتص الشفاه القرمزية امتصاصاً وألقت نظرة خاطفة على باب الغرفة ثم على وجه النائم وأحتست شعوراً حزيناً يجذبها نحوه وداهمها شعور فاضح إلى الاضطجاع بجانبه وضمه إلى صدرها المضطرم ميولاً ورغبات وغمرته بلثامها العذبة الحنون» . ونجد نفس المضمون في قصة (صرع) لشاكر خصيباك من مجموعته التي تحمل نفس الاسم التي أصدرها عام ١٩٤٨ .

أما قصته الثانية (خطام) فهي تستبطن عواطف شاب لقي حبيبته - طالبة المدرسة سابقاً - في دار اللبغاء يتمتع بها كل من يدفع الثمن «واسراح إلى الضرب وهاجت أعصابه وغلت دماؤه فمسك كشيها وضغطهما بقوة وقسوة وامتدت يده على ثوبها فتمزق أعلاه وبرز نهداها الناضجان يضطربان على صدرها العاري . وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية المليئة فتنة وانتحابا . وتركها بشيعة نشيجها المتقطع العالي مع شذوى عطر الياسمين » ونجد أن الفتاة لاتستنكر مهنتها بل تتعامل معه كما يتعامل صاحب المهنة الذي يحرم مهنته . ونجد هذه

- (١) الحاصد السنة الرابعة ، العدد الثاني ، ١٨٣٤ .
- (٢) مجلة عطارد ، العدد الاول ، السنة الاولى ، آب ١٩٣٤ .
- (٣) مجلة الحاصد ، العدد ٤٢ السنة الثالثة ، أيار ١٩٣٢ .
- (٤) شجاع الداني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ٤٣ .

النظرة في قصة (ساقطة) لذنون أيوب من مجموعته (الضحايا) ١٩٣٧ . وهي نظرة جديدة وجريئة بالنسبة للفترة التي كتبت فيها القصة . « وقد استطاع الكاتب أن يصور مشاعر بطله ببراعة ، مستخدماً كل الأدوات التعبيرية في الفن القصصي فهو لا يقتصر على استخدام السرد والحوار في الكشف عن شخصيته ، بل يحاول رصد الحركة والفعل واستخدام أسلوب التداخي والتكربات ليسلط أنوار التحليل الساطعة على نفسيات شخصه (١) أما قصته الثالثة فتتزعج إلى تحليل عواطف أب يتألم لمرض ابنه . هو لا يكفي بالالم العاطفي بل يحلل عواطفه تجاه ابنه ، مرضه ، موته ، علاقته به . وقد أجاد الكاتب في هذا التحليل ونجد شيئا بينها وبين قصة (قاعدة البرج) لذنون أيوب من مجموعته (برج بابل) ١٩٣٩ . « لقد أهّم يوسف متي برسم الظلال التي تعمق من الحدث وتزيد من الأثر الذي يتركه جو القصة المشحون واستخدام المطر استخداماً موفقاً . فالمطر يهطل حين كان الأب يعاني أفكاراً متضاربة تجاه ابنه ويكف عن المطول حين تستقر أفكاره على أمر معين ثم يعود إلى المطول وبشدة ، حين يكشف الأب موت طفله .. كما أن استعانةه بالمؤثرات الخارجية في النهاية ليزيد من عمق الإحساس بالمأساة موفقة ناجحة» (٢) إن الاتجاه التحليلي الذي ظهر عند يوسف متي تبلور بعد ذلك عند نزار سليم وعبد الملك نوري وفؤاد التكرلي (٣) وغانم الدباغ في خمسينات هذا القرن . وقد اتجه يوسف مكمل ضمن الإطار الرومانسي إلى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية . ففي قصة (القطرات الأولى) (٤) يصور لنا الكاتب عواطف رجل أحب فتاة فرنسية عندما كان هناك ، فيقرر الذهاب لزيارتها وعندما يصل باب دارها يسمعها تغني

(١) شجاع الماني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١١ .

(٢) عبد الله أحمد ، نشأة القصة وتطورها في العراق ، ص ١٦٩ .

(٣) شجاع الماني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٤) مجلة الحاصد ، كانون الاول ، ١٩٣٥ .

تلك الأغنية التي كانت قد غنتها له في ماضى من الزمن ، فيقصر عن طرق الباب لأنه اعتقد بأنها تغني هذه الأغنية لزوجها وقد اكنتهما السعادة كما كانت تلفهما في الماضي - هي وهو - « نجد القاص في رسم شخصه وفي تصوير العالم الداخلي لهذه الشخصيات يعتمد على التصوير الخارجي المباشر ، وفي هذه القصة نلمس البذرة الاولى لهذا الاسلوب الذي كان يهدف آنذاك إلى انتشال القصة العراقية من برائن السرد التقليدي ومن التزعة التعليمية التي طغت عليها » (١) ولم يتبلور هذا الاتجاه الا في نهايات الستينات من هذا القرن عند سرجون بولص ومحمد خضير ومحمد مل عارف (٢).

الرومانسية المتأخرة :

عرضنا في القسم الاول من هذا البحث العوامل التي أدت إلى ظهور الرومانسية في القصة العراقية وسماتها المميزة لها . وقلنا أنها رومانسية مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة . . . ونحن نلمس أثر هذا الاتجاه في القصة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يكن السبب الوحيد في استمرار ، كثرة القصص المترجم عنها واهتمام الصحف والمجلات العربية والعراقية بنشر هذا النوع من القصص والاتصال الفكري والثقافي بين العراق والعالم الغربي من جهة ، والعالم العربي من جهة أخرى ، ولا اغراق الدوق الادبي بتناج القصصيين الرومانسيين المتأخرين من العرب أمثال محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهما فحسب . فقد وجدت الرومانسية ، نفسها على وفاق مع روح البلاد وأعطت العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وعاطفة الشعب المفرطة والاحداث المتأزمة المتتابعة في العراق ، كالانطباع المأسوي الذي تركته الحرب في النفوس والآلام الانسانية التي سببت الحرب والخوف من المجهول الذي ولدته القنبلة الذرية ، ومأساة

(٤) شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٥) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢-١٠٣ .

فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي ، والتأثر للكرامة العربية المهدورة عام ١٩٤٨ ، وثورة يوايو عام ١٩٥٢ والانتفاضات المتوالية في العراق ومأساة العدوان الثلاثي ، وحلاوة الفوز والانتصار عام ١٩٥٦ ، كل ذلك مجتمعا أعطى الاتجاه الرومانسي أرضاً صالحة ملائمة . عرفت القصة العراقية التمزق الطبقي ، وقد أعطانا كتاب القصة الرومانسيين روحاً جديدة ، وفكراً جديداً ، ووقف أكثر القصصيين من ظلم المجتمع موقف الشكوى ، بل وقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع بتحقيق الرفاه الفردي والاجتماعي .

وإذا رجعنا إلى القصص الرومانسي الذي كتب في هذه الفترة ، نلاحظ ان القصة لا تخفي ذوات كتّابها ، وإنما تبرزها وتكشفها جزئياً أو كلياً . ويدور محور القصة حول موقف ، أو أحداث غريبة تعتمد على المصادفات المدهشة والنهايات المفاجئة . ولكنه هنا وهناك لا يخضع لتخطيط معين ، وإنما يجري في حرية وفي استرسال ، يتوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ويتناول مضموناً جديداً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون ويضعف الفن التقني بين الشكل الحر والمضمون الحر ، ولا نستطيع أن نقول عن ذلك الشكل الحر أنه شكل من أشكال القصة القصيرة الفنية أنه في منزلة بين المقالة وبين القصة ، ففيه خصائص المقالة من حرية في الاسترسال وقلة العناية وفيه من القصة بعض حوادث المرد ورسم شخصيات وسير الأحداث ، وإن جاءت هذه الأحداث بعيدة الوقوع في مجتمعنا . تعتمد على المصادفات والمفاجآت والغرائب .

واستمر هذا الاتجاه إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير الصدمات النفسية التي عاناها الشعب العراقي والتي دفعت بعض أدبائه المبتدئين في مضمار كتابة القصة القصيرة المسحوقين تحت عجالات المجتمع الثقيلة والمكبّلين بقيود عاداته وتقاليده القديمة أن ينفروا من الواقع وينصرفوا عنه فالتفت فريق إلى

الطبيعة يثهاشكوا من الحياة ورغبته الجارحة في التنفيس عن مكونات نفسه وعكف فريق آخر على ذاته يردد أحاسيسها ، وفريق ثالث يخلق عالماً مليئاً بغرائب الأحداث ومصادقاتها ، وفريق رابع يحاول أن ينسى آلامه بتعطيم القيود الثقيلة وطلب الحرية لنفسه ولابناء قومه . ويسبح في خيالاته بأجنحة ملائكية . واصطبغت الرومانسية المتأخرة في العراق كسابقتها بطابع الحزن والكآبة وابتعدت عن الواقع ولم يستطع أدباؤها أن يخلقوا من الالم العظيم أدباً عظيماً . وسار في الاتجاه الرومانسي عدد كبير من كتاب القصة المبتدئين ونسجوا على منوال الكتاب الرومانسين العرب ، فبعد اللطيف الدليشي في مجموعة (غرام في الريف) الصادرة عام ١٩٤٥ م مثل واضح للرومانسية بخيالها الجامع وأحداثها الغريبة وجوها القاتم المظلم ونهاياتها الحزينة ، وتسطع شخصياتها وآهاتها المجتمع وتقاليده بالوقوف أمام الحياة السعيدة التي يجب أن تعاش وبطلاوة لاسلوب واعتماده على الخيال الجامح والعواطف المتدفقة والعبارات الملونة الجميلة .

في أقصوصة (أحلام الشباب) يبادل (أياد) الطاهر الفقير (ثريا) الفتاة الغنية الحب الا أن الأب يقف حاجلاً دون معادلتها ، فتموت (ثريا) حين يزوجها والدها من رجل غني لاتحبه ، وينتحر أياداً . ويقف المرض حاجلاً بين سعادة زوجين متحابين فيموت الأب بعد إنجاب ابنته التي لاتجد أباً يحنو عليها في (غرام في الريف) .

وتتشابك الأحداث وتتسع رقعة الزمن في (الشهادة) ويفصل (اياس) من عمله لأنه لا يحمل شهادة عالية ، ويعمل في صحيفة ويرز في عمله وتقع في حبه (لمى) زوجة صديقه وتأبى عليه شهادته الخيانة فينتحر العاشقان . ومجموعة (دماء ودموع) لفتاة بغداد الصادرة عام ١٩٥٠ ، أقرب إلى القصة الطويلة لسعة رقعة الحدث وزمانه ومكانه مع رومانسية مفرقة حيث تباع الأخت دمها لتعول أخيها المريض في مصح من مصحات لبنان وينتاب الأخ الشك في سلوك أخته فيقتلها . وخين تنكشف الحقيقة يضاب بالحنون .

وفي بائعة الأطفال تأوى الأم إلى جامع بعد وفاة زوجها حيث يسرق أطفالها الصغار وتصاب بالجنون .

وتسيل الدماء كتدفق العواطف العنيفة في مجموعة جعفر الشيخ علي (آلام وآمال) الصادرة عام ١٩٥٣ م . ويقتل اللقيط بتحريض من زوجته (امرأة ولقيط) .

ويتزوج الأب من حبيبة ابنه (غرام الشيخوخة) ، وتقتل الزوجة زوجها أثر خلاف بسيط (صريع المادة) . ونجد في مجموعة (قصص واقعية) لحضر عباس عام ١٩٥٨ م أحداثاً غريبة ، يقتل شاب فتاة قرية الشبه بخطيبته التي خانتها وينتهي إلى مستشفى المجاذيب (لحظة لقاء) . وينتحر العاشقان حين بصر أهل الفتاة على تزويجها من رجل غني (حفلة زفاف) ويقتل الزوج زوجته وبناته ظناً منه أنها فاجرات ويقاد إلى المشنقة وهو سعيد (ضحية الجهل) . ويشعر القارئ في قصص عبداللطيف الربيعي في مجموعته (وفاء البؤساء) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، بأنه في عالم يخالفه الكاتب . ليس هو عالماً الذي نحيا فيه وليس لأهله قوانين وعاداتنا وإنما هي قوانين مستمدة من عالم الكاتب الذي خلقه وخلق أبطاله . يتجولون فيه ويفعلون ما يحلو لهم . (١)

ويبدو أن عناوين الأقاصيص اخترعت قبل أن توضع القصص على الورق ، فيدفع حب العنوان الكاتب إلى اختراع صراع رجل مع فتاة يريد أن يغتصبها وحين يفشل في اغتصابها يخرج خنجره ليطعنها .

وقد اقتبست أفكار بعض الأقاصيص من واقع الحياة الغريبة كـ (ذهب بلا دعوة) حيث يوقف - البطل - حياته على دراسة الطب بعد موت حبيبته بمرض السل .

أما بؤس الحب والنهايات الفاجعة والقتل والانتحار في سبيل الحب فوسيلة من وسائل إنهاء قصصه .

(١) انظر دأود سلوم ، الادب المعاصر في العراق ، ص ٩٤ .

ويعالج فاضل جاسم الصفار مجموعته (آمال وآلام) الصادرة عام ١٩٥٦ موضوعات ذات أحداث لاحظ لها من الواقعية . وحين يعرض لنا أحداث شخصيه يشعر شعوراً أكيداً أنه لا يتكلم بلسان الواقع وإنما يخلق الشخص وينطقهم كما يشاء لا كما تشاء ظروفهم وطبيعتهم . بما يبدعه خياله من أساليب تختلف خشونة وسلاسة ، وبأفكار قد لا تدور بخلدكم وبألفاظ لا تستعمل في جملتنا وتعايرنا ونحن نتخاطب بعضنا مع بعض . (١)

ويحتوي كتاب (ليالي ملاح) للبيحة اسحق على قصص غير ناجحة وانطباعات وتأملات . وكل ما يقال فيه أنه أشبه بدفاتر الإنشاء التي يحتفظ بها الناشئون . (٢) وأقاصيص تدور حول المرأة .: تسقط الطائرة بزوجها وتعيش لدموعها (من آهات القصور) . وأخرى يتركها زوجها إلى زوجة صديقه (من صور الحياة) . وثالثة يموت حبيبها بالسل وتلحق به بعد إصابتها بالمرض ذاته (لبث القدر يغفو حين يقسو) .

وقد تشوب الرومانسية واقعية اجتماعية عند فقر آخر من الكتاب ، كفؤاد ميخائيل وشاكر السعيد وكل منهما يتنازع بأسلوب جيد وتمكن من التعبير الجيد وتصور أقاصيصهما موضوعات مختلفة من الحياة لاموضوعاً معيناً : مع اكتمال التجربة الشعرية عندهما ، وخاصة عند فؤاد ميخائيل الذي ينقل أحاسيس البطل ومأساته إلى القارئ فيشاركه أحاسيسه وانفعالاته . وفي مجموعته (عيون الليل) الصادرة عام ١٩٥٣ م صور عديدة للمجتمع العراقي ، من أب يقسو في معاملة ابنه الشاب بتحريض من زوجته رفض الابن مطاوعتها على الاثم (عيون الليل) إلى أم تخشى على ابنتها الصغيرة أن تسلك طريق الخطيئة مثلها بحكم قسوة الظروف (من الهاوية) وشاب عاطل لا يجد عملاً رغم الشهادة التي يحملها لأنه لا يملك خطاب توصية (عودة) .

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٥ .

واستخدام الكاتب التحليل النفسي ضمن اطار اجتماعي في عدد من أقاصيصه (الندم ، الغريب) تصور الأخيرة عواطف صباغ أحذية تعرض إلى الإهانة من زبون « وخفض أحمد رأسه ثم حمل أدواته وخرج كانت السماء ترسل رذاذاً خفيفاً من المطر ، وكانت مصابيح الطريق تبدو غاضبة شاردة النور . وخيل اليه وهو يسير أن أشباحاً سوداء ترقص أمامه وتصرخ في وجهه - حمار - نعم إنه حمار لا يربطه بالآدمية أي رابط ، وبدأ يتسلل إلى قلبه حقد هائل مدمر على الوجود ، على الكون ، على هذه الحياة التي يحياها » (١) .

ولكن القصص العاطفي المخلق في أجواء الخيال هو العنصر الأكثر شيوعاً في المجموعة : فتاة تحطف خطيب صديقتها وتترك صديقتها للموت حزناً (قلب ميت) ، وعاملة أرمل تستلم لرئيس العمل (الأجر الإضافي) وطفولة مشردة تقود إلى الجريمة (شجرة الذكريات) وشاب يؤدي به حبه الفاضل إلى الجنون (الجنون) .

أما شاكر السعيد في مجموعته (نفوس جديدة) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، فهو أكثر اغراقاً في الرومانسية من فؤاد ميخائيل وأن جاء أسلوبه سلساً معبراً كإسلوب فؤاد .

وتبدو شخصياته شوهاء ، غير ناضجة أحياناً كما في أقصوصة (فكرة) حيث يخسر البطل - مرتبه في القمار فيسرق من خزانة الشركة التي يعمل فيها ويلقى القبض عليه . ويطرد - البطل - من العمل لأنه طالب مدير الشركة الأجنبي بزيادة الاجور ويودع السجن في أقصوصته (مظاهر كذابة) ولم يوفق المؤلف في تحليل انفعالات البطل في مسيرته من الشركة إلى الدار بعد فصله من العمل .

ويلجأ الكاتب إلى الاسلوب الخطابي مما يبعد أقاصيصه عن الواقع ويزيدها تكلفاً كما في أقصوصته (صوت مراکش) إذ يخاطب البطل - أمه قائلاً :

(١) عيون الليل ص ٤٥ .

« سأذهب إلى حيث ينتظر الوطن . إلى حيث يدعوني صراخ الحرية إلى حيث يموت الجسد وتعيش المثل العليا إلى حيث أبناء شعبي يكافحون . سأذهب يا أماء ولتعلمي أن موتي شريف فباركيني يا أماء وليكن الله في عونك وعون الأمهات المنكوبات اللواتي فقدن أولادهن » . (١)

وتطغى المشاعر والعواطف في أقصوصته (التأمل الحزين) حيث يربط الحب بين قلب - البطل - وفنارة مسيحية مريضة بالسل يراها على الشاطئ . ويختتم القصة بموت الحبيبة وهيام البطل على وجهه كما فعل مجنون ليلي . وتطلع علينا نفس العواطف والمشااعر في أقصوصته (لقاء في لونا بارك) (حلم قصير) ويقتل خزعل الحارس المسن ولده لأنه حاول السطو على منزل لسرقته أقصوصة (خزعل) ويسقط منهكاً يقبل ولده المضرج بدمائه . ومن أبرز كتاب الجيل الثاني في الاتجاه الرومانسي : كارنيك جورج ومحمد بسيم ذويب ومحمود محمد الحبيب . وسنعرض لنتاجهم القصصي . كارنيك جورج :

أغرق كارنيك جورج نفسه في الحب ، فهو مادة أقاصيصه كلها في مجموعته (سهاد البريثة) الصادرة عام ١٩٤٨ و (دموع عذراء) الصادرة عام ١٩٤٩ . ولئن تجد غير الحديث عن الحب واللقاء والقيل والمطاردة في الشارع ، وفي السينما . وبدأ الكثير من صور الحب التي عرضها القاص أقرب إلى العبث منها إلى الأقاصيص الناضجة . فهي تخليق في الخيال ، واسراف في المواقف الغرامية لا يصدر إلا عن مخيلة مراهق ، يحس الأشياء بأعصابه الملتهبة وينظر الامور بعيون جائعة (٢)

يعتمد جورج في أقاصيصه على الأحداث الغريبة والنهايات المفاجئة والتحليق في سماء الخيال . في (سهاد البريثة) يصور حباً عميقاً بين اثنين ،

(١) نفوس جديدة ص ٨٦ .
(٢) عبدالقادر أمين (القصص) ص ١٧١ .

ولكن الفتاة تحاول قطع خطوبتها بحبيبها والالم يحز في نفسها ويحاول الشاب أن يعرف السر في الأمر إلى أن تبوح له بأن عمها قد اغتصبها بعد أن وضع لها مخدراً في الشراب .

إن هذا الحادث لا يمكن وقوعه مطلقاً في العراق بالإضافة إلى جو اللهو والخمر الذي أطر به المؤلف أقصوصه ، إن الأغراق في المبالغة وإيراد ما يناقض الحياة لا يصلحان أبداً كأساس صحيح لأقصوصة فنية

ويعضي كارتيك في مجموعته الثانية (دموع عذراء) على طريقته في الأغراق والمبالغة بالإضافة إلى أن طابع السرعة في كتابة هذه الأقاصيص جليّ في اضطراب حوادثها وهلهلة أسلوبها .

يروى لنا في (رجلان وامرأة) أن شاباً يقع في حب راقصة ويقنعها بالزواج منه ، ثم يستأذن أباه في الزواج ويحكي له أبوه تجاربه مع زوجته وكيف انتهى الزواج بالطلاق ، ويحاول الابن معرفة أمه ، فيفاجئه الأب بقوله : (أنها تلك التي كانت تتأبط ذراعك بالامس) وهي بعينها التي خطبها الابن لنفسه

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كيف حدث ذلك وبهذه السرعة ؟ وكيف يتزوج انسان من أمه ؟ ، ان كارتيك جورج يعتقد ان القصة هي مجرد أحداث غريبة وغير معقولة.

وفي (الفريد) صورة لعبث الطلاب وتندرهم بزملائهم واستغلال ، الضعف في بعضهم للضحك واللعب . اذ يبحث زملاء (الفريد) اليه برسالة يوهمونه بأنها من فتاة متبينة تسأله لقاء في السينما ويكتشف بعد ذهابه ان الحبيبة ليست الا زميلاً مقتعاً بثياب النساء وأقاصيص كارتيك جورج أقاصيص حب يائس لا أمل فيه تلفها رومانسية كثيفة مفرقة في الخيال (في ذات السيارة الحمراء) يحب الشاب فتاة غنية ويحاول أن يفوز بعطفها فلا يجد سبيلاً غير رمي نفسه أمام سيارتها فيموت . وفي (رسالة شاعر)

يرسل العاشق إلى حبيبته رسالة حب بعد أن صدته عنها « ومضت أيام
وإذا بجبك يتحول إلى عبادة صامته ، ولكن ماذا أفعل من الخير أن أبتعد ،
لأ بعد حي عن قلبك ، حي الذي تحول إلى عبادة حيبي الذي لا تؤمنين
به ولا بوجوده » . (١)

يقول جورج في اقصوصة (بين ربيع وخريف) : « هذه القصة ،
كتبت بطريقة جديدة في فن الاقصوصة . وهي أن يكون القارئ هو البطل
فيها » . (٢)

تحب الخادمة الصورة التي تنطلع اليها سيدتها وتفقل عليها الصندوق
وذات يوم تنسى السيدة المفتاح ، فتهرع الخادم إلى الصورة التي عشقتها
دون أن تراها ، فإذا بها صورة قديمة لسيدتها .

لم نجد في الاقصوصة هذا الفن الجديد الذي ادعاه بل هي أقصوصة ،
غريبة الحدث بعيدة عن الواقع مثل بقية أقاصيص المجموعة . ولا تقف
الغربة عند هذا الحد بل نجد الأب يغازل ابنته (معاون المدير) ، والاخ يعرض
أخته على صديقه مقابل نقود (اغراء) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولا يعطينا الكاتب الملامح النفسية الحقة للشخصيات بل يتكلم عنها من
السطح وتبدو ثابتة غير متطورة . إنها نماذج ليست انسانية الخلق ولا الابعاد
ولا تتصف بصفة الفرد المتحيز ، استخدمها لإبراز الحدث والفكرة . وهو
كرومانسي لا يرى في الحياة إلا جانبها المظلم ، ويجمع به خياله
في معظم الأحيان بعيداً عن الأرض التي يحيا الناس فوقها رغم أنه يشعرنا
بأن أقاصيصه حقيقية نقلها كما هي من الواقع أو جرت حوادثها بالفعل
في مكان وزمان معينين ، بحيث يبدو أنه لا يكتب لنا الا ما يعرفه من الحياة
أي مما توحى اليه به رغبته ومشاعره .

(١) كارنيك جورج (دموع غراء) ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

محمد بسيم ذويب :

إن أقاصيص محمد بسيم ذويب صور ولوحات شاعرية رقيقة تخلو من الحبكة الفنية للقصة القصيرة ، يغلب فيها الموضوع على الشكل ، والقصة عنده تصاغ أحياناً في هيكل روائي لافي هيكل قصة قصيرة بحيث يخرج القارئ نتيجة للطفليات وكثرة المسارب الجانبية وتعدد المواقف وفقدان التوقيت مشوشاً لا يملك وحدة التأثير أو الانطباع ، ولا يخضع لتوتر نفسي وأحد من بداية القصة حتى نهايتها .

ويعني الكاتب بالدقائق والجزئيات الجانبية التي لا تغني ولا تفيد ولا تمت بصلة إلى الموضوع العام وتفرض على القصة فرضاً دون أن تكون لها ضرورة تلقي على القصة مزيداً من الضوء بل على العكس فإن هذه الفضلات كثيراً ما تطمس معالم الشخصية في قصة وتفسد توازن هيكلها . ومثلها في ذلك إطلاقات الرأس والتدخل والتقريرية .

نظم محمد بسيم ذويب الشعر وهو في الخامسة من عمره (١) وأصدر أول كتبه وهو تلميذ في الكلية العسكرية عام ست وعشرين ، وتأثر في شعره بشعراء المهجر . وأول كتابة القصة ونشر أول قصة قصيرة في جريدة الحديث الحلبية سنة ١٩٣٠ م ، ونشر في الجرائد والمجلات العراقية الكثير من الشعر والنثر .

كتب مجموعته القصصية الأولى (آثام) الصادرة عام ١٩٥٧ بأسلوب اخباري استخدمه المؤلف وقام مقام الوسيط بين الأبطال والقراء ، ولم يحسن الكاتب الربط بين الأحداث المتفرقة التي تتكون منها القصة . وفيها نهايات مدهشة وطرق خاصة من الموت بالسل والدس ، لقتل الاشخاص الذين يريد أن يتخلص منهم . الكاتب لغرض لإنهاء القصة .

ويبدو تأثير المنفلوطي وجبران واضحين في كتابات الذويب ، فهي ،

(١) من رسالة الكاتب الى الدكتور داؤد سلوم .

مفرقة في الخيال والبعد عن الواقع . مؤطرة بحب بائس ونهايات مفرجة .
متكلفة . في (بدلة العيد) لم تجد الأم من نهاية لشقاها وشقاء طفلها الا الموت
غرقاً بعد أن يرد البخار الغني سؤلها ثوباً لابنها في العيد .

وتبادل الفتاة متبنيها الحب بصمت وتعرف له بعاطفتها وهي على فراش
الموت بعد اصابتها بالسل في (قلبي لغيره) . وفي نهاية أب (يغتصب الرجل
ربيته فتنتحر ويصاب الأب بالحنون .

وتصطاد الأخت المتزوجة خطيب أختها فلا تجد الاخت غير طريق ،
الانتحار في (أختي الصغرى) . وفي المجموعة صور لم يرسلها لنا الكاتب
كما هي في قصة (نبوءة تحفقت (و) الكلبة غرود) حيث تدس زوجة الأب
السم لابن زوجها فيموت ويموت والده حزناً عليه ، وتنحدر ابنتها إلى
الرذيلة ، وتصاب زوجة الأب بالعمى ، ولا تجد غير التسول طريقاً للعيش
أما اقصوصة (محنة زوجين) فقد رويت كما يروى الخبر التاريخي أو
محاضر المحاكم ، بأحداث متشابكة بعيدة عن الواقع (١) .

ورغم تماسك أسلوبه تشيع فيه الخطب والتصانيع مما يضعف الفنية في
أقاصيصه : مخاطبة المتنوعة رجلاً غنياً وسؤلها (أليس المال الذي ،
تمتعان به من تعب الفقراء أمثالي ومن قوتنا الذي احتكرته فمنعته عن
أفراد الشعب الجياع ... فان كنت قد ورثته عن أبيك فهل تعلم كيف
جمعه أبوك فكده في خزائنه الخاصة أو في البنوك ... ما الخدمة التي قد
قدمها أبوك أو تقدمها أنت لهذا الشعب الذي تستعلي على أبنائه) (٢) .

محمود محمد الحبيب

تحتوي مجموعته القصصية (صرعى) الصادرة عام ١٩٤٩ على عدد
من الاقاصيص التي تدور حول العواطف الثائرة والحب اليائس وتنتهي

(١) داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ص ٩٩ .

(٢) محمد بسيم النويب (آثام) ، ص ٣٥ ، من اقصوصة (بدلة العيد) .

نهايات فاجعة مؤلة . ويمتاز اسلوب الكاتب بالقوة والمتانة ، لولا أنه يكثر من استعمال الصفات (أمي الكريمة ، والدي الكريم) مما يضعف الاسلوب القصصي الفني . كما أنه يستخدم الاسلوب الخطابي في الحوار وكأن البطل في حفل عام لا يتحدث إلى نفسه أو إلى شخص قريب منه .

(حرام يا هيفاء أن تظهرني كل حركة حبيبة إلى القلوب وتغني شئ الأغنيات الساذجة البسيطة بلغة يفهمها أطفال في عمرك لم يابني تحرميني من احتضانها بعد عودتي مرهق الأعصاب ... بنيتي دنيا طفوتك مهشمة باردة وعواطفك مريضة خرساء وتصرفاتك اتجهت في رافد لايتغير بل يصب في حياتنا العناء والعذاب) (١) . ولم يحسن الحبيب رسم شخصياته فبدت ظلالة باهتة لاحياة فيها ، بل وكأن جميع الشخصيات شخصية واحدة لاغير ، كلها تقع في الحب وتشتى وتتعب وتنتهي نهايات مؤلة .

(في اللهب الأزرق) يحب الشاب فتاة مسيحية ويخطبها لنفسه ولكنها ترفض تغيير دينها خوفاً على مستقبل أختها الصغيرة وصحة عائلتها . وفي (الضحية) يحب واصف ابنة عمه ولكن زوجة عمه تراوده وحين تيأس منه تحاول تزويج ابنة زوجها كي يبقى لها وحدها . ويكشف واصف لعمه سلوك زوجته فيطرده العم من الدار ، ثم يقع في غرام راقصة يتزوجها . وفي (الختام الدامي) يفرق سليم نفسه في الشهوات ويغتصب عجيبة ، فتنتقم أمها منه بخطف ابنته الوحيدة التي يراها بعد سنين ترقص مع الغجر . وفي (رسالة شاعر) يموت الشاعر حباً ووجداً . وفي (ثورة في الريف) يقتل الريفي ابنته لأنها تكلمت مع شاب حضري بينهما حب متبادل . وفي (عالم الطفولة) تنتحر الطفلة الصغيرة لأنها تغار من أختها المولودة حديثاً . وقد حمل الكاتب الطفلة من العواطف ما لا يستطيع قلبها الصغير حمله ، بالإضافة إلى الصفحات الطوال التي استغرقتها مناجاة الأم لابنتها المنتحرة .

(١) محمود محمد الحبيب (صرعي) ص ٥٨

مهدي السامرائي - عابج الجابري :
كاتبان مبتدآن تنسم أقاصيصهما في مجموعتيهما (الهياكل الصادرة سنة ١٩٤٥ و(دموع الماس) الصادرة عام ١٩٥٨ بالضعف الفني وتهافت الاسلوب وهزله . وشخصياتهما لاثكاد تيين وسط ضباب العواطف الثائرة والانفعالات الهائجة . وكلها تدور حول موضوع واحد هو (الحب) الذي ينتهي نهايات قائمة سوداء . والحديث في أقاصيصهما بعيد كل البعد عن واقع الحياة يقتنصانه من خيالهما الجامح .

يرتكب البطل جريمة قتل ، لأن حبيبته سرقتها شاب غني يعيره دائماً بأنه لقيط (الأوراق الذابلة). ويقتل الزوج زوجته وصديقه انتقاماً لشرفه (نهاية قصة) وتموت الحبيبة وتركته للدموع (محمد كاذب ، بثينة) .

أما في (دموع الماس) توقع - هيام - ابن عمها في حبائلها ويترك البطل حبيبته - سلمى - ويتزوج ابنة عمه ويقعده المرض نتيجة لتأنيب الضمير فتتركه زوجته، ثم تسرع إليه حبيبته سلمى وتكون إلى جانبه في محنته . وفي (الضمير) يقتل الأخ أخاه بعد أن يجد رسالة غرام عندها ثم يكتشف براءتها فتتحرر . ويطالب صديقه الحكم بأعدامه لأنه السب في موت انسانين .

(وفي أحلام) يعود الحبيب إلى مدينته فيجد أن حبيبته التي عاهدته على الحب قد تزوجت . وفي (ابن العم) يقتل ابن العم عمه وزوج ابنة عمه ، لأن عمه رفض تزويجه ابنته . فإذا كانت الرومانسية قبل الحرب الثانية لها ما يبررها فإن استمرارها بعد الحرب لم يقدم للادب في العراق رافداً ينخصبه .

- المراجع -

- ١ - جميل سعيد ، نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ، معهد الدراسات العربية القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٢ - داؤد سلوم الادب المعاصر في العراق مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢ .
- ٣ - شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٢ .
- ٤ - صفاء خلوصي دراسات في الادب المقارن ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨ .

- ٥ - عبد الاله أحمد، نشأة القصة وتطورها في العراق مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٩ .
- ٦ - عبد القادر حسن أمين القصص في الادب العراقي الحديث مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٦
- ٧ - عمر الطالب الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، دار العودة بيروت ١٩٧١
- ٨ - عمر الطالب ، القصة العربية بين القومية والمحلية ، بحث القى في الجامعة العربية في مؤتمرها السنوي لعام ٩٧٢ .
- ٩ - محمد مندور ، الادب ومذاهبه ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ١٠ - جريدة الاخاء الوطني العدد ١٨ ، لعام ١٩٣١ .
- ١١ - جريدة الأخبار ، العدد ٤٣٥ لعام ١٩٣١ .
- ١٢ - مجلة الاديب اللبنانية ، العدد العاشر لعام ١٩٤٦ .
- ١٣ - جريدة البلاد الاعداد ٤٥ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ ، لعام ١٩٣٠ العدد ٤١٦ لعام ١٩٤٣ <http://Archivebeelibrary.com>
- ١٤ - مجلة الحاصد ، السنة الاولى ، كانون أول لعام ١٩٣٠ الاعداد ٢ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٤٢ السنة الثالثة عام ١٩٣٢ .
- ١٥ - جريدة السياسة ، العدد ٣٣١ لعام ١٩٣١ .
- ١٦ - مجلة عطار ، العدد الأول آب ١٩٣٤ .

— المصادر —

جميع القصص والروايات التي ورد ذكرها في البحث .
 الدكتور عمر محمد الطالب
 مدرس قسم اللغة العربية
 كلية الآداب - جامعة الموصل

صورة القصيدة الجاهلية

علي محمد علي الحبوبي

نظم الشعر الجاهلي في أوزان عديدة تمثلها البحور التي
أستنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي جميعاً - خمسة
عشر بحراً - وإن كانت بعض هذه البحور قد غلبت على
الشعر يومذاك ، كالطويل والبسيط والوافر والكامل
والمديد والرجز .

وتناولت القصيدة الجاهلية موضوعات مختلفة ، تنقلت
بينها ، وألزمت في التعبير عنها ، طرقاً ثابتة وصوراً
محددة وتقاليد فنية . لم تحيد عنها ولم تسع إلى تغييرها .
ذلك لأن هذه الأغراض والموضوعات والتقاليد والقوالب
التعبيرية كانت ثمرة جهود طويلة سلفت ، لانستطيع أن

نتبعها لأن التاريخ لم يحفظ لنا إلا الحلقة الأخيرة منها ، ممثلة فيما بقي لنا من
شعر القرن السابق على ظهور الإسلام . وهذه الآثار فيما بقيت تكشف لنا
عن العراقة والنضج ، وتصور إعجاب هؤلاء بما وصلوا إليه ، واعتقادهم
أن ما بلغوه يمثل النهاية التي ليس وراءها شيء يطلب . (١)

تبدأ القصيدة الجاهلية بالشبيب ، فكان الشاعر يقف على الأطلال ،
الدأرة والشخوص البالية ، بعد أن ألح عليها المطر الغزير غيب بين الأحبة
ويتبع الحبيبة في رحلتها الطويلة وفي منازلها التي تحل بها أثناء هذه الرحلة ،

(١) عن محاضرات الدكتور محمد عبد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لعام ١٩٦٤

بسبيل من ألعواطف الثائرة والمشاعر الفياضة ، ثم يُفضي إلى الصحراء الواسعة التي تجوب الريح أرجاءها ، فتثير الفزع في نفوس سالكيها وتحملهم على الحرص على بقايا الماء ، خوف الهلاك والضياح ، وتهزل النوق القوية الصلبة التي يستعين بها المسافرون على اجتيازها حتى تغدو هزلاً ضوامر لا تقوى على حمل نفسها ، بعد ذلك ألعناء البالغ والنصب الشديد . وأخيراً يعرض الشاعر — في خلال قصيدته — لألوان من الشعر تُصوّر البيئة حيناً ، وتصور ما يجري عليها من أحداث حيناً آخر ، أو يبرز المثل الأعلى ، كما يتصوره هو من ناحية ، وكما يتصوره عصره من ناحية أخرى ، وقلماً تختلف صورتان لأن ما يتصوره الشاعر مستوحى من قيم العصر ومفهوم الجماعة العربية : كأن يصور الشاعر ذلك المثل تصويراً مباشراً حين يمجّده في الفخر والمدح ووصف الحروب وأبطالها ، ويصوره تصويراً سلبياً حين يهجو كل من يتعارض معه أو يناقضه . (١)

وبهذا أصبحت القصيدة الجاهلية تجري على نظام ثابت لا يخل . فهي تبدأ بالوقوف على الأطلال ووصف رحيل الأحبة ، وتنتقل إلى وصف الناقة وتصور الصحراء وما فيها من حيوان ونبات ونجم ، ثم تنتقل إلى المدح أو الهجاء. وربما أسقط الشاعر من قصيدته قسماً أو قسمين من هذه الأقسام ، ولكن هذه الأغراض إذا كانت ممثلة في القصيدة فهي تجري دائماً على هذا النظام ، أو تنحى عليه في الأغلب الأعم .

ولما كان هذا الترتيب للقصيدة الجاهلية التزاماً لم يشذ عنه شاعر ، لهذا لا يمكن اعتبار القسم الأخير من القصيدة هو الغرض الأصيل الذي قصد إليه الشاعر وأن القسمين الأولين ما هما إلا تمهيد له ، لأن الجهد الفني المبذول في هذه الأقسام الثلاثة والعناية الكبيرة التي حظيت بها منه يدلان على أنها في درجة واحدة من حيث الثبات والأصالة والاهتمام ، ويدلان على أنهما — أي الجهد الفني والعناية — موزعان توزيعاً عادلاً لإيجاف فيه . وربما يصح هذا القول بالقياس

(١) الهجاء والهجاء في الجاهلية : ص ١٦ .

إلى الشعراء المتأخرين الذين التزموا بهذا الترتيب تقليداً ومحاكاة لانفعالاً وشعوراً. إن هذا الترتيب الذي خضعت له القصيدة الجاهلية تعبير عن الواقع الذي كان يواجهه العربي يومذاك وتصوير للحياة التي كان يحياها في تلك الحقبة من الزمن ، حين فرض عليه التنقل في مجاهل الصحراء ، بحثاً عن منابت الكلاء ومصادر المياه . وقد كانت الحياة قاسية بالغة القسوة عندما تحمل هذه القبائل على هجر أوطانها والرحيل بعيداً عن مواطن استقرارها المعهودة إلى الضرب في مناكب الأرض القلابة ، سعياً وراء ما يسد الرمق ويغطي الغليل حتى غدت حياتها الكلية عنواناً للرحيل الدائم والهجرة الموصولة ، لم تذوق فيها طعم الاستقرار شأن أهل الحواضر والمدن . وقد تلتقي عدة قبائل — تختلف أصولها ومواطن منازلها الأولى — عند مرعى معشب تستقر عليه أو غدير ماء تحف حواليه مدة من الزمن ، ثم يتبدد اجتماعها عندما ينضب الماء ويفنى النماء ، فترم كل قبيلة رحالها إلى منازلها الأولى التي غادرتها في فصل الجفاف . وكما اجتمعت هذه القبائل على غير موعد مقصود كذلك يكون التعارف عن غير قصد منها بفعل عوامل الاجتماع ووحدّة المعاش . فإذا التهاز المشرق رعي دائم ، وإذا الليل الساجي سمر موصول ، وإذا الاختلاط البريء — وما يفرضه الجوار والتعاون بين الشباب والنشابات — لانهول دونه عوائق أو عقبات . وقد يتعلق قلب شاب من هؤلاء الشباب بحب فتاة من الحي المجاور لحيه . يخالسهما النظرات ويتحدث اليه حين يلتقي بها — في ود وحنان ، فأن ضربت عصا البين بالرحيل وتهاأت المطايا للظعن ، وأقفر المكان من تلك الحياة العامرة ، أودعت هذه الحبيبة في قلب محبوبها صورة يضم الاضلاع عليها ، ويلفها بمشاعر الأسى والحزن ويلونها بالدم والدموع .

فأن ألم بالمكان الحبيب كربة أخرى مع قومه حين تدفعهم الهجرة اليه ثانية ، أو مع خواطره حين تسوقه اليه سوقاً عنيفاً ، ووقف به ساعة أو بعض ساعة ، متجولاً في ذلك الربع الدارس ممعناً النظر في مواطن الوصل واللقاء، متأملاً ما بقي من آثار الحي من وتداؤ نؤى أو إنفية أو مما تخلف

بعد الرحيل ، ناظراً إلى الغربان تنعق فيه والآرام والأبقار وصغارها نجوس نواحيه ، بعد أن كان أهلاً بقاطنيه ، ثارت الذكريات في نفسه وعصف به الشوق وتملكه الحنين ، وحلق به الخيال على أجنحته ، ليصير الجبال وهي تنهياً للسفر ، وصاحبته في الهودج بين النساء ، فيجري وراءها حتى تغيب في بطن الصحراء ، ثم يؤوب إلى نفسه بعد هذه الرؤى الحاملة التي تتخللها مناظر وألوان ليواجه واقعه وما هو فيه . (١)

فهذه المناجاة الحزينة الدائمة التي يسكب فيها خلاصة شعوره نحو الطال ليست أمراً منكراً على العربي، بعد أن أدركنا واقعه، وعرفنا الظروف التي تحيط به فالواقع المرير كان له شأن كبير في تقرير مصيره ، يوم فرضت عليه ضرورة البقاء أن يعيش متنقلاً على صفحة البيداء ، مخلفاً في كل بقعة ، فيها فلذة من كبده وقطعة من تاريخه ، لا يستقر في موطن ولا يعرف الراحة ، ويكره على التنقل ويدفع إليه دفعاً . (٢) ولهذا كانت المرأة هي السكن والقرار في هذه الحياة القاسية ، يطمئن عندها من اضطرابه ويسكن إليها من وحشته ، وقد غدا أثر شي إلى نفسه وأحبته إلى فؤاده حبيبة يسترجع معها الذكريات الحلوة والمرّة ، ويبتها لواعج هواه وشكواه ، إن أسعفته الظروف أن يلتقي بها ويحتضن معها ، فإن حال الزمان دون ذلك فلم يجد سوى الربيع يروي أديمه بدموعه تارة ويخاطبه عن الحبيبة الطاعنة المأثورة تارة أخرى ، ويتلمس كل ما لها من آثار ومخلفات في ساحته ، ويظل عند هذا الحنين كلما أثاره الشوق وعصفت به الأشجان . ويعمق هذا الحنين ويشند كلما كان الأثر أكثر اندراساً ، لأن تأثيره أقوى في ، في النفس وأعمق في استثارة العواطف والأحاسيس . (٣)

وبعد هذا الحديث الملتصق بنفسه والطاقح بأشجانه وأحزانه ينطلق

(١) عن محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لعام ١٩٥٦/٥٧

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٩ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ١١ .

إلى ذكر الصحراء والناقة والضرب في الفلوات ، وإنضاء المطي بالسفار
ووصف هذا الحيوان الوحيد الذي يقاصه سراء الحياة وضراءها .
لقد كان حديث الناقة والخوص في مجاهل البيداء لوناً من المغامرات
الآثيرة إلى النفوس الشعراء ، حين يستعيدون بهذا الحديث عنصر المخاطرة
والفتوة والشباب الذي خلفوه وراءهم .

وهذا الجزء يعدّ متمماً لتلك الخواطر والذكريات عن المرأة وألوان العلاقة بها (١)
صور هؤلاء الشعراء الناقة قوية صلبة ، قد خصتها صاحبها بمزيد العناية
ووافر الاهتمام فعلفها وأراحها وطردها عنها الفحول كي تحافظ على قوتها
ولا يرهقها الحمل . فإذا أزعج الرحيل فهي صبور تتحمل آلام الطريق وتصل
الليل بالنهار في سير متواصل دون كلل أو إعياء . حتى إذا انتهت الرحلة
بدت ضامرة ضاوية ، تشكو إلى صاحبها مما ألم بها من الازهاق والتعب والنصب
فيعزيزها على ذلك بما سينال من عطاء الممدوح ونواله . (٢)

لقد شغلت الناقة حيزاً كبيراً من القصيدة الجاهلية ، فعدوها حيناً وسيلة
لتمضية الموم كما في قول طرفة بن العبد : (٣)
وأني لأمضي المم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
وعُدوها حيناً آخر جسراً يوصلهم بالممدوحين ، كما في قول الأعشى : (٤)
لا تشكيّ إليّ من ألم النسّ سع ولا من حفا ولا من كلال
لا تشكيّ إليّ وأنتجعي الاسد سود أهل الندى وأهل الفعّال
ولهذا عكفوا عليها يصفون قوة خلقها ومتانتها ، ويقدمون لأعضائها التشبيهات
الكثيرة الملموسة التي تبرز الناقة وتجلي عناصر القوة والجرأة والسرعة التي تتحلى

(١) الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص ٣٤ .

(٢) اساليب الصناعة في شعر النمر والناقة : ص ٥٣ .

(٣) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٣٨٠ .

(٤) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٦٢ .

بها . وكان حديث طرفه بن العبد عنها مثلاً " يحنّذى ومنهجاً يُتبع عند الشعراء إذ لم يترك عضواً من أعضائها إلا وذكره وأردفه بتشبيه يبرزه ويحليّه ، وكأنه يهدف إلى أن يُقيم لها مثلاً " يتأمله ويتقرى محاسنه ، كلما شاقه ذكر الناقه وأثر أن يستحضر صورتها (١) فكان « الشعراء يسهبون في أوصافهم ويستطردون استطرادات غريبة في أحاديثهم ، وهي في معظمها تنحصر في الصفات التي تؤكد قوة هذه الناقه ، وشدة مقاومتها لعوارض الصحراء وسرعتها في قطع مسافاتها ، وفي كل صفة من هذه الصفات تتجلى براعة الشاعر الذي يمنح هذا الموصوف ما يجعله أكثر قدرة على السير وأشد مقاومة لما يعترضه من مصاعب ، وأخف سرعة في الوصول إلى المكان المحدد له » (٢) ثم كانوا يُعقبون بالصور المعهودة عن الحمار والثور والظليم ، لبيان السرعة والقوة والقدرة على مواجهة الصعاب وتحمل المتاعب والأهوال (٣)

فلا غرابة بعد ذلك كله - إذا ما أصفاه الشاعر الجاهلي خلاصة شاعره ومنحها صفو القول وأشاد بتعوتها وأوصافها وذكرها بعد المرأة الطاعنة والأطلال الدائرة ، فقد كانت شريكة حياته ، تشاطره سعيه وكفاحه ، ويتردد بواسطتها همومه وأحزانه ، وتسهل عليه بلوغ مآربه ، وتقاسمه مخاوف الليل وحرارة النهار في تلك القلاة المقفرة .

أما حديث الشاعر عن قيم العصر إيجاباً وسلباً ، متمثلاً ذلك في نفسه أو في قومه أو في شخص بعينه فيمكن أن يلاحظ في اعراض المديح والفخر والهجاء فهو في المديح يقيم مدحه على ما يراه في ممدوحه من كرم الجوار والعزة والأباء والشجاعة والفنك في الأعداء والكرم ورعاية الحقوق ، من غير أن يعتمد فيه إلى الغلو في الصفات ، ولا يتوسل إلى الصنعة في النسيج والبناء ، فالصدق أبرز ما يتحلى به الشاعر في المديح ، حتى " غدا سُنّة محبة الإحتذاء

(١) لاحظ معلقة طرفه بن العبد في : جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٣٨٠ / ٣٩٦ .

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٣٥ .

عند شعراء العصر الجاهلي في الأغلب الأعم . ولكن عندما اتخذ المديح وسيلة إلى الكسب ، وحرقة لاستدراار العطاء ، عندها أعرض عن الحقيقة ومال إلى المبالغة ، وترك البديهة إلى الصنعة ، كي يحقق ما يريد من التأثير في الممدوحين (١) فكان زهير الذي إختص بأشراف قومه وحسان بن ثابت الذي دار في فلك الغساسنة ، والنابعة الذي تعلق بأذيال النعمان بن المنذر ، أما الأعشى فقد جمعه « حرقة خالصة للمناطة والتكسب » ، إذ لم يترك ملكاً ولا سيداً مشهوراً في أنحاء الجزيرة إلا قصده ومدحه وفخم شأنه معرضاً بالسؤال . (٢) وهو في الفخر يقيم فخره على الإهتمام بالقبيلة والإعتزاز بمكانتها ، فهي موثله ومعدل رجائه ودولته التي يجد في كنفها الأمن والرعاية ، كما يرتبط معها بعقد إجتماعي أصلته التقاليد ووثقته العادات ، حتى صار الإنسان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، لا القبيلة تستغني عن شاعرها لأنه لسانها والمعتبر عنها في كل المواقف والظروف ، ولا الشاعر يستغني عن قبيلته لأنها كهفه الذي يأوي إليه ويلقى فيه الحفاوة والتكريم . ولهذا إنطلق يتغنى بمآثرها ويبين غابرها ويذكر ما تمتاز به بين القبائل من مكانة ورفعة ، من غير أن يقصد إلى التعالي على قبيلة بعينها أو يهدف إلى الرد على شاعر بعينه ، وإن كان في شعره ما يدل على هذا التعالي أو يشعر بهذا الرد المقصود (٣)

(١) العصر الجاهلي : ص ٢١١ .

(٢) العصر الجاهلي : ص ٢١٢ ، - لقد كان الأعشى على رأس الشعراء المتكسبين الذين احتفلوا بشعرهم لهذه الغاية ، أنظر ما قاله في الأسود المنذر بن ماء السماء « لا تشكي إلي واتجسبي الأسود..... » في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٦٢ وما بعدها ، وديوانه ص ٧ وما بعدها .

(٣) أنظر معلقة لبديع بن ربيعة من قوله « إنا إذا ألتقت المحافل لم يزل... » في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ٣٢٨ وما بعدها ، وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٤٤٨ وما بعدها ومعلقة عمرو بن كلثوم في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٤٤ وما بعدها ، وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٦٢٨ وما بعدها ، ومعلقة الحارث بن حلزة الشكري في شرح القصائد التسع المشهورات ص ٥٦٣ وما بعدها ، ولم يرد لها ذكر في جمهرة أشعار العرب إذ لم تعتبر - عدد بعض الدارسين القدماء - من المملقات .

١٧/٢

ثم هو في الهجاء يقيم هجاءه على كل ما يناقض المثل العليا عنده وعند المهجو على حد سواء ، مناقضة مبنية على السخرية والاستهزاء ، إذ يصمه بالبخل الذي كان في عرف الناس كلهم وفي عرف العصر نبزاً يرمى به الرجل وطعناً تنفذ فيه سهام الشاعر ، عندما يتصوره - مثلاً - شعبان ممتلئ البطن من الطعام وجيرانه يتصورون جوعاً لا يجدون ما يتبلغون به ، دون أن يلتفت إليهم ويتقدمهم من مسغبتهم . أو يصمه بالخبث والإستقامة إلى الدعة والسكون ، والأرض من حوله تموج بالأبطال من ذوي المآثر والأفعال ، حتى يمزقة ويقض مضجعه ويحبل نهاره إلى ليل مظلم لا يرى من خلاله بارقة النور . (١) وبهذا ندرك أن ترتيب القصيدة الجاهلية لم يأت إعجاباً ولا حملاً للنفس على نهج مرسوم وطريق معلوم ، ولكنه ترتيب تفرضه المشاعر وتقدره وجدانات الشاعر قوة وضعفاً . فهي وحدة مترابطة ، على الرغم من تشتت الموضوعات التي تضمها وتباعد العلاقة بينها ، لأنها مستمدة من تجربة عاطفية ، ومن واقع له سلطانه على الناس والشعراء على حد سواء . وقد استقرت هذه الصورة في ذهن ابن قتيبة ، حتى جعل من الشاعر الخبيث من يفتح قصيدته بذكر الديار والدمن والآثار ، فيكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ، ويذكر أهلها الظاعنين وانتجاعهم الكلاً وتبعهم مساقط الغيث ، ثم يصل ذلك بالنسيب ، فيشكو شدة الوجد وألم القراق ، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ، بعد ذلك يرحل في شعره فيشكو النصب والسهو وسرى الليل وحر الهجير ، وإنشاء الراحة والبعير ، ثم يدلف إلى المديح فيبعث الممدوح على المكافأة ويهزه للسماح

(١) أنظر ما قاله الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة :

ديبسون في المشى ملا ما بطونكم وجاراتكم غرث يستخفنكم
ديوانه : ص ١٤٩ .

وما قاله قريظ بن أبيث في هجاء قومه الذين ألفوا الذل والهوان :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
عن ديوان الحماسة : القسم الأول ص ٢٢ وما بعدها :

ويفضله على الأشباه . « فالشاعر الحيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد» (١) .

وشاعت في القصيدة الجاهلية تقاليد أخرى ، من قبيل الإلتزام بقوالب تعبيرية معينة ، والإستعانة بتشبيهات متكررة ، وذكر صور واحدة . فمن القوالب التعبيرية المعينة الإلتزام بأسلوب واضح في طريقة التخلص من صورة إلى أخرى . فإذا أراد الشاعر أن يتخلص من الغزل إلى وصف الرحلة تخلص بطريقة معروفة قلماً يشذ عنها .

فإن كان واقفاً بالأطلال قال لما رأيت ان الاطلال لانجيني نهضت إلى ناقي . وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبه قال : هل تلحقني بهم ناقة ؟؟ وإن أحب أن يذكر صلود صاحبه عنه وإعراضها قال : فصرم حبلها وأقطع ودّها مثلما قطعت ودك بالسفر على الناقة شديدة . وإن ذكر ما كان بينه وبينها من ود قال : فدعها وسلّ الهم عنك بحسرة . (٢) ومن التشبيهات المتكررة ما يتعلق بالصحراء والناقة ، مثل تشبيه الطرق في الصحراء بالخطوط في الكساء ، وأعلام الطريق بالرجال ، ووحشة الصحراء بصوت اليوم أو بعزيف الجفن أو بنواح الخلاء ، والهوارج في الصحراء بالسفن في لجج البحر . (٣) ووصف الصحراء بأنها مطموسة المسالك ، مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير سائغ . وتشبيه الناقة بالبنيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها وتصويرها بعد الرحلة هزلاً ضامرة ، وتصوير نشاطها في الهجرة حين يخفق السراب وكأن هيراً قد علق برجلها فهو ينهشها ويبعثها على الإسراع . وتشبيه هيكليها حين تضمر وقد ارتفع فوق أرجلها بتابوت الميت

(١) الشعر والشعراء: ج ١ - ص ٢٠ والنص من ص ٢١ .

(٢) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص ٧٤/٧٥ .

(٣) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص ٧٨-٨١ .

وقد حمل على هام الرجال ، وآثار السيور في جسمها المهزول باثار المشي
أو الماء في الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، وذنبها بشمراخ البلح ،
وعينها بالمرآة ووصفها بأنها تستخف بالردف ، وتسير ولا طعام لها إلا
ما تجتر فضل ماني معدتها ، وأنها تنثر الحصى لسرعتها . (١)

ومن التشبيهات أيضاً ما يتعلق بمختلف الأعراض ، فمن ذلك تشبيه الأطلال
باثار الوشم وبالكثابة البالية ، والنساء بالطباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن
الصافية بالؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجههن بالقمر الوضاء ، وأسنانهن
بالؤلؤ ، وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط
الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد الغزال ، وربقهن بالحمر
وبالعسل ، وأناملهن بهداب الحرير ، وقوامهن بغصن البان ، ومشيهن بمشي
القطا ، وكنائتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صفر الوشاح) وعن ضخامة
الأرداف بقولهم (ملّ الدرع) وعن امتلاء الساقين بقولهم « صامطة الخللخال » .
ومن تشبيه الوصل بالجل ، وقيض الدموع بفيض الدلاء ، وألحج بالأسير
والسكران ، والشجاع بالليث وبالسيف ، والكريم بالبحر وبالغيث ، والقامة
بالرمح ، والحرب بالمروعة بالناقة . العجوة وباللؤلؤ والشرس ، والذي يثير
الحرب ويؤججها والذي يمد النار بالخطب ، والموت بالكأس المرة ، والفرس
السريع بالعقاب بالسايح ، والفرس الطويل الظهر بمذع النخلة وبقناة الرمح .
وتصويره في سرعته وكأنه يباري رمح راكبه محاولاً أن يسبقه ، والسهام
في سرعتها حين تنطلق بالنحل ، ولمعان السيوف بترقق صفحة الغدير ،
والعدو المغير بالضيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقرى على سبيل التهكم ،
وكنائتهم عن الطويل القامة بأنه طويل النجاد ، وعن الشريف بأنه رفيع
العماد ، وعن المنجد ذي المروءة بأنه واري الزناد . (٢)

(١) مقدمة ديوان الأعشى : ص ٥ - ص ٦ .

(٢) مقدمة ديوان الأعشى ص : ٦ .

ومن الصور ، صورة الحمار الوحشي عندما تتنكر له الطبيعة ، وتسد عليه مسالك العيش ، حتى يتبرم من واقعه ، فيسعى ليطفى ظمأه وظماً أتاناه التي يسوقها سوقاً عنيفاً ويحرص عليها من الفحول ، وهي تنفر منه وتقيه برجليها إذا مادنا منها ، ليرد بها عين ماء حفت بالعشب الطويل الذي يكمن فيه الصائد ، وعندما يقترب من الماء ، ويهم أن يمدس فمه فيه ، أذا بسهام الصائد تنصب عليه ، فيفر منها مسرعاً لا يلوي على شيء ، تتبعه اتانة بسرعة .

وصورة الثور حين تدهمه السماء بغيث منهمر ، يفر منه إلى شجرة الأروطى عند نجوة من الأرض ، ليقضي الليل مندساً بين أغصانها ومع بشائر الفجر يعدو مسرعاً ، فإذا بالأرض تنشق عن كلاب ضارية تعدو وراءه بهمة ظاهرة فيكر عليها مستبلاً في الدفاع ، حتى يظهر عليها ويخلفها تخوض بدمائها ثم صورة الظليم والنعامة ، حين يدركهما الظلام وهما في مكان من الصحراء فيجريان بهمة متناهية ليدركا أفرأخهما قبل إشتداد الظلام ونزول البرد . (١)

لقد كانت هذه القوالب التعبيرية والتشبيهات المختلفة والصور المعهودة مما تعارف عليه الشعراء الجاهليون ، حتى غدت تقاليد فنية التزموا بها في قصائدهم . وقد يأتي بعض الشعراء بالمبتكر من هذه الصور والتشبيهات بحسب ما تسمح به بيئته وآفاق خبرته من القرب أو البعد عن مصادر الحضارة والثقافة .

فزهير بن أبي سلمى تغلب عليه الحكمة ، كما تغلب عليه الصنعة والصقل ، ويهتم في بعض جوانب شعره بالتصوير والتفصيل لبعض المشاهد ، وتلوين هذه المشاهد بألوان زاهية محببة إلى نفسه . (٢) ونلاحظ عند الأعشى ظاهرة أسلوبية واضحة ألا وهي الإستدارة وقد تأثر بها الأخطل التغلبي من الشعراء الدولة الأموية ، وهي صورة من صور الترابط الذي يقوم بين الأبيات ، وألقصود بها توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق يقوم

(١) أساليب الصناعة في شعر الحر والناقة : ص ٥٣ وما بعدها ، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : لوحة الصيد : ص ٤١ ، وما بعدها .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ص ٢٤ وما بعدها ، وديوان زهير : ص ٩-١٣ .

فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى العام لا يتم إلاّ بالبيت الأخير منها . (١) وفي شعر النابغة وأخنساء شواهد على هذه الظاهرة .

كما نجد عند الأعشى أيضاً وعند إمريه القيس ظاهرة القصص ، حين يسوقان الغزل أحياناً على صورة الحوار ، ويتطرقان فيه إلى ما يقوم بينهما وبين النساء من الحديث . فالأعشى يمهد للقاء بصاحبته برسول يعثه إليها فيحسن الدخول إلى مضاربها بعد أن يفلت من أعين الرقباء ، ليخبرها بموعد زيارة الأعشى ، ثم يأتي الأعشى ليأخذ قسطه من الحديث والمعاينة وأنجنون . (٢) أما إمروء القيس فيقصص صاحبته من غير رسول ، حين يسمو إليها بعد أن ينام أهلها ، وتدور بينهما كأس الحديث ، ويأخذ معها في المعاينة واللهو حتى يقضي مأربه ، وهي تخبره بمخاوفها إن علم أهلها بوجوده معها ، لكنه يسكن روعها باستعداده للقتال وقدرته على التحدي والتزال . (٣) فهذه هي القصيدة الجاهلية في كل ما تناولته من موضوعات ، وما التزمت به من ألوان التعبير وطرق التخلص من موضوع إلى آخر ، والتشبيهات والصور المعهودة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١) مقدمة ديوان الأعشى: ص - غ والشاهد في قصيدة : « ودع هريرة..... » في قوله :

ما روضة من رياض الحزن مشية	خضراء جاد عليها سبل هطل
يفضحك الشمس منها كوكب شرق	مؤزر بعميم النبت مكتمل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة	ولا بأحسن منها إذ دنا الاصل

(٢) مقدمة ديوان الأعشى: ص ب - م ، وقسم من القصائد التي عرضت هذه القصص .

(٣) ديوان إمريه القيس : ص ٣١-٣٣ ، ونجد مثل ذلك في المعلقة التي ملأها بقصص النساء مثل قصة دارة جلجل ، وقصة بيضة الخدر ص ١٠-١٨ .

المصادر :

- ١ - أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين ،
للدكتور محمد محمد حسين - مطبعة دار النشر والثقافة - الإسكندرية
مصر - ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : لأبي زيد محمد بن أبي
الخطاب القرشي ، تحقيق : علي محمد البجاوي = مطبعة لجنة البيان
العربي - مصر - الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٣ - ديوان الأعشى الكبير - ميمون بن قيس بن جندل - تحقيق وشرح
الدكتور محمد محمد حسين - المطبعة النموذجية - مصر - ١٩٥٠ م
- ٤ - ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة
دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٥ - ديوان زهير بن أبي سلمى : شرح الامام ثعلب - مطبعة دار الكتب
المصرية - مصر ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .
- ٦ - شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي -
تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون - مطبعة لجنة التأليف
والنشر والترجمة - الطبعة الأولى - مصر - ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
- ٧ - شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس
تحقيق أحمد خطاب - مطبعة الحكومة ، بغداد - الطبعة الاولى
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٨ - الشعر والشعراء : لأبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة - مطبعة دار الثقافة
بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٦٩ م .
- ٩ - الشعر العربي بين الجمود والتطور / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي
طبع مصر

- ١٠ - العصر الجاهلي : للدكتور شوقي ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر
الطبعة الثالثة ١٩٦٠ .
- ١١ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي : للدكتور شوقي ضيف - مطبعة
دار المعارف بمصر الطبعة السابعة = ١٩٦٠ م .
- ١٢ - محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطبعة السنة الثانية في جامعة
الاسكندرية ١٩٦٤
- ١٣ - الهجاء والهجاءون في الجاهلية : للدكتور محمد محمد حسين - مطبعة
أحمد نجيم مصر / الطبعة الاولى / ١٩٤٧ م .
- ١٤ - وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية - للدكتور نوري حمودي
القيسي - مطبعة دار الكتب في الموصل - الطبعة الاولى - ١٣٩٤
- ١٩٧٤ م .

علي محمد علي الحبوبي

مترجم قسم اللغة العربية
كلية الاداب - جامعة الموصل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

مَحْمَدُ بْنُ كُنَاسَةَ السَّدُوسِيّ

حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابه: الأنواء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحن ، هنا ، آراء شاعر زاهد ورواية من العصر العباسي الأول لم يحفل به الرواة ، كما ينبغي ، إذ لم يدونوا - على الرغم من أن القرن الثاني كان قرن تدوين - من أخبار حياته وشعره إلا القليل القليل ، وقد عَمِرَ .

والقليل من أخبار حياته التي انتهت إلينا لا تكاد تجلو لنا حياته ، فضلا عن اضطرابها في اسمه وأسم أبيه ووفاته . والقليل من شعره الذي جمعناه ، ليس سوى مقطوعات - في أغلبها - يبدو فيها قصير النفس .

وأكثر من ذلك فإن تصانيفه الثلاثة مفقودة ، اللهم إلا نقولات يسيرة من أحدها ، سأفرد لها فصلة خاصة بعنوان: نصوص باقية من كتاب: (الأنواء) لابن كناسة .

وبعدُ فأنا أرى أن خمول ذكر هذا الرجل معزو إلى زهده واعترازه بكرامته وأنصرافه إلى رواية الشعر والحديث بعيداً عن أنتجاع الاشراف والسلطان .

وليسعني بآخره ، إلا أن أجزل الشكر لأخي عبد الوهاب محمد علي العدواني على جملة فوائد أعانتني في ما أقدم . ومن الله العون .

محمد قاسم مصطفى

القاهرة ١٢/١٥ / ١٩٧٤

حياته

اسمه ونسبه :

اتفق لنا سياق نسبه ، من الروايات الكثيرة التي دارت حول اسمه واسم أبيه وجده ، على أنه : محمد بن عبدالله (الملقب بكُناسة) بن عبدالأعلى بن عبيد الله ابن خليفة .. بن مازن .. ويفضي في آخره إلى : أسد بن خزيمه .
وإذ ذكرت بعض الروايات الجدل الثاني بأنه : عبدالله (١) ، فقد أسقطه بعضها الآخر . (٢)
واعتور اسم أبيه واسم جده خلط كبير في المصادر التي اتصلت بها ، على النحو الذي تراه :

محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة (٣)

محمد بن عبدالأعلى بن كناسة (٤)

محمد بن أبي عبدالله بن عبدالأعلى (٥)

محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالأعلى بن عبدالله (٦)

محمد بن عبدالله بن يحيى كناسة (٧)

ويحيى ابن خلكان فيذكره بقوله (٨) : «محمد بن كناسة ، وهو لقبه ،

واسمه : عبدالأعلى بن عبدالله بن خليفة ...»

(١) تاريخ بغداد ٤٠٤/٥ ، انباء الرواة ١٥٩/٣ ، نور القبس ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٢١٠/٢ ،

تهذيب التهذيب ٢٥٩ / ٩

(٢) الأنساب ٤٨٧ ب ، الباب ٥٢/٣ .

(٣) المرح والتعديل ٢٢ مج ٣ ص ٣٠٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٤٠١/٦ ، المعارف ٥٤٣ مراتب التحوين ٧٣ ، الأغاني ٩٠/٢١ ، طبقات

الزبيدي ٢١١ نور القبس ٢٩٧ ، بنية الوعاة ١٢٦/١ .

(٥) الكامل في التاريخ ٣٨٥/٦ .

(٦) نور القبس ٢٩٧ .

(٧) أنوار الربيع ١٥٤/١ .

(٨) وفيات الأعيان ٢١٠/٢ .

أما ابن النديم (١) - وشايعه اسماعيل بن محمد البغدادي - (٢) فقد شذّ في اسم الرجل واسم أبيه ، فهو عنده : عبدالله بن يحيى . كذلك ، شذّ في أمالي المرتضى ، (٣) فجاء : «عبدالله بن عبدالأعلى» .
ليس هذا فحسب ، فقد اضطرب المصدر الواحد في سياق نسبة .
فهذا ابن أبي حاتم الرازي (٤) أوردته صحيحاً ، وبادر فقال : «وهو محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة» .
وهذا أبو الفرج الأصفهاني جاء بنسبه الصحيح في ترجمته له ، (٥) ثم ساقه لنا في موضع آخر على نسق لا تتفق فيه معه ، هو : «محمد بن عبدالأعلى ابن كناسة» .

وبعد أن ثبت ابن النديم ما شذّ من اسمه واسم أبيه : «عبدالله بن يحيى» ، سردهما صحيحين في ما قرأه بخط ابن الكوفي (٦) في موضع آخر من مؤلفه. (٧)
وقص أثره في ذلك اسماعيل بن محمد البغدادي . (٨)
أما نور القبس (٩) فنص على : محمد بن عبدالأعلى بن كناسة ، ثم أوردته بقول آخر فيه ، هو : «وقيل : محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالأعلى ابن عبدالله» . وهما مما لانحيل إلى التسليم بهما .
ولم يشأ المرزباني أن يدع النسب مضطرباً إزاء تضارب الروايتين ، وإنما

(١) الفهرست ٧٠.

(٢) إيضاح المكنون ٥٠٧/٢ ، هدية العارفين ٤٣٩ ، وأنظر : الكنى والألقاب ١/٣٩٣ ، سقات أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم) ، القزويني وشروح التلخيص ٤٦٢ .

(٣) ١٧١/١ .

(٤) الجرح والتعديل ٢ مج ٣ ص ٣٠٠ .

(٥) الأغاني ١٣/٣٣٧ .

(٦) الفهرست ٧٠ .

(٧) الفهرست ٩١ .

(٨) هدية العارفين ٤٣٩ .

(٩) ص ٢٩٧ .

قطع بصحته في قوله : «كذا في هذا النسب ، والصحيح أن كناسة هو
عبدالله ، أبو محمد (بن) كناسة » .

وواضح مما أسلفنا . أن الخطأ الذي طالعنا به طائفة من مصادر ترجمته
يمكن أن يعزي إلى ما وقع في مساق نسبه من تحريف أو اقحام (ابن)
أو (أبي) .

ويكنى أبا يحيى . وانفرد ابن النديم (١) — عدا ما قرأه بخط ابن الكوفي —
بأنه يكنى أبا محمد . وفقا أثره اسماعيل بن محمد البغدادي (٢) أيضاً .

وتردد ابن حجر العسقلاني فذكر الكنيتين . (٣)

نسبته :

عرف شاعرنا بابن كناسة . ويرد هذا اللقب على أنه لأبيه ، وهو ما أميل
إليه ، لكن جماعة ممن ذكروه كذلك ، أوردوه بقولهم (٤) : «وقيل : لقب
جده» .

ومن هنا ، كانت نسبته «الكناسمي» . (٥) وهي عند ابن الأثير (٦) ليست
نسبة إلى «الكناسة» محلة بالكوفة تباع بها الدواب ، (٧) وإنما هي نسبة إلى الجدة .
وروى لنا المرزباني (٨) ما قيل في سبب هذا اللقب ، الذي أطلق على أبيه ،
بأن أمه رأت ، وهي حامل به ، كأنها وجدت في كناسة سواراً ، أو أنه

(١) الفهرست : ٥٧٠ .

(٢) إيضاح المكنون ٥٠٧ / ٢ ، هدية العارفين ، ٤٣٩ ، الكنى والألقاب ١ / ٣٩٣ ، سرقات
أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم) ، القزويني وشروح التخليص ٤٦٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، أنباء الرواة ٣ / ١٥٩ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، تقريب
التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٥) الأنساب ، ٤٨٧ ب ، الباب ٣ / ٥٢ ، تبصير المشتبه ٣ / ١٢٢٠ ، تاج العروس / كنس .

(٦) الألباب : ٣ / ٥٢ .

(٧) الأنساب ٤٨٧ ب ، معجم البلدان ٤ / ٤٨١ .

(٨) نور القيس ، ٢٩٧ .

كان آخر أولادها ، فكأنه كنانة بطنها .
كذلك ، هناك نسبة صريحة نمته إلى أسد ، وأحياناً إلى الكوفة .
مولده ووفاته :

وإذا كان الرواة قد اضطربوا في اسمه واسم أبيه وجده ولقب أبيه ، فإنهم
اتفقوا على مولده بالكوفة سنة ثلاث وعشرين بعد المائة ، ثم يأخذ الاضطراب
طريقه إلى وفاته . فإن شعره يقفنا على إحساسه بتقدم السن ، فقال — وهو
يطوي سبعين من سني عمره : (١)
كَأَنَّ سَبْعاً مَضَتْ لِي فِي تَصَعُّدِهَا

إلى الثمانينَ كَانَتْ غُدْوَةَ الغادي

وصار ينوء بالضعف والعجز في آخر عمره ، فما هو بمستطيع أن يزور
صديقاً له كان قد أُلِفَ زيارته . قال : (٢)
ضَعِيفْتُ عَنِ الْإِخْوَانِ حَتَّى جَفَوْتُهُمْ

على غير زاهدٍ في الإخاءِ ولا الودِّ
ولَكِنَّ أَيْلَامِي تَحَرَّ مِنْ مَتْنِي

فما أبلغ الحاجات إلا على جهْدٍ
وذهب المرزباني إلى أنه عمّر طويلاً ، غير أنه لم يصب حين قال : (٣)
انه قارب التسعين .

وذهب ابن سعد (٤) — (٢٣٠هـ) إلى أن ابن كنانة مات سنة تسع ومائتين .
ونقل لنا الخطيب البغدادي (٥) قول ابن قانع — (٣٥١هـ) الذي التقى فيه
مع ابن سعد في تاريخ الوفاة ، لكن الخطيب يعود فيرى السنة التي استقرت عندها

(١) القطعة ٨ .

(٢) القطعة ٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ ، تقريب التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٤) اللبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ ، وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٨ ، بغداد ، وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

أغلب المراجع ، فقد توفي بالكوفة لثلاث خلون من شوال سنة سبع ومائتين ،
على عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) ، بعد حياة استغرقت أربعاً وثمانين سنة.
نشأته وحياته :

نشأ بالكوفة في مستهل العصر العباسي الأول وما صاحبه من تغيرات اجتماعية
وفكرية . ثم انتقل إلى بغداد ، مقر الحكم ، فأقام بها (١) . لكن ستاراً
صفيقاً يسدل بيننا وبين تلك النشأة وهذه الإقامة . فنحن نجعل : كم قضى من
عمره بالكوفة ومتى انتقل إلى بغداد ، وكم أقام بها ! وما بين يدي من مصادر
لا تفصح عن شيء من ذلك .

أضف إلى ذلك أننا لا نكاد نعرف من حياته الطويلة إلا التزر اليسير .
وكل ما وقفت عليه من حياته الاسرية هو اسم أمه : حسنة بنت موسى بن
موسى بن جابر . (٢) وهي من بني عجل . (٣) أما أبوه فلم أجد له ذكراً .
وكانت له زوجة يضيق بها ذرعاً ويغضها ويثقل عليه مكانها . فقال معرضاً
بها ، وقد مرّ بمصلوب على جذع : (٤)

أيا جذع مصلوب أتى دون صلبه
ثلاثون حولاً كاملاً ، هل تبادل ؟
فما أنت بالحمل الذي قد حملته

بأغرض مني بالذي أنا حامل
وأنجب ، في ما عرفنا من أولاده ، اثنين : يحيى ، وقد تحفظته المنية
منه فحزن عليه حزن زاهد ، (٥) وعبد الأعلى الذي روي أن أباه كان يسدي
إليه النصع ويعظه في صغره . وشعره أفصح عن العناية التي كان يوليها في
تربيته ، وقد رآه يلعب مع أحداث لم يرضهم فنصحه بتركهم . (٦)

(١) الفهرست : ٧٠ ، تاريخ بغداد ، ٥ / ٤٠٤ .

(٢) الأنباة ٥ / ١٦١ نقلاً عن المرزباني .

(٣) الأغاني ١٣ / ٣٤١ .

(٤) القطة ١٧ .

(٥) القطة ١٩ .

(٦) القطة ٢٥ .

وخاله (١) أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) ، من رواد التصوف الاسلامي . وقد لقيه شاعرنا في الكوفة حين وفد إليها (٢) ورثاه بعد وفاته . (٣) وليس بعيداً أن يكون له أثر ما في اتجاهه — هو الآخر — إلى الزهد . والرجل الأخير الذي نعرفه ممن يمتنون إليه بصلة النسب ، هو عم شاعر اسمه : أبو سماك الأسدي . (٤)

وإلى ذلك ، كانت له جارية شاعرة يقال لها : دنانير ، عرفت بالظرف والذكاء وسعة الثقافة والقدرة على المشاركة في الأحاديث . ومن هنا كان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر . (٥) وكان يعتز بها ، فلما ماتت حزن عليها ، ورثاها . (٦) صفاته وشخصيته :

شخصية ابن كنانة شخصية زاهد ، أبي النفس ، صالح . ولذلك ، أمسك عن المدح والهجاء . وعلى الرغم من أن حاله رقت وعاش الكفاف ، فإنه أعرض عن انتجاع السلطان والأشراف يعلمه أو بشعره . وحسبنا أن نرجع إلى قوله : (٧)

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تُوْنِبْنِي — أن صنت عِرْضِي — عصابة

لها بين أطنابِ اللثامِ بصيصُ

يقولون : لو غمضت لأزددت رفعة

فقلتُ لهم : إني ، إذن ، لحريصُ

(١) وقيل : ابن خاله (الأغاني ١٣ / ٣٤١) .

(٢) الأغاني : ١٣ / ٣٤١ ، نور القيس ٢٩٨ .

(٣) القطعة ٢٤ .

(٤) انظر خبره في الأغاني ١٣ / ٣٤٤ ، المختار ٧ / ٧٣ ، المهذب ٩ / ٥ .

(٥) الأغاني ١٣ / ٣٣٧ ، المختار ٧ / ٧١ ، التجريد ٢ / ١ / ١٥٣١ .

(٦) القطعة ٢٨ .

(٧) القطعة ١٤ .

أَتَكَلِّمُ وجهي - لا أبأ لأبيكُم -
 مطامعُ عنها للكرامِ محيصةٌ ؟
 معاشي دوينُ القوتِ ، والعرضُ وافر
 وبطنِي عن جدوى اللثامِ خميصُ
 لنجده يرفع عقبرته برفض المطامع وعطابا اللثام ، ويحرص على كرامته وعفته .

وهو متواضع ، لا يجد غضاضة في خدمة أسرته . فقد مرّ في الكوفة ،
 ويده بطن شاه يحملها إلى عياله ، ويعرض عليه رجل أن يحملها عنه فيرفض ،
 ويقول : (١)

لا ينقصُ الكاملُ من كاليه
 ما جرّ من نفعٍ إلى عياليه
 وهناك عنصر آخر من عناصر شخصيته هو أن ظاهره وباطنه سواء .
 وكان يعكس هذا العنصر عندما أبدى امتناعه من رجل يمت إليه بصلة ،
 كان يحالسه ويكتب الحديث وينفقه ويظهر نسكاً وأدباً ، ثم أطلع منه على
 باطن يخالف ظاهره ، فقال له : (٢)

ما من روى أدباً فلم يعمل به
 ويكفّ عن دفعِ الهوى بأريب
 حتى يكون بما تعلّم عاملاً
 من صالح ، فيكون غير معيب
 لكن تلك السمات التي امتازت بها شخصيته ، لم تحل بينه وبين حبه للجمال
 والطبيعة والظروف .

(١) القطعة ٢٢ .

(٢) القطعة ٣ .

فقد كان يخرج إلى الحيرة في وقت الربيع مع جاريته وصديق له ليتمتع بالطبيعة وجمالها (١).

وهو ظريف عف ، فقد مرّ في طريق الكوفة بجويرية جميلة تلعب للكعاب و(٢) داو بينهما حوا (٣).

قال لها : أنت ، أيضاً ، لوضعت لقالوا : ضاعت جارية . ولو قالوا : ضاعت ظبية كانوا أصدق . قالت : ويلي عليك ، يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام ؟ ! فكُشف ثم تراجع ، وقال :

وإنسي حلّو نخبري ، إن خبرتني
ولكن يَغْطِينِي ، ولا ريبَ بي ، شَيْخٌ
تسمت ، وهي تلعب ، وقالت : فما أصنع بك ؟ فقال : لا شيء وانصرف .

ولتقف عند زهده ، صفة بارزة من سمات شخصيته ، ولنحدد طبيعته . زهده :

في القرن الثاني ، تمارجت عناصر المجتمع وتداخلت وشائج الثقافة وتبلورت آراء ومذاهب في مراكز الحضارة الإسلامية ، ومنها : الكوفة . وعلى النقيض من تيار المجون ، نشأ تيار آخر انضم إليه فقهاء وزهاد . واتسعت حركة الزهد وتباينت : فاتجاه مثله أبو العنابية وتأثر فيه بعناصر دخيلة ، لكن ابن كناسة كان من طور الزهد الذي بُلّ من تلك العناصر . فكان زهده اسلامياً محضاً ، (٤) اتسم بالطابع الوعظي . (٥)

(١) الورقة ٨٩ ، الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، بدائع البداه ٢١٨ .

(٢) الكعاب : نصوص الترد .

(٣) الأغاني ١٣ / ٣٣٨ ، مذهب الاغاني ٢ / ٩ .

(٤) أبو العنابية : ٦٤ .

(٥) أبو العنابية : ٢٥٢ .

ولا غرو أن للبيئة أثراً في سلوكه سمّت الزهد في الحياة والشعر ، ولربما كان لحاله إبراهيم بن أدهم الزاهد وانصرافه إلى سماع الحديث النبوي وروايته ، أثر واضح في هذا الاتجاه .

ولزهد مظاهر ، منها أنه ترفع عن التذلل للأشراف أو التقرب للسلطان - على الرغم من فقره ، وأثر العيش على الكفاف ، واعتد بنفسه وكرامته . لذلك ، لا نعرف له مطامح تدفعه إلى معترك الخلافات المذهبية والسياسية التي عنت في هذا القرن ، وقد جاء بغداد - مصطرع الآراء والمذاهب - وأقام فيها ، كما أسلفنا .

ثقافته وروايته :

ليس بين أيدينا ما يدل الغلة عن تعلمه . وكل ما ألمانا به أنه نشأ بالكوفة ، وأخذ عن جلة الكوفيين ، والتقى برواة الشعر وفصحاء بني أسد ، وأبرز هؤلاء : جرّي وأبو الموصول وأبو صدقة (١).

وصار يعرف بالنحويّ الاخباري (٢)، وذكره الزبيدي (٣) في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين .

وشهر ، أيضاً ، بين شعراء الكوفة وعلمائها الرواة للشعر والأخبار والحديث (٤) وأورده ابن سعد (٥) ضمن الطبقة السابعة من طبقات الكوفيين في الحديث .

واتفق الذين تحدثوا عنه أن له علماً بالعربية وأيام الناس والشعر . ونظرة في آثاره التي أشادت المصادر إليها ، تقفنا على تنوع ثقافته وقد لعبت الرواية دوراً بارزاً في تدوين التراث العربي الخالد ، وبخاصة في القرن الثاني الهجري ولابن كناسة حظ في رواية الشعر وأخبار شعراء ممن يستشهد بشعرهم ، فضلاً عن رواية الحديث

• • •

(١) الفهرست ٤٧٠، الإنباه ٣ / ١٦١ .

(٢) المعبر ١ / ٣٥٣ ، طبقات النحاة ١٣٨ ، الشذرات ٢ / ١٧ .

(٣) طبقات النحويين ٢١١ ، البغية ١ / ١٢٦ (نقلا عن الزبيدي) .

(٤) نورالقيس ٢٩٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .

(٥) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ .

أما الشطر الأول من روايته فأطلّ علينا فيه رواية لشعر الكميت بن زيد الأسدي وأخباره (→ ٥١٢٦) .

فقد أفادنا أبو الطيب اللغوي (١) نقلاً عن أبي حاتم أن ابن كناسة كان يعرف شعر الكميت .

وذكر ابن النديم (٢) أن جماعة روت شعر الكميت عن ابن كناسة ، الذي رواه عن جزي وأبي الموصول وأبي صدقة ، ممن عرفوا برواية الشعر والفصاحة بالكوفة من بني أسد .

وفي الأغاني (٣) والموشح (٤) أخبار وشعر للكميت مروية عن ابن كناسة . حقاً ، أن ابن كناسة ألّف كتاباً في سرقات الكميت من القرآن وغيره لكنه زاد عنه وردّ على اسحاق بن ابراهيم الموصلي حين تتبّع مساوئه وعيوبه في شعره . (٥) وهذا دليل على أنه لم يكن متعصباً للكميت أو عليه .

وروى لنا شعراً وأخباراً لنصيب (٦) (→ ٥١٠٨) ، وفي الرمة (٧) (→ ٥١١٧) ، وأبي عطاء السندي (٨) (بعد ٥١٨٠) .

وروى لقاء أديباً بين الكميت ونصيب (وقيل : ذي الرمة) ألقى الكميت فيه شعراً نقده عليه نصيب . (٩) كذلك ، روى عن حماد الرواية خير قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلى وتعتاني الطرب

كان الوليد بن يزيد قد استنشده إياها (١٠) .

(١) مراتب التحوين ٧٣ ،

(٢) الفهرست : ١٥٧ . وأنظر : شعر الكميت ١ / ٦٥ .

(٣) الأغاني ١٧ / ٣ ، ٨٤ ، ٢٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٤٤ ، ٣٦٤ ، ١٨٤ ، ٧ / ٢١ ، ٩٠ .

(٤) الموشح ٤٠ ، ١٩٧ .

(٥) الموشح ٤٠ .

(٦) الأغاني ١ / ٣٢٦ ، ٣٥١٤ ، ٢٧٣ .

(٧) الأغاني ١٨ / ٨ ، ٤١٤ .

(٨) الأغاني ١٧ / ٣٢٧ .

(٩) مجالس الملوك ١٨١ ، الموشح ١٩٣ .

(١٠) الأغاني : ١ / ١٤٠ .

وذكر ابن كناسة أنه رأى عائكة التي وردت في شعر الأحوص :
 بابيت عائكة التي اتعزل^(١)

* * *

وهذا شطر آخر ، له أثره وخطره ، هو أنه محدث . فلقد روى
 لأئمة عرفوا في وقته بالثقة ، عن طريق السماع . (٢) ومنهم (٣) هشام
 ابن مروة بن الزبير (١٤٥ أو ١٤٦هـ) ، وأبو محمد سليمان بن مهران الأعمش
 (١٤٨هـ) ، وميسرة بن كيدام (١٥٣هـ) ، وعمر بن ذر الهمداني
 (١٥٣هـ) ، وجعفر بن برقان (١٥٤هـ) ، وفطر بن خليفة (١٥٥هـ) ،
 وعبد العزيز بن أبي داود (١٥٩هـ) ، وسفيان الثوري (١٦١هـ) ،
 والمبارك بن فضالة (١٦٤هـ) ، ويحيى بن أبي الهيثم العطار . (٤)
 ونص الخطيب البغدادي على أنه وفد إلى بغداد وروى عن : هشام بن
 عروة ، واسماعيل بن أبي خالد ، وسليمان الأعمش وجعفر بن برقان . (٥)
 ومن هنا : فإنك لو اجد أصحاب الحديث يكترون عليه ويحتمعون
 ليكتبوا عنه ما يروى لهم من الأحاديث النبوية . (٦)
 لكن ما حجم رواياته ؟ أمانا وواية نقول : وقد حمل عنه شيء من الحديث (٧)
 وأخرى تشير إلى أنه روى حديثاً كثيراً . (٨) وثالثه تذكر أن له رواية في
 الحديث . (٩)

(١) الأغاني : ٢١ / ١٠٢ .

(٢) الانباء ٣ / ١٦٠ .

(٣) المرح والتصديق ٢ مج ٣ ص ٣٠٠ . الأغاني ١٣ / ٣٤٥ ، الأنساب ٤٨٧ ب الباب
 ٣ / ٥٢ ، نورالقبس ٢٩٧ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٩٢ ، المعبر ١ / ٣٥٣ ، طبقات النحاة ١٣٨

تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ لسان الميزان ٦ / ٦٩٤ ، شذرات الذهب ٢ / ١٧ .

(٤) ورد اسمه في كتب الرجال ، لكن وفاته فيها غفل .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ .

(٦) الأغاني ١٣ / ٣٤٣ .

(٧) الأغاني ١٣ / ٣٣٧ ، والتجريد والتهذيب والمهذب وأنظر : المعارف ٥٤٣ .

(٨) الأغاني ١٣ / ٣٤٦ .

(٩) الأغاني ١٣ / ٣٤٥ ، والتجريد .

وابو الفرج الذي قدم الرواية الثانية مرتين ثبتت الرواية الأولى في مستهل ترجمته له .
وابن واصل الحموي الذي أورد الرواية الثانية في آخر ترجمته له ،
نص على الرواية الأولى في أولها .
ومهما يكن من اضطراب ، فإن الأحاديث التي وصلت إلينا مروية عنه يسيرة . (١)

• • •

كذلك ، فثم ثقات من المحدّثين رَوَوْا عنه . (٢) وذكر القفطي . (٣)
أن الجهم الغفير قد روى عنه .

ومن روى الحديث عنه : (٤) أبو خيثمة النّسائي (٢٣٤هـ) ، ومحمد بن
عبدالله بن نمير (٢٣٤هـ) ، وأبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ) ،
وأبو كُرَيْب (٢٣٩هـ) ، وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، وعبدالله بن
الحسن الهاشمي (٢٤٥هـ) ، وحُمَيْد بن زَنْجَوَيْه (٢٥١هـ) ، ومؤمل بن
أهاب (٢٥٤هـ) ، وأحمد بن منصور الرمادي (٢٦٥هـ) ومحمد بن
اسحاق الصّاغاني (٢٧٠هـ) ، وأبو علي الحسن بن علي بن الفرات الكرمانى
(بعد ٢٨٦هـ) ، وإبراهيم بن اسحاق ابن أبي العنيس ، وأحمد بن حازم
أبي غرزة ، وأحمد بن سعيد الجمال ، وأحمد بن عبدالله بن ادريس الترمي ،
وأحمد بن يونس الضبي ، والحاتر بن أبي أسامة ، ومحمد بن سعد العوفي ،
ومحمد بن الفرج الأزرق .

وليس عجيباً أن يروى عنه الثقات من المحدّثين ، فالصدق والنسب
والثقة من السمات التي أضيفت عليه في رواية الحديث . فقد وثقه يحيى بن معين

(١) الأغانى ١٣ / ٢٤٦ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، والتجريد والختار .

(٢) الأغانى ١٣ / ٢٤٥ .

(٣) الأبناء ٣ / ١٦٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، الأنساب ٤٨٧ ب ، الباب ٣ / ٥٢ ،

الواقى ٥ / ٣٧٧ ، مناقب ابن سبّة ١٣٨ ، لسان الميزان ٦ / ٦٩٤ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩

(-٢٣٣٥) ، وأبو داود وعلي بن المديني والعجلي ، (١) وذكره محمد بن حبان (-٣٥٤٥) في «الثقات» . (٢)
وانفرد أبو حاتم الرازي (-٢٧٧٥) بالقول : أنه كان صاحب أدب وأخبار ، يكتب حديثه ولا يحتج به . (٣)
وقال الذهبي (-٧٤٨٥) : «فيه لين» . (٤)
آثاره

لم يقصر ابن كنانة نشاطه العلمي على رواية الشعر والاخبار والحديث وانما امتد إلى التأليف فكانت له ثلاثة كتب ، وعلى الرغم من أننا لا نعرف من أمر بعضها إلا اسمها وموضوعها ، فإنها لصاحبها فيها ثقافة متعددة تلك هي :
(١) كتاب ((معاني الشعر)) .

(٢) كتاب ((سقات الكميت من القرآن : وغيره)) .
ويعد هذا الكتاب من قدم الكتب (٥) التي بحثت في السرقات بعد اشتداد الجدل بين النقاد حول الشعراء . (٦)
(٣) كتاب الأنواء : ذكره أبو الطيب اللغوي فقال (٧)
له كتاب في النجوم على مذهب العرب)) .

وأبو حنيفة الدينوري (-٢٨٨٥) كما يحكي عن ابن كنانة أشياء كثيرة عن الكواكب (٨) سفرد لها مسرد مستقلاً .

-
- (١) تاريخ بغداد / ٥ / ٤٠٧ ، الألباء / ٣ / ١٦٠ ، نور الثقب / ٢٩٧ ، ميزان الاعتدال / ٣ / ٥٩٢ الوافي / ٤ / ٣٧٧ ، طبقات النحاة / ١٣٨ ، تهذيب التهذيب / ٩ / ٢٥٩ ، لسان الميزان / ٦ / ٦٩٤
شذرات الذهب / ٢ / ١٧ .
(٢) تهذيب التهذيب / ٩ / ٢٥٩ .
(٣) الجرح والتمديد / ٢٢ ص ٣٠٠ ، طبقات النحاة / ١٣٨ ، تهذيب التهذيب / ٩ / ٢٥٩ ميزان الاعتدال / ٣ / ٥٩٢ ، شذرات الذهب / ٢ / ١٧ .
(٤) طبقات النحاة / ١٣٨ .
(٥) القزويني وشروح التلخيص / ٤٦٢ ، مشكلة السرقات في النقد العربي / ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٧ .
(٦) سرقات أبي نواس / المقدمة ص ٨ .
(٧) المعارف / ٥٤٣ ، مراتب التحويين / ٧٣ .
(٨) كتاب الأنواء لابن قتيبة / المقدمة .

شعره :

لم يعن الرواة بشعر ابن كنانة اذ ليس بين ايدينا ذكر لديوانه . وكل ما عرفناه أن شعره وقع في خمسين ورقة . (١)
لكن الذي لا شك فيه هو أن ما وصل اليها منه قليل . وندلل على ما نقول بدياجة القطعة (١٦) : ((وقال من قصيدة طويلة)) ثم وردت ، أربعة أبيات منها . ونسوق دليلاً آخر : فقد كان حاضراً الذهن في قول الشعر مرتجلاً له (٢) ولعل ذلك يرجع إلى عزوفه عن الاشراف والحليقة ، وقصر نفسه الشعرى وتمسكه بالزهد الاسلامي الخالص فلا يلفت النظر الرواة ويغريهم بتدوينه وانصرافه إلى العلم والمعرفة بعيداً عن الحياة التي كانت تعج بالخلافات السياسية والمذهبية ، حقاً انه شاعر من المحدثين لم يحتاج بشعره الاصمعي (٣) لكن بعض العلماء والشعراء أنشدوا شعره ، منهم : أبو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلبي (٤) - كان على صلة قوية به - وأبو عبيدة (٥) (- ٢٠٨ هـ) والتوزي النحوي (٦) (- ٢٣٠ هـ) ، ودعلج بن علي الخزاعي (٧) (- ٢٤٦ هـ) والجاحظ (٨) (- ٢٥٥ هـ) والمبرد (٩) (- ٢٨٥ هـ) وتعلب (١٠) (- ٢٩١ هـ) أما المصادر الرئيسة التي عولنا عليها في تحريجات شعره فهي : البيان والنبين والحويان ، وكتاب الأنواء لابن قتيبة ، والفاضل ، والورقة ، والبديع والتشبيهات والاغاني ، والقهرست وأمالى المرتضى ومحاضرات الادباء ، ونور القبس والوافي ، والصبح المنبي . والمصادر الأخرى تعضدها وتوثقها .
وآن لنا أن نتناول موضوعات شعره الموزعة بين الزهد والرثاء والوصف والفخر .

- (١) الفهرست : ١٦٤
- (٢) الاغاني : ١٣ / ٣٤١ .
- (٣) مراتب النحويين ٧٣ .
- (٤) الاغاني ١٣ / ٣٤٠ .
- (٥) أمالي القتالي ٢ / ٢٠٤ .
- (٦) الورقة ٨٨ .
- (٧) الورقة ٨٨ .
- (٨) الورقة ٨٨ .
- (٩) معجم الادباء ١ / ١٤٣ .
- (١٠) الورقة ٨٦ ، زهر الآداب ٤٧٩ .

وأول ما يهمننا منها شعره الزهدي : فهو صورة صادقة لحياته وسلوكه والوعظ هو السمة التي غلبت عليه : بحيث اتسعت به وبسواه حركة اسهام الشعر في ميدان الوعظ (١) .

هو ، إذن ، وقف موقف الواعظ في شعره . ولم يشأ أن يدع ابنه وجده يلعب مع أحداث لا يطمأن اليهم ، دون أن يعظه وينصحه باختيار الصديق الصالح . وراح يضع بين يديه صفات الصديق الطالح ، وهي : ترك الصلاة ، والتهاون في أدائها ، وهجر الخدين والمرء يتهم بما يتهم به قرينه (٢) .

ولم يسكت على رجل من عشيرته أطلع منه على باطن لا يتفق مع ظاهره في كتابة الحديث وطلب الفقه واطهار الادب والنسك ، فقال له : (٣)
ما روى من أدب فلم يعمل به
ويكف عن دفع الهوى بأريب !

حتى يكون بما تعلم عاملاً
من صانع فيكون غير معيب
وأكد على طلب العلم ودعا إلى قراءة القرآن ومجالسة (٤) العلماء وطلب الآداب ، لكنه يرى ألاغناء في ذلك كله ما لم يقترن بالتقوى (٥) .
وخاطب الانسان مبدئياً أشد العجب منه ، وهو يتشبث بالبقاء ونهايته سلطان الهوى (٦) .

وانتاج الاشراف والسلطان من الخزيات - في رأيه - ويريد أن يلقي

(١) أبو النخبة ٢٥٢

(٢) الأغاني ١٣ / ٣٤٤

(٣) القطعة ٣ .

(٤) القطعة ٤ .

(٥) القطعة ١٨ .

(٦) القطعة ٦ .

ربه ولم تخالطه منها دنية، فالتذلل، للحصول على المال ، مناقض لاعتداده بنفسه وعفته . (١)

وله مراث ، استسلم فيها لارادة الله ورضاه بها . ولهذا ، لم يطالعنا ، بصور الاسى واللوعة والصبر الذي انفرط عقده ، على الرغم من أن من بين الذين رثاهم : ابنه وخاله وجاريته .

والصفات التي ندبها فيهم غير تلك التي ألقاها . وانمازت مراثيه القصيرة بصدق العاطفة ، فأفصحت عن نفثات انسانية للصلات الاجتماعية . وفي مقدمتها : مراثيه في ابنه يحيى . قال : (٢)

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن

إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

فكبت مشاعر هزته بالاستسلام لأمر الله ، ومن هنا لم يطل المراثية ، وانما قصرها على بيتين .

وأطول مراثية له في خاله إبراهيم بن أدهم العلوي ، واستغرقت عشرة أبيات (٣). وخاله فيها قد تخلّى عن الدنيا وما فيها من مشتع وعنى ، وسيطر حلمه على جهله ، وهو صامت في أكثر ما تلقاه ، لكنه إذا قال بزّ وأفحم ، . وهو مستكين ، خاشع متواضع ، لكنه ليث في الكريمة .

وفي جاريته : دنائير ، حمد الله ووحدّه ، ثم عزّا قلة ما قال من شعر في رثائها إلى شدة الحزن التي أفحمتها على ما ذكر . (٤)

وحين رثى اسحاق بن القاسم بن الاشعث (٥) امتزج مطلع الرثاء بتجربة انسانية ، هي : ألا مفر من المنيّة . والصفات التي اسبقها عليه : السماحة واللتراة والنهي ، ومكارم الاخلاق .

(١) القطعة ١٤

(٢) القطعة ١٩ .

(٣) القطعة ٢٤ .

(٤) القطعة ٢٨ .

(٥) القطعة ١٦ .

ولما مات حماد الراوية رثاه (١) بأنه أخو ثقة وصافي الود وبذاهبه
فساد الزمان وفناء العلم .

وله قطعتان بوصف الطبيعة (٢) في الكوفة وما جاورها أيام الربيع فالكوفة
وسط في ارتفاعها فلا تبرد ولا تشد حرارتها فصفا العيش فيها وطاب .
ومضى في القطعة الثانية يذكر مواضع ، مثل : محل الخيام في النجف
فوق الجنان والأنهار ، والرحى والسدير والحيرة البيضاء ، والقرات، والمسجد .
المعمور .

وفي وصفه للحيوان قصره على الفرس ، وصف مشيه بالاعتدال
ووصف سرعته بالعقاب تطلب العسبار ، في المطر .

وفي وصف الحرب : وقف عند نارها ، بأنها عارض من حديد ونار .
وتلقانا مقطوعة واحدة من شعره في الفخر بنفسه وأخلاقه ، وهذه ،
المقطوعة تعكس لنا نفسيته المتساعجة ، ولا عجب أن يفخر الشاعر بها ،
وهو يعبر عن ذاته . وخلقه يقوم على حفظ الاخاء والضم به . لذلك ،
فهو يغضي عن أمور كثيرة ولو حرص عليها لقطعت صلته بصاحبه . فهو
يجعل ما يأتي غيره وليس بشاهل . ويستتر ما أراد الأثر لشيء أن يستره ولا
يسأل عن شيء حيل بينه وبينه .

ومن العسير أن تصدر أحكاماً قطعية عن مقومات شعره ، مما جمعناه له
لكننا - على أية حال - نستطيع القول : أنه جرى فيه مع الطبع في طريقة
تعبيره وعرض أفكاره .

وهو لم يكن يقصد إلى بعض ألوان البلاغة التي وردت في شعره دون
تكلف . فبعض كتب البلاغة ، تعرض لنا قوله في « التجنيس » : (٣)

(١) القطعة ٣ (من النسب له) .

(٢) القطعة ١٠ ، ١ (من النسب له) .

(٣) البديع ٢٦ .

وسميتُ يحيى ليحيا ، ولم يكن
إلى رد أمر الله فيه سبيلُ

وفي « الانسجام » : (١)

في انقباض وحشمة ، فإذا

لاقيتُ أهل السوء والكفر

خلّيتُ نفسي على سجيّتها

وقلتُ ما قلتُ غير محشّم

ومما يلفت النظر أنه عبر عن ذاته وسلوكه في أصالة وصدق ومعانيه
في موضوعات شعره مستقاة من رؤاه المعاصرة ، ومعرّوضة في أسلوب خطابي
وعظمي ، متجاوزاً التقاليد الموروثة ، وبخاصة في الغاء المقدمة ، على الرغم
من أنه كان راوية للشعر .

ويمكن أن ننسبه ، لذلك ، إلى مدرسة التجديد من مدارس الشعر في القرن
الثاني . (٢)

ARCHIVE
http://www.archive.org

ما وصل اليها من شعره

— البهاء —

— ١ —

التخريج :

الورقة ٨٩ . الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذب الأغاني ٩ / ٤ .

قال في وصف الكوفة :

(من مجزوء الرمل)

(١) سفّلت عن برّد أرض

حلّتها البرد عذابا

(١) أنوار الربيع ٤ / ٦٥ .

(٢) أبو التتاعية ، ٧٥ - ٨٥ .

- (٢) وَعَلَتْ عَنْ حَرٍّ أُخْرَى
تُلْهَبُ النَّارَ التَّهَابَا
(٣) مُزِجَتْ حَرًّا بِبَرْدٍ
فَصَفَا الْعَيْشُ وَطَابَا

— ٢ —

التخريج :

كتاب الأنواء ١٩٢ ، الأزمئة والامكنة ٢ / ٣٢٨ .
قال في كيفية الاهتداء بالنجوم ، وذكر طريق مكة :
(من الطو يـل)

- (١) يَوْمُ النُّجُومِ السَّابِعَاتِ مِنَ الَّتِي
تَأْوِبُ إِلَّا أَنْ تَأْوِبَ عَقْرَبُ
(٢) فَإِنْ هِيَ آتَتْ فَالْتَعَائِمُ أَمَهَا
وَبَلَدَهَا ثُمَّ السَّوَابِغُ أَصْوَبُ •

التخريج <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الأغاني ٣٤٤/١٣ . أدب الدنيا والدين ٣٩ . مهذب الأغاني ٤/٩ .
قال في رجل من عشيرته خالف ظاهره باطنه :
(من الكامل)

- (١) مَا مَنَّ رَوَى أَدْبًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
وَيَكْفَى عَنْ دَفْعِ الْمَسْوِي بِأَرِيْبِ
(٢) حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا
مِنْ صَالِحٍ ، فَيَكُونَ غَيْرَ مُتَعَبٍ
(٣) وَلَقَلَّمَا تُغْنِي لِإِصَابَةٍ قَائِلِ
أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبِ

• انظر في تفسير التبيين النص ١٢٠ من • أنواء • ابن كنانة ، الوارد تلو هذه المجموعة الشعرية.

— التاء —

— ٤ —

التخريج :

نور القبس ٣٠٠

قال في العلم

(من الوافر)

(١) وَمَنْ قَرَأَ الْكِتَابَ فَأَدَّبَتْهُ

من القرآن آي محكمات

(٢) وَجَالَسَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ حَتَّى

وعنى مأثور قولهم فماتوا

(٣) وَطَالِبَ سَائِرِ الْأَدَابِ حَتَّى

تقيصر عن مبالغه الصفات

(٤) رَوَى فَوَعَى ، وَقَالَ فَسَاعَدَتْهُ

ينابيع الكلام المعجبات

(٥) فَإِنَّ بَكَ ، بَعْدَ ، مُتَّصِلًا تَكَامِلُ

له المتخيرات الصالحات

(٦) وَإِلَّا ، فَهُوَ مَأْفُونٌ شَقِيٌّ

بما ساعدت به قبل النجاة

— الخاء —

— ٥ —

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٣٨ ، مهذب الأغاني ٩٠ / ٢ .

قال يداعب جويرية في طريق الكوفة

(من الطويل)

(١) وَإِنِّي لُحُلُوْ مُخْبِرِيْ إِنْ خَبَرْتَنِيْ
وَلَكِنْ يُغْطِيْنِي ، وَلَا رَيْبَ بِي : شَبَّخُ
— الدَّال —

— ٦ —

التخريج :

الآيات في : الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، وتجريد الأغاني ق ٢ / ١٥٣٢ / ١
ومهذب الأغاني ٩ / ٣ .
وفي مختارات الأغاني ٧ / ٧٣ : (١ ، ٢ ، ٤ ،) .
وفي : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ : (١ ، ٤) .
قال في الدنيا والنفس :

(من الصُّوَر)

- (١) وَمَنْ عَجَبِ الدُّنْيَا تَبَقَّيْكَ لِبَلِي
وَأَنْكَ فِيهَا لِلْبَقَاءِ مُرِيدُ !
(٢) وَأَيُّ نَبِيٍّ الْأَيَّامُ الْوَعْدَهُ
مَنْ الدَّهْرُ ذَنْبٌ طَارِفٌ وَتَلِيدُ ؟
(٣) وَمَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامُ لَا أَمَّا أَنْبِيَاعُهَا
فَخَطَرٌ ، وَأَمَّا فَجَعُهَا فَعَنِيدُ
(٤) إِذَا اعْتَادَتْ النَّفْسُ الرِّضَاعَ مِنَ الْمَوَى
فَإِنْ فَطَامَ النَّفْسَ عَنْهُ شَدِيدُ

التخريج :

الورقة ٨٨ . الأغاني ١٣ / ٣٤٢ . تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٧ . الأنساب ٨٧ ب .
اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٥٢ . إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ . ا. في ٤ / ٣٧٨ .
مهذب الأغاني ٩ / ٣ .

(٣) الانبياء : الوثوب بعد سكون . والخطر : ضرب الفعل بذهبه يمسّ وشمالا .
العتيد : الحاضر المهيأ .

قال في آخر عمره ردّاً على معتبة من صديق :

(من الطويل)

(١) ضَعُفْتُ عن الإخوان حتى جَفَوْتُهُمْ

على غيرزهد في الإخاء ولا الود

(٢) ولكنَّ أيامي تَخَّرَ مِنْ مُنِّي

فما أبلغُ الحاجات إلا على جهْد

التخريج :

الوافي ٤ / ٣٧٨ .

قال بعدما أسنَّ :

(من البسيط)

(١) كأنَّ سَبْعاً مضَتْ لي في تَصْعُدِها

إلى الثمانين كانتْ غُدوةَ الغادي

(٢) لم يَبْقَ من مرَّها إلا تذكُّرُها

كالخُلُم في طولِ إفراعي وإصْعادي

التخريج :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الحيوان ٥ / ٥٥١

قال يصف فرسا :

(من الخفيف)

(١) يَكْتِفُ المشي كالذي يَتَخَطَّى

طُنْباً أو يَشْكُ كالْمُتَمَادِي

(٢) تخرم : اقتطع واستأمل .

المئة : القوة .

(٢) الإفراغ هنا : الانحدار . والإفراع والإصعاد : من الأنداد .

(السان / صعد) .

(١) يكتف المشي : حرك كفيه إذا مشى .

الطلب : حيل الخباء .

يشك : يفتز في جريه ، يفتق .

المتماذي : المتبوع .

التخريج :

الورقة ٨٧ .

قال في الكوفة ونزعتها :

(من الخفيف)

- (١) أي مَبْدَى ومنظرٍ ومزارٍ
(٢) في محلِّ الخيامِ ، في النجفِ
(٣) فالرَّحَى ، فالسَّديرِ فالخيرةِ البـ
(٤) ف.... خلجاتُ القُرَاتِ
(٥) فالقُرَاتُ المُغِيرُ يُحْتِي على الكو
(٦) مَسْجِدٌ كان من على وسعدٍ
- وأعتبارٍ لناظريُّ ذي اعتبارٍ!
المُعْرَضِ فوق الجنانِ والأنهارِ
يضياء ذاتِ الحصونِ والأخْبَارِ
بياتُ تُهْدِي لها الشَّمالِ الصحارى
فـ ذاتِ الرُّبَا وذاتِ القِرارِ
عامراً ، بُرْهَةً ، ومن عَمَّارِ
- التخريج :

الحيوان ١ / ١٨٢ . المعاني الكبير ١ / ٢٨١ . الورقة ٨٨ .

ARCHIVE

(من الخفيف)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- (١) كالعُقَابِ الطَّلُوبِ يضربها الطَّلُلُ ، وقد صَوَّبْتُ على عِيسَابِ
- التخريج :

الحيوان ٥ ١٣٣

قال في نار الحرب :

(من الخفيف)

- (٤) صدر البيت مضطرب ، لم يَنْهَياً لنا تمامه ووجهه .
(٥) القِرار : المستقر من الأرض .
(٦) أراد ألامام علي بن أبي طالب (- ٤٠ هـ) وسعد بن أبي وقاص (- ٥٥ هـ) وعمار بن ياسر (- ٣٧ هـ) .

- (١) خَلَّتْهَا عَارِضٌ يَمْدُ عَلَى الْآ
(٢) نَارُ حَرْبٍ يَشْبُهَا الْحَدُّ وَالْجَدُّ
فَاقِ سَتْرَيْنِ : مِنْ حَدِيدٍ وَنَارٍ
دُ ، وَتَعْشِي نَوَافِدَ الْأَبْصَارِ

— الشَّيْن —

— ١٤ —

التخريج :

نور القبس ٢٩٨ .

قال في اشتداد الحرّ والعطش في رمضان :

(من البسيط)

بَيْنَ الْعِشَاءِ وَبَيْنَ الْعَصْرِ مَنْزِلَةٌ
يَكَادُ يَذْبَحُ فِيهَا الصَّائِمُ الْعَطَشُ

— الصاد —

— ١٥ —

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٠ ، مهذب الأغاني ٣ / ٩ : (١ - ٤ ، ٦) .

<http://Archivebeta.Sakhris.com>

الآيات في : مختار الأغاني ٧ / ٧٢ .

قال في كرامته وعزة نفسه عن انتجاع السلطان

(من الطويل)

- (١) تَوَنَّبَنِي - أَنْ صُنْتُ عَرَضِي - عَصَابَةٌ
(٢) يَقُولُونَ : لَوْ غَمَضْتَ لَأَزْدَدْتَ رَفْعَةً
(٣) أَنْكَلِمُ وَجْهِي - لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ -
(٤) مَعَاشِي دَوِينَ الْقَوْتَ ، وَالْعَرِضُ وَافِرٌ
لَهَا ، بَيْنَ أَطْنَابِ اللَّثَامِ ، بِصِيصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي إِذْنٌ ، لِلْحَرِيصِ !
مَطَامِعُ عَنْهَا لِلْكَرَامِ حَمِيصُ ؟
وَبَطْنِي عَنْ جَدْوَى اللَّثَامِ حَمِيصُ

(١) المارِض : السحاب المتمرِض في الافق ، وأراد : الجيش .

(٢) تَعَشِي : تَقْصِف .

النَوَافِد : حديدات البصر .

(٤) الجَفْوَى : العَبْثَة . حَمِيص : يَبْغُن : ضَامِرُهَا

(٥) أَعَزُّ وَأَزْكَى مِنْ ثَرَاءٍ يُمْنُهُ عَلَيْكَ لَيْثِمٌ - مَاحِيَةٌ - أَصْوَصُ
(٦) سَأَلْتُهِ الْمَنَابِيَا لَمْ أُخَالِطْ دَنِيَّةً وَلَمْ تَسْرِ بِِي فِي الْمُخْزِيَّاتِ قُلُوصُ

- العَيْن -

- ١٩ -

التخريج :

الصبح المنبي ٢١٨ .

قال :

(من الطويل)

تَرَى خَيْلَهُمْ مَرْبُوطَةً بِقَبَائِهِمْ وَفِي كُلِّ قُطْبٍ مِنْ مَتَابِكْهَا وَقَعُ

- الْقَاف -

- ١٧ -

التخريج :

نور القبس ٢٨٢ .

قال في رثاء إسحاق بن القاسم بن الأشعث : من قصيدة طويلة :

(من الكامل)

(١) هَلْ لِلنَّفُوسِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَاقٌ ؟ أَنِّي ؟ وَلَيْسَ عَلَى الْمَنِيَّةِ بَاقٍ

منها

(٢) إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالتَّرَاهَةَ وَالنَّهْيَ كَفَنٌ فِي خِرْقٍ عَلَيْكَ رَقَاقُ

(٣) وَإِذَا بَرَزْتَ بِهِ بَرَزْتَ بِمَرْتَدٍ مَتَازِرٍ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

ومنها :

(٤) وَإِذَا غَشِيَتْ دِيَارَهُ خَنَقَتْنِي حَتَّى أَحْتَلَّ بِالْبُكَاءِ خَنَاقِي

- اللام -

- ١٨ -

التخريج :

الورقة ٨٧ . الأغاني ١٣ / ٣٣٩ . تجريد الأغاني ق ١٥٣٢ / ١ / ٢ .

مهذب الأغاني ٣ / ٩ .

(٥) أصوص : شديد .

(٦) القلوص : الناقة الشابة .

• لم أتف على ذكر له .

قال يعرض بامرأته ، إذ مرّ بمصلوب على جذع :

(من الطويل)

- (١) أيا جذع مصلوب أتى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً ، هل تُبادل ؟
(٢) فما أنت بالحِمْل الذي قد حملته بأغرض متى بالذي أنا حامل !

-١٩-

التخريج :

نور القبس ٢٩٩ .

قال في طلب العلم :

(من الطويل)

- (١) تعلّم ، فليس المرء يُخلق عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل !
(٢) وإنّ كبير القوم لا علم عنده صغير ، إذا التفت عليه الخافل

-٢٠-

التخريج :

البدیع ٢٦ . معاهد التنصيص ٢٠٨/٣ .

الورقة ٨٦ ، الصناعيتين ٣٢٨ (دون عزّو) ، زهر الآداب ٤٧٩ ،

انباه الرواة ١٦١ ، نور القبس ٢٩٧ . (١) ، (٢) .

أنوار الربيع ١٥٥/١ : (١) .

قال في رثاء ولده يحيى :

(من الطويل)

- (١) وسمّيته يحيى ليحيا ، ولم يكن
إلى ردّ أمر الله فيه سيّل
(٢) تبعت فيه الفأل حين رزقته
ولم أدّر أنّ الفأل فيه يغفل

-٢١-

التخريج :

الآيات في نور القبس ٢٩٩ .

(٢) أغرض : من الغرض ، وهو الضجر والملال .

(٢) يغفل : يخطئ .

وفي : الوافي ٣٧٩/٤ : (٢ - ٥) .
قال مفاخرأ بنفسه وأخلاقه :

- (١) وما أنا في ما مِنْهُ أخرجتُ داخِلُ
(من الطويل)
(٢) إذا المرءُ يوماً ، أغلقَ البابَ مُرْتَجِلاً
ولا أنا عمّا حيزَ دُوني بسائل
(٣) وأعرضُ حتّى يَحْسِبَ المرءُ أنِّي
ليستُراً أمراً كنتُ كالمُتغافل
(٤) وإني لأغضّي عن أمورٍ كثيرةٍ
جهلْتُ الذي يأتي ، ولستُ بجاهل
(٥) حِفَظاً وضيقاً بالإخفاء وعُقُوداً
وفي دُونها قطعُ الحبيبِ المواصل
إذا ضيعَ الإخوانُ عُقدَ الحبالِ

-٢٢-

التخريج :
التشبيهات ٢٧٢
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com قال :

- (١) أ بؤك أدْهَى التَّجَادِ حَامِلُهُ
(من المشرح)
(٢) يأخذُ من ماله ومن دميهِ
كم من كسي آدمٍ ومن بطَلِ
لم يُمْسِرِ من ثائرٍ على وجَلِ

-٢٣-

التخريج :

الأغاني ٣٣٩/١٣ ، تاريخ بغداد ٤٠٦/٥ . محاضرات الأدباء ١٢٧/١

- (١) التجاد: حائل البيت .
الآدم من الناس : الأسمر .

(دون عزو) . إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ . نور القبس ٢٩٧ . مختار الأغاني ٧ / ٧٢ مهذب الأغاني ٦ / ٩ .
قال فيمن يخدم عياله :

(من الرجز)

لَا يَنْقُصُ الْكَامِلُ مَنْ كَالِهَ
مَا جَرَّ مَنْ قَعَرَ إِلَى عِيَالِهِ
- الميم -
- ٢٤ -

التخريج :

نور القبس ٣٠٠ .

قال في النعمة :

(من الرمل)

(١) حَسَدُوا النِّعْمَةَ لِمَا ظَهَرَتْ
فَرَمَوْهَا بِأَبَاطِيلِ الْكَلِمِ
(٢) وَإِذَا مَا اللَّهُ أُمْلِيْهُ لِمُسْلِمٍ
لَمْ تَضُرَّهُ قَوْلُ فَسَادِ النِّعَمِ
- ٢٥ -

التخريج :

الفاضل ٩١ : (١ ، ٥ ، ٧ ، ٨) .

الورقة ٨٨ : (١ - ٤ : ٧ ، ٥ ، ٨) .

الأغاني ٣٣٧/٣ : (١ ، ٤ ، ٨) .

الأغاني (مرة) ٣٤١/١٣ : (١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠) .

الأماني ٣٠٤ / ٢ : (٧ ، ٨ ، ٤) .

زهر الآداب ١٩٩ : (١ ، ٤ ، ٨ ، ٥ ، ٧) .

نور القبس ٢٩٨ : (١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ ، ٤ - ٨ ، ٩) .

تجريد الأغاني ق ١٥٣١ ١/٢ : (١ ، ٤ ، ٨ ، ٧ ، ٩ ، ١٠) .

الواني ٣٧٨/٤ : (١ ، ٢ ، ٤ - ٨ ، ٩) .

مختار الأغاني ٧١/٧ : (١ ، ٤ ، ٨) .

مهذب الأغاني ٢/٩ : (١٠،٧،٩،٨،٦،٤،١)

قال في رثاء إبراهيم بن أدهم .

(من الطويل)

- (١) رأيتك لا يُغنيك ما دونه الغنى
وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهم
- (٢) أخاك لك يحتمي سيفه ولسانه
حماك ، ولا يغشى لك الدهر محرما
- (٣) تخلى من الدنيا ، وكان بمنظر
ومستمع فيها أنيق وأنعم
- (٤) وكان يرى الدنيا صغيراً كبيرها
وكان لأمر الله فيها معظما
- (٥) يُشيع الغنى ، إن قاله ، وكأنما
يلقي به البأساء عيسى بن مريم
- (٦) وللحليم سلطان على الجهل عنده
فما يستطيع الجهل أن يتمر مرما
- (٧) أخاف الهوى حتى تجنبه الهوى
كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما
- (٨) وأكثر ما تلتفاه في القوم صامتاً
وإن قال بذّ القائلين فأفحمها
- (٩) يرى مستكيناً خاشعاً متواضعاً
وليئاً إذا لاقى الكريهة ضيغما

هو أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي أو التميمي البليخي ثم الشامي . من الزهاد
الاعلام . مات سنة ١٦٢ هـ .

(خلاصة تذهيب الكمال ١٣)

(٦) يترجم : يحرك فاه للكلام .

(١٠) على الحدث الغربي من آل وائسل
سلام وبر ما بر وأكرم ما
النون
- ٢٦ -

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذب الأغاني ٩ / ٤ .
قال ينصح ابنه عبدالأعلى في اختيار الصديق :
(من مجزؤ الكامل)

- (١) بُنِيكَ عَنْ عَيْبِ الْفَتَى
تَرْكُ الصَّلَاةِ أَوْ الْخُلْدِ
فَإِذَا تَهَاوَنَ بِالصَّلاَةِ
 - (٢) وَبِزْنِ ذُو الْحَدَثِ الْمُرِيْبِ
عَبَّ بِمَا يُزْنُ تَكْه الْقَرَيْنُ
 - (٣) إِنَّ الْعَيْنَ فُفْ - إِذَا تَكُنْ
خَفَهُ الْمُرِيْبُ - هُوَ التَّضْيِينُ
- ٢٧ -

التخريج :

نور القبس ٣٠٠ .

قال في الكبر وإرادة الله ، سنة ٨١٦٣ :

(من الطويل)

- (١) عَلَى حِينٍ أَنْ شَابَتْ لِدَانِي وَلَمْ أَشِيبْ
فَمَنْهَا لِحَى مَبِيضَةٌ وَقُرُونُ

(٣) يزن : ينهم .

(٤) الضنين : المنهم .

- (٢) وَنَاصَيْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ ، فَأَقْبَلْتُ
قِسَاوَةَ جِنِّي الشَّبَابِ تَلِيْسُنُ
(٣) إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ : كُنْ ! قَوْلُهُ فَيَكُونُ
(٤) وَبِعَنَى الْفَتَى بِالْأَمْرِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
مِنْ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِ مُعِينٌ
- ٢٨ -

التخريج :

نورالقبس ٣٠٠ .

قال في المدح :

(من مجزوء الكامل)

- (١) أَسْبَدُّ عَلَى أَعْدَائِهِ
مَا إِنَّ يَلِيْسُنُ وَلَا يَلِيْسُونُ
(٢) فَإِذَا تَمَكَّنَ مَهْذَبُهُمْ
فَهَنَّاكَ أَحْلَمُ مَا يَكُونُ !

- ٢٩ -

التخريج :

الأغاني ٣٤٥/١٣ . مختار الأغاني ٧٤/٧ . مهذب الأغاني ٥/٩
قال في رثاء جاريته ، دقائير :

(من المنسرح)

- (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
بِالْيَتِّ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ !

(٤) يعني : ينصب .

(٢) إن يكن القولُ قلَّ فيك : فما
أفحمتي غيرُ شدة الحزن

—٣٠—

التخريج :

أما لي المرتضى ١٧١/١

قال في الرثاء :

(من الطويل)

(١) صحبتك قبل الروح ، إذ أنا نطفة
تُصانُ ، فما يبدو لعين مصونها

(٢) أرى المرءَ ديناً للمنايا ، وما لها
مِطالٌ إذا حلتُ بنفْس دُيونها

(٣) فماذا بقاء الفرع من بعد أصله ؟
سنتقي الذي لاقي الأصول غصونها

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

—٣١—

التخريج :

محاضرات الأدباء ٦١/١ .

قال في من يأتي ما يعيبه على غيره :

(من البسيط)

(١) يا واعظ الناس : قد أصبحت متهماً
إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

(٢) كمن كسا الناس من عُرِّي ، وعورثه
للناس بادية ما إن يواريه

المنسوب له ولغيره

الرأء

-١-

التخريج :

الآيات له في الأغاني ٣٤٢/١٣ ، ومهذب الأغاني ٤/٩ .
وفي : بدائع البدائ ٢١٨ : الأول ، لابن كنانة ، والآيات : (٢ ، ٤-٦)
لدنانير- جاريتة ، والثالث لشاعر من الكوفة .
قال يصف الحيرة وما جاورها :

(من الكامل)

- (١) الآن حين تزيّن الظّهْـرُ
مِثْلَ مِثْلِهِ وِبراقه العُفْـرُ
- (٢) بسط الرّبيعُ بها الرّياضَ كما
بُسطتْ قُطُوعُ اليَمْنَةِ الحُمْرُ
- (٣) بَرِيَّةٌ في البَحْرِ قَابِلَةٌ
يُجَنَّبِي إِلَيْهَا الْبَرُّ وَالْبَحْرُ
- (٤) وَجَرَى الْفَرَاتُ عَلَى مِيسَرِهَا
وَجَرَى عَلَى أَيْمَانِهَا الزَّهْرُ
- (٥) وَبَدَا الْخُورَنَقُ فِي مِطَالِعِهَا
فَرْدًا يَلُوحُ كَأَنَّهُ الْفَجْرُ
- (٦) كَانَتْ مَنَازِلُ لِلْمُلُوكِ ، وَلَمْ
يُعْلَمْ بِهَا الْمَلِكُ قَبْرُ

(١) المِثْلُ : التَّمْلُ السَّهْلَةُ وَالرَّابِعَةُ الطَّيْبَةُ .

الْبَرَقُ : جَمْعُ بَرَقَةٍ أَوْ بَرَقَاءٍ ، وَهِيَ غُلُظٌ فِيهِ حَبَابَةٌ وَرَمْلٌ وَطِينٌ مَخْتَلَطَةٌ .

الْعَفْرُ : مِنَ الْغُلْبَاءِ الَّتِي تَعْلُو بِبَاضِهَا حُمْرَةً .

(٢) قُطُوعُ الْيَمْنَةِ : بَسْطُ الْيَمَنِ .

(٣) الْخُورَنَقُ : قَصْرٌ كَانَ بظَهْرِ الْحِيرَةِ .

التخريج :

الآبيات له في : الفهرست ٩١ ، ونور القبس ٢٩٨ . والآبيات (٢ - ٤) له في معجم الأدباء ٢٦٦/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢١٠/٢ . والآبيات لرجل من بني أسد رثى أخاً له مات في غربة ، في : شرح ديوان الحماسة ١٠٥٧/٣ . والآبيات دون عزوفي : البيان والتبيين ١ / ٢٥٧ . قال في رثاء حماد الراوية : .

(من المنسرح)

- (١) أَبْعَدْتَ مَنْ نَوْمِكَ الْغَرَارَ ، فَمَا
جَاوَزْتَ حَتَّى انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
- (٢) لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرُ
نَجَاكَ مَا أَصَابَكَ الْحَزَرُ
- (٣) يَرْحَمُكَ اللَّهُ مَنْ أَخَى يَا أَبَا الْـ
سِقَاسِمِ ، مَا فِي رَصِيفَاتِهِ كَدَرُ
- (٤) فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْـ
سُدَّ الْعِلْمُ مِنْهُ ، وَيَدْرُسُ الْأَثَرُ

الميم

-٣-

التخريج :

البيتان له في : البيان والتبيين ٣٤٨/٣ الورقة ٨٧ تاريخ الطبري ١١/١٣٦٦ ، الأغاني ١٣/٣٤١ ، بهجة المجالس ١/٥٩٣ ، تاريخ بغداد ٥/٤٠٦ ، محاضرات . هو أبو القاسم حماد بن سابور - وقيل : ميرة - بن المبارك . كان عالماً في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . مولده سنة ٩٥ هـ ووفاته سنة ١٥٥ هـ .

- (١) غرار النوم : قلته .
- (٤) في نور القبس ما يفيد أن هذا المعنى مأخوذ من مقولة عبيد الله بن عباس في زيد بن ثابت (وقيل : إسماعيل بن زيد بن حماد) إذ دلي في قبره : « من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فكذا ذهابه » .

الأدباء ٩/٢، الأنساب ٤٨٧ب إنباء الرواة ١٦٠/٣، نورالقبس ٢٩٨، تجريد الأغاني ق ١٥٣٢/١/٢، مختارات الأغاني ٧٣/٧ نهاية الأرب ١٧/٥ الوافي ٣٧٨/٤ أنوار الربيع ٦٥/٤، مهذب الأغاني ٧٣/٧. وينسبان إلى أبي نؤاس في: ديوانه ٧ وإلى أحمد بن أبي الغيل في المتحل ٦٧.

وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ أنشدتهما المبرد دون نسبة وتردد عبدالله الفقير في عزوهما بين ابن كناسة وأبي نؤاس. وهما دون عزو في: حكاية أبي القاسم البغدادى ٣، ولباب الآداب ٢٣٢. قال في مباسطة الكرام والانتقاض من اللثام:

(من المنسرح)

- (١) في انتقاض وحشمة: فإذا
لاقيتُ أهل الوفاء والكرم
(٢) خلعتُ ثغني على سجنيتها
وقلتُ ما قلتُ غير مُحْتَمٍ

http://Archive.org/Sakhrat.com

— اختلاف الروايات —

— ١ —

- (١) الأغاني والمهذب: زادها المبرد.
(٢) الأغاني: مزجت حيناً

— ٢ —

- (١) الأزمنة: آتت فالنعم آيها.

— ٣ —

- (١) المهذب: يامن، تحريف لا يستقيم معه البيت.
(٢) أدب الدنيا والدين: ولم.. زيع الهوى بأديب.
(٣) الأغاني: يغني

- (١) انتقاض: انكماش وعدم تبسط.
حشمة: استحياء ووقار.

- (١) المهذب : ولكن تقطيعي ، تحريف .

- ٦ -

- (١) المختار ، التهذيب : نيقنك البلى .
 (٢) المختار : وإن من بني .
 (٣) التجريد ، المهذب : أما اتساعها ، تحريف .

- ٧ -

- (١) الأنساب ، اللباب : خفقت .
 الأنساب : على الإخوان .
 الأغاني ، المهذب : في الوفاء .
 السواني : وفي الود
 (٢) تاريخ بغداد : الأنساب ، اللباب ، الإنباه : قوتي .
 وفي السواني : مدتي .

- ١٤ -

- (٤) المهذب : معاشن ويطنك
 اختار : من جدوى الملوكة .
 (٦) المختار : دناءة .
 المهذب : ولم يسر .

- ١٧ -

- (٢) الأغاني ، التجريد ، المهذب : بأضجر .

- ١٩ -

- (١) الورقة ، الإنباه ، النور ، الزهر : فسميته
 الزهر ، المعاهد : فلم .
 الإنباه ، النور : إلى قدر الرحمان فيه
 (٢) رواية البيت في : الورقة ، الإنباه ، النور ، المعاهد :

تفاءلتُ - لو يُغني التَفَاؤُلُ - باسمه
وما خلْتُ فالأَقْبَلُ ذاكَ يُفيلُ

وفي الزهر : حين رزئته ، تحريف .

- ٢١ -

(٢) الإنباه : ما ينقص .. ما جر من خير .

المحاضرات ، النور : ما نقص .

- ٢٤ -

(١) الورقة ، النور ، الوافي : لا يكفيك .

الأغاني (مرة) : ما يكفيك .

الزهر : لا ترضى بما دونه الرضا .. كان يرضى .

الورقة ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي : كان يكفي .

(٢) الوافي : ولا يغني .

(٤) الأغاني ، الزهر ، التجريد ، المختار ، المذهب : صغيراً عظيمها .

الأغاني (مرة) : قليلاً كثيراً فكان .

الأغاني ، النور ، المختار ، الوافي ، المذهب : وكان لحق الله .

(٥) الورقة ، الزهر : الغنى في الناس إن مَسَّه الغنى .

الورقة : ويلقى .

الزهر : وتلقى .

(٦) التجريد ، المذهب : أن يتزما .

(٧) الأغاني (مرة) ، الأمالي : أمات الهوى .

الزهر ، التجريد ، المذهب : أهان الهوى .

(٨) الوافي : ما يلقي من القوم .

النور : ما يلقي على القوم .

الأمالي ، الزهر ، في الناس .

الزهر : بزّ.

الأغاني ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي ، المختار ، المذهب : فإن .. وأحكاما .

الورقة : وأفهما .

الأمالي : وأفهما .

(٩) الأغاني (مرة) : لاقى الكتيبة .

— المنسوب له وإغيره —

— ١ —

(١) البدائع : .. تزيّن القطر .. أنجاده ووهاده العفر .

(٢) عجز البيت في البدائع :

بُسُطت ثياب في الثرى خُصِر

(٤) البدائع : وسرى الفرات .. أيمانها النهر .

— ٢ —

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

(١) شرح ديوان الحماسة ، النور : أبغطت .

شرح ديوان الحماسة : أسرعت .

البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، النور : يومك القرار .

البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة : حيث انتهى .

(٣) البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، النور ، الوفيات :

.. أخي ثقة .. لم يك في صفو ودّه .

(٤) شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، الوفيات : «فيه» في موضع «منه» .

— ٣ —

(١) الورقة ، ديوان أبي نؤاس ، الأغاني ، المتحل ، تاريخ بغداد ، حكاية

أبي القاسم البغدادى ، الأنساب ، الإنباه ، التجريد ، المختار نهاية الارب

المذهب : «صادفت» في موضع «لاقت» .

- وفي تاريخ الطبري ، النور : جالست .
 وفي محاضرات الأدباء : أبصرت .
 وفي لباب الآداب : لقيت .
 وفي معجم الادباء الوافي : رأيت .
 (٢) مصادر التخرّيج جميعها ، ماعدا البيان والتبيين : أرسلت .
 معجم الادباء : وجئت ما جئت .
 الورقة ، تاريخ الطبري ، المتحلل ، النور ، الوافي : ماشئت .

نصوص باقية من كتاب : الأنواء لابن كناسة

فيما تقدم أوردنا ما وصل إلينا من شعر ابن كناسة ، ما كان منه صريح النسبة إليه ، وما كان متدافعاً مشكوكاً في نسبته ، وسبقت لنا إشارة إلى كتابه (الأنواء) فرأينا أن نفرّد لما بقي منه مبحثاً في المصادر المختلفة فصلةً خاصةً نرتب فيها المادة المجموعة على نحو مراتب ابن قتيبة كتابه : (الأنواء) الذي حفظ لنا كثيراً من مقولات صاحبنا في هذا الباب من العلم اللغوي .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١)

(معنى النوء)

وكان ابن كناسة يقول : إذا سقط نجمٌ مع الصبح ، ذهب نوؤه .
 (كتاب الأنواء لابن قتيبة ٩)

(٢)

(الهنعة)

وقال ابن كناسة : (يقال للهنعة : الزرق الميسان) (١) فلأنما ينزل القمر

(١) زيادة من « الازمنة والامكنة » :

بالتحايي (١) وهي كواكب ثلاثة حذاء الهنعة ، والواحدة منها تحياة (٣)
(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة (٤٢)

الأزمئة والامكنة ١ / ١٨٩

اللسان / هنع (دون عزو)

(٣)

(الجوزاء)

أخبرنا ابن المرزبان ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه (إبراهيم
الموصلي) ، قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر (خزيمة بن مالك
بن نهد) (٣)

إذا الجوزاء أردفت الثريا

ظننت بال فاطمة الظنونا

فقال : يقول : إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي ترى فيه الثريا ،
خفت تفرق الحي من جمعهم . والثريا تطلع (٤) بالغدادة في الصيف
والجوزاء (٤) تطلع بعد ذلك في أول الصيف .

http://Archivebeta.Sakhr.it.com

(الأغاني ١٣ / ٣٣٨)

مختار الأغاني ٧ / ٧٢

مذهب الأغاني ٩ / ٦

(٤)

(السماك)

قال ابن كناسة : وربما عدل القمر فتزل بعجز الأسد . وهي أربعة كواكب
بين يدي السماك الأعزل منحدره عنه في الجنوب مربعة على صورة النعش

(١) زيادة من « الازمة والامكنة » .

(٢) تحياة .

(٣) اللسان / ردف .

(٤) - (٤) ساقط من المختار .

يقال لها : عرش السماك (وتسمى أيضاً الأحمال) (١) وتسمى الخباء..
قال القُتيبي (٢) ، والذي عندي أن الأمر كما قال ابن كنانة .

(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ٤٦٢ ،)

(شروح سقط الزند ١٥٢٦)

(الأزمة والأمكنة ١٩٢/١)

(٥)

(سعد الذابح وسعد بلع)

وقال ابن كنانة : سعد الذابح كوكبان متقاربان سمّي أحدهما ذابحاً ،
لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به ، فكأنه مكبّ عليه بذبحه
والذابح أنور منه قليلاً .

قال : وسعد بلع : نجمان معترضان خفيّان .

قال أبو يعبي : وزعمت العرب أنه طلع حين قال الله عزّ وجلّ :

(ياأرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) (٣) قال : وسعد السعود : كوكبان .

وهو أحمد السعود ، ولذلك أضيف إليها . وهو يشبه سعد الذابح في مطلعته .

وسعد الأخبية : ثلاثة كواكب على غير حاريّين السعود مائلة عنها ، وفيها

اختلاف وليست بخفية غامضة ، ولا مضينة منيرة . سميت سعد الأخبية ، لأنها

إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوامها من جحرها ، جعلت جحرها

لها كالأخبية .

(تهذيب اللغة واللسان / سعد)

(٦)

(البوارح ومنازلها)

وقال ابن كنانة : كل ريح تكون في نجوم القميط فهي عند العرب

(١) زيادة من الأزمة والامكنة .

(٢) لم يرد قول ابن قتيبة في : الأزمة والامكنة .

(٣) هود / آية ٤٤ .

بوارح . قال : وأكثر ما تهبّ بنجوم الميزان ، وهي التسائم . قال ذو الرّمة :
 لا ، بل هو الشوقُ من دار نحوّتها
 مرّاً سحابٌ ، ومرّاً بارحٌ ترربُ
 فنسبها إلى التراب ، لأنّها قِيطِيّة لا ربُعيّة .

(اللسان / برح)

(٧)

(الأزمّة وتحديد أوقاتها عند العرب)

قال أبو يحيى بن كنانة في صفة أزمّة السنة وفصولها ، وكان علامة بها :
 أعلم أنّ السنة أربعة أزمّة : الربيع الأول ، وهو ، عند العرب العامة :
 الخريف (١) ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، وهو الربيع الآخر (٢) ثم القيظ .
 قال : وهذا كله قول العرب في البادية .
 قال : والربيع الأول هو الخريف عند الفرس ويدخل لثلاثة أيام من ايلول .
 قال : ويدخل الشتاء ثلاثة أيام من كانون الأول .
 قال : ويدخل الصيف الذي هو الربيع عند الفرس ، لخمسّة أيام تخلو من
 آذار . ويدخل القيظ ، الذي هو صيف عند الفرس ، لأربعة أيام تخلو (٤) من حزيران .
 قال أبو يحيى : وربيع أهل العراق موافق لربيع الفرس ، وهو الذي يكون
 بعد الشتاء ، وهو زمان الورد ، وهو أعدل الآوّة (٥) وفيه تقطع العُروق (٦)
 ويشرب الدّواء .

(١) اللسان : الربيع الاول ، وهو الذي تسميه الفرس : الخريف .

(٢) الأزمّة والأمكنة : وذكر ابن كنانة أبو يحيى أن العرب تسمي الشتاء الربيع الأول ،
 والصيف الربيع الآخر .

(٣) شرح أدب الكاتب : الصيف .

(٤) لم ترد « تخلوه » في شرح أدب الكاتب .

(٥) شرح أدب الكاتب : الأزمّة .

(٦) شرح أدب الكاتب : العروق .

قال : وأهل العراق يُمطرون في الشتاء كله ، ويُخصّبون في الربيع الذي يتلو الشتاء .

وأما أهل اليمن فإنهم يُمطرون في القيظ ويخصّبون في الخريف الذي تسميه العرب : الربيع الأول .

(تهذيب اللغة / ربع ، شرح أدب
الكاتب ، للجواليقي ١٣٠ ، شروح
سقط الزند ١٧٧٦ ، حكاية عن
الأزهري ، اللسان / صيف)

(٨)

(فصل الخريف)

وقال ابن كنانة : خمسة أنواع من أنواء الخريف : الفرغ المؤخر ، والحوت والشرطان ، والبطين ، والثريا ، وليس بعد الثريا وسمي . وذكر أن التّجمين الباقيين من نجوم أنواء هذا الفصل للولّي ، وهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي . (كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ١١٦)

(٩)
<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

(ذكر الشمس والقمر)

وقال : كانت العرب تسمى ليالي الشهر عشرة أسماء ، لكلّ ثلاث منها اسمٌ : فالثلاث الأول الغرر ، وذلك أن أول كل شيء غرته . ثم النفل ، ومعنى النفل أن العرب كانت تصوم الغرر كأنها وظيفة عليها ، والنفل شبه النافلة . ثم الدرّج أن الأرض قد لبسها القمر ، ثم العشر لقولك : عشرة ، إحدى عشرة ، اثنا عشرة ثم البيض ، فإنّها من أول الليل إلى آخره قمرٌ ، ثم الظلم ثم الحنّيس أشدّ ظلمة من الظلم ، والدّآدى والمحاق : فالدّآدى كأنه وقع في القمر الدّآء فهو يذهب ، والمحاق آخر الشهر إذا وقع فيه المحاق . والعاشرة - أي تمام الثلاثين - الفلّة . ومعناها : أن ليس كل شهر يتمّ فإذا تمّ سمّوه الفلّة .

(نور القبس ٢٩٩)

(١٠)

(العواء)

وأما العواء فإن ابن كناسة جعلها أربعة أنجم ... وزعم أبو يحيى أنها سميت العواء بالكركب الرابع الشمالي منها . وإذا عزلت عنها هذا الكوكب الرابع كانت الباقية مثناة الخلقه . (الأزمنة والأمكنة ١٩٢/١)

(١١)

(العواء)

وقال ابن كناسة : هي أربعة كواكب : ثلاثة مثناة متفرقة ، والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشامية ، وبه سميت العواء ، كأنه يعوي إليها ، من عواء الذئب .

قال : وهو من قولك : عَوَيْتُ الثوبَ إِذْ لَوَيْتَهُ كأنه يعوي لما انفرد .

قال : والعواء في الحساب يمانية . وجاءت مؤنثة عن العرب .

قال : ومنهم من يقول : أول اليمانية السماك الرايح ولا يجعل العواء يمانية للكوكب الفرْد الذي في الناحية الشامية . <http://Archi.org>

(اللسان / عوى)

(١٢)

(الشولة)

قال ابن كناسة : الشولة التي يتزل بها القمر حذاء القلب في حاشية المجرة .

(الأزمنة والأمكنة ١٩٤/١)

(١٣)

(الفلك)

قال ابن كناسة : بين السماء ما بين الدبور والجنوب عن يمينك إذا استقبلت القبلة قليلاً .

(الأزمنة والأمكنة ٨/٢)

(١٤)

مواقيت الضراب والتاج)

قال ابن كناسة : إذا انزى على الشاة عند اطلاق نجم من النجوم بالغداة
جدت حين ينوء والنخلة مثل الشاة سواء .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٧١)

(١٥)

قال ابن كناسة : وأفضل التاج الرباعي ، لا يزال ما نتج قوياً حسن الحال
إلى سقوط الصرفة . وهي آخر نجوم الربيع ثم يتجون في أول الصيف إلى
سقوط الغفر ، وذلك صالح .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٧٣)

(١٦)

(الرياح الأربع وتحديد مهابها)

وذكر أبو يحيى بن كناسة أن خالداً بن صفوان قال : الرياح أربع : الصبا
ومهبها ما بين مطلع الشرطين إلى القطب ، ومهب الشمال ما بين القطب إلى
سقط الشرطين ومهب الدبور ما بين مسقط القطب الأسفل . ومهب الجنوب
، بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٥)

(١٧)

قال أبو يحيى : الناس على قول خالد : فالقبول هي المشرقية ؛ لأنها من
قبل المشرق تجيء . قال :
إذا قلت هذا حين أسلو يشوقي نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
والدبور تناوحها وهي المغربية .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٦)

(١٨)

(ذكر الرياح وتحريير مهابها)

وقال ابن كناسة : تخرج النكباء ما بين مَطْلَع الذَّرَاع إلى القطب ، وهو مَطْلَع الكواكب الشامية . وجعل ما بين القطب إلى مسقط الذَّرَاع مَخْرَج الشمال وهو مسقط كل نجم طلع من مخرج النكباء من اليمانية واليمانية لا يتزل فيها شمس ولا قمر إنما يُهْتَدَى بها في البر والبحر ، فهي شامية . (اللسان / نكب)

(١٩)

(مخايل السحاب)

وقال ابن كناسة : هي عن يمينك إذا أنت استقبلت القبلة قليلاً . (كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ١٦٩)

(٢٠)

(كيف يكون الاهتداء بالنجوم)

قال محمد بن كناسة : إذا سقط منزل من منازل القمر بالغداة عند نوته قال محمد بن كناسة : إذا سقط منزل من منازل القمر بالغد عند نوته ، فعُدَّ منه (١) سبعة أنجم على موالاة العدد : فالسابع هو القبلة ، إلا أن تسقط (٢) العقرب . فإذا سقطت العقرب ، فالنعاثم قبلة ، والبلدة بعد تلك الساعة قليلاً قبلة أيضاً . ثم يعود الحساب .

فإذا سقط سعد الذابح ، فالخوت قبلة ، وهو السابع . ومثال ذلك أنه إذا سقط الشرطان ، كان السابع منه الذَّرَاع ، فهو (٣) القبلة . وإذا سقط البطين فالثيرة قبلة . وإذا سقطت الثريا فالطرف قبلة .

(١) الأزمة : منها .

(٢) الأزمة : يسقط .

(٣) الأزمة : وهو .

وإذا سقط (١) الدبران فالجبهة قبله. وإذا سقطت الحفصة، فالزبرة قبله .
وإذا سقطت النثرة، فالسماك قبله. وإذا سقط الطرف، فالغفر قبله. وإذا
سقطت الجبهة فالزباني قبله وإذا سقطت الزبرة فاللاكيل قبله .

ثم يقع الشك في القبلة عند سقوط التصرفة والعمء والسماك والغفر
والزباني والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة. وذلك؛ لأن العقرب
تسقط جميعا فلا يستقيم الحساب على سبعة أنجم. غير أنه إذ سقطت (٢) العقرب
كلها، كانت النعائم قبله، ثم البلدة قبله، والقبلة قريب منها ثم يسقط سعد
الذابح، فيكون رأس الحوت قبله، وهو مزمووم (٣) بالكف الخضيب .
فيرجع (٤) الحساب إلى السابع .

قال ابن كناسة في ذلك، وذكر طريق مكة
يومَ النجوم السابغات من التي تأوب إلا أن تأوب عقربُ
فأن هي آبت (٥) فالنعائم أوسع (٦) . وبلدتها ثم السوابع اصوب
قال : وكواكب العقرب أربعة منازل تطلع في الأوقات التي بينت
وتسقط كلها في وقت واحد .

(كتاب الأنواء، لابن قتيبة ١٩٠)

(الأزمة والأمكنة ٢ / ٣٢٨)

(٢١)

(في الاهتداء بالنجوم)

وقال ابن كناسة : وفي الاهتداء بالنجوم يقول الشاعر :
نؤمُّ بافاق السماء وترتمي مغانيها أرجاء دواية قفر
(الأزمة والأمكنة ٢ / ٢١٧)

(١) الأزمة : سقطت .

(٢) من : الأزمة .

(٣) الأزمة : مذمووم، تحريف .

(٤) الأزمة : ويرجع .

(٥) الأزمة : آبت، تصحيف .

(٦) الأزمة : آها .

المراجع والمصادر

- أدب الدنيا والدين للماوردي . تح مصطفى السقا مصر ط ٤ سنة ١٩٧٣ .
إرشاد الأريب ، لياقوت الحموى . ط ١ بعناية مرجليوث . مصر سنة ١٩٢٧ .
الازمنة والامكنة للمرزوقي ، ط ١ ، حيدرآباد سنة ١٣٣٢ .
الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني . ط. الهيئة المصرية العامة .
الأمالى - للقالى . المكتب التجارى ، بيروت .
أمالى المرتضى - لعلى بن الحسين . تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٩٦٧ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة - للقفطى ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، مط .
دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .
الأنساب ، للسمعاني ، لايزك سنة ١٩١٢ .
أنساب الأشراف - للبلاذري . تح محمد حميد الله .
أنوار الربيع في أنواع البديع - لعلى بن معصوم المدني . تح شاكر هادي شكر
كربلاء ، العراق .
الأوراق - للصولي . نشره ج . هيورث دن .
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>
إيضاح المكنون - للبغدادي ، ط ٣ سنة ١٩٤٧ .
بدائع البدائ - لأبي الحسن علي بن ظافر الأزدي . تح محمد أبو الفضل ابراهيم
مصر ، سنة ١٩٧٠ .
البداية والنهاية - لابن كثير . مكتبة المعارف بيروت ط ١ سنة ١٩٦٦ .
البديع - لابن المعتز . تح أغناطيوس كرا تشوفسكي . لندن سنة ١٩٣٥ .
بغية الوعاة - للسيوطي . تح محمد أبو الفضل ابراهيم . مط . عيسى البابي
الحلبي سنة ١٩٦٨ .
بهجة المجالس وآنس المجالس ، للنمرى القرطبي ، تح محمد مرسي الخولي - مصر .
البيان والتبيين - للمجاحظ . تح عبد السلام هارون . دار التأليف ، مصر ط ٣ سنة ١٩٦٨ .

- تاج العروس - للمرئضي الحسيني الزبيدي: ط ١ مصر سنة ١٣٠٦ .
- تاريخ بغداد - للطبيب البغدادي . نشرة دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تأريخ الرسل والملوك - للطبري . طهران .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للعقلاني أحمد بن علي . مصر .
- تجريد الأغاني - لابن واصل الحموي . تح طه حسين وزميله ، القاهرة سنة ١٩٥٧ .
- التشبيهات - لابن أبي عون . تصحيح : محمد عبد المعين خان ، كمبرج سنة ١٩٥٠
- تقريب التهذيب - للعقلاني ، تح عبد الرهاف عبد اللطيف .
- تهذيب التهذيب - للعقلاني ، دار صادر ، بيروت ،
- تهذيب اللغة - للأزهري . مصر .
- الجرح والتعديل ، لارازي طاحيدر آباد سنة ١٣٦١ .
- حكاية أبي القاسم البغدادي - لمحمد بن أحمد أبي المطهر الازدي . نشرة آدم متر هايد لبرج سنة ١٩٠٢ .
- الحيوان - للجاحظ . تح عبد السلام هارون . مط مصطفى البابي الحلبي
- خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال - للخزرجي الأنصاري ، ط ١
- سنة ١٣٢٢ . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
- ديوان أبي نواس - رواية حمزة بن الحسن الاصبهاني . شرح محمود أفندي واصف . مط . العمومية ، مصر سنة ١٨٩٨ .
- زهر الآداب - للخصري ، تح علي محمد البجاوي . القاهرة ، سنة ١٩٥٣ .
- سرقات أبي نواس - لمهلل بن يموت . تح وشرح محمد مصطفى هدارة . مط . أحمد مخيمر ، مصر .
- شذرات الذهب - لابن العماد الحنبلي .
- شرح أدب الكاتب - للجوالقي . نشرة مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٥٠ .
- شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي ، سنة ١٩٥٢ .
- شروح سقط الزند ، مصورة طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٨ القاهرة .
- شعر الكميت بن زيد الأسدي - تح داود سلوم ، بغداد سنة ١٩٦٩ .

- الصبح المنبي عن حبيبة المنبي - ليوسف البديعي . تح مصطفى السقا وزملائه
دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ .
- الصناعتين - لابي هلال الحسن بن عبد الله ، تح علي محمد البجاوي وزميله
مط . عيسى البابي ، سنة ١٩٥٢ .
- الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد الزهري . بيروت سنة ١٩٥٧ .
- طبقات النحاة واللغويين - لابن قاضي شهبة . تح محسن غياض ، مط . الانعمان ،
النجف ، سنة ١٩٧٣ .
- طبقات النحويين واللغويين - للزبيدي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مضر
سنة ١٩٥٤ .
- العبر في أخبار من غير - للذهبي ، تح صلاح الدين المنجد ، الكويت .
- أبو العتاهية : حياته وشعره - لمحمد محمود الدش . القاهرة سنة ١٩٦٨ .
- العصر العباسي الاول - لشوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٦٩ .
- عيون الأخبار - لابن قتيبة - طبعة دار الكتب المصرية .
- الفاضل - للمبرد . تح عبد العزيز الميمني القاهرة سنة ١٩٥٦ .
- القهرست - لابن التديم ، البيروت سنة ١٨٧٢ <http://ArabicBooks.org>
- القرويني وشروح التخليص لأحمد مطلوب ، سنة ١٩٦٧ .
- الكامل في التأريخ - لابن الأثير دار بيروت ، سنة ١٩٦٥ .
- الكنى والأسماء - لابي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي . حيدر آباد
سنة ١٣٢٤ .
- الكنى والألقاب - لعباس القمي . مط الحيدرية - النجف سنة ١٩٦٩ .
- لباب الآداب - لاسامة بن منقذ . تح أحمد محمد شاكر ، مط . الرحمانية
مصر سنة ١٩٣٥ .
- اللباب في تهذيب الأنساب - لابن الأثير ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، سنة ١٣٥٦ .
- لسان العرب - لابن منظور . بولاق ، سنة ١٣٠٠ .
- لسان الميزان - للعسقلاني . حيدر آباد ، سنة ١٣٣١ .
- مجالس ثعلب - تح عبد السلام هارون ، النشرة الثانية . دار المعارف .

- مجالس العلماء - للزجاجي . تح عبد السلام هارون الكويت سنة ١٩٦٢ .
- محاضرات الادباء ، للراغب الاصبهاني . القاهرة سنة ١٣٢٦ .
- مختار الأغاني لابن منظور . تح عبد العزيز أحمد . القاهرة ، سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
- مراتب النحويين - لابني الطيب عبد الواحد بن علي . تح محمد أبو الفضل . ابراهيم . مط . نهضة مصر .
- مشكلة السرقات في النقد العربي - لمحمد مصطفى هداره .
- المعارف - لابن قتيبة تح . ثروت عكاشة . مط . دار الكتب سنة ١٩٦٠ .
- المعاني الكبير - لابن قتيبة الدينوري . حيدر آباد الدكن - الهند ، سنة ١٩٤٩ .
- معاهد التنصيص - لعبد الرحيم بن أحمد العباسي . تح محمد محيي الدين عبد الحميد . مط . السعادة ، مصر سنة ١٩٤٨ .
- معجم البلدان - لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي . ط . صادر بيروت .
- معجم الشعراء - للمرزباني ، تح عبد الستار أحمد فراج . دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ .
- معجم المؤلفين - لعبد رضا كحالة . مط . الرقي . دمشق .
- المتنخل - للثعالبي ، الاسكندرية ، سنة ١٩٩٠ . <http://ArabicLib.org>
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - للمرزباني .
- مذهب الأغاني - تصنيف محمد الخضري . مط . مصر
- ميزان الاعتدال - للذهبي . مصر سنة ١٣٢٥ .
- النجوم الزاهرة - لابن تغري بردى . ط . دار الكتب العربية ١٩٣٠ .
- نهاية الأرب - للتوحيدي . مصورة ط . دار الكتب .
- نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ، تح ودلف زهايم ، فيسبادن سنة ١٩٦٤ .
- هدية العارفين - للبغدادلي . استانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
- الوافي بالوفيات - للصفدي ، ط ٢ باعثناء هلموت ريتز سنة ١٩٦١ .
- الورقة - للجبراح ، تح عبد الوهاب عزام وزميله . دار المعارف مصر ١٩٥٣ .

وفيات الأعيان - لابن خلكان .تحـ إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٩ .
Brockelmann - Geschichteden Arabischen litteratur , leyde , 1943,G63 .

— ملاحظات على المصادر —

- (١) في الحيوان ٥ / ١٣٣ :
على الآفا .. ق وصوابه: على الآفا .
- (٢) في الورقة ٨٧ :
على الك .. سوف وصوابه: على الكو .
وفي ص ٨٧ ، ورد البيت مضطربا :
فا .. لمخجات الفرائيات تُهـ .. سدي لها الشمال الصحاري
وصوابه :
فا .. لمخجات الفرائيات .. يات تُهـدي لها الشمال الصحاري
وفي ص ٨٨ :
ال .. طلَّ وصوابه : الطلَّ .. طلَّ
أو : الطلَّ .. طلَّ <http://Archivebeta.Sakhr.it>
- (٣) كتاب الكنى والأسماء ٢ / ١٦٥ : أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد (الأعلى)
- (٤) في الأغاني ١٣ / ٣٤٢ .
وكان يحيى يستحسنها ولعله أراد : أبا يحيى (ابن كناسة) ، وإلا
فإن هذه العبارة مقحمة .
- (٥) الأنساب ٤٨٧ ب : قيل : إن كناسة لقب جده (عبد) الأعلى .
- (٦) نور القبس ٢٩٢ :
هل للنفوس من الحوادث من واقٍ
والصحيح باسقاط (من) الثانية ، ليستقيم الوزن .
وفي ص ٣٠٠ موضعان :
الأول : أورد كلمة « العسبار » وشرحها ولم يورد بيت ابن كناسة

الذي جاءت فيه هذه الكلمة .
وأفحم في الصفحة ذاتها قول ابن عباس ، مما لا يمت بصلة إلى ترجمة
ابن كناسة .
(٧)طبقات النحاة ص ١٣٨ : ابن حاتم الرازي ، ولعله خطأ مطبعي
صوابه أبو حاتم الرازي .
أو : ابن أبي حاتم الرازي .
أما الكنى والألقاب ١ / ٣٩٣ ، فبدلاً من أن يعنى بشخصية
ابن كناسة وزهده ، انصرف إلى خاله : ابراهيم بن ادهم ليسرد روايات
عن تصرفه أقرب إلى الاسطورة منها إلى الحقيقة .

مجهول قاسم مصطفى
مدرس مساعد - قسم لغة العربية
كلية الاداب - جامعة الموصل
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

دراسة تحليلية في همزتي إِنْ وَأَنْ

عبد الوهاب محمد علي العلواني

— القسم الأول —

يشكل علينا استعمال : (إِنْ وَأَنْ) في أغلب الأحيان ،
فيقع الخطأ موقع الصواب ، والفتح موضع الكسر ،
ويحدث العكس أيضاً ، ولا يمثل في أذهاننا في بعض ذلك
وجه قاطع لاستعمال أية واحدة من هاتين الأداتين ، من
هنا وجدت المسألة محتاجة إلى بحث جامع يحدّها ،
ويكشف دقائقها ، بعد أن استفاض الوهم فيها ، فاعزى
كلام الخاصة بله العامة ، على أن معرفتها تنعين على
الكافة ، لأنها ليست من قبيل الوجوب الكفائي كما يقول
الأصوليون ، وبخاصة إذا عرفنا أن النصوص الصحيحة
— مقروءة — ومكتوبة — تقتضي بطبيعتها مقاييس ثابتة
مستمدة من ضوابط النحو واللغة ، وما يقدمه هذا البحث
من عرض نقدي فاحص ورصد شامل سيضع أيدينا على
حقائق متعددة أغفلناها ، أو غفلنا عنها ، مع كونها
جوهرية وموضوعية ، والدرس النحوي الجديد ضمن
بأن يقدم لنا كثيراً من التفسير والتحليل في مسائل ، استقر
لدينا أنها من جملة مانضج وأحترق من هذا النحو العربي
المتسع المتداخل ، وواقع الأمر ليس كذلك ، وهذه
الدراسة طرف من البصر النحوي ، لاتسلم لكل بماقاله
النحاة القدماء ، بل إن لها أن تقول في موضوعها شيئاً ما أيضاً .

قرر النحاة للهمزة في : (إنّ وأنّ) ثلاثة أحوال :

١- وجوب الكسر .

٢- وجوب الفتح .

٣- جواز الوجهين .

وإدراك أسرار هذه الوجوه يساعدنا على إجراء هذا الحرف مجراه الصحيح في ضوء عرف عام ، أوجزه الزمخشري بقوله : «والذي يميز بين موقعيهما أنّ ما كان مظنة للحملة ، وقعت فيه المكسورة ، وكقولاك مفتتحا : إنّ زيدا منطلقاً ، ... وما كان مظنة للمفرد ، وقعت فيه المفتوحة نحو مكان الفاعل ، ... ومن المواضع ما يحتمل المفرد والحملة ، فيجوز فيه إيقاع أيتهما شئت(١)» ، وقال ابن مالك : « يستند كسر (إنّ) ما لم تؤول هي ومعمولها بمصدر ، فإن لزم التأويل ، لزم الفتح ، وإلا فوجهان(٢) » ، ونظير هذا قول ابن هشام : «تعين (إنّ) المكسورة حين لا يجوز أن يسدّ المصدر مسدّها ومسدّ معموليها ، و(أنّ) المفتوحة حيث يجب ذلك ، ويجوز أن إنّ صح الإعتباران(٣)» ، وعلى هذا يكون المعنى وطبيعة التركيب هما المحكمين في تحديد نوع الإستعمال وأداته ، إذ الحملة باقية أفع المأكسورة على فائلتها المركبة من مجموعة دلالات لفظية مجردة مترابطة ترابطاً نظامياً إسنادياً ، وهي مع المفتوحة في حكم المفرد(٤) بدلالته المجردة المفردة الواحدة .

...

إن الضابط المتقدم الذي أقره النحاة ، ولخصه ابن مالك في بيت ألفيته :

(١) الفصل : (بيروت ١٣٢٣هـ) - ٢٩٣/ - ٢٩٤ .

(٢) تسهيل الفوائد : (القاهرة ١٩٦٧) - ٦٢/ .

(٣) أوضح المسالك : (القاهرة ١٩٦٧) - ٣٣٣/١ .

(٤) شرح ابن القواس على كافية ابن الحاجب : (مخطوطة الاسكوريال ، رقم ٩٠٤٨٩) - ٢/ القوحة ٢١٨ - ٢١٩ . والكتاب أصل رسالة ، يدها الكاتب للحصول على الدكتوراه من جامعة القاهرة .

وهمز (أن) أفتح لصد مصدر

مصدّها ، وفي سوى ذلك أكسر (ه)

رآه أبو حيان الأندلسي في كلامه على هذا البيت قانوناً كلياً - كما سماه - ليس بصحيح على الإطلاق ، لأنها تفتح حيث لا يبد المصدر مصدّها أيضاً في المواضع الآتية :

الأول : بعد (ما) التوقيتية ، في مثل قولهم : (أصبحك ما أن في السماء نجماً) .

الثاني : بعد (ظن) وأخواتها : إذ لا يصح عند سيويه أن تقول : (ظننت قيام زيد) ، في موضع : (ظننت أن زيدا قائم) .

الثالث : أن يكون خبرها جامداً : نحو : (عرفت أن هذا حجر) .

الرابع : بعد (لو) ، نحو : (لو أن زيدا قائم لقمّت) . ولا يصح : (لو قيام زيد لقمّت) (٦)

وسنعود على هذه المواضع بالتفصيل فيما نستقبل من هذا البحث .

ARCHIVE

تقدمت الإشارة إلى أن المكسورة مع معموليها مستقلة بفائدتها ، ويؤكد ابن الحاجب : أنها لا تغير معنى الجملة (٧) ، تقول : (إن زيدا منطلق) وتسكت كما تسكت على : (زيد منطلق) (٨) ، ويفهم من هذا : أن الجملة بعدها لا تنجيء بحيث تكون محلاً لأثر عامل ، أي كان من العوامل ، خلافاً للمفتوحة التي تأتي في صدر جملة إسمية ، تقبل تأثير هذا العامل ، وفي ضوء هذا الترابط يتكامل المعنى ، وتستقر الدلالة ، بعد أن تنقلب الجملة معنىً وحكماً إلى (مفرد عرفي) ، يسميه النحاة : (المصدر المؤول) ، وهم يعدّون الأداة فيه موصولاً حرفياً ، لا بدّ له من صلة ، كما أن العامل الذي يسبق

(٥) الألفية : (نسن : مجموع المتن الكبير ، القاهرة ١٣٤٦هـ) - ٢٤٢/ .

(٦) منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك : (نيوهافن ١٩٤٧هـ) - ٧٤/ ، وسنشير إليه :

شرح أبي حيان ، لكلا يشبه على القاريه بشرح الأشوني : منهج السالك .

(٧) الكافية : (استانبول ١٣٠٥هـ) - ٣٢/ .

(٨) المفصل / ٢٩٣ .

هذه الجملة ضمير - كما سماه الزمخشري - لا بد منه (٩) ، تقول : (بلغني أن زيداً منطلق ، وحق أن زيداً منطلق) ، وهذه الجملة التكملة من الأداة وأسمها وخبرها مفتقرة بالضرورة إلى شيء تتعلق به ، ولا تستقل عنه . فصدروها بأنواع مختلفة من العوامل ، قال ابن الخشاب : «المفتوح مع أسمها وخبرها في تقدير مفرد محكوم له بوجه الإعراب التي تتناول المفردات : ولهذا اعتبرت أن يحسن في موضعها - إذا حذفت مع معموليها - : (ذاك) . أي : هذه اللفظة ، إذا قلت : (علمت أنك منطلق) ، تضع مكان أن معموليها : ذاك ، فنقول : (بلغني ذاك) ، فيكون كلاماً صحيحاً . وكشف هذا التعليل... بوضع ذاك موضعها : أنها مع أسمها وخبرها في تقدير مصدر ، والمصدر : أسم مفرد ، وهذا وقعت : فاعلة ومنعولة ومجرورة » (١٠) ، وقوله : «المصدر أسم مفرد» : إشارة إلى أنه يؤدي دلالة غير مركبة كعامية المفردات اللغوية ، ولا ينتج لأكثر من معنى الحدث المستمر المركوز فيه ، إذا علمنا أن لكل لفظ من هذا القليل دالتين ، الأولى : أصلية ، وهي مطلق معناه ، والثانية : تابعة ، وهي معناه من خلال موضعه في كلام ما ، وهو قد يقرب من المعنى الأول ، أو يختلف عنه قليلاً أو كثيراً ، فالانطلاق : حدث عام ، لا يخرج من هذه الصفة إلى الخصوص والتقييد إلا في معارض النظم الكلامية المختلفة ، وفيها تكون الدلالة بالتركيب تامة مفيدة مستقلة بمعناها الذي يحسن السكوت عليه ، فكان أن تقدم على المصدر - صريحاً ومؤولاً - ما يتطلبه في أية جملة من الجمل ، كأن تقول : (بلغني أنطلائك ، أو : أنك منطلق ، وعرفت أنطلائك ، أو : أنك منطلق ، وعجبت من أنطلائك ، أو : من أنك منطلق) ، ومكسورة أهمزة في عدم احتياجها إلى شيء من هذه العوامل تختلف اختلافاً أولياً عن المفتوحة ، نظراً إلى استقلال جملتها فائدة ومعنى ، ولا يبقى فرق بين قولك : (إن زيداً

(٩) م . ن . ٢٩٣ .

(١٠) المرحلي في شرح الجمل : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة ١٩٧٢) - ٢١٨ . وانظر : كتاب سيويه : (القاهرة ١٩٦٦) - ٤٦١/١ - معاني القرآن للاخفش الاوسط : (مخطوطة مكتبة استانة قدس ، مدينة مشهد : رقم ٣ : ٢٢٠ ، ٦٩ : ٤٧) ، عن رسالة الاستاذ : عبدالامير محمدابن الورد : منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية : (بيروت ١٩٧٥) - ٣٣٦ .

منطلق ، وبين : زيدٌ منطلق) إلا معنى التوكيد ، ولذا صحَّ أن تقع في صدر صلة الموصول في مثل قوله تعالى : «وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» (١١) خلافاً للأخرى في قلبها معنى الجملة إلى الأفراد ، ومن وهم النحاة اعتبار جملتها في حكم المصدر المؤكد ، ولولا إرادة التأكيد بها عندهم ، لكان المصدر أحق بالموضع منها كما فقههم من كلام ابن يعيش (١٢) ، وعندني في إفادتها التأكيد رأي ، سأعرض لشرحه فيما بعد .

تبين لنا أن بعض النحاة يظن مفتوحة أَلَمْزة فرعاً على المكسورة في نظر سيبويه (١٣) والمبرد (١٤) وابن السراج (١٥) ، لأنهم قالوا في : (إنَّ وأخواتها) : (الحروف الخمسة) ، ولم يعدوا المفتوحة للسبب المشار إليه ، وهو مذهب ألفراء أيضاً ، وقيل : العكس (١٦) ، وقد رجح ابن أم قاسم المرادي الرأي الأول ، وأكد صحته بما يأتي :

- ١ - الكلام مع المكسورة جملة غير مؤولة بمفرد ، بخلاف المفتوحة ، والأصل : أن يكون المتطوق به جملة من كل وجه ، أو مفرداً من كل وجه .
- ٢ - المكسورة مستغنية بمجمولها عن زيادة بخلاف المفتوحة .
- ٣ - المفتوحة تصبح مكسورة بحذف ما تتعلق به ، كقولك : (عرفت أنك بَرٌّ : إنك بَرٌّ) ، ولا تصبح المكسورة مفتوحة إلا بزيادة ، و المرجوع إليه بحذف : أصل .

(١١) القصص ، الآية ٧٦ .

(١٢) شرح المفصل : (القاهرة . غير مؤرخ) - ٥٩/٨ .

(١٣) الكتاب ٢٧٩/١ .

(١٤) المنقضب : (القاهرة ١٩٦٣ - ٦٨) - ١٠٧/٤ .

(١٥) الأصول في النحو : (النجف ١٩٧٣) - ٢٧٧/١ . والموجز في النحو : (بيروت ١٩٦٥)

- ٣٧ / -

(١٦) الجنى الداني في حروف المعاني : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير - جامعة

بغداد ١٩٧١) - ٣٦٤ / -

٤ - المكسورة تفيد معنى واحداً ، وهو التوكيد ، والمفتوحة تفيده . وتعلق ما بعدها بما قبلها ، فكانت فرعاً .

٥ - المكسورة أشبه بالفعل ، لأنها عاملة غير معمولة ، كما هو أصل الفعل .

٦ - المكسورة كلمة مستقلة . والمفتوحة كبعض أسم (١٧) .
وهذه الإشارات التوجيهية تضع أيدينا على طبيعة كل واحدة من هاتين الأداتين . ومن أبرزها المشابهة الإستعمالية بين المكسورة وبين الفعل من حيث وضعهما في التراكيب وأستقلالهما المعنوي وأثرهما الإعرابي ، والمفتوحة كالمصدر . ينصب عاملاً وينتصب معمولاً ، كما في قولنا : (درساً الدرس) ، ومن ثم لا يتحقق لها أستقلال معنوي . يرفعها إلى درجة المكسورة قوة وتأثيراً .

حمل النحاة على الربط بين (إنّ وأنّ) تقديرهم لشكلهما الكتابي الواحد . وإهمالهم وظيفة كل منهما مستقلة عن قسمتها ، وهم قد قرروا - كما قدمنا - : أنّ المفتوحة مع معموليها مختصة بحكم إعرافي مساوٍ لحكم المصدر المساوي لها في الدلالة ، وليست كالمكسورة التي تؤكد الجملة الأهمية توكيداً محضاً . وهي ليست حرفاً مصدرية (١٨) . لأنهما حرفان مختلفان كل الاختلاف . قال الكنغراوي : «إنّ» : لتحقيق مضمون الجملة ، وأنّ : لتأويلها بالمصدر «(١٩)» ليس غير ، وحين نعلم إلى إثبات ما رأيناه ، لا نجعل أنّ منطق اللغة يرتب علينا الاخلاص لمقتضيات العنوية اللغوية مجردة من تدخل العقل والفلسفة ، لما بين هذين المنطقين من التعارض الواضح ، لكي يكون الفكر النحوي قائماً في أرضه الخالصة ، ولكن الواقع جافى هذا الفرض . وخالفه مخالفة كبيرة ، فلا ننكر - اليوم - ما في نحونا من سمات عقلية مشهودة . ونحن حين نتناول مسألة التوكيد : (إنّ وأنّ) مسوقون إلى دائرة العقل

(١٧) م. ن / ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(١٨) دراسات نقدية في النحو العربي : (القاهرة ١٩٥٧) - ١٩٢/١ .

(١٩) الموني في النحو الكوني : (دمشق ١٩٥١) ، مجلة الجمع العلمي العربي ، مج ٢٦ / ٤٠٨ .

بالضرورة ، معتبرين هذا المسلك منهجاً من مناهج البحث ، التي لا يمكن الإغضاء عنها أو التفكاك منها .

يقول البصريون : إنَّ : مؤكدة للجملة ، واللام مؤكدة للخبر (٢٠) في مثل قوله تعالى : «فإنَّ اللهَ لغنيٌّ حميدٌ» (٢١) ، لأننا لا نحتاج بأي وجه من الوجوه إلى تأكيد الموجود الواجب الوجود سبحانه وتعالى ، واللام آتية لتؤكد لنا أنه غنيٌّ ومحمود بذاته ، وقد صحَّ الجمع بين أدائي التوكيد هاتين ، لتباين في طبيعة كل واحدة منهما عن الأخرى غاية وعملاً ، فلا يخفى علينا أنَّ في الآية ونظائرها من الكلام تأكيدين :

الأول : تأكيد مضمونها كاملاً بالحرف العامل معنى وإعراباً ، وهذا أمر لامشاحة فيه .

الثاني : تأكيد جزئها ألقائهم بمعناه اللغوي المفرد ، وهو الخبر المستند تحقيقاً إلى الأسم بواسطة اللام .

فلذا قيل : كيف يكون لـ : (إنَّ) تأكيد المضمون كاملاً ، وهي معلقة ممنوعة عن التسلط على الخبر بسبب وجود اللام قبله ؟

والجواب : أنَّ اللام محققت الخبر وصفاً للاسم ، والصفة عادة قائمة بالموصوف ، لأنها عرّض من أعراضه ، وحين يتحقق وجود الشيء ، فالممكن عقلاً وواقعاً وجود أعراضه وصفاته (٢٢) أيضاً . ومن هنا لا يتوقف أثر : (إنَّ) عند حلول الاسم دون الخبر في الجملة ، بل يتعداها إليه كذلك في المعنى - الذي هو ، التوكيد دون اللفظ ، وعلى هذا يكون التعليق حجباً للأثر الإعرابي الذي ينتظر من الأداة أن توقعه على طرفي الجملة اسماً وخبراً ، ولكنه بسبب وجود اللام يقع على الاسم فقط ، ولا ينال الخبر منه شيء ، بخلاف الإلغاء الذي هو ترك العمل لفظاً ومعنى بلا مانع ، وإذا كانت الجملة الاسمية مستقرة عند العربي مبتدأ وخبراً ، فإن اجتماع اللام وإنَّ المكسورة فيها ، يعطيها شيئاً

(٢٠) اللامات : (دشق ١٩٦٩) - ٦٦/ .

(٢١) إبراهيم : الآية ٨ .

(٢٢) أنظر : التحقيق التام في علم الكلام : (القاهرة ١٩٣٩) - ٥٨/ .

ويفقدها شيئاً آخر ، فالحرف المشبه بالفعل يحيلها عن صورتها الأولى ، فيكون فيها نصب ورفع وتوكيد سياقي عام ، كما يتحقق لها باللام توكيد رجعي ، يرتد بالخبر المسند ، فيجعله صفة مستقرة في المسند إليه ، فتقوى عناصر التركيب وتشابك . وكان هذا ممكن الحصول لو لم يفترض منطق اللغة وناموسها الخاص عدم صحة اقتران اللام بأن المفتوحة في أية جملة من الحمل ، فتعذر اقترانها أولاً ، ثم لم يكن للأداة المفتوحة من التوكيد ما للمكسورة ثانياً ، وهذا مانعيل إليه مقتنعين .

إن الفيلسوف أبا نصر الفارابي حين فحص : (إن) المكسورة ، أشار إلى أنها من الحروف التي تقرن بالشيء ، فتدل على ثبوت وجوده و الوثوق بصحته ، كقولنا : (إن الله واحد ، وإن العالم متناه) . ولا يذكر المفتوحة لمثل هذا الغرض صراحة ، ولكنه في بعض كلامه ، يتناولهما معاً ، فيؤكد دلالة الأولى على معنى الثبات والدوام والكمال والوثاقة — على حد قوله — من الوجود ، ومن العلم بالشيء ، ثم يقول : «موضع : إن» وأن في جميع الألسنة يسن ... من ذلك في اليونانية : (أن وأون) وكلاهما تأكيد ، إلا أن : (أون) التأكيد أشد تأكيداً ، فإنه دليل على الأكمل والأثبت والأدوم . فلذلك يسمون الله تعالى : ب : (أون) ممدود الواو ... ، فإذا جعلوه لغير الله قالوها (أن) مقصورة ، ولذلك تسمى الفلاسفة الوجود الكامل : (إنية) الشيء ، وهو بعينه ماهيته ... ، وينتهي إلى أن الأداتين العريبتين لاستعمالان إلا في الإخبار دون السؤال (٢٤) ، والإخبار مظنة لوقوع الشك فيه ، فاقضى الموقف التأكيد المناسب لوضع المستخبر من خلو الذهن أو الشك أو الإنكار ، وقد نقل عبد القاهر الجرجاني : أن الكندي الفيلسوف قال : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقل له : في أي موضع وجدت ذلك ، فقال : أجد العرب يقولون : (عبدالله قائم) ، ثم يقولون : (إن عبدالله قائم) ، ثم يقولون

(٢٣) الألفاظ المستعملة في المطلق : (بيروت ١٩٦٨) - / ٤٥ .

(٢٤) الحروف : (بيروت ١٩٦٩) - / ٦١ .

: (إنَّ عبدالله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فأجيب : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبدالله قائم : إخبار عن قيامه ، وقولهم : إنَّ عبدالله قائم : جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إنَّ عبدالله لقائم : جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الالفاظ لتكرار المعاني (٢٥) ، والإستعمال الأخير عند القراء لا يقع إلا جواباً تحقيقاً بعد نفي على حد ما نقله الزجاجي ، وقال : «كأن قائلًا قال : (مازيد قائم) ، فقلت : (إنَّ زيداً قائم) ، فأدخلت (إنَّ) في كلامك تحقيقاً بأزاء (ما) النافية في كلامه ، فإن قال : (مازيد بقائم) ، قلت : (إنَّ زيداً لقائم) ، فجعلت : (إنَّ) بإزاء : (ما) ، واللام بإزاء الباء (٢٦) ، وهذه اللام هي التي سماها أبو جعفر النحاس : (لام التوكيد) ، ووصفها بقوله : «لا تكون إلا بعد إنَّ الشديدة المكسورة أهزمة ... ولا يجوز فيها غير هذا ، لأنها تحقّض الألف التي قبلها ، وترفع الخبر الذي بعدها» (٢٧) ، والألف المذكورة هي همزة (إنَّ) لا غير ، فلو كانت مفتوحة ، لتعتبر قبول اللام في الجملة على وجه ما قدمنا ، ولاقتضت طبيعة المعنى وجوه عامل تتعلق به الجملة بصورة من الصور ، فلا يظهر أثر للتوكيد ، ونسج الجملة يدعوننا إلى لم جزئيات متعددة ، لنجعل منها المفرد الفاعل ، أو المفعول به ، أو المضاف إليه ، فالأداة في سبيل هذا أشبه ما تكون بحروف المباني المعروفة ، التي تتكون منها المفردات اللغوية عامة ، فلا توكيد ولا تحقيق ، بل تأويل ووصل وبناء

في ضوء ما تقدم أستقر لدينا أن هاتين الأداتين : (إنَّ وأنَّ) لا تتقاربان وظيفة على وجه التحقيق ، وإن كان ثمة من قرابة : فهي بين المفتوحة منهما ، وبين : (أنَّ) الناصبة للمضارع ، وليس بين : (إنَّ وأنَّ) ، فالناصبية

(٢٥) دلائل الإعجاز : (القاهرة ١٣٣١م) - ١٦٩/ .

(٢٦) اللامات / ٦٠ .

(٢٧) رسالة في اللامات : (بغداد ١٩٧١) ، مجلة المورد ، مج ١٤٧/١ .

للمضارع مصدرية ، ومدخولها هو الجملة الفعلية ، وأنَّ مصدرية أيضاً ، ومدخولها هو الجملة الاسمية ، وإشارة النحاة إلى التأكيد بالفتوحة مخالفة للمفهوم من أفصح النصوص العربية . إذ لم تفرق هذه النصوص من حيث درجة التوكيد بين عبارتي : (علمتُ بأنكُ مسافرٌ ، وعلمتُ بسفركُ) ، وإلا لوجب أن نقول : إن عبارة : (أريد أن أسافر) ، أكد من عبارة : (أريد السفر) ، وما علمنا أحداً قال بهذا (٢٨) ، لعلمنا بتناظر هذين النوعين من المصادر حكماً ودلالة . وإذا قرأنا الإشارة الثالثة من إشارات المرادي المتقدمة أدركنا أن الفتوحة تصير مكسورة بحذف ما يتعلق به ، فقولك : (علمتُ أنكُ مسافر) ، لا يؤدي دلالة أكبر من : (علمتُ سفرك) ، وليس في الجملة أي ملحظ للتوكيد ، مع إصرار بعض الباحثين على وجوده اقتناعاً بما يتلقاه في الدرس البلاغي ، وفي هذا إغفال للحاجة التي أقتضت وجود فتوحة الهمزة صدرأ في الجملة كما بينا آنفاً ، ولا يكون توكيد الجملة الاسمية بهذه الأداة إلا بعد إسقاط ما يتعلق به من ألعوامل ، والتحول من فتح الهمزة إلى كسرها لزوماً ، وهذا التحول نقل للمضمون من الأفراد العرفي أو ألسبك أو التأويل إلى التركيب ، وبعبارة أخرى : من المصدر إلى الجملة ، وتوكيد الجمل أمر معروف تدعو إليه ضرورات خاصة ، يهتم بها البلاغيون ، وإذا قلنا مؤكدين : (السفرَ السفرَ) ، أو : (عانيتُ السفرَ نفسه) ، فإن هذا لا يُناظر المصدر المؤول : (أنكُ مسافر) مجرداً من العامل لفساد معناه وقصور دلالته ، فوجود عامله ضرورة لازمة لأبد منها ، ولو أردناه كامل الدلالة من غير عامل كسرنا همزته ، وأخرجناه من الأفراد المعنوي العرفي إلى المضمون الإسنادي المركب ، وكسر الأداة يجعله خبراً طلياً من الزاوية البلاغية ، وهو بلا أداة خبر ابتدائي لاوجه فيه للتوكيد (٢٩) ، فإذا قلت :

(٢٨) الخيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : (بيروت ١٩٧٢) - ٢٢/٢ - ٢٣ ، الهامش

(٢٩) أنظر : المبسط في علوم البلاغة : (بيروت ١٩٦٢) - ٢٦/ .

(عرفت أنك مسافر) . أصبحت الأداة عنصراً أصيلاً في بناء المصدر ، وليست إضافة خارجية . تطرأ على التركيب ، لتؤكد وتقويه ، كما تفعل (إن) المكسورة ، فالمصدرية إذن صفة لازمة للمفتوحة ، وحين نصرح بالمصدر المؤول ، فإن أداته لانفيد تأكيداً كما نقل المرادي عن بعض النحاة (٣٠) . فإذا كان احتمال كونها مؤكدة متوقفاً على عدم التصريح بالمصدر ، فإننا نرى السهيلي يقول : «أن» المشددة إنما تؤول بالحديث على نحو قول سيويه ، ويؤيده أن خبرها قد يكون اسماً محضاً ، نحو : (علمت أن الليث الأسد) ، وهذا لا يشعر بالمصدر (٣١) .

تعني إشارة السهيلي إلى التأويل بالحديث : توهم التأويل وأفترضه من الناحية المعنوية فقط ، مع بقاء الجملة على وضعها اللفظي المركب المعروف ، وهذا الوضع يجعلها تناظر المكسورة وظيفة وعملاً ، وتوهم تأويلها مع معموليها غير مقصود لذاته ، لأن دخولها على الجملة الاسمية لم يقع لتوكيد المصدر المؤول قصداً ، بل لتأكيد الإسناد بين الاسم والخبر ، إذ لو كان القصد تأكيد المصدر المؤول ، فإن الميل إلى الاقتصاد والاختصار يجعل المصدر الصريح أخرى بالإستعمال منه على ما فهمنا من ملحظ ابن يعيش فيما تقدم . ومن ثم فلا حاجة للإتيان بها عند الأغلبية إلا للتوكيد ، وهذا قائم على وصف نسج الجملة الظاهر فقط . وأنا أتمثل التوكيد المظنون في المفتوحة وجملتها وكأنه من قبيل ما قيل في وصف المفردات : (زيادة المبني زيادة في المعنى) ، والأمر ليس كذلك ، لعلمي أن هذه الأداة ، و(أن) الداخلة على المضارع والماضي ، والتفسيرية الداخلة على الأمر في الحقيقة حرف واحد ، يشدد إن دخل على الجملة الاسمية ، ويخفف إن دخل على الجملة الفعلية ، تقول :

- علمت أنك مسافر .

- أريد أن تذهب معي .

(٣٠) الجنى الداني / ٣٦٤ .

(٣١) مني اللبيب : (القاهرة ١٩٧٢) - ٤٠ / ١ .

- سافر زيد بعد أن غربت الشمس .
 — كتبت إلى أبي أن أرسل لي كتاباً .
 ففي كل عبارة جملتان ، أولاهما : ابتدائية ، والأخرى : معمولة ، ربطت
 بالابتدائية بأداة الوصل : (أن) أو : (أن) (٣٢) .
 ومنهج الوصف في درسنا الحديث يحملنا على الإشارة إلى أن سبويه والأخفش
 الأوسط وأبن الخشاب استجازوا إحلال اسم الإشارة : (ذاك) محل مفتوحة
 الهمزة مع معموليها (٣٣) لاستوائها مع المفرد في دلالتها ، والنحاة عامة
 لا يختلفون في إحلال المصدر الصريح محلها ومحل معموليها أيضاً ، ولهذا
 سماها الدكتور مهدي الخزومي : (أداة وصل) (٣٤) ، لأنها وصلت أطراف
 الجملة الاسمية ، وجعلتها : مفرداً عرفياً كما سميناها ، ومصدراً مؤولاً كما
 استقر عليه النحاة



حين نعلم إلى تقرير منهج الخزومي في هذه الأداة ، وقد أخذت منه شطراً
 وافياً من الاهتمام ، نجد أنه يشير أولاً إلى أن الإرادة التوكيدية في العربية أدوات ،
 منها ما يختص بالاسم فقط ، ثم لا يذكر إلا التوكيد في الهمزة التي تؤكد النسبة
 في الجمل ، ووظيفتها تثبيت الشيء ، حين يكون المخاطب طالباً لذلك (٣٥) ،
 ولا يعرض للمفتوحة مرادة للتوكيد البتة ، ويعالجها في باب عقده بعنوان :
 (أدوات الوصل في العربية) ويقول :

من الوظائف التي تؤديها الأدوات في الكلام : الوصل ، وأدوات الوصل
 التي عرض لها النحاة : (ما ، وأن ، وأن) ، ويسمونها : (أدوات المصدر) ،

(٣٢) الوجيز في فقه لغة : (حلب ١٩٦٩) - ٣٢٣/ - ٣٢٤ .

(٣٣) انظر : هامشنا العاشر .

(٣٤) في النحو العربي ؛ نقد وتوجيه : (بيروت ١٩٦٤) - ٣١٢ .

(٣٥) م.ن/ ٢٣٧ ، وانظر كتابه : في النحو العربي ؛ قواعد وتطبيقات : (القاهرة ١٩٦٦)

- ١٥٦/ .

ويسمون الحمل الي بعدها : (صلات) (٣٦) .

أما (أنّ) فهي عندهم من أخوات (إنّ) المكسورة ألهمزة ، تدخل على المبتدأ والخبر ، فتنسخ حكمهما . وتنصب الأول ، وترفع الثاني ، وراحوا يبحثون عما منحها القوة على العمل ، فتوصلوا إلى أنها في معناها وفي لفظها ، فمعناها : (أوكد) ، ولفظها على ثلاثة ، وهو الذي استقر عليه الفعل العربي ، فعملت العملين المشار إليهما . وذلك ما لم يكن لعامل غير الفعل ، ومع أنهم يصرون على أنها كالمكسورة . تؤكد مضمون الجملة وتحققه على حد ما قاله الزمخشري في : (المفصل/٢٩٣) . يعرضون لها في مواضع أخرى مع ما يعرضون له من الموصولات الحرفية . وقد قال ابن هشام في : (المغني ٤٠/١) : «إنها موصول حرفي مؤول مع معموليه بالمصدر ، فإن كان الخبر مشتقاً . فالمصدر المؤول من لفظه ، تقدير : بلغني أنك منطلق : (بلغني الإنطلاق) .. وإن كان جامداً . قدر بالكون ، نحو : بلغني أن هذا زيد ، تقديره : (بلغني كونه زيداً) ، لأن كل خبر جامد يصبح نسبة إلى المخبر عنه بلفظ الكون ، تقول : هذا زيد ، وإن شئت : (هذا كائن زيداً) ، إذ معناها واحد . وعلى هذا يكون لها في الكلام عندهم وظيفتان (٣٧) :

الأولى : إنها أداة تأكيد عاملة .

الثانية : إنها موصول حرفي ، يؤتى به ليؤول ما بعده بالمصدر . وهذا الإزدواج عند المخزومي مما يعسر إدراكه ، وحق له مثل هذا التصور ، إذ كيف يتأتى لها أن تكون عاملة مؤكدة ، وهي لا تأتي إلا لغرض التأويل بالمصدر . وواضح كظّهره في هذه المسألة : أن لأدوات الوصل الثلاث وظيفة غير ما تصوره النحاة ، ذلك أنها أدوات استخدمتها اللغة وسائل لوضع الحمل مواضع المفردات ، وتحميلها معانيها الاعرابية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها ، فليس في قولنا : (يسرني أن محمداً معافى) ، أن تؤكد مضمون

(٣٦) في النحو العربي ؛ فقد وتوجيه/٣١٢ ومن أدوات المصدر إضافة إلى ما ذكره : لوكي أيضاً .

(٣٧) م.ن. ٣١٥/ .

مابعدھا ، كما زعم الزمخشري وغيره ، ولا أن تعمل فيه نصباً ورفعاً ، كما زعم النحاة : أما كونها غير مؤكدة ، فذلك مايرى من استعمالاتها ، لأنها كما نجىء بعد أفعال تدل على الاعتقاد أو اليقين ، نحو : (علمت أنك على حق ، وأيقنت أنك على صواب) ، نجىء بعد أفعال تدل على الظن أو الشك أيضاً ، نحو : (ظننت أنك مخطيء ، وأشك أنك مصيب) . وإذا كانت على زعمهم مؤكدة ، فإن هذا يقوم على مايمثلون به غالباً بما يشعر بالتوكيد ، يصدر عن القول بالعلم أو الإعتقاد أو اليقين . ولكن : أبقى لها مثل هذه الدلالة ، لو سبقت بظن أو شك ، أو ليس هناك من التعارض الواضح بين مازعموه لها من توكيد وتحقيق وبين ماسبقها من ظن وشك ؟.. و الظن رجحان أحد الطرفين لا الاعتقاد بأحدهما . والشك تساوي الطرفين ، فضلاً عن رجحان أحدهما على الآخر ، فكيف يتسلط الظن والشك على مائص على على تحققه (٣٨) ؟..

وربما يسأل سائل : لماذا سماها المحرومي : (أداة وصل) ، ولم يسمها : (مصدرية) ؟... ؟ وردده على هذا : أن الأفعال ليس لها ما نسب إليها من قدرة على العمل ، فضلاً عن الأدوات ، وليست الحركات في أواخر الكلمات في أثناء الاستعمال آثار العوامل ، ولكنها من عمل اللغة نفسها ، مما أقرضته أساليبها وأصولها الثابتة ، وهذه المسألة ليست مدار بحثنا ، وحسبنا أن نلفت النظر إلى أنه لخص لنا وجهة نظره في تسمية هذه الأداة وعملها ، مشيراً إلى أنها ليست للتوكيد ، وليست عاملة ، ولكنها أداة وصل وواسطة تعبير ، تستخدم لتصنع من الجملة ، التي لم تكن - في تركيبها وهيئتها - لتكون مبتدأً أو فاعلاً أو مضافاً إليه مثلاً جملةً تقع في موضع المبتدأ والفاعل والمضاف إليه ، فجملة : (محمد قائم) لاتصلح أن تكون فاعلاً ، ولا تصلح أن تلي فعلاً متعدياً ، فتحل محل مفعوله ، فلا يصح أن يقال : (أعجبني

محمد فائز) ، لأنه تأليف ضعيف ، لم تستغ اللغة مثله ، فتوصلت إلى استخدام : (أن) واسطة لجعل هذه الجملة ذاعلاً ، ولو كانت تقصد إلى تأويل ما بعدها بالمصدر ، لاستراحت إلى المصدر من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة ، وقد رأى الزمخشري في : (المفصل / ٢٩٣) : أن : (ما ، وأن) هما الحرفان المصدريان ، ولم يذكر : (أن) معهما ، وهو إذا لم يخالفه التوفيق في اعتبار هاتين الأداتين مصدريتين ، ولا في اعتبار : (أن) للتوكيد ، فقد وفق في نفي مصدريتها خلافاً لآخرين ، ولا سيما ابن هشام الذي فصل ذلك في : (المغني ٤٠/١) ، وذهب مذهباً بعيداً ، حتى أدى به القول إلى أن يتصيد مصدراً من الكينونة للجمل التي لم يكن المسند فيها مشتقاً أو مؤولاً بالمشتق (٣٩) على نحو ما قدمنا .

ووجه اعتراضنا على الدكتور اخرومي : إشارته إلى أن اللغة لو كانت تقصد إلى تأويل ما بعد : (أن) بالمصدر ، لاستراحت إلى المصدر الصريح من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة ، فثبها جاهل لمبدأ التوسع المعمول به في أصول الكلام العربي ، ولولاه لوجد المتكلم نفسه محاطاً بحدود من وجوه الاستعمال ، ولما وجد القرصة للمجاز والاستعارة والكناية مثلاً ، ومقولة النبابة في حروف المعاني رجه من وجوه الاتساع اللغوي ، الذي يرفد المتكلم ، وبعده بالجديد المناسب من طرائق القول ، وأصطناع المصدر المؤول في موضع الصريح من هذا الباب نفسه ، وهو من قبيل الرخص الكلامية التي لا غبار عليها ، كما أن هذه الأداة — واصلة أو مصدرية — مسألة ليست من الضخامة بحيث نتقيد بأحد هذين المصطلحين لا نعدوه ، وهما عندنا يتقاربان إلى حد التداخل والترادف .

وإذا كان تمثل النحاة لجماعتها قد حملهم على القول بتوكيدها ، والمصدر الذي هو الصورة التوهمية أو الذهنية لهذه الجملة لا يظهر فيه أي أثر للتوكيد ، فقولهم هذا تسوية قسرية بين المؤكد وغير المؤكد ، وهذا أمر غير مقبول .

(٣٩) م.ن. ٢١٧ - ٢١٩ .

وإذا كان بمقدورنا أن نفتح همزتها أو نكسرهما في بعض الأحوال، فإنها باقية على اختصاصها بعملها الوظيفي في الجملة ، وهو التأويل بالمصدر : أو الوصل بين أجزاء الجملة ، إلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الرخصة بين الفتح والكسر تستأدي المتكلم استعمال الأداة مصدرية وموكدة معاً ، وتسوّغ له أن يعدّها هذا المعد ، فتكون إفادتها التوكيد فرعاً على إفادتها المصدرية ، نظراً إلى إطراد هذه وسعتها في حالات وجوب الفتح ، وحالات جواز الوجهين ، وانحباس الإفادة الازدواجية في حالات الجواز فقط لا يكون إلا بمراجعة الأصل وضيق الفرع ، كما هو العرف الجاري في مختلف الأشياء.

لقريب من هذه التصورات ، أو التعليقات ، فيما أقدر - لم يتعرض بعض الدارسين لبيان مواضع كل واحدة من الأداتين لاختلافهما ، و استقلال كل واحدة منهما برأسها كما نقل السيوطي (٤٠) ، واللغة كلما أرادت المصدر استعملت المفتوحة ، وكلما أرادت الجملة استعملت المكسورة (٤١) ، وعندي أن هذا يرجعنا إلى نقد الضابط العام الذي قرناه من كلام الرمضاني وابن مالك وابن هشام أول هذه الدراسة ، إذ المصدر لا يسد مسد الجملة في كل الأوضاع الكلامية ، ولم يقل ابن مالك في بيته الذي قلّمناه: «لسد مفرد مسدها» (٤٢)، لأن المفرد قد يسد مسدها، ويجب معه الكسر ، نحو: (ظننت زبداً إنه قائم)، ولا يصح: (ظننت زبداً قيامه) (٤٣) ، وحين يسد المصدر مسدها في غير مواضع وجوب الفتح ، فإن استعمال المكسورة أو المفتوحة أمر يطمأن إليه افتراضاً، ولكن النحاة يقررون الأصلح في كل حالة من تلك الأحوال، فإذا ورد هذا الحرف التامخ بعد : (إذا الفجائية) مثلاً ، في نحو قول الشاعر :

(٤٠) مع المراجع ، شرح جمع الجوامع : (القاهرة ١٣٢٧هـ) - ١٣٨/١ .

(٤١) المحيط في أصوات العربية ونحوها ونصرفها ٢٢/٢ .

(٤٢) أنظر : هاشمنا الخامس .

(٤٣) شرح الأشموني ، وعليه : حاشية الصبان : (القاهرة ، غير مؤرخ) - ٢٧٤/١ .

وكنْتُ أرى زيـداً- كما قيل - سيـداً

إذا لُئنه عبد القفا واللاهزم (٤٤)

فالكسر أولى فيه ، لأنه لا يحوج إلى تقدير ، والتقدير مع الفتح : إذا العبودية
حاصلة . فالمصدر المؤول مبتدأ ، وخبره محذوف ، كما نقول : (خرجت فإذا
أنت) ، أي : (مقبل) . وإذا كان ابن السراج في قوله : «متى وجدت
المكسورة والمنشوحة تقعان في موقع واحد ، فاعلم أن التأويل مختلف :
وذلك نحو قولهم : (مررت فإذا أنه عبد ، وإذا إنه عبد) ، فإذا فتح :
فكأنه قال : مررت فإذا العبودية ، وإذا كسر ، فالتأويل تأويل الإبتداء ،
فكأنه قال : فإذا هو عبد» (٤٥) ، لم يرجح وجهاً من هذين ، فليس بصعب على
المتذوق إدراك أيهما أقرب إلى نفسه ، وأخرى بالاستعمال ، لأنه إذا نظر
إلى وظيفة الأداة في الجملة ، استحسن مباشرة استعمال الكسر ، لأنه ضمن
بالتركيد ، ولا يقوم للفتح عليه فضل إطلاقاً ، لما فيه من تأويل خالٍ من
التحقيق والتركيد على نحو ما فصلنا سابقاً .

إذا كان نحاة العربية قد تناولوا : (إن وأن) باعتبارهما عاملتين نصباً
ورفعاً ، فإن في كتبهم غناءً ووفرة ، ولا جناح على الباحث الذي يريد
التعمق في خفايا النحو ، إذا نظر في اللغات السامية ، لعله يجد في ظواهرها
ما يوضح له الخفي من أسرار ما يعالج من موضوعات نحو العربية ، و
نحترز هنا ونقول : إن قواعدنا العربية ثابتة راسخة ، وإن اجتهداً من هذا
النوع لا ينبغي له أن يمسه ، بل يقتصر على تفسيرها فقط (٤٦) .

(٤٤) اللاهزم : جمع : لهزمة ، وهي طرف الحلقوم ، ويقال : عظم نائي تحت الأذن ، وقوله :

عبد القفا واللاهزم : كناية عن الحسة والدنائة والدلة . انظر : منحة الجليل بتحقيق شرح

ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) - ٣٥٦/١ - ٣٥٧ .

(٤٥) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١ .

(٤٦) دراسات في فقه اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٩) - ص - ي

يرى الدكتور السيد يعقوب بكر هاتين الأداتين اسمي صوت (interjection) تركبت المكسورة من : (إن* +ن*) ، والمفتوحة من : (أن* +ن*) ، وكل من : (إن* وأن*) اسم صوت بسيط ، مكون من عنصرين إشاريين هما : الهزة والنون ، أضيفت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد (٤٧) . وليس غريباً أن تكون الإشارة دلالة كل واحدة منهما ، فقد رأى بريشون Perruchon : أن اسم الإشارة : (annu : أن* = هذا) في الأكديّة ، قد يكون الأصل في حرفي الوصل : (أن* ، أو : أن*) ، وأن الحرف (أن* ، أو : أن*) لا بد أنه كان في الأصل اسم إشارة ، وهو يبيّن رأيه هذا على أنه في معظم اللغات تنفق صيغة حرف الوصل الذي بمعنى : (أن*) ، والذي يتقدم الجملة الفرعية مع صيغة اسم إشارة أو اسم موصول في اللغة الواحدة تمام الاتفاق ، وهو يقول : إن هذا الاتفاق انتم في الصيغة يرجع إلى أن الجملة الفرعية كانت في الأصل جملة أساسية ، يتقدمها اسم إشارة (٤٨) ، والفرعية المشار إليها هي الجملة المعمولة التي تؤول مع الأداة العبرية بالمصدر . أما مكسورة الهزة فيعرض لها الدكتور يعقوب محققاً معنى الإشارة فيها ، ويذكر أن لها في اللغات السامية فظائر كثيرة (٤٩) لا هيئي — بإمالة طويلة في الآخر) ، التي بمعنى : (أنظر) في العبرية ، وهذه الأداة العبرية مركبة أيضاً لا بسيطة ، قوامها : (هين* + ني) بإمالة طويلة (٤٩) . والمعنى الفعلي المتعدي : (أنظر) الذي تؤديه : (هيني) العبرية متطور عن المعنى الإشاري : هذا أو ذاك ، الذي كان لها في الأصل ، وهذا المعنى الفعلي هو السبب في نصبها الاسم والضمير بعدها على المفعولية ، كما ورد في : (سفر التكوين ٢٢ : ٧) : (وَيَوْمَ هِنِّي هَائِش وَهَ عَصِيم) = (فقال : ها هي النار وها هو الخطب) ، وكما في السفر نفسه : (٢٢ : ١) : (وَيَوْمِ إِلَاوْ أِبْرَاهَام وَيَوْمِ

(٤٧) ن.م. ٤٥/ ، ٤٨ .

(٤٨) ن.م. ٥٦/ ، الخامس .

(٤٩) ن.م. ٤٨/ .

هينيني) = (فقال له ياإبراهيم ، فقال:هاأنذا) .

ففي المثال الأول نصب : (هاإش = النار) على المفعولية ، وإن لم تظهر علامة النصب ، لأن حركات الإعراب زالت من العبرية ، وفي المثال الثاني نصبت ضمير المتكلم بدليل وجود نون الوقاية قبله : (ني) (٥٠) . وقد تستعمل هذه الأداة مع جملة اسمية أو فعلية ، مثال الاسمية من (سفر التكوين) (٢٨ : ١٥) : (وهينني أنوكي عيمآك) = (وها أنا معك) ، و الأداة هنا لا تعمل في الضمير : (أنوكي) الذي تبتدىء به الجملة الاسمية ، إذ هو ضمير رفع منفصل ، ولكنها تعمل في ضمير الغائبين في السفر نفسه : (٤٠ : ٦) : (ویر أوتام وهينام زو عقيم) = (ورآهما فإذا هما مغتمان)(٥١). وقد رأى إقبال Ewald : أن لهذه الأداة في نفسها القدرة على نصب الاسم أو الضمير الذي تشير إليه (٥٢) . ويفهم من هذا أن تضمينها معنى الفعل المتعدي ، ليس هو السبب في كونها أداة عاملة .

وقد استنتج السيد يعقوب بكر بعد مثال سابقه من (سفر التكوين ١٢ : ١١) أيضاً دليلاً على دخولها على الجملة الفعلية (هتي - نايدعتي كي إشايفت مرئي آت) (= إني أعلم أنك امرأة تجميلية المنظر) ، أن هذه الأداة كانت تستعمل في أول الأمر مع المفرد، فتنصبه على المفعولية بما فيها من معنى الفعل المتعدي: أنظر ، ثم صارت تستعمل أيضاً مع الجملة الاسمية ناصبة المبتدأ فيها ، وفي هذه الحالة يكون هذا المبتدأ مفعولاً به، ويكون الخبر خبراً لمبتدأ محذوف ، فتقدير فترة سفر التكوين (٤٠ : ٦) هو: وهينام / هيم / زوعقيم) = (وانظرهما / هما / مغتمان) (٥٣) .

(٥٠) = كذلك .

(٥١) ن.م. ٤٩/ .

(٥٢) = كذلك ، الهاش عن كتاب :

Ewald (H.) Ausführliches Lehrbuch der hebraischen Sprache, 8th. e.d.,
Göttingen 1870, P.650

(٥٣) دراسات في فقه اللغة العبرية / ٤٩ .

والمرحلة الثالثة من تطور استعمال هذه الأداة العربية دخولها على الجملة الاسمية دون أن ينصب المبتدأ ، ودخولها على الجملة الفعلية وفي كلتا الحالتين يكون المعنى الإشاري فيها منصّباً على الجملة بأسرها لا على أحد جزئها . ومما يؤيد ما زعمه صاحب هذا المبحث اللغوي الفقهي من معنى الفعل في بعض استعمالات هذه الأداة (٥٤) ، أنه قد تدخل عليها نون التوكيد الخفيفة متوسطة بينها وبين ضمير النصب في الأحوال الآتية :

(هِنْتَنِي) = أنظرنني ! هأنذا .

(هِنَكَا) = ها أنت ذا .

(هِنْتُو) = ها نحن ذا .

وغني عن القول أن نون التوكيد مختصة بالدخول على الأفعال (٥٥) . وهذا المعنى الفعلي هو أيضاً السبب في نصب إسم : (إنَّ) العربية، فقولنا : (إنَّ زيداً قائم) ، تقديره : إنَّ (= انظر) زيداً ! (هو) قائم . فقائم ليس في الواقع خبراً لزيد ، فإنَّ زيداً مفعول به لإنَّ ، ولكنه خبر لضمير محذوف تقديره : هو ، وهذا يفسر السبب في خروج إسم (إنَّ) على القاعدة التي بسطها الأستاذ المرحوم إبراهيم مصطفى في كتابه : (إحياء النحو / ٥٣) : من أن الرفع علم الإسناد (٥٦) .

قال نولاكه Noldeke : إنَّ : (إنَّ) قرينة في المعنى من الفعل (٥٧) ، بل إنَّ تضمنها معنى الفعل أمر متفق عليه عند نحاة العربية ، وهذا الفعل هو حَقَّقْتُ أو أَكَدْتُ ، لا أَشَرْتُ ، إلا أن يتحمل هذا الفعل معنى الفعلين الأولين ، وقد رأى ركندورف Reckendorf أن الأداتين العربيتين : (إنَّ وأنَّ) كانتا تلفتان نظر السامع إلى مبتدأ الجملة الاسمية بعدهما ، ولكن

(٥٤) = كذلك .

(٥٥) ن.م. / ٥٠ .

(٥٦) = كذلك .

(٥٧) الهامش الثاني عل : (المس ٤٠) من :

Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Wien, 1896.

بمرور الزمن حنت محل العلاقة الخاصة بين (إنَّ أو أنَّ) والمبتدأ علاقة أوسع بين (إنَّ وأنَّ) والجملة الاسمية بأسرها، فلم يعد التأكيد منصباً على المبتدأ وإن ظل منصوباً ، ولكن على الجملة الاسمية (٥٨) كلها، واشتراكهما في وظيفة التأكيد مسألة فحصرناها سابقاً بما فيه الكفاية . وكتب النحو نقف وقفات جليلة في درس عمل هاتين الأداتين، لا سبيل إلى عرض خطواتها في هذا الموضع .

وقد وقف الدكتور السيد يعقوب أيضاً على (أنَّ) المفتوحة ، يؤكد فيها معنى : (انظر) للإشاري أيضاً . لأنه هو الذي سيفسر لنا نصبها للمبتدأ بعدها في الجملة . فقولنا : (اعلم أن زيدا قادم = اعلم : انظر زيدا ! «هو» قادم) ، فكانت أنَّ في الأصل - كما أشاد ركنندورف - تلفت نظر السامع إلى زيد ، ولكنها أخذت فيما بعد ، لتشير إلى الجملة كلها :

اعلم هذا : زيد قادم . وإن ظلَّ المبتدأ على النصب (٥٩) ، الذي لا يرجعه نولدكه Noldeke وبارت Barth إلى طبيعة الأداة نفسها ، ولكن إلى قياسها على : (إنَّ) (٦٠) عملاً ، كقياسها عليها وظيفة في معنى التوكيد عند أغلب النحاة ، وهي من خلال هذا القياس لا تتحمل معنى الفعل المتعدي مباشرة ، بقدر ما يكون يحملها له عن طريق المشابهة الاستعمالية بينها وبين نظيرتها العاملة المشيرة ، وواقع الأمر لدى الدكتور السيد يعقوب ليس كذلك ، لأنه يحقق إشاريتها فيقول (٦١) : «أنَّ» : الداخلة في تركيب : «أنَّ تستعمل ثلاثة استعمالات في العربية : فهي قد تكون مصدرية ، وعندئذ يلبها فعل

(٥٨) دراسات في فقه اللغة العربية / ٥١ ، الهامش ، عن :

Die Syntakischen Verhältnisse des Arabischen, Leiden 1898. P.354-356.

(٥٩) دراسات في فقه العربية / ٥٥ .

(٦٠) = كذلك ، الهامش عن :

أ- هامش نولدكه الثاني على (الصفحة ٤٠) من كتابه :

Zur Grammatik des klassischen Arabisch, Wien 1896

ب- هامش بارت الثاني على (الصفحة ١٠٢) من كتابه :

Die Pronominalbildung in den Semitischen Sprachen, Leipzig 1913.

(٦١) دراسات في فقه العربية / ٥٥ - ٥٦ ، إستفدنا من الهوامش ، وأنزلناها في مواضع تقتضيها من السياق اتِّماماً لفائدة وتوضيحاً للعرض .

دائماً ، ماضٍ مثل : بلغني أن جاء زيد ، أو مضارع منصوب مثل : أريد أن تفعل .

وقد تكون (أن) مخففة من الثقيلة ، وإن كان الأولى هنا أيضاً أن يقال : المثقلة من الخفيفة- ، وأن هذه تأتي بعدها جملة إسمية ك: (أن) ، ولكن الاسم هنا ضمير الشأن واجب الحذف ، كقوله تعالى : «أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا» (٦٢) أي : أنه لا يرجع .

ونادراً ما تعمل (أن) المخففة في غير ضمير الشأن ، ولا يستحسن سبويه ذلك ، ويزعم البصريون اعتماداً على هذه الحالات النادرة أن : (أن) المخففة تعمل : وخالقهم الكوفيون في ذلك (٦٣) .

وقد تتقدم (أن) القول ، كقوله تعالى : «فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا» (٦٤) ، والفعل الذي يسبق (أن) هذه ، يجب أن يكون فيه معنى القول : كأوحى ونادى ، ولا يكون فعل القول نفسه ، وإلا لجاء بعده : (إن) لا (أن) (٦٥) ، وهذه هي (أن) المنقصة .

وأن في هذه الاستعمالات الثلاثة اشارة ، وقد تقدم بنا رأي پريشون Perruchon في هذه المسألة ، وهو يجهل لها بأن اسم الإشارة (annu ، أن = هذا) بالأكدية قد يكون الأصل في حرف الوصل : أن أو أن (٦٦) ، وأن حرف الوصل هذا لا بد أنه كان في الأصل اسم إشارة ، وهو محق في هذا القول عند الدكتور يعقوب بكر ، ولكن لا يلزم أن الأصل فيها : (أن) الأكدية ، والأولى أن يقال : إن الصيغ الثلاث : (أن) وأن وأن (أن)

(٦٢) طه ، الآية ٨٩ .

(٦٣) دراسات في فقه العربية / ٥٦ ، هامش ، وانظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : (القاهرة

١٩٦١) - ١ / ١٩٥ ، وشرح المفصل ٧٣/٨ .

(٦٤) مريم ، الآية ١١ .

(٦٥) شرح المفصل ١٤٢/٨ ، معني اللبيب ٣٢/١ .

(٦٦) أنظر : هامشنا الثامن والأربعين .

يحللها على الشكل الآتي :

كلها من عناصر إشارية واحدة (٦٧) .

يحالها على الشكل الآتي :

وإذا رجعنا إلى الأمثلة التي ضربها الدكتور يعقوب ل : (أن) باعتبارها إشارية، نراه

١ - بلغني أن جاء زيد : بلغني هذا : جاء زيد .
أريد أن أفعل : أريد هذا : تفعل .
أن* المصدرية.

٢ - أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً : أفلا يرون هذا :
لا يرجع إليهم قولاً .
الخففة من الثقيلة.

٣ - فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا : فأوحى إليهم هذا :
سبحوه بكرة وعشيا
المفسرة (٦٨)

ولم ينطرق في شيء من بحثه اللغوي الدقيق إلى مسألة الهمزة في : (إن) وأن) بشكل مباشر ، لأنها ليست من شرط دراسته ، ولكنه لفت الأنظار إلى أنها في حالتها عنصر إشاري (٦٩) فقط ، لا يستقل بنفسه عندنا كاستقلال همزة الاستفهام ، بل إن له أن يقترن بالنون ، فيتولد منهما حرف ، تكون وظيفته على النحو الآتي :

إن : الإشارة والتأكيد .

أن : الإشارة والتأويل بالمصدر أو الوصل

— : تتداخل الوظائف المشار إليها فيهما ، ويتخذ النحاة مواقفهم الدوقية في تفضيل الكسر أو الفتح على نظيره .

وإذا كان جمهور النحاة قد ذهب إلى أن الإشارة لاحرف لها (٧٠) في اللغة ، فإن هذه الهمزة والألف واللام العهدية من جملة الحروف الإشارية التي شك النحاة في وجودها ، حين زعموا أن اسم الإشارة : (هنا) مبني ، لمشابهته

(٦٧) دراسات في فقه العربية / ٥٦ ، الهامش .

(٦٨) م. ٥٦ / .

(٦٩) م. ٤٨ / ٥٥ .

(٧٠) القلادة الجوهريّة شرح الخلاصة السكّرية : (مخطوطة مدرسة الحجابيات بالموصل) - / الورقة ١٢٩ و .

المعنوية لحرف كان من حقه أن يوضع ، فلم يوضع (٧١) ، وفاتهم أن هذا الأمر غريب في العقل لما فيه من مشابهة الموجود بالمعدوم (٧٢) .

* * *

حين يفرق بين: (إنّ وأنّ) نرى الدكتور عبد الرحمن أيوب قد أثر مخالفة النحاة، فلم يذكر حالات كسر الهمزة وحالات فتحها ، بل عدّ ذلك اختلافاً في مواضع استعمال كل واحدة منهما (٧٣) باعتبار استقلالها عن الأخرى ، وظاهر كلامه أن طبيعة الموضع تحمل على اتخاذ ما يناسب منهما ، وليست الأداة هي القاضية بأن لا تدخل إلا في مواضع خاصة ، ولا فرق في حقيقة الأمر بين اقتضاء الموضع ، وبين عدم مساغ وضع هذه أو تلك إلا فيما تعين لها من مواضع . والقصد من هذه الدراسة البسط ووضوح التحليل قبل التقدير والتزام الشكليات والظواهر ، من هذا استوى لديّ النظر إلى المسألة في ضوء الاقتضاء الموضوعي أو الوضع الاقتضائي ، فإن الأمرين معاً يفضيان في النهاية إلى تعدد شعبها بشكل يسترعي النظر ، وقد ذكرنا سابقاً أن المعنى العام وطبيعة التركيب هما المحكمان في تحديد نوع الاستعمال وأداته . ولو أردنا أن نورد هنا داعية لمثل هذه الدراسة المبسطة ، ونحن في سبيل الخلوص إلى بحث وجوه همزة الأداتين في الكلام العربي . أشرنا إلى خلاف النحاة في احصائها ، مما يجعل الاحاطة بها ورصدها مسألة من الاتساع بمكان ، وليس من شأننا أن نصف هذا الخلاف بلا إشارة إلى شيء من ملامحه المتباينة على وجه الاحصاء .

ذكر أبو علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغة الاصفهاني ، وهو نحوي

(٧١) أنظر : شرح الأمثوني ، وعليه : حاشية الصبان : ٥٣/١ .

(٧٢) القلادة الجوهرية : / أو ١٢٧ ، وذكر صاحبها شيان الآثاري الموصل (٥٨٢٨) بعد أن خطأ النحاة في قياسهم هذا : أن (ها) حرف مختص بالإشارة مع التنبيه دون (يا وألا) اللذين هما للتنبيه والإستفتاح ليس إلا ، وذلك لقزومه للإشارة دون أعويه ، فيأتي في الكلام نحو قولك : هذا ، وهذاك ، وهاتي ، وهاتيك وما أشبه ذلك . . . وقد ذهب غيره من النحاة إلى أن (ها) للتنبيه خاصة .

(٧٣) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١

قديم (ت ٨٣١١) للمكسورة موضعين فقط (٧٤)، أما أعلام النحاة فاختلّفوا فيها على الشكل الآتي :

- ١ - ابن الحاجب : ثلاثة مواضع (٧٥) .
 - ٢ - الرماني : أربعة (٧٦) .
 - ٣ - ابن مالك : ستة في : (الألفية) (٧٧) ، وسبعة في : (التسهيل) (٧٨) وقال ابن عقيل في شرح ماورد في الألفية : « هذا ما ذكره المصنف ، وأورد عليه أنه نقص مواضع يجب كسر : إن فيها » (٧٩) .
 - ٤ - السيوطي : سبعة (٨٠) أيضاً .
 - ٥ - الأشموني والمرادي : ثمانية (٨١) .
 - ٦ - أبو حيان الأندلسي ومرئى الزبيدي : تسعة (٨٢) .
 - ٧ - ابن هشام : عشرة (٨٣) .
- أما اختلافهم في إحصاء مواضع الفتح الوجودي ، فجاء بعضه على النحو الآتي :
- ١ - ابن الحاجب : أربعة مواضع (٨٤) .

-
- (٧٤) كتابه : في النحو : (بغداد ١٩٧٤) ، مجلة المورد ، المجلد ٣ ، مج ٢ / ٢٤٢ .
- (٧٥) الكافية / ٣٣ ، وانظر : شرح ابن القواس ٢ / ٢١٩ ، شرح الرضي : (استانبول ١٢٧٥) - ٣٢٤ / ٢ .
- (٧٦) معاني الحروف : (القاهرة ١٩٧٣) - ١٠٩ .
- (٧٧) الألفية : (ضمن : مجموع المتون الكبير) - ٢٤٢ .
- (٧٨) التسهيل / ٦٣ .
- (٧٩) شرح ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) - ٣٥٤ / ١ .
- (٨٠) معجم المصاحف / ١٣٧ .
- (٨١) شرح الأشموني ١ / ٢٧٣ .
- الجنى الداني / ٣٦٥ .
- (٨٢) شرح أبي حيان / ٧٥ .
- تاج العروس : (القاهرة ١٣٠٧) ، مادة : أن - ١٢٨ / ٩ .
- (٨٣) أوضح المسالك / ١ / ٣٣٤ ، وانظر : شرح التصريح على التوضيح : (القاهرة ١٣٢٥) - ٣٢٤ / ١ .
- (٨٤) الكافية / ٣٣ ، وانظر : شرح ابن القواس ٢ / ٢١٨ ، شرح الرضي ٢ / ٣٢٤ .

٢- ابن هشام والأشموني والمرادي والسيوطي : تسعة (٨٥) .
كما كان اختلافهم في حالات جواز الوجهين واسعاً ملحوظاً ، نلفت القارئ
إلى صورته الآتية :

١- ابن مالك : أربعة مواضع (٨٦) .

٢- السيوطي : خمسة (٨٧) .

٣- أبو حيان والمرادي : ثمانية (٨٨) .

٤- ابن هشام : تسعة (٨٩) .

ومرجع هذا التباين دخول بعض الوجوه في بعض على سبيل التاصيل والتفريع ،
فحين عد المرادي وجوه وجوب الفتح ، عقب بقوله « ... وزاد بعضهم في
مواضع وجوب فتحها ، أن تقع بعد : لولا ، ولو ، وما التوقيتية وهذه
المواضع راجعة إلى ما تقدم » (٩٠) ، يعني : داخلة في جملة الوجوه التسعة التي
ذكرها للفتح ، لأنها تفريعات تلك الأصول . وقد استفاضة المسألة حتى
وجدت شعبان الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) يقول : « أعلم : أنه يجب كسر (إن)
في ثلاثة عشر وجهاً ، ويجب فتحها في ثلاثة عشر وجهاً ، ويجوز الأمران
ثلاثة عشر وجهاً ، فجملة وجوهها تسعة وثلاثون » (٩١) .

ولم يقتصر هذا الاختلاف على كتب النحاة المتقدمين ، بل رأيناه في كتب

(٨٥) أوضح المسالك ١/٢٣٨ د.

شرح الأشموني ١/٢٧٣ د.

الجنى الداني ٣٦٩ د.

مع المواضع ١/١٣٧ . وفي : شرح التصريح ١/٢١٦ : في ثمانية ، والصحيح : تسعة
أيضاً ، لأنه أخذ مذكروه ابن هشام في : (أوضحه) ، فشرحه موضعاً موضعاً .

(٨٦) الألفية : (ضمن : مجموع المتن الكبير) -/٢٤٢ .

(٨٧) مع المواضع ١/١٣٧ .

(٨٨) شرح أبي حيان ٧٨ ، و

(٩٠) الجنى الداني ٣٦٨-٣٦٩ .

(٨٩) أوضح المسالك ١/٣٣٨ ، وانظر : شرح التصريح ١/٢١٨ .

(٩١) القلادة الجوهريّة ١١٦ ظ .

المعاصرين (٩٢) أيضاً، فاختلاف من هذا النوع، يجعل دائرة البحث في هاتين الأداتين واسعة ، واستفاضة الخلط والخطأ متوقعة ، تتعذر ضوابطها على عامة المتكلمين والكتاب في وقت أصبح فيه الكلام والكتابة من ذرائع السواد الأعظم من الناس : أضف إلى هذا أن تحقيق وضع الهمزة في هذا المجال أمر لا يكاد ينضبط بيسر وسهولة لمثل هؤلاء ، فايراد أسرار هذا المبحث النحوي الدقيق على صعيد معروض، يساعد - فيما ننتظر - على التفريق بين هذه الأحكام المتداخلة المتخارجة في أوضاعها المختلفة .

ومن المناسب بعد هذه التوطئة الطويلة المتشعبة أن أقول : إن همزتي : (إنّ وأنّ) أخذتا من النحاة الشطر الأوفى من العناية ، فأبما كتاب تناولته من المكتبة النحوية أفادك طرفاً أو أطرافاً من هذا البحث تطول أو تقصر ، تدق أو تتعجل ، ومن ثم وجدت المادة الكبيرة التي بين يدي ، تخدم البحث في مناحيه جملة ، وقد أدركت جسامة الاستيعاب وخطره إزاء الرغبة في القصد ومجانبة الإفراط ، ولكن البحث اتسع بحكم الضرورة ، والضرورة نفسها حملت المرادي على القول ، بعد أن حور في هذه المسائل قرابة تسع صفحات : « وأعلم أن بسط الكلام على هذه المواضع يستدعي تطويلاً ، فلذلك أختصرت الكلام عليها » (٩٣) ، حتى جعله غاية في التقنين والاقتصاد ، ودراسي هذه مرادة لغير هذا الغرض ، فمن همها أن تستقصي لقارئها ، وتجمع ، وتقسم ، وتعدد كافة ما يمكن أن يقال في هذا الباب من الدرس النحوي .

- (٩٢) أحمد قيش : الكامل في النحو والصرف والإعراب : (دمشق ١٩٧٤) - ٧٤/- - ٧٥ ، د. أمين علي السيد : دراسات في علم النحو : (القاهرة ١٩٦٧) - ١٥٣/ ، وفي علم النحو : (القاهرة ١٩٧٣) - ٢٣٨/١ - ٢٤٢ . عباس حسن : النحو الوافي : (القاهرة ١٩٦٦) - ٥٨١/١ - ٥٩٦ . د. عبدالرحمن أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ١/١٩٢ - ١٩٧ . د. عبد الرأسمي : التطبيق النحوي : (بيروت ١٩٧٢) - ١٤٧/- - ١٥٥ ، علي رضا : المرجع في اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٢) - ٢٩٩/١ - ٣٠٠ ، محمد سعيد عبدالرحمن : قواعد لغة العرب : (بغداد ١٩٥٦) - ٤٠/- - ٤٣ .
- (٩٣) الجني الداني ٣٧٣/ .

أولاً : كسر الهمزة وجوباً

نستطيع القول : إن كسر الهمزة لا يكون إلا في حالة أصلية واحدة من الناحية النظرية ، والتطبيق يحقق هذا الأصل في أوضاع متعددة متباينة كما سيتضح لنا . فإذا وقعت الأداة في ابتداء حقيقي أو حكمي أنكرت همزتها ، وقد سماهما الفيروزآبادي : الإبتداء لفظاً ومعنى (٩٤) .
أما الإبتداء الحقيقي :

فمجيئها فاتحة كلام لا يسبقها فيه شيء يعتمد عليه (٩٥) ، بحيث يقتضي نظم النص أن لا تكون ومعمولها محلاً لتأثير عامل يتقدمها ، فهي أقتضاءً صلة له وتبع ، ومتى كان الكلام تاماً ، ليس بحاجة إلى شيء يتعاق به تعلقاً تبعياً ، لم يجز ألفتح ، قال ابن السراج : «إن المكسورة تكون مبتدأة ولا يعمل فيها ما قبلها» (٩٦) . وربما كان قبلها شيء ، لكنها لا تنصل به أي نوع من الإ اتصال ، فمضمون جملتها مستأنف في التكلم به على حد ما قاله العصام الأسفرائيني (٩٧) . والابتداء في هاتين الصورتين هو غير الابتداء الاصطلاحي عند النحاة (٩٨) ، وقد عرف الأخير بأنه التجرد من العوامل اللفظية (٩٩) . بل إنه الإبتداء بمعناه اللغوي *أقول له* تعالى أول سورة الفتح : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» وأول سورة القدر : «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ، إذ لو فتحت الهمزة لصارت الجملة مبتدأ بلا خبر على تأويل المفتوحة وجملتها بالمفرد ، الذي لا يستقل به الكلام (١٠٠) . ولهذا لم يطرد الابتداء بها ، كأن تقول : (أنك فاضل عندي) ، فوجب التأخير على النحو آلوارد : (عندي أنك فاضل) ، وأجاز بعضهم ذلك ، قال أبو حيان : «وليس ما ذكر من

(٩٤) القاموس المحيط : (للقاهرة ١٩٥٢) مادة : أنز - ٢٠٠/٤ .

(٩٥) ثاج الروس ؛ نفس المادة - ١٢٨/٩ .

(٩٦) الأصول في النحو ٣١٨/١ ، الموجب في النحو ٣٨/ .

(٩٧) شرح الكافية : (استانبول ١٢٥٦ م) - ٤٤٦/ .

(٩٨) شرح أبي حيان ٧٤/ .

(٩٩) شرح التصريح ١٥٨/١ .

(١٠٠) م. ن ٢١٥/١ .

أنها تكسر في ابتداء الكلام مجمعا عليه إذ قد ذهب بعض النحويين إلى جواز الابتداء بأن المفتوحة في أوله (١٠١)، وذلك في مثل قولهم : (في ظني أنك فاضل ، وأنت قائم يعجبني) « وهو مذهب منسوب إلى القراء ، وتبعه فيه جماعة ، وقد منعه الجمهور على ما نقله السبوطي (١٠٢) والبيهقي (١٠٣)، لما يترتب عليه من تفريط بما تأكد عند الدارسين خلاصة نظرهم في النماذج العربية الفصيحة ، بعد أن صح لدينا أنهم لم يختلفوا في وجوب الكسر في الابتداء ، وما أشار إليه أبو حيان من جواز الفتح فيه موقف خاص ، وهو في واقعه تفريع على أصل الكسر ، وليس وجهاً ثابتاً يقوم لهذا الأصل ، وبماثلة سعة وإطراداً ، والإعتداد به يجعل مواضع الكسر كلها مظنة شك ، ولا يمتنع بعد ذلك دخولها في وجوه جواز الإستعمالين ، ولو أشار أبو حيان مثل إشارة المرادي إلى جواز الفتح في الابتداء شريطة وجود (أما) أول الجملة (١٠٤) لوافقناه ، وأجزنا معه جواز التقديم والتأخير على النحو الآتي :

أ- أما أنك فاضل ففي ظني .

ب- أما في ظني فأنت فاضل .

قال ابن السراج : وألف : (إن) تكسر في كل موضع يصلح أن يقع فيه الفعل والابتداء جميعاً ، وإن وقعت في موضع ، لا يصلح أن يقع فيه إلا أحدهما ، لم يجز ، لأنها إنما تشبه فعلاً داخلاً على جملة : وتلك الجملة مبتدأ وخبر ، والجملة التي بعدها لا موضع لها من الإعراب بعامل يعمل فيها من فعل ولا حرف ، ألا ترى أنك تقول : (إن عمرواً منطلق) ، فهذا موضع يصلح أن يبتدأ الكلام فيه ، فتقول : (عمرو منطلق) ، ويصلح أن يقع الفعل موقع

(١٠١) شرح أبي حيان ٧٤/ ، وانظر : مع المراجع ١/ ١٣٧ .

(١٠٢) الأشياء والنظائر في النحو : (حيدرآباد ١٣٥٩هـ) - ١٥٥/٢

(١٠٣) صرف الناية في كشف الكفاية : (مصر ١٣٤١هـ) - ٣٨٢ .

(١٠٤) الجنى الداني ٣٦٧ .

المبتدأ : فتقول (إنطلق عمرو) ، وهذه الجملة لاموضع لها من الإعراب ، لأنها غير مبنية على شيء ، وإن المكسورة تكون مبتدأة ، ولا يعمل فيها ما قبلها ، وهي كلام تام مع ما بعدها (١٠٥) كما قدمنا .

ونظير الابتداء الحقيقي : الاستئناف ، قال الرضي الاسرأبادي : «قوله (١٠٦) فكسرت ابتداء» ، أي : مبتدأ بها سواء كان في أول كلام المتكلم ... أو كان في وسط كلام ، لكنه ابتداء كلام آخر ، نحو : (أكرم زيداً ، إنه فاضل) ، فقولا : إنه فاضل : كلام مستأنف وقع علة لما تقدمه (١٠٧) . ومنه قراءة الكوفيين : «فإنما يقول له كن فيكون ، وإن الله ربي وربكم» (١٠٨) وحجة ذلك جعلُ الكلام مُستأنفاً مبتدأ ، كما أنها في قراءة ابن مسعود بغير واو ، وحذف الواو لا يكون معه إلا الكسر على الاستئناف ، ويدل عليه أن الذي قبل الأداة رأس آية ، وقد تم الكلام على ذلك ، فوقع الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس آية أخرى (١٠٩) .

وليس الاستئناف مقصوراً على الواو فقط ، بل إن اللقاء موقعاً كوقعها في بعض النماذج ، قال تعالى : «ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنه غفور رحيم» (١١٠) ، فحجة من كسر الهمزة في هذا الموضع : أن ما بعد الفاء حكمه الابتداء والاستئناف (١١١) أيضاً ، وقد أورد أبو البركات بن الأنباري فيها قراءتين . فمن قرأ بالفتح .. جعلها خبراً لمبتدأ محذوف ، وتقديره : فأمره

(١٠٥) الأصول ١/٣٠٧-٣١٨ ، وانظر : الموجز ٣٨ ، المرجل في شرح الجمل ٢١٤ .

(١٠٦) يعني قول ابن الحاجب في : (الكافية ٣٣) .

(١٠٧) شرح الكافية ٢/٣٢٤ .

(١٠٨) مريم ، الآية ٣٥ ، ٣٦ .

(١٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : (دمشق ١٩٧٤) - ٨٩/٢ ، وانظر : البيان في غريب اعراب القرآن : (القاهرة ١٩٦٩) - ١٢٦/٢ .

(١١٠) الأنعام ، الآية ٥٤ .

(١١١) الكشف ١/٤٣٣ .

أنه غفور رحيم (١١٢).....، والكسر فيها آت على الاستئناف ، وهو بعد الفاء أقيس ، لأن ما بعد ألفاء يجوز أن يقع فيه الاسم والفعل ، وكل موضع يصلح لهما ، فإن الأداة تكون فيه مكسورة ، وكل موضع يختص بأحدهما ك : لو ولولا ، فلأنها تكون فيه مفتوحة ، وما بعد ألفاء يصلح للاسم والفعل ، فكانت مكسورة (١١٣) بلا خلاف .

وقد يستغنى عن الواو والفاء ، ويكون الكلام مستأنفاً أيضاً . قال تعالى : «جزيتهم اليوم بما صبروا ، إنهم هم الفائزون» (١١٤) بكسر كهزة ، وتناظر الاستئناف والابتداء حقيقة وحكماً ، سوغ للنحاة القول : «واو الاستئناف ، ويقال : واو الابتداء ، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ، ولا مشاركة في الإعراب (١١٥)» .

ويضارع حرفي الاستئناف هذين واو العطف أيضاً ، إذا وقعت بعدها جملة تامة ، حين نذهب إلى أن واو الاستئناف قسم آخر غير الواو العاطفة كما هي عند بعض النحاة . والظاهر عند المرادى أنها هي الواو التي تعطف الجمل ، التي لا عمل لها من الإعراب مجرد الربط ، وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها (١١٦) ، قال تعالى : «لنبيئن لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء» (١١٧) بالرفع على الاستئناف ، أي : ونحن نقر (١١٨) ، ولو عطف لانتصب الفعل . ومثله «وما كان

(١١٢) البيان ٣٢٢/١ .

(١١٣) ن.م ٣٢٣/١ .

(١١٤) المؤمنون ، الآية ١١١ ، وانظر : الكشف ١٣١/٢ - ١٣٢ .

(١١٥) الجنى ١٧٦/ .

(١١٦) ن.م ١٧٧/ .

(١١٧) الحج ، الآية ٥ ، وانظر : البيان ١٦٩/٢ .

(١١٨) الأزهية في علم الحروف : (دمشق ١٩٧٥) - ٢٤٠/ .

لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (١١٩) ،
فالمهزة تكسر لو تصدرت الأداة قوله : (نقرٌ ، ويجعلُ) على اعتبار
الواو قبلهما عاطفة لا استثنائية .

والملاحظ المتقدم من كلام المرادي : (واو الاستئناف ، ويقال : وار
الابتداء ...) يحملنا على الإشارة إلى أن مجيء الجمل ابتدائية ، يسلبها المحل
الاعرابي ، فوقع (إن) ومعمولها بعد واو الاستئناف وفائه يقيها على ابتدائيتها ،
فكسر همزتها يتعين على المتكلم نظراً إلى وقوعها في حد الضابط الكلي الذي
أشرنا إليه أول كلامنا ، وهو الكسر في موضع الابتداء الحقيقي ، والابتداء
الحكمي .

إن الابتداء الحكمي عندنا كالاستئناف ، لا تسبق فيه (إن) بشيء ، يغير
من طبيعتها المعنوية واستقلالها بممولها عما يتقدمها ، ولا عبرة فيه بوقوعها
تالية لشيء ليس من شأنه أن يجعلها تابعة إعراباً ومعنى . ودارس ألفية ابن
مالك يراها لا تشبه من مواضع هذا النوع من الابتداء إلى أكثر من خمسة
مواضع (١٢٠) ، وقد استدرك عليها أبو حيان وابن عقيل ثلاثة (١٢١) ،

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١٩١) يونس ، الآية ١٠٠ .

(١٢٠) قال ابن مالك بعد أن ذكر الكسر في الابتداء الحقيقي :

١ - وفي بدء صله =

٢ - وحيث إن لم يمين مكمله =

٣ - أو حكيت بالقول =

٤ - أو حلت محل حال كزرتة وإني ذو أمل

٥ - وكسروا من بعد فعل علقا

بأنلام كأعلم إنه لقد تقى

(الألفية ٢٤٢/٢ ، ضمن مجموع المتن الكبير) .

(١٢١) شرح أبي حيان ٧٥/و .

شرح ابن عقيل ١/٣٥٤-٣٥٥ .

والشيخ خالد الأزهرى ثلاثة (١٢٢) أخرى. فبدأ لنا أن نورد أصل ما ذكره ابن مالك ، وما استدركه عليه شراح ألفيته ، بعد أن نظرنا إلى المسألة من خلال نظرية : التأصيل والتفريع التي مرت الإشارة إليها ، وقد قال الأزهرى بعد أن أورد ثلاثته : «والحق : أن (إن) في ذلك كله ابتدائية ، فهي داخلة في قوله (١٢٣) : أن تقع في الابتداء» ، ثم تكون لنا في بحث ما أصلوه وفرعوه إشارات إلى أشباه ، وقفنا عليها بالاستقراء والفحص .

« للبحث صلة أولها : مواضع
الكسر في الابتداء الحكمي »



ARCHIVE

عبد الوهاب محمد علي العدواني

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مدرس مساعد - قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الموصل

(١٢٢) شرح التصريح ٢١٦/١ .

(١٢٣) يعني : قول ابن هشام في : (أوضح المسالك ٢٣٤/١) ، وما ذكر فيه عشرة مواضع .
أنظر : هامشتا الثاني بعد الثمانين .

نظام الارشاد في كلية الآداب

منى خروقة

نظراً إلى أهمية نظام الارشاد في مساعدة الطلبة في حل مشاكلهم واثارة الطريق أمامهم لاختيار القرار الصحيح وسلك الطريق المناسب إذا ما صادفتهم مشكلة أو أي شيء من هذا القبيل ، وحيث أن نظام الارشاد قد بدأ في جامعة الموصل منذ حوالي الستين لذا كان الغرض من هذا البحث معرفة مدى نجاح النظام الحالي للارشاد في كلية الآداب عن طريق إجراء استفتاء عام للطلبة والأساتذة لمعرفة آرائهم واستنتاج الحقائق المستندة عليها وعلى ضوء ذلك محاولة تقديم اقتراحات قد تساعد في تحسين وتطوير النظام الحالي للارشاد.

ففي الماضي وعندما كانت الحياة تسير ببساطة لم يكن هناك حاجة إلى وجود نظام للارشاد ولكن الآن وقد أصبحت الحياة أكثر تعقيداً نجد هناك ضرورة قصوى لوجود نظام خاص للارشاد في الجامعة .

□ فالاستاذ المرشد بحكم تجربته واختلاطه بالطبقة يستطيع تنمية قابلياتهم الدراسية وبالإضافة إلى هذا يستطيع معرفة قابلياتهم وهواياتهم الأخرى في مختلف المجالات وتشجيع وتوجيه الطلبة للاستفادة من هذه القابليات والهوايات والكفاءات . وبالرغم من أن ادارة الكلية هي المسؤولة عن :

نظام الارشاد الا ان على الاستاذ يقع العبء الاكبر في تنفيذه هذا لكونه على اتصال دائم بطليته مُمحاً بشؤونهم . والمرشد يجب أن يكون شخصاً يلم بالمأماً كافياً بمواضيع التربية وعلم النفس لان الشخص الملم بهذه المواضيع يكون أقدر على مساعدة الطلبة في مواجهة مشاكلهم وأكثر كفاءة من غيره

أهداف نظام الارشاد :

١ - مساعدة الطلبة في اظهار وتحسين قابلياتهم وهواياتهم وأهدافهم الدراسية
٢ - زيادة معلوماتهم عن المتطلبات الدراسية وكيفية تنفيذها .
٣ - مساعدتهم في الاستفادة من الفرص المتاحة لهم للوصول إلى أهدافهم النهائية .

٤ - مساعدتهم في تحسين وتثبيت علاقاتهم الاجتماعية .
٥ - تزويد ادارة الكلية والاساتذة وعوائل الطلبة بالمعلومات الكافية عن قابليات الطلبة .

٦ - خدمة الطلبة ومساعدتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة وذلك بالتعاون مع بقية المرشدين والاساتذة وادارة الكلية .

ومن الاسس التي يرتكز عليها هذا النظام هو الايمان بقابلية وفردية الطالب ومساعدة الطالب للوصول إلى غايته كفرد ناجح له شخصيته المستقلة وكيانه . وهذا النظام يقدم خدماته لكل الطلبة على حد سواء . فهو يحترم شخصية الفرد ويقدر تصرفاته . ومن الدعائم الاساسية لهذا النظام هو وجود الثقة المتبادلة بين الطالب والمرشد وايمان الطالب بكون المرشد شخصاً قادراً على اعطائه الارشاد الذي يحتاجه فهناك الكثير من الطلبة النابرين الذين تضيق عليهم فرصة اظهار كفاءاتهم الدراسية لكونهم يواجهون عدداً من المشاكل المختلفة التي قد تؤثر تأثيراً بالغاً في سير حياتهم الدراسية فوجود مرشد يثقون به قد ينقذهم من الضياع ويفتح المجال أمامهم لمناقشة مشاكلهم بصراحة ومواجهتها بجرأة دون التخاذل واليأس ومن المعروف أن هناك

عدة أنواع من الارشاد أهمها الارشاد النفسي ، والارشاد الاجتماعي والارشاد المهني .

الطريقة :

الطريقة التي اتبعت في الاستفتاء هي توزيع الاستمارات على جميع ، طلبة الصفوف الثانية والثالثة والرابعة في جميع أقسام كلية الاداب . والسبب في اختيار المراحل الدراسية الثلاث العليا هو أن طلبة الصفوف الاولى لم يتلقوا الارشاد الا لسنة واحدة هي سنة وجودهم في الكلية وكذلك لان نسبة المراحل الثلاث العليا قد تلقوا الارشاد لمدة لا تقل عن سنتين ومر عليهم أكثر من مرشد فهم في وضع يمكنهم من الاجابة عن الاسئلة بدراية وخبرة بالنظام الحالي وقد لوحظ ان قسماً من الطلبة لم يجيبوا على جميع الاسئلة لكونهم لم يلتقوا بالمرشد غير مرة واحدة في الحلقة الترفيحية التي اقيمت من قبل المرشد لشعبتهم فلذلك لا يستطيعون الاجابة على هذه الاسئلة لكونهم لا يعرفون المرشد ، جيداً كما ذكروا .

وقد ضمت استمارة الطلبة الأسئلة التالية <http://www.abulqasbi.net>

- ١ - هل تسكن القسم الداخلي نعم () لا ()
- هل تسكن مع عائلتك نعم () لا ()
- ٢ - هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :
ممتاز ، جيد ، مقبول ، ضعيف
- ٣ - دل ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة :
مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية
- ٤ - لو حدثت لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك - مع المرشد - مع أحد أصدقائك - مع رئيس القسم -
مع ادارة الكلية .

٥ - هل تعتبر المرشد :

كصديق - كشخص ذو تجربة - كشخص ذو مركز مهم في الكلية
شخص تثق به .

٦ - أيهما أفضل :

مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مرشد تختاره أنت - مركز
للارشاد في الكلية (١)

٧ - ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك - يمكن التأشير على أكثر من
مشكلة واحدة .

دراسية - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى .

٨ - ماهي عدد المرات التي التقيت بها بمرشدك ؟
صفر - واحد - اثنان - أكثر .

٩ - هل كان لقاءك بالمرشد :

بصورة منفردة - ضمن مجموعتك

١٠ - هل كان لقاءك بالمرشد بأي شكل كان :

مسرراً - غير مسرر

أما استمارات الاساتذة فقد وزعت إلى جميع الاساتذة بمرتبة معيد ،
فما فوق والذين يقومون بوظيفة مرشد في الكلية . وقد ضمت استمارة
الاساتذة الاسئلة التالية :

١ - هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :

ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف .

٢ - أيهما تفضل :

مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مركز للارشاد في الكلية

٣ - ما هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب :

دراسية - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى

(١) مركز الارشاد: يتم تأسيه في الكلية لخدم جميع الطلبة في وقت واحد ويضم عدداً من الاساتذة
الذين لهم خبرة في مواضيع التربية وعلم النفس والطالب حق الخيار في التحدث الى أي واحد
من هؤلاء الاساتذة

٤ - ماهي عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك ؟
صفر - واحد - اثنان - أكثر .

٥ - بأي شكل كان لقاءك مع الطلبة
كلا على افراد - بشكل مجموعات

٦ - في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته :
علمي - اجتماعي - نفسي - اقتصادي .

النتائج ومناقشتها :

كانت الغاية من السؤال الاول معرفة نسبة الطلبة الذين شاركوا في الاستفتاء
ويسكنون القسم الداخلي ثم نسبة الطلبة الذين يسكنون (خارجاً) في شقق
أو بيوت مستقلة . حيث ان الطلبة الذين لا يسكنون مع عوائلهم قد
تكون لديهم مشاكل اضافية ، أكثر من الذين يسكنون مع عوائلهم .
وكانت نتيجة السؤال انه ٤٦.٦٪ من الطلبة يسكنون القسم الداخلي يلتهم
٤٠.٨٪ يسكنون مع عوائلهم ثم ١٢.٩٪ يسكنون خارجاً .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

أما الغاية من السؤال الثاني فكانت معرفة رأى الطلبة بنظام الارشاد
ونلاحظ من جدول رقم (١) ان ٣٧.٦٪ من الطلبة يعتقدون ان النظام
الحالي للارشاد مقبول . يليهم ٢٨.٥٪ من الطلبة يعتقدون انه جيد . ويظهر
أن الذين يعتقدون أن النظام الحالي ممتاز هو قسم قليل جداً ٧.٩٪ من الطلبة
ولعلمهم من الذين حضوا بمرشد جيد ساعدهم كثيراً في حل مشاكلهم واذا
نظرنا إلى جدول رقم ٦ نرى ان ٥.٦٪ من الطلبة ذكروا انهم التقوا
بمرشدهم مرة واحدة يليهم ٢.٣٪ لم يلتقوا نهائياً بمرشدهم ثم ١٠.٤٪
من الطلبة ذكروا انهم التقوا بالمرشد أكثر من مرتين . وهذا يقودنا إلى
الاستنتاج ان ٧.٩٪ من مجموع الطلبة الذين ذكروا ان النظام الحالي ممتاز
يقابل ١٠.٤٪ من الطلبة الذين ذكروا انهم التقوا بالمرشد بأكثر من مرتين

ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
عدد الطلاب ٤٦	١٤٤	١٧٢	١٤٨	٥١٠
النسبة المئوية ٩,١ %	٢٨,٢ %	٣٣,٧ %	٢٩,٠ %	١٠٠ %
عدد الطالبات ١٢	٤٨	١٠٦	٦٢	٢٢٨
النسبة المئوية ٥,٣ %	٢١,٠ %	٤٦,٥ %	٢٧,٢ %	١٠٠ %
العدد الكلي ٥٨	١٩٢	٢٧٨	٢١٠	٧٣٨
النسبة المئوية ٧,٩ %	٢٦ %	٣٧,٦ %	٢٨,٥ %	١٠٠ %

جدول رقم (١)

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف

فهو معنى هذا إنه كلما ازداد عدد المرات التي يلتقي بها المرشد بطلبته ، كلما ازدادت ثقة الطلبة بهذا النظام ؟ قد يكون هذا جائزاً وان لم يكن من الضروري . وقد يكون حكم الطالب عن نظام الارشاد متعلقاً بمدى استفادته من هذا النظام .

السؤال الثالث الذي وجه للطلبة فكان : هل ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية . وكان الجواب ٤٥٧٪ من الطلبة يعتقدون انه يقوم بوظيفته بصورة مرضية . ثم ٩٦٪ يعتقدون إنه يقوم بوظيفته بصورة غير مرضية . فإذاً أقل من نصف الطلبة يعتقدون أن المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية وربما كان هذا الاعتقاد مرتبطاً بمدى استفادة الطلبة من المرشد .

أما السؤال الرابع فكان: لو حدث لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها بنفسك مع المرشد . مع أحد من اصدقائك ، مع رئيس القسم مع ادارة الكلية .

وجداول رقم (٢) يعطينا صورة واضحة فعلية عن مدى ثقة الطالب بالمرشد والطريقة التي يفضلها في حل مشاكله . فحوالي ٣٦٢٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع أحد أصدقائهم ثم ٢٥٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع المرشد. يتضح من هذا ان الربع فقط يذهب إلى المرشد إذا ما صادفته مشكلة وهذا يدل على ان الثقة قليلة بالمرشد لانه من المفروض أن يذهب العدد الاكبر من الطلبة إلى المرشد للتباحث معه في حل مشاكلهم ولكن الحقيقة هي ان العدد الاكبر من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم اما بأنفسهم او مع احد أصدقائهم . ونجد في الجدول أيضاً أن ٤١٥٪ من الطالبات يفضلن حل مشاكلهن بأنفسهن لانه ما زال قسم من الفتيات يعتقدون أن المرشد أو المرشدة سوف لا تحتفظ بالمعلومات الخاصة بمشاكلهن لأنفسها بل سوف تبوح بها لافراد آخرين . ومن المحتمل أيضاً ان الفتاة تفضل حل مشاكلها الشخصية بنفسها ثم تتباحث بالمشاكل الاخرى الاجتماعية كانت أو نفسية مع صديقاتها وقد تذهب بمشاكلها الباقية الدراسية مثلاً إلى المرشد . وهناك عدد قليل ٧٣٪ من الطلبة يفضل حل مشاكله مع رئيس القسم وعدد أقل ٣٤٪ يفضل حل مشاكله مع ادارة الكلية ويمكن أن يكون سبب ذلك هو نوعية المشكلة التي يصادفها الطالب . ونجد ذلك واضحاً في الجدول الذي يبحث نوعية المشاكل حيث أن الطالب يواجه مشاكل دراسية أو اجتماعية أو نفسية أو عاطفية أو اقتصادية أو قد تكون أكثر من مشكلة وربما تكون عنده كل هذه المشاكل مجتمعة .

وفي جدول (٣) الذي يحتوي على ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة ، كشخص ذي مركز مهم في الكلية شخص لا تنق به ، نلاحظ ان اكثر من نصف الطلبة ٥٢٢٪ يعتبرون المرشد شخصاً ذا تجربة وربما هذا هو السبب الذي يحدهم إلى الذهاب اليه بمشاكلهم لانه عادة شخص أكبر منهم سناً وأوفر علماً وأكثر تجربة ثم يليهم بعد ذلك حوالي ربع الطلبة ٢٥٪ يعتبرون المرشد كصديق أكبر

بنفسك المرشد	مع أحد أصدقائك	مع رئيس القسم	مع إدارة الكلية	المجموع	
١٦٠	١٤٠	١٦٢	٤٤	٢٦	٥٣٢
الطلاب					
النسبة					
%٣٠,١	%٢٦,٣	%٣٠,٤	%٨,٣	%٤,٩	%١٠٠
المثوية					
٩٨	٥٦	٧٠	١٢		٢٣٦
طالبات					
النسبة					
%٤١,٥	%٢٣,٧	%٢٩,٧	%٥,١		%١٠٠
المثوية					
المجموع					
٢٥٨	١٩٦	٢٣٢	٥٦	٢٦	٧٦٨
الكلية					
النسبة					
%٣٦,٢	%٢٥,٥	%٣٠,٢	%٧,٣	%٣,٤	%١٠٠
المثوية					

<http://www.sakhrat.com> جلول و قلم

ملخص نتائج السؤال : لوحدثت مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك - مع المرشد - مع أحد أصدقائك -
مع رئيس القسم - مع إدارة الكلية .

منهم سناً وأكثر تجربة أيضاً . ومن الملاحظ ان نسبة الطالبات اللواتي ،
يعتبرن المرشد كشخص ذي مركز مهم في الكلية هي ٢١٦٪ بينما نسبة
الطلاب هي أقل من ١٣٦٪ فالطالبات يذهبن اليه لانه شخص يستطيع
مساعدتهن في حل قسم من مشاكلهن كالمشاكل الدراسية مثلاً. أما نسبة
الطلبة الذين لا يتقون بالمرشد فهي ٨٧٪ أي إن العدد قليل نسبياً وربما ،
هم من الطلبة الذين لم يحضوا بمرشد يهتم بمشاكلهم جيداً .

أما في جدول رقم (٤) فنجد ملخصاً لنتائج السؤال : أيهما تفضل ، مرشد لكل شعبة ، مرشد لكل قسم ، مرشد تختاره أنت ، مركز للإرشاد في الكلية حيث أنه من الملاحظ أن الطلبة عادة يفضلون أن يبحثوا مشاكلهم مع مدرسين يعرفونهم . فنجد ٦١٩٪ من الطلبة فضلوا أن يكون مرشداً خاصاً لكل شعبة . ويكون مرشد الشعب عادة من الاساتذة الذين يدرسون تلك الشعبة أي أنهم معروفون لدى الطلبة . والطلاب سوف لا يكون مضطرباً عند مقابلة المرشد فالطلاب لا يرغب أن يبحث مشاكله مع مدرس لا يعرفه وبلي ذلك ١٩٩٪ من الطلبة يفضلون أن يختاروا مرشدين لانفسهم فالطلاب قد يجد في شخصية أحد الاساتذة مرشده المفضل فيذهب اليه لبحث مشاكله . وربما يكون هذا المرشد من الاساتذة الذين لهم علاقات اجتماعية مع الطلبة أكثر من غيرهم من الاساتذة وهناك ١٤٩٪ من الطلبة يفضلون وجود مركز للإرشاد في الكلية . ونلاحظ هنا أن عديداً قليلاً من الطلبة حببوا هذه الفكرة وربما السبب يعود لعدم معرفة الطلبة بطبيعة عمل مركز الإرشاد كما وان نسبة الطلاب الذين يفضلون مركز الإرشاد ١٧٧٪ هي أكبر من نسبة الطالبات اللواتي يفضلن هذا وهي ٧٩٪ ونسبة قليلة جداً من الطلبة ٣٣٪ فضلت مرشداً واحداً لكل من الاقسام العلمية

طلاب	١٤٢	٢٧٤	٥٦	٤٠	٥٣٢
النسبة المئوية	٪٢٦,٧	٪٥٥,٣	٪١٠,٥	٪٧,٥	٪١٠٠
طالبات	٤٦	٩٠	٤٤	٢٤	٢٠٤
النسبة المئوية	٪٢٢,٥	٪٤٤,١	٪٢١,٦	٪١١,٨	٪١٠٠

٧٣٦	٦٤	١٠٠	٣٦٤	١٩٢	المجموع الكلي
% ١٠٠	% ٨,٧	% ١٣,٦	% ٥٢,٢	% ٢٥,٥	النسبة المئوية

جدول رقم « ٣ »

ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة
كشخص ذي مركز مهم في الكلية - شخص لا تثق به

مرشد لكل شعبة	مرشد لكل قسم	مرشد مركز للإرشاد تختاره أنت في الكلية	المجموع	
٣٩٢	٢٢	٩٤	٩٢	٥٢٠
% ٦٠	% ٤,٢	% ١٨,١	% ١٧,٧	% ١٠٠
١٣٦	٢	٥٠	١٦	٢٠٤
% ٦٦,٦	% ١	% ٢٤,٥	% ٧,٩	% ١٠٠
٤٤٨	٢٤	١٤٤	١٠٨	٧٢٤
% ٦١,٩	% ٣,٣	% ١٩,٩	% ١٤,٩	% ١٠٠

جدول رقم « ٤ »

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل : مرشد لكل شعبة - مرشد لكل
قسم - مرشد تختاره أنت - مركز للإرشاد في الكلية

دراسة إجتماعية نفسية عاطفية إقتصادية مشاكل أخرى المجموع

٨٥٨	٤٦	١٧٨	١١٦	١٠٨	١٧٠	٢٤٠	طلاب
							النسبة
%١٠٠	%٥,٤	%٢٠,٧	%١٣,٥	%١٢,٦	%١٩,٨	%٢٨	المتوية
٣٦٢	١٨	٢٠	٢٦	٦٨	٧٦	١٥٤	طالبات
							النسبة
%١٠٠	%٥	%٥,٥	%٧,٢	%١٨,٨	%٢١	%٤٢,٥	المتوية
المجموع							
١٢٢٠	٦٤	١٩٨	١٤٢	١٧٦	٢٤٦	٣٩٤	الكلية
							النسبة
%١٠٠	%٥,٢	%١٦,٢	%١١,٧	%١٤,٤	%٢٠,٢	%٣٢,٣	المتوية

جدول رقم (٥)
<http://ArchVet.net/Sakhril.com>

ملخص نتائج السؤال ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك - يمكن التأشير على أكثر من مشكلة واحدة: دراسة . اجتماعية نفسية ، عاطفية ، اقتصادية ، مشاكل أخرى

أما عن المشاكل التي تواجه الطالب فجدول رقم (٥) يعطينا صورة واضحة عن هذا . فمن الواضح أن أكثر المشاكل هي دراسة ٣٢٢ ، تليها مشاكل اجتماعية ٢٠٢٪ ثم مشاكل اقتصادية ١٦٢٪ تليها مشاكل نفسية ١٤٤٪ ثم مشاكل عاطفية ١١٧٪ وأخيراً مشاكل أخرى ٥٢٪ ولأن المشاكل الدراسية هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب نرى أن عدداً

كثيراً من الطلبة فضلوا مرشداً لكل شعبة فمن الواضح أن علاقتهم بمرشد يقوم بتدريسهم ونفس الوقت يعرف مشاكلهم هو الحل الذي ينفضله أكثرهم كما يجب أن لاننس أنه قد يكون لبعض الطلبة أكثر من مشكلة واحدة وقد تكون لقسم منهم كل هذه المشاكل مجتمعة أو قد تختلف هذه المشاكل بين حين وآخر .

صفر	واحد	إثنين	أكثر	المجموع
١٣٠	٢٦٠	٥٠	٦٢	٥٠٢
النسبة المئوية ٢٥,٩%	٥١,٨%	١٠%	١٢,٣%	١٠٠%
٣٨	١٥٠	٢٨	١٤	٢٣٠
النسبة المئوية ١٦,٥%	٦٥,٢%	١٢,٢%	٦,١%	١٠٠%
المجموع الكلي ١٦٨	٤١٠	٧٨	٧٦	٧٣٢
النسبة المئوية ٢٣%	٥٦%	١٠,٦%	١٠,٤%	١٠٠%

جدول رقم (٦) <http://www.khrit.com>

ملخص نتائج السؤال : ماهو عدد المرات التي التقيت بها بمرشدك :
صفر ، واحد ، إثنان ، أكثر

وإذا نظرنا إلى جدول رقم (٦) لوجدنا أن أكثر من نصف الطلبة ٥٦% .
التقوا بمرشدهم مرة واحدة فقط وإن قسماً منهم ذكروا أن هذه المرة كانت في الحفلة الترفيهية المقامة من قبل المرشد لشعبتهم . يليهم ٢٣% ذكروا أنهم لم يلتقوا بالمرشد نهائياً ثم ١٠,٦% قالوا أنهم التقوا به مرتين . ثم ١٠,٤% ذكروا أنهم التقوا بالمرشد بأكثر من مرتين . فلذلك من الواضح أن أكثر من نصف الطلبة لم يلتقوا بمرشدهم إلا مرة واحدة وهذه كما نعلم جميعنا غير كافية فالمرشد يجب أن يلتقي بطلبته مرة كل شهر على الأقل . أي حوالي

ثمانى مرات في السنة فمرة واحدة غير كافية على الإطلاق لمعرفة مشاكل الطلبة . ثم ماذا عن الطلبة الذين لم يلتقوا بالمرشد نهائياً أو الذين التقوا به في الحفلة الترفيهية فقط ؟ وهل معنى هذا أنهم لم يستفيدوا من وجود نظام الإرشاد من الواضح أن هؤلاء الطلبة لم يستفيدوا نهائياً من وجود نظام الإرشاد أو أنهم إستفادوا فائدة جزئية .

أما السؤال التاسع فهو : هل كان لقاءك بالمرشد بصورة منفردة أم ضمن مجموعتك ؟ وقد أجاب ٩٣٪ من الطلبة أنهم التقوا بالمرشد ضمن مجموعتهم . أي كل شعبة مع مرشدها . ثم ٦٩٪ من الطلبة التقوا مع مرشديهم بصورة منفردة لبحث مشاكل خاصة . ونلاحظ أن نسبة الطلاب الذين التقوا مع المرشد لبحث مشاكل خاصة هي ٩٧٪ أما مجموع الطالبات اللواتي التقين مع المرشد لبحث مشاكل خاصة فكان ١٧٪ ولعل هذا ، راجع إلى أحجام الطالبات من الكشف عن مشاكلهن الشخصية أكثر من الطلاب وذلك لان الفتاة قد تحاسب ع أشياء كثيرة لا يحاسب عليها الطالب . والسبب في أحجام بعض الفتيات عن الاقضاء بمشاكلهن الشخصية هو كونهن لا يثقن بالمرشد ثقة كاملة أو لأنهن يعتقدن أن المرشد سوف يوح ببعض هذه المشاكل لأشخاص آخرين ولذلك نرى أهمية وجود مرشدة خاصة للطالبات في الكلية .

والسؤال العاشر في استمارة الطلبة هو هل كان لقاءك بالمرشد بأي شكل كان : مثيراً ، غير مثير .

ويظهر أن ٥٩٢٪ من الطلبة كان لقاءهم بالمرشد مثيراً في حين أن ٤٠٨٪ من الطلبة كان لقاءهم بالمرشد غير مثير . كما وان قسماً من الطلبة ذكروا أنه لم يكن مثيراً وذلك لأنهم لم يبحثوا أي مشكلة مع المرشد فإذا الطلبة الذين كان لقاءهم بالمرشد مثيراً هم أكثر من الطلبة الذين كان وقد ضمت استمارة الاساتذة الاسئلة التالية :

- ١ - هل تعتقد أن نظام الارشاد الحالي في الكلية :
ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف
- ٢ - أيهما تفضل :
مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مركز للارشاد في الكلية ،
- ٣ - ماهي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب
دراسية - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى
- ٤ - ماهو عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك ؟
صفر - واحد - اثنان - أكثر
- ٥ - بأي شكل كان لقاءك مع الطلبة .
كلأ على انفراد - بشكل مجموعات
- ٦ - في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته :
علمي - اجتماعي - نفسي - اقتصادي

الاساتذة

ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
				٦
				http://Archivebeta.Sakhrit.com
النسبة المئوية	٦٦,٧ %	٣٣,٣ %	١٠٠ %	
مدرس	٤	٦	١٠	
النسبة المئوية	٤٠ %	٦٠ %	١٠٠ %	
معيد	٤	٤	٢	١٠
النسبة المئوية	٤٠ %	٤٠ %	٢٠ %	١٠٠ %
العدد الكلي	٨	١٤	٤	٢٦
النسبة المئوية	٣٠,٨ %	٥٣,٨ %	١٥,٤ %	١٠٠ %

جدول رقم « ٧ »

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية :
ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف

إذا نظرنا إلى جدول رقم ٥ ٧ نجد أن أكثر من نصف الأساتذة أي ٥٣,٨٪ يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول في حين يعتقد ٣٠,٨٪ منهم أنه جيد وهناك قسم قليل منهم ١٥,٤٪ يعتقدون أنه ضعيف . فحوالي النصف إذن يعتقدون أنه مقبول . وهذا بخلاف الطلبة إذن إنه ٣٧,٦٪ من الطلبة فقط إعتقدوا أن النظام الحالي للإرشاد مقبول (لاحظ جدول رقم ١ -) وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أجوبة الطلبة وأجوبة الأساتذة معاً نجد أنه أقل من نصف مجموعهم يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول فهو إذن يحتاج إلى تحسين وتغيير بنظر الأغلبية .

مرشد لكل شعبة مرشد لكل قسم مركز للإرشاد المجموع			
أستاذ مساعد	١	٤	٥
النسبة المئوية	٢٠٪	٨٠٪	١٠٠٪
مدرس	٦	٤	١٠
النسبة المئوية	٦٠٪	٤٠٪	١٠٠٪
معيد	٥	١٠	١٠
النسبة المئوية	٥٠٪	١٠٪	٤٠٪
العدد الكلي	١٢	١٢	٢٥
النسبة المئوية	٤٨٪	٤٨٪	١٠٠٪

جدول رقم ٨ -

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل مرشداً لكل شعبة - مرشداً لكل قسم - مركزاً للإرشاد في الكلية

أما جدول رقم (٨) فبرينا أن ٤٨٪ من الأساتذة يفضلون مركزاً للإرشاد . كما يفضل نفس العدد أيضاً مرشداً لكل شعبة . في حين فضل

٤٪ فقط من الأساتذة مرشداً لكل قسم . وإذا ما قارنا هذا بجدول رقم (٤) الذي يوضح إجابات الطلبة على هذا السؤال نجد أن ٦١,٩٪ من الطلبة يفضلون مرشداً لكل شعبة أي أكثر من نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك . كما أن عدد الطلبة الذين يفضلون مركزاً للإرشاد هو ١٤,٩٪ أي أقل بكثير من نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك .

فالأساتذة يفضلون وجود مركز للإرشاد لأن هذا يخلصهم من قسم الأعباء وبنفس الوقت يتسلم مهمة المرشد أساتذة راغبون في هذا العمل ويتمكنون منه.

أما السؤال الثالث في استمارة الاساتذة فكان عن أكثر المشاكل التي تواجه الطالب وظهر أن ٢٤,٣٪ يعتقدون أن المشاكل الدراسية هي أكثرها يليهم ٢١,٤٪ مشاكل نفسية ثم ٢١,٤٪ مشاكل اقتصادية . ثم ١٧,٩٪ مشاكل عاطفية وأخيراً ٢٠,٩٪ مشاكل أخرى . أي أن أهمها مشاكل دراسية وهذا نفس اعتقاد الطلبة لاحظ جدول رقم (٥) .

ونلاحظ من جدول رقم (٩) أن ٤١,٧٪ من الاساتذة ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم مرتين في حين أن ٢٩,٩٪ من الاساتذة التقوا مرة واحدة بطلبتهم و ٢٥٪ منهم التقوا بأكثر من مرتين مع الطلبة ونشاهد أن قسماً قليلاً منهم حوالي ٤,٢٪ ذكروا أنهم لم يلتقوا نهائياً مع الطلبة وإذا ما نظرنا إلى العدد الحقيقي نجد أن نسبة ٤,٢٪ تشير إلى وجود استاذ واحد وربما لم يكن هذا الاستاذ مرشداً لأي شعبة . في حين إذا نظرنا إلى جدول رقم (٨) الذي يحتوي على اجابات الطلبة عن هذا السؤال نجد أن ٢٣٪ من الطلبة ذكروا أنهم لم يلتقوا بمرشدهم نهائياً . ومن الملاحظ أيضاً ان العدد الاكبر من الاساتذة ٤١,٧٪ ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم مرتين وهذا العدد من اللقاءات قليل جداً كما نعلم اذ أنه كما ذكرنا سابقاً يجب أن يلتقي المرشد بطلبته مرة كل شهر على الأقل أي حوالي الثماني مرات بالسنة ومن المستحسن أن يكون العدد أكثر من ذلك نبتسي للمرشد التعرف على مشاكل طلبته أكثر ومساعدتهم في حلها. فمرتان بالسنة فقط لاتساعد الطلبة في شيء اذا ما ،

فظرنا إلى العدد الكبير من الطلبة الذي تتكون منه كل شعبة . فبعض الشعب مثلا تتكون من حوالي الخمسين طالباً . فالتعداد بالنسبة لكل لقاء ، حوالي الخمسين دقيقة لم تكفي فنصيب الطالب الواحد دو ذليقتان فقط لتكلم عن المشكلة مع المرشد خلال السنة كذا وهذا قليل جداً . ولكن ليس معزى هذا ان تزيد عدد لقاءات المرشد زيادة كبيرة جداً . لان هذا كما يعتقد الكثير يؤدي إلى اعتماد الطالب الكلي على المرشد ويشجع الطالب على الانكسار . ولكننا نرى أن حوالي ثمان مائة مرة في السنة على الأقل شيء معقول أضيف إلى ذلك أن الطلبة يستطيعون الطلب من المرشد أن يتدعم بهم اذا ما دعت الحاجة الى ذلك .

صفر	واحد	إثنان	أكثر	المجموع
١	٢	١	٤	٨
٢٥%	٥٠%	٢٥%	١٠٠%	١٠٠%
٥	٣	٣	١١	٢٢
٢٢,٧%	١٣,٦%	١٣,٦%	١٠٠%	١٠٠%
١	١	٥	٢	٩
١١,١%	١١,١%	٥٥,٦%	٢٢,٢%	١٠٠%
١	٧	١٠	٦	٢٤
٤,٢%	٢٩,١%	٤١,٧%	٢٥%	١٠٠%

جدول رقم ٩ :

ملخص نتائج السؤال : ماهو عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك؟
صفر - واحد - إثنان - أكثر

أما السؤال الخامس في استمارة الاساتذة فكان : بأي شكل كان لقاؤك مع الطلبة كلاً على أفراد ، بشكل مجموعات .

والنتائج بينت لنا أن ٧١٫٩٪ من الاساتذة ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات و ٢٨٫١٪ منهم ذكروا أنهم التقوا بهم على أفراد وربما أن قسماً من الاساتذة التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات ثم على أفراد للطلبة الذين لهم مشاكل خاصة . فنسبة الذين ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات هي أكثر بكثير من نسبة الذين التقوا بطلبتهم على أفراد . وقد اعطينا نتائج السؤال نفسه موجهاً للطلبة النتائج الآتية : ٩٣٫١٪ من الطلبة الذين التقوا بالمرشد ضمن مجموعتهم ثم ٦٫٩٪ فقط التقوا مع مرشديهم بصورة منفردة لبحث مشاكل خاصة. فالنتائج غير متوازنة نهائياً بين عدد اللقاءات المنفردة واللقاءات بشكل مجموعات وهذا راجع كما ذكرنا إلى قلة الثقة الموجودة بين الطلبة ومرشديهم فمعظم المشاكل الخاصة يفضل الطلبة حلها بأنفسهم أو مع أحد أصدقائهم .

أما السؤال الأخير في استمارة الاساتذة فكان في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته ، علمي اجتماعي ، اقتصادي ، ومن النتائج نرى أن المرشد يستطيع مساعدة طلبته في الحقول الآتية : ٣٩٫١٪ علمي ثم ٢٨٫٣٪ نفسي ، يليهم ٢٦٫١٪ في الحقل الاجتماعي . وأخيراً ٦٫٥٪ في الحقل الاقتصادي . ولقد ظهر من نتيجة السؤال الثالث الموجه للاساتذة عن نوعية المشاكل التي يواجهها الطالب أن أكثر المشاكل هي دراسية . تليها المشاكل النفسية .

مقترحات لتطوير نظام الارشاد الحالي :

من الممكن أن نجعل الارشاد الحالي في كلية الاداب نظاماً مفيداً حقاً يخدم جميع الطلبة وله أهداف تربوية قيمة . ومن أهم النقاط التي : أن تلاحظ هي :

- ١ - زيادة النشاطات اللاصفية والسفرات والحفلات واشترك المرشدين والطلبة فيها لان هذا يساعدهم على التصرف على بعضهم وزيادة الثقة المتبادلة بينهم .
- ٢ - يجب زيادة عدد المرات التي يها المرشد بطلبته بحيث تخصص ساعة كل اسبوعين مثلاً على الاقل من قبل القسم والعمادة للمرشد ليلتقي بطلبته . ومن الممكن أن تكون هذه الساعة للكلية بأجمعها ولجميع المرشدين ليلتقوا بطلبتهم في وقت واحد .
- ٣ - أن يدعم المرشد من قبل العمادة لان المرشد في بعض الاحيان يحتاج إلى دعم واسناد من قبل العمادة أوالجهات المسؤولة في الجامعة . فإذا أخذنا مثلاً المشاكل الاقتصادية فبالامكان حلها إذا كان هناك تعاوناً وثيقاً بين الطالب والمرشد وعمادة الكلية .
- ٤ - تشكل لجنة متكونة من عدد من الاساتذة في الكلية لتنظر بالمشاكل التي لا يستطيع المرشد حلها بنفسه كاللجنة الموجودة الآن . وتجتمع اللجنة كل اسبوعين أو كل شهر بوقت معين لبحث مشاكل الطلبة . وهذه التي قد يطلب بعضهم بحثها مع اللجنة أو مع أحد أعضاء اللجنة . وبهذه الطريقة نكون قد مررنا ببيتهم نظام المرشد لكل شعبة ونظام الارشاد في الكلية الذي في الحقيقة يتكون من لجنة الارشاد ويجتمع بانتظام كما ذكرنا .
- ٥ - يجب أن يعلم الطلبة جميعاً منذ بداية السنة الدراسية أسماء لجنة الارشاد في الكلية . وذلك لان الطالب في بعض الاحيان قد لا يتفق مع مرشد شعبته فيكون أمامه فرصة أخرى وهي فرصة التحدث إلى اللجنة .
- ٦ - تخصص مرشدة للطالبات في كل كلية .
- ٧ - الاهتمام بالاستمارات العائدة للطلبة فيجب أن يدون المرشد في الاستمارة كل المعلومات المتوفرة عن الطالب . وعلى المرشد ملاحظة التقدم الدراسي لطلبته ومحاولة بحث أسباب تأخر قسم من الطلبة في الدراسة وبحث الاسباب المؤدية إلى ذلك . اذ قد لا تكون الاسباب دراسية فقط بل قد تكون نفسية أو اجتماعية .

المصادر

- ١ - الدكتور فخري اندباغ ((أصول الطب النفسي)) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٧٤
- ٢ - ديلين شاكتر (كيف تتكامل الشخصية) مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٤

3. Goldman, Leo. Using Tests in Counseling . Appleton - Century - Crofts, Inc. New York. 1961 .
4. Hatch, Raymond. N. and Steffice, Buford. Administration of Guidance Services. Prentice-Hall Inc. Englewood Cliffs, New-Jersey. 1965 .
5. Isaacson, Lee E. Career Information in Counseling and Teaching . Allyn and Bacon, Inc. Boston. Mass. 1966 .
6. Miller, Carroli. H. Guidance Services . Harper and Row . New York . 1966 .
7. Paterson, C. H. Theories, of Counseling and Psychotherapy. Harper and Row. New York. 1966 .
8. Thorndike , Robert, L. and Hagen, Elizabeth. Measurement and Evaluation in Psychology and Education. John Wiley and Sons. Inc. New York. 1965 //Archivebeta.Sakhrit.com

دنى خروقة

مدرسة قسم اللغة الانكليزية
كلية الاداب جامعة الموصل

الاخبار العلمية
للسنة الدراسية ١٩٧٤-١٩٧٥





ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١ - زار السيد رئيس جامعة الموصل الدكتور محمد صادق المشاط كليتنا بتاريخ ٧٤/١٠/٢٩ وافتتح مختبر الصوت في قسم اللغات الأوروبية ، ويسمى المختبر (٢٠ طالباً) . أما أجهزته فحديثة من صنع شركة فيليبس وقام القسم باستعمال مختبر الصوت لطلاب الصفوف الأولى في هذه السنة حيث قسم الصف إلى مجموعتين تقوم المجموعة الأولى بالتدريب العملي على النطق داخل المختبر تحت اشراف مدرس مختص ، أما المجموعة الثانية فيتولاها مدرس آخر يقوم بمناقشة التطبيق العملي في المختبر . وقد زود المختبر بالمواد التعليمية الضرورية من أشرطة صوتية مسجلة للطلبة وتسجيلات متنوعة يستعملها المدرس حسب الحاجة والغرض من استعمال مختبر الصوت هو تدريب الطلبة على النطق الصحيح فيما يتعلق بالأصوات المنفردة والكلمات والجمل ولغة الحديث .

٢ - وافق مجلس جامعة الموصل في جلسته الثامنة للسنة الجامعية الثامنة على اقتراح كليتنا باستيراد أجهزة وحدة المخطوطات بسعر ١٧٨٨٩/٩٣ دولاراً من شركة كوداك حيث ستساعد الباحثين على تصوير وقراءة وتحقيق المخطوطات العربية كما ستفتح أفقاً رحباً للتعاون بين كلية الآداب وبين جميع الكليات والمعاهد ومراكز البحوث المهمة بالثقافة العربية والإسلامية في العالم . وستضم هذه الوحدة أجهزة لتصوير الكتب والوثائق إضافة إلى أجهزة لقراءة المايكرو فيلم وتصويرها أيضاً . كما قامت الكلية بشراء جهاز عرض سينمائي حجم ١٦ ملم لعرض أفلام تعليمية على الطلبة حيث تتمكن الأقسام العلمية المختلفة من الاستفادة منه أثناء التدريس .

الاساتذة الزائرون

٣ - قام المؤلف برسي هوارد نيوي Percy Howard Newby الروائي البريطاني بزيارة لقسم اللغات الأوروبية في كليتنا وألقى محاضرة بعنوان

«علاقة المؤلف بمادته» وقد تحدث الروائي المذكور عن تجربته في كتابة الرواية وعن مواضيع بعض الروايات .

٤ - زار الدكتور مصطفى عبدالحمد العبادي رئيس قسم تاريخ اليونان والرومان في جامعة الاسكندرية الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أهمية دراسة التاريخ اليوناني والروماني في فهم التاريخ العربي والإسلامي .

٥ - زار الدكتور جلال يحيى رئيس قسم التاريخ في جامعة أسبوط بجمهورية مصر العربية مدينة الموصل وحل ضيفاً على جامعة الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أسباب الثورة الفرنسية وآثارها بالنسبة لأوروبا والشرق العربي .

٦ - قام السيد Baker الموفد من المركز الثقافي البريطاني في بغداد بزيارة لقسم اللغات الأوربية واطلع على أوضاع القسم وخططه في تطوير تدريس موضوع اللغة الانكليزية

٧ - زار كليتنا الدكتور السيد يعقوب بكر أستاذ كلية الآداب بجامعة القاهرة وأستاذ فقه اللغة واللغات السامية وألقى عدداً من المحاضرات على طلبة قسم اللغة العربية منها (العربية لغة سامية عالمية) . وقد استغرقت زيارته عشرة أيام .

٨ - زار الدكتور جمال زكريا قاسم أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس قسم التاريخ بكليتنا وألقى محاضرات يومية على طلبة القسم . وقد استغرقت زيارته مدة اسبوع واحد .

٩ - زار الدكتور عبد المنعم ماجد رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة وأستاذ التاريخ الإسلامي كليتنا حيث قام بالقاء محاضرات يومية على طلبة قسم التاريخ إضافة لالقاءه محاضرة عامة

حضرنا طلبة وأساتذة قسم التاريخ - وقد استغرقت زيارته مدة ثمانية أيام .

١٠ - قام الدكتور Dr. John Burton رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة سانت أندروز في أسكتلندا بالمملكة المتحدة بزيارة كليتنا لفترة مابين ١٩٧٥/٤/١٩ ولغاية ١٩٧٥/٤/٣٠ وألقى عدداً من المحاضرات في مواضيع اللغة العربية والدراسات القرآنية على طلبة كليتنا في قسم اللغة العربية كما ألقى بعض المحاضرات في قسم التاريخ وقسم اللغات الاوربية .

١١ - قام البروفسور William Murry عميد مدرسة الدراسات الإنكليزية جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة بزيارة قسم اللغات الاوربية في كليتنا وألقى محاضرة على طلبة الصفوف الثالثة والرابعة في قسم اللغات الاوربية عن (الشاعر الإنكليزي بليك W.Blake) . وقد رافقه في زيارته للموصل السيد فايلر المسؤول عن تدريس اللغة الإنكليزية في المركز الثقافي البريطاني في بغداد - وقد استغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٢ - زار كليتنا المستشرق الروسي الدكتور نيقولا لونوف والمستشرقة الدكتورة يلينا غولوبوفكايا والتمنا محاضرات عن تاريخ اليمن الشمالية على طلبة قسم التاريخ - وقد استغرقت زيارتهما أربعة أيام .

١٣ - ضمن زيارة وفد الأساتذة المصريين للقطر إستناداً إلى الدعوة الموجهة لهم من مجلس قيادة الثورة زار كليتنا كل من الأساتذة
• الدكتور أحمد دراج رئيس قسم التاريخ جامعة القاهرة
• الدكتور محمود السروجي رئيس قسم التاريخ الحديث جامعة الإسكندرية
• الدكتور لطفي عبد الوهاب رئيس قسم التاريخ القديم جامعة الإسكندرية

• الدكتور أحمد العنوي رئيس قسم التاريخ كلية العلوم القاهرة
 • الدكتور عبد المنعم محمد حسنين عميد الدراسات الشرقية جامعة الأزهر
 • الدكتور مصطفى الشكعة رئيس قسم الدراسات العربية جامعة عين شمس
 • الدكتور جوزيف نسيم أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس
 • الدكتور أحمد مختار عبادي أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس
 وقد اطاع الأساتذة المذكورون على أقسام الكلية وبعض نشاطاتها
 كما التقوا بعض المحاضرات على الطلبة في الكلية .

١٤ - زار الدكتور خليل حماش عميد كلية الآداب جامعة بغداد كليتنا
 لمدة يوم واحد والقي محاضرة على طلبة وأساتذة قسم اللغات الأوربية
 حول مناهج اللغة الإنكليزية الجديدة .

١٥ - زار الدكتور حكمت الأوسي مدير شؤون الإنسانيات العامة في
 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كليتنا والقي محاضرتين على طلبة
 قسم اللغة العربية ومحاضرة عامة بعنوان (من مظاهر التأثير العربي
 في الثقافة الإسبانية . وقد استغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٦ - استضافت كليتنا مجموعة من طلبة قسم التاريخ بجامعة بغداد يرافقهم
 الدكتور عبدالله فياض حيث القى محاضرة عامة على طلبة قسم التاريخ .

المؤتمرات

١٧ - أوفد الدكتور أحمد الحسو للمشاركة في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب
 وحضرته والذي انعقد في تونس في ٢٤ ، ٢٥ كانون الأول ١٩٧٤
 وقد مثل جامعة الموصل وكلية الآداب فيه .
 وقد شارك الدكتور أحمد الحسو بالقاء بحث يمثل نصوصاً تاريخية
 تتعلق بتاريخ المغرب وآندلس .

١٨ - شاركت جامعة الموصل بثلاثة من أساتذتها في المؤتمر التاريخي الأول الذي انعقد في بيروت لفترة من ١٠ / ٣ / ١٩٧٥ - ١٦ / ٣ / ١٩٧٥ تحت شعار (الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد) وهم الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب والدكتور محيي الدين توفيق رئيس قسم اللغة العربية في الكلية والدكتور خضر الدوري الأستاذ المساعد في قسم التاريخ بالكلية . وقد ساهم الوفد في المشاركة الإيجابية في مناقشات المؤتمر ودفعها في الاتجاه العربي التقدمي . وقد تمخض المؤتمر المذكور عن توصيات إيجابية فيها موافقة على عقد المؤتمر التاريخي الثاني في جامعة الموصل وعلى أن يكون شعار المؤتمر القادم (الحضارة العربية في حاضرها ومستقبلها) .

١٩ - أوفدت جامعة الموصل الدكتور محمد أزهر السماك للمشاركة في الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز الخليج العربي الذي انعقد في جامعة البصرة خلال الفترة ٢٩ - ٣١ آذار ١٩٧٥ والذي شاركت فيه وفود من (٢٢) دولة عربية وأجنبية وقد القى الدكتور السماك بحثاً بعنوان (دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي)

المناسرات العلمية

٢٠ - تمت مناقشة أبحاث السادة المدرجة أسماؤهم أدناه من قبل مجلس قسم اللغة العربية .

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

للدكتور عمر الطالب

للسيد علي محمد الحبوبي

« صورة القصيدة الجاهلية »

« نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه »

للسيد محمد علي الحسيني

« دراسة تحليلية في همزتي (إن وأن) »

للميد عبد الوهاب العادواني

٢١- « أقام قسم التاريخ عدة سيمينارات علمية لمناسبة البحوث التالية :
عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري وكتابه التاريخية في الميرة
والمغازي »

للسيد محمود ياسين التكريتي

« بغداد منذ تأسيسها وحتى الغزو المنوي دراسة في التغيير السكاني »
للدكتور خضر النوري

« مكانة العرب ونفوذهم في العصر العباسي الأول »

للسيد صلاح السيري

« المسكوكات الفضية العباسية في مجموعة مركز البحوث الآثارية
والحضرية بجامعة الموصل »

للسيد عبد الواحد الرمضاني

« التحول الرأسمالي في الحجاز خلال العصر الأموي »

للانسة نجلة الصباغ

المحاضرات العامة

٢٢- ألقى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب محاضرة عن دستور
المدينة في زمن الرسول (ص) على قاعة النشاط المدرسي بدعوة من
جمعية التراث العربي في الموصل وقد حضرها جمهور كبير من المثقفين
والمهتمين بشؤون الفكر والتراث وأعقبها نقاش مفتوح حول مضمون
المحاضرة .

٢٣- ألقى الدكتور محمد عبدالرحمن برج الأستاذ في قسم التاريخ بكليتنا
محاضرة بعنوان (المغرب العربي المعاصر وموقف بعض المؤرخين الأجانب
منه) .

٢٥ - افتتح قسم اللغة العربية موسمه الثقافي للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٤ بمحاضرة السيد زاهد ياسر الزبيدي - المدرس في القسم المذكور بعنوان التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبدالرحمن - دراسة ونقد في ٢٥ / ١١ / ٩٧٤ .

٢٦ - الدورات التأهيلية

أعد قسم اللغة العربية في كليتنا دورة تأهيلية لمدرسي اللغة العربية في محافظة نينوى لمدة شهرين وكان عدد المشاركين فيها حوالي (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع مدرسي القسم المذكور . كما أعد قسم التاريخ دورة مماثلة لمدرسي التاريخ ولمدة شهرين وبلغ عدد المشاركين فيها (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع أساتذة القسم .

٢٧ - شارك قسم اللغات الأوربية باعداد دورة لتدريس اللغة الانكليزية في المركز الثقافي الاجتماعي بجامعة الموصل حيث تم تنسب اثنين من أعضاء القسم لتدريس فيها وبعدها أربعة محاضرات في الاسبوع .

٢٨ - المطبوعات <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قام كل من الأساتذة الدكتور محي الدين توفيق والدكتور توفيق اليوزبكي والسيد صلاح الدين أمين بتنقيح كتاب دراسات في الوطن العربي وقد تم اخراجه وطبعه بشكل أنيق .

٢٩ - قامت جامعة الموصل بطبع المحاضرات التي ألقاها الدكتور نوري القيسي - رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بغداد - على طلبة قسم اللغة العربية في كليتنا بصفته استاذاً زائراً حول (وحدة التصيدة في الشعر الجاهلي) .

٣٠ - قامت الكلية بتوزيع المجموعة الشعرية والتحصية لبعض الأدباء الشباب من طلبة كلية الآداب وقد طبعت على نفقة الجامعة .

الموسم الثقافي للكلية

١. أفتتح الأستاذ فليح حسن الجاسم محافظ نينوى الموسم الثقافي الأول لكلية الآداب بجامعة الموصل بمحاضرة قيمة بعنوان (دراسات في قانون الحزب القائد) وذلك في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء المصادف ١٩٧٥/١/٢١ وقد تفضل السيد المحافظ بشرح أبعاد قانون الحزب القائد ووضح طموحات حزب البعث العربي الاشتراكي في قالب الواقع العربي المتخالف عن كافة الأصعدة والجوانب داخل القطر وعلى الصعيد القومي أيضاً من أجل تجاوز كل السلبات التي وقفت عائقاً في طريق وحدة وتقدم وازدهار الأمة العربية وفي كافة أرجاء الوطن العربي .. وكيف أن الحزب القائد يستند في نضاله إلى الجماهير العربية التي هي الغاية والوسيلة في نضال الحزب وإلى الأسس العلمية والموضوعية أيضاً من أجل ترسيخ نهجه الثوري التقدمي . وقد أعجب نقاش مفتوح مع الجمهور الصغير الذي اكتضت به قاعة الإدارة الخلية في الموصل وقد استغرق النقاش أكثر من ساعة أيضاً .

٢. وضمن نشاطات الموسم ، ألقى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب محاضرة بعنوان (نظريات التنشئة والتطور) : أنظمت الحكم في العراق) عصر يوم الثلاثاء المصادف ١١ - ٢ - ١٩٧٥ على قاعة المتحف ، حضرها السيد رئيس الجامعة وعدد كبير من الأساتذة والأدباء والمثقفين في الموصل ... استعرض خلالها موضوع السيادة وتطور أنظمة الحكم في العراق منذ مطلع القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر ... وقد أكد من خلال محاضرته بأن (السيادة) كانت محصورة في يد الحكومات الرجعية والدكتاتورية دون أن تجسد آمال وطموحات الشعب العراقي وأنها كانت مفرغة من أي تطبيق ديمقراطي واقعي إلا ثورة الرابع عشر من رمضان وثورة السابع عشر من تموز التي جاءت تعبيراً عن إرادة الشعب في تغيير الواقع والسير بالبلاد في طريق التطور والتقدم والازدهار وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح استمر أكثر من ساعة .